

مساركتہ منہجستہ الكتاب لجامعة القاهرة في الدراسات الإنسانية

# الكوز في الفسيفساء

## لأرسطوطاليس

يتلوه كتاب " في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غريغياس "

ترجمها من الإغريقية إلى الفرنسية وترجمها بمقدمة في تاريخ الفلسفة الإغريقية

وعلق عليها تعليقات متأخرة

بإشراف سائيمير

أستاذ الفلسفة الإغريقية في كالج دي فرانس وعضو أكاديمية الفنون  
ونقله إلى العربية

أحمد لطفي السيد



# الكوز والفلسفة

لأرسطوطاليس

يتلوه كتاب "في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرياس"

ترجمهما من الإغريقية إلى الفرنسية وصدر لهما بمقدمة في تاريخ الفلسفة الإغريقية  
وعلى عليهما تعليقات متتابعة

بارتلي سانشيلير

مستشار الفلسفة الإغريقية في داليج دي فرانس ثم وزير الخارجية الفرنسية

ونقله إلى العربية

أحمد لطفي السيد

كتابخانه

مركز تحقيقات كتاب وتری علوم اسلام

شماره ثبت: ۵۸۳۷۰۰

تاریخ ثبت:

Shiabooks.net



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٨

أرسطو طاليس ، ٢٨١ - ٣٢٢ ق م  
 الكون والقياس / لأرسطو طاليس ؛ ترجمهما  
 من الإغريقية إلى الفرنسية وصدرهما بمقدمة  
 في تاريخ الفلسفة الإغريقية وعلاق عليهما  
 تعليقات متتابعة بارتلمي سانتهلير ؛ ونقلهما إلى  
 العربية أحمد لطفي السيد . - القاهرة: لجنة  
 التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٢ مبع (٢٠٠٨).  
 : ٣٤٨ من ٢٤ سم .  
 تدمك ٣ ١٨٥ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨  
 ١ - فلسفة أرسطو .  
 ( ١ ) سانتهلير ، بارتلمي (مترجم).  
 (جد) العنوان :  
 رقم الإيداع بدار الكتب ١٨٢١ / ٢٠٠٨  
 I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 185 - 3  
 ديوى ١٨٥

جميع مؤلفات أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد  
 والأعمال التي قام بترجمتها مملوكة قانوناً  
 للهيئة المصرية العامة للكتاب  
 ويحظر استغلالها بأية وسيلة سواء أكانت النقل أو الاقتباس  
 أو التخزين أو غيرها دون تصريح كتابي من الهيئة  
 ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة قانوناً .

## تقديم

انطلاقاً من دورها الريادى فى إثراء الثقافة المصرية والعربية ، اختارت الهيئة المصرية العامة للكتاب أن تشارك جامعة القاهرة فى الاحتفال بمرثيتها بنشر ثمرات من جهد أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد والمتمثلة فى ترجماته لأعمال المعلم الأول أرسطو، والتي رأى فيها أحمد لطفى السيد أدوات معرفية أساسية لتأسيس النهضة الفكرية المصرية والعربية فقام بنقل عيون التراث الإنسانى والتي كانت لها أكبر الأثر فى إثراء الحضارة الغربية بصفة خاصة والفكر الإنسانى بصفة عامة فترجم لأرسطو (الأخلاق) سنة ١٩٢٤م و(الكون والفساد) سنة ١٩٣٢، و(الطبيعة) سنة ١٩٣٥، و(السياسة) سنة ١٩٤٧، وذلك بالإضافة إلى إنتاجه الفكرى فى مجالات الأدب والسياسة والاجتماع والفلسفة والصحافة مؤسساً بذلك مدرسة فكرية تخرج فيها كثيرون ممن أسهموا فى إرساء دعائم النهضة فى مصر.

لقد جاء تبني أحمد لطفى السيد لقضية التعليم إيماناً منه بأن الاستقلال والحرية لا يقومان بغير دعامة فكرية حقيقية منبعها التعليم.



## وتجلى ذلك فى كلماته:

«ومن رسالة الجامعة نشر الثقافة العلمية والأدبية فى جميع طبقات الأمة سواء أكان ذلك بإباحة الانتساب إلى معاهدها المختلفة من غير قيد ولا شرط، أم بإلقاء المحاضرات العامة فى العلوم والآداب والفنون، أم بنشر المؤلفات فى كل فرع من الفروع».

لقد مثلت جامعة القاهرة ركيزة أساسية فى النهضة المصرية الحديثة، بل تمثل فيها الضمير الوطنى والعلمى والثقافى فوقفت شاهداً على حركة المجتمع على مدى قرن من الزمان حاملة شعلة التنوير الذى امتد بآثاره إلى العالم العربى، بل وإلى بقاع العالم المختلفة. فمثلت بذلك نموذجاً للعمل الوطنى المخلص الذى التف حوله رموز وطنية مخلصية، ومثلت كذلك عطاءً متدفقاً من مؤسسة شيمتها العلم من خلال دورها الريادى وارتباطها بالتطور الاجتماعى والاقتصادى بمصر لتقف شاهدة على حركة المجتمع.

إن هذا التواضل بين الجامعة وهيئة الكتاب يمثل نموذجاً للتنسيق والتعاون بين مؤسسات المجتمع لدعم النهوض به.

هنيئاً لمصر بجامعتها، وهنيئاً لمصر بروادها الأفذاذ ممن كان ومازال عطاؤهم شاهداً على عظمة هذه الأرض الطيبة.

د. ناصر الأنصارى

# فيلسوف

## كتاب الكون والفساد

### مقدمة المترجم

بارتلمى سانتهيلير

صفحة

### (أصول الفلسفة الإغريقية)

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما في هذا السفرهما حملة على مدرسة إيليا التي هي من أقدم مدارس الفلسفة اليونانية — مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفثاغورث وإكسينوفان ... الخ ؛ وسابقوم الحقيقون بالإعجاب : هوميروس وسافو ... الخ — علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب ... الخ — الاتحادات الثلاثة : الأبوليون في الشمال والبروتان في الوسط ، والدوريون في الجنوب — بحلة الحوادث الكبرى التي تدخل في أمرها الفلاسفة من طاليس الى ميليسوس من السنة ٦٢٠ الى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد — حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس — الوسائل المادية التي كانت عند الأقدمين لكافة المؤلفات — الكتب من طاليس الى زمن أرسطو طاليس — شهادات هيروdot وطلوكوديدس وإكسينوفون وأفلاطون وأرسطو — الاستعمال العام لورق البردي المصري — صنع الورق على لول بلاين — رسائل شيشيرون — إيضاح هذه الحوادث — ورق البردي المحفوظ في دور الآثار عندنا (فرنسا) — محابر وأقلام الكتب التي يرجع تاريخها على الأقل الى نحو خمسة وعشرين قرنا — أولية للفلسفة اليونانية — كونها لا تدبر بشيء للشرق — المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية — خلاصة القول على مدرسة إيليا — المعنى الحقيقي لنظرية الوحدة ... ١

## الكون والفساد

## الكتاب الأول

صفحة

الباب الأول — الموضوع العام لهذا الكتاب — تخيص المذاهب السابقة — آراء مختلفة — تخيص نظريات أنكساغوراس ولوكريس وديمقريطس — نقض خاص لمذهب أميدقل — الاستشهاد ببعض أبحاثه — المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الأشياء تبعاً لما يسلم به من الوحدة أو التعدد للعناصر الأولية ... ١٠٧

الباب الثاني — عدم كفاية نظرية أفلاطون — عود على نظرية ديمقريطس ولوكريس — نظرية جديدة على كون الأشياء وفسادها — النمط المتبع — أهمية مسألة الذرات — رأي ديمقريطس ولوكريس — رأي أفلاطون في كتابه طيمائوس — خطأ هؤلاء، وهؤلاء — وجوب الأخذ بملاحظة الأحداث على الأنص — فضل ديمقريطس من هذه الجهة — أفكار في قابلية الأشياء للقسمة — يمكن افتراض القسمة لامتناهية — صعوبات هذه النظرية — صعوبات ليست أقل خطراً من نظرية الذرات — نقض هذه النظرية — المعنى العام الذي يحمل عليه كون الأشياء ... ١١٥

الباب الثالث — في الكون المطلق وفي فساد الأشياء — صعوبة هذه المسئلة — الكون والفساد الإضافيان — النمط الذي يتخذ في هذا البحث — شواهد من كتاب الحركة — أبدية الكائنات وتعايقها المستمر — تبادل الكون والفساد — تمييز لفظي مهم — استشهاد بـيرمينيد — الفرق بين الكون المطلق والكون الإضافي — فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين — الرأي العام في هذا الموضوع — في أن شهادة الحواس تعطى أكثر مما تستحق — توضيحات مختلفة — طريقة فهم أبدية الظواهر ... ١٢٨

الباب الرابع — فصول الكون والاستعالة — تمييز الموضوع وبحول الموضوع — حدة الاستعالة — أمثلة مختلفة — حدة الكون المطلق وأمثلة منتقاة — آخر المقارنة بين الكون والاستعالة ... ١٤١

الباب الخامس — نظرية النمو — الفروق بينه وبين الكون والاستعالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو — نقلة الشيء النامي غير المحسوسة — صعوبة إدراك من أين يأتي النمو في الجسم — كل أجزاء الجسم تتولد دفعة واحدة — الشروط الأصلية للنمو هي ثلاثة — المقارنة بين النمو والاستعالة — نظرية جديدة للنمو — تمييز ما بالفعل من ما بالقوة — يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو — علاقة المنصر بالحديد الذي يحدث نمو الجسم بالجسم النامي ... ١٤٤

صفحة

الباب السادس — الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض — في الاختلاطها — رأى  
ديوجين الأهلون — لأجل إدراك أن العناصر تفعل أو تفعل بعضها ببعض يلزم توضيح  
ما هي بقاسمها — المعاني المختلفة لهذه الكلمة — الفرق بين الحركة والفعل — المحرك غير  
المحرك لا حاجة به ضرورة إلى مس الشيء الذي يحركه — الشيء المحرك يمكن ألا يمس  
شيئا هو أيضا في نوبته — آخر نظرية القياس ... .. ١٥٩

الباب السابع — نظرية الفعل والافتعال — آراء الفلاسفة — ديمقريطس هو الذي  
أجاد لهم هذا الموضوع — سبب خطأ الفلاسفة — الشبه لا يمكن أن يشبه أى فصل  
من الشبه — العلاقة الضرورية بين الفاعل والمفعول — الشبه والفرق بينهما — توفيق  
رأين متعارضين في تمييز لفظي — المشابهة بين الحركة وبين ظاهر الفعل والافتعال —  
المحرك الأول يمكن أن يكون غير متحرك — الفاعل الأول يمكن أن يكون كذلك لاستغناء  
ختم نظرية الفعل والافتعال ... .. ١٦٦

الباب الثامن — نقض النظرية التي تقترض أن الفعل والافتعال يحدثان في الجواهر  
المادية بالمسام — رأى الفلاسفة القدماء — استشهاد من أمييدقل — لوكيس  
وديمقريطس هما أقرب إلى الحق — وحدة الموجود محال وكذلك ثباته — غرائب ضلالات  
الفلاسفة القدماء — عرض نظرية لوكيس — عرض نظرية أمييدقل — مواطن  
الافتقار والاختلاف بينهما وبين نظرية لوكيس — استشهاد من علياوس أفلاطون —  
مقارنة بين أفلاطون ولوكيس — اعتراضات على نظرية أفلاطون وعلى نظرية الوحدة  
ونظرية الذرات — استحالة قبول وجود الذرات وفهم من أين جاءت الحركة — الرؤية  
من خلال الأرساط تصير غير قابلة للإيضاح — خاتمة نقض النظرية التي تقترض بواسطة  
المسام الفعل والافتعال في الأشياء ... .. ٧٥

الباب التاسع — تفاصيل جديدة على نظرية كون الأشياء وعلى خواصها القاطعة والقابلة —  
الأفعال التي تحصل عند القياس وعلى بعد — توضيح ديمقريطس ضمير الكافي — لمحو  
أشكال الأجسام اذ تنغير بالحال دون أن تنغير بالمكان — خاتمة نظرية الفعل والافتعال ١٨٨

الباب العاشر — نظرية الاختلاط — من الفلاسفة من أنكر أن الأشياء أمكنها أن تختلط  
فيها بينها — إبطال هذه النظرية — المعنى العام لشروط الاختلاط — الطبع المختلف  
للأجسام المختلفة — الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق — لكي يوجد اختلاط  
بين الأشياء يلزم أن يوجد بينها مجانس بل شيء من التناسب — النقطة من التبدل في كمية  
من الماء — سهولة الاختلاط أو صعوبة تبعاً لاختلاف في طبع الأشياء وصورتها —  
خاتمة نظرية الاختلاط ... .. ١٩٢

## الكتاب الثاني

الباب الأول — نظرية عناصر الأجسام — عددها — شاهد من أميدقل — المادة  
ليست منفصلة عن الأجسام كما هو في طياروس أفلاطون فيما يظهر — نفى هذه النظرية —  
إنها حقة بجزئها باطلة بالجزء الآخر — شاهد من الملاحظات المختلفة السابقة — نظرية  
جديدة على المبادئ العنصرية للأجسام — طبعها وعددها ... ٢٠١

الباب الثاني — عدد الجسم كما تعرف لنا حاسة اللمس — تعدد الأضداد الأصلية التي  
يعرضها الجسم المحسوس باللمس — فصول هذه الأضداد — الفعل المتباين للبارد والحار  
والخاف والسائل بين — علاقة جميع الفصول الأخرى بهذه الفصول الأربعة الأصلية ... ٢٠٦

الباب الثالث — تركيب العناصر بين بعضها والبعض — ليس منها إلا أربعة لأن  
الأضداد خارجة منها — نظريات سابقة على عدد العناصر — برميند — أفلاطون —  
أميدقل — طبع العناصر المختلفة — الأمكنة المختلفة التي تشغلها في الأين ... ٢١١

الباب الرابع — نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض — فصول العناصر فيما بينها يمكن أن تكون  
أكثر أم أقل عددا — سهولة التبدل وصعوبته — أمثلة مختلفة بحسب تهاور العناصر  
أو البعد بينها في النظام الذي هي مرتبة به وبحسب تماثل كيفيات العناصر أو تغايلها —  
خاتمة الجزء الأول لنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر ... ٢١٥

الباب الخامس — بنية نظرية تبدل العناصر — من المحال ألا يوجد إلا عنصر واحد منه  
تأتى كل العناصر الأخرى — في هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن  
لا يحصل البتة كون حقيق للعناصر المختلفة — شاهد من طياروس وأفلاطون — عرض  
جديد للطريقة التي بها تتغير العناصر بعضها الى بعض — يحصل التبدل بسرعة متناسبة مع  
وجود كيف مشترك — نسبة العناصر الأطراف بعضها الى بعض ونسبة العناصر الأوساط  
— الحدود الضرورية لهذا التحول — لا يمكن التثني الى اللانهاية في أى واحدة من  
الجهتين — البيان الحرفي لهذا المبدأ ... ٢٢٠

الباب السادس — إبطال نظرية أميدقل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة الى الكم  
أم بالنسبة الى الأثر والتناسب — في مذهب أميدقل نمو الأشياء يرجع الى مجزؤ جمع —  
لأنه لا يفسر أيضا كون الأشياء، بل أخضعه لسلطان المصادفة، ولا طلة الحركة الأصلية  
ولا طبع النفس الحقيق — شواهد مختلفة من شعر أميدقل ... ٢٢٧

الباب السابع — بنية مذهب أميدقل — متى أنكر أن العناصر يمكن أن تتغير بعضها الى  
بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العنصرية المختلفة — شاهد من أميدقل — صعوبة  
توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست أقل عظاما متى سلم بأحادية المادة — تعيين نظرية  
جديدة فيما تكون الأضداد هي التي بفعلها المتكافئ تكون جميع جواهر الطبيعة ... ٢٣٤



الباب الثامن — التركيب العام للأجسام المختلطة — يوجد في كلها من الأرض ومن الماء  
الذين هما عنصران ضروريان — وفيها أيضا من الهواء ومن النار وهما ضدّا العنصرين  
الأولين — ظاهرة التغذية التي يستشهد بها استدلال هذه النظرية — كيف أن النار هي العنصر  
الوحيد من العناصر البسيطة ، الذي يندى نفسه ... .. ٢٢٩

الباب التاسع — الهوى والصورة — المبادئ الأولى للأشياء — ضرورة مبدأ ثالث وهو  
العلة المحركة — إبطال نظرية المثل على نحو ما مرضها أفلاطون في الفيدون — إن المثل  
لا يمكن أن تفسر كون الأشياء — إنها لا تكون — يرى أن طائفة من الأشياء تتكون  
تحت أعيننا بطل أخرى — إبطال النظرية التي تفسر كون الأشياء بحركة المادة — المادة  
قابلة لا فاعلة — أمثلة مختلفة مستخرجة من طرائق الفن ... .. ٢٤٢

الباب العاشر — كون الأشياء وفسادها مما متصلان بالحركة ويتعلقان بالثقل الدائرية  
للعالم — ضرورة حركتين — الثقل الدائرية المائلة تستلزم هذه الضرورة — انتظام الكون  
والفساد الطبيعيين — المدة الدورية للكائنات — فعل الله — القوانين النابتة التي وضعها  
في أبدية الأشياء — النظام العجيب للعالم — تغير الأجسام إنما هو الذي يحفظ مدتها —  
المحرك الأول غير المتحرك هو المبدأ الوحيد للحركة العالمية — اتصال الحركة يتعلق  
باتصال المتحرك ... .. ٢٤٧

الباب الحادى عشر — نظرية تماثل الأشياء الأبدى المنتظم — على أى مقدار يكون  
تدخل الوجوب — الأشياء الواجبة والأشياء الممكنة — الوجوب المطلق — الوجوب  
الإضافى — علاقة الواجب والأزلى — كون الأشياء لا يمكن أن يكون أبديا إلا إذا كان  
دائريا — ترتيب الأشياء العجيب — الحركة الدائرية للفلك الأعلى تنظم كل الحركات  
السفل ، حركة الشمس ، وحركة الفصول وكل الحركات الأخرى — أبدية الأنواع —  
فناء الأشخاص المتعاقب — أزلية بعض الجواهر — خاتمة الكتاب ... .. ٢٥٤

تحقيق — على الكتاب الموسوم "في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غريغاس" ... .. ٢٦١



## في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غريغياس

### مذاهب ميليسوس

صفحة	الباب الأول — الموجود هو أزلي غير متناه واحد ولا متحرك — أركان الوحدة وتناجها — الاختلاط — مظاهر الأشياء هو ضد الوحدة — الحذر الذي ينبغي أخذه من شهادة الحواس — ردود على نظرية الوحدة وعلى اللاأدرية — الآراء المتضادة لهذا المذهب — شواهد من هيزود وبعض فلاسفة آخرين ... .. ٢٨١
	الباب الثاني — تنقذ ميليسوس — ردود على مبدأ أنه ليس شيء يأتي من لا شيء — تولد الأشياء وكونها بعضها من بعض على النكاف — نظريات أميدقل وأنكساغوراس وديموقريطس وبرمينيد وزينون — شواهد من شعر أميدقل وهيزود — الموجود ليس ضرورة واحدا أزليا ولا متناها ... .. ٢٨٨

### مذاهب إكسينوفان

٣٠١	الباب الثالث — نظرية إكسينوفان في حق الله — الأزلية — القدرة — أحدية الله — يجب أن يتصور كأنه فلك — الله منزوع عن الحركة والسكون ومنزه عن أن يكون متناها أو لا متناها ... .. ٣٠١
٣٠٥	الباب الرابع — إبطال نظريات إكسينوفان — استشهاد من ميليسوس — كيف ينبغي أن يعنى بقدرة الله — الله ليس فليكا — إنه لا متناه — وحدانية الله ليست متافية لكونه متناها — في حق الحركة من الله — في الحركة التي يمكن تصورها في حق الله — استشهاد من زينون ... .. ٣٠٥

### مذاهب غريغياس

٣١٤	الباب الخامس — النظريات الثلاث الأصلية لغريغياس : على الوجود، وعلى امتناع العلم، وعلى نقل العلم — على النظرية الأولى يجمع غريغياس برئت الآراء السابقة — ميليسوس وزينون — بسط مذهب غريغياس في امتناع الموجود والمعدوم على السواء ... .. ٣١٤
٣١٧	الباب السادس — نقض نظرية غريغياس الأولى — شاهد من ميليسوس وزينون — الموجود واللا موجود لا يشتهان، والحركة هي ممكنة — شاهد من مقالات لوكيس — نقض نظرية غريغياس الثانية على امتناع العلم — نقض النظرية الثالثة على امتناع نقل العلم بعد كسبه — إلهان بأن نظريات الفلاسفة القدماء ستدرس بعد دراسة خاصة ... .. ٣١٧
٣٢٥	قطع من ميليسوس ... .. ٣٢٥
٣٣٢	تحليل نظرية غريغياس لسكستوس أميريكوس ... .. ٣٣٢

## مقدمة المترجم

بارتلى ساتهيلير

### (أصول الفلسفة الإغريقية)

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما في هذا السفرهما رحلة على مدرسة إيليا التي هي من أقدم مدارس الفلسفة اليونانية — مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان... الخ. وساقوهم الحقيقون بالإعجاب هوميروس وسافو... الخ. — علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب... الخ. — الاتحادات الثلاثة : الأيونيون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب — رحلة الحوادث الكبرى التي تدخل في أمرها الفلاسفة من طاليس إلى ميليسوس من السنة ٦٢٠ إلى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد — حرب يونان مع ليديا ومع مملكة الفرس — الوسائل المادية التي كانت عند الأقدمين لكتابة المؤلفات — الكتب من طاليس إلى زمن أرسطو طاليس — شهادات هيرودوت وبلوتارخوس وإكسينوفان وأفلطون وأرسطو — الاستعمال العام لورق البردي المصري — صنع الورق على قول بلاتين — رسائل شيشرون — إيضاح هذه الحوادث — ورق البردي المحفوظ في دور الآثار عندنا (فرنسا) — محابر وأقلام الكتابة التي يرجع تاريخها على الأقل إلى نحو خمسة وعشرين قرناً — أولية الفلسفة اليونانية — كونها لاتدين بنى للشرق — المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية — خلاصة القول على مدرسة إيليا — المعنى الحقيقي لنظرية الوحدة .

جمعت عمداً بين هذين الكتابين في هذا السفر لأنهما ، كما يظهر لي ، يعبران كلامهما عن أفكار من قبيل واحد ، ففي أولهما يعني أرسطو بإيضاح كيف تكون الأشياء وكيف تنتهي ، خلافاً للمذهب وحدة الوجود ولا تغيره ، وفي ثانيهما المناقشة بعينها موجهة مباشرة إلى ممثل مدرسة إيليا : إكسينوفان مؤسسها ، وميليسوس حافظ مبادئها حتى العهد الذي قام فيه سقراط يبدل بالتردد القديم فلسفة جديدة حاسمة . فالفكرة في الكتابين متماثلة ، ولا فرق بين أحدهما وبين الآخر إلا في الشكل فقط . فهنا توضيح عام لمبدأ ، وهناك نقض خاص للبداية المناقضة . وسنعود بالاختصار

في آخر هذه المقدمة الى تقدير قيمة هذين الكائين اللذين يستأهلان أن يُعرفا أكثر مما هما الآن . ولكنى أُرغب بدياً في أن أبين بقدر ما أستطيع من البيان ماذا كانت الحركة الفلسفية التي شاطر فيها إكسينوفان وميليسوس ، سواء في إحداثها أو في اتباعها .

إكسينوفان وميليسوس كلاهما من الأسماء البعيدة القدم . ومن الصعب لأقول نظرة الاقتناع بأنت درسهما يبعث اهتماماً جدياً هذه الأيام . هذان الفيلسوفان كانا يعيشان في القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد . وعلى هذا المدى فليس إلا التنقيب وحده ، فيما يظهر ، هو الذي ما زال يوليها العطف الذي انقضى زمانه ، ويستقصى مذاهبهما المنسية منذ زمان بعيد . لست أقصد في الحلق الى انتقاد التنقيب ، ولكنى أدرك ما يثير نأثره من التحامل البادر عند ما يتوغل في درس تلك الأزمان البعيدة إذ تنعدم المراجع الوثيقة فلا يبقى لنا من أعيانها إلا آثار لا صور لها . على أنى في هذا الموطن أكثر مما في سواء أسأل أن يصنى الى التنقيب لحظة . فان الموضوع الذي يحاوله فيما يتعلق بإكسينوفان هو موضوع من أهم موضوعات تاريخ العقل البشرى وأكثرها حيوية .

إنه ليس أقل من أن يكون ميلاد الفلسفة في هذا العالم الذي نحن منه .

أما من جهة الفلسفة الشرقية فأننا لا نعرف ، بل ربما لن نعرف أبداً من أمرها شيئاً معينا بالضبط فيما يخص يعصورها الرئيسية وانقلاباتها . فان أزميتها وأمكنيتها وأهلها تكاد تعزب عنا على سواء . إنها مستعصمة دون إدراكنا ، مدعاة للشكوك لما يفشاها من كثيف الظلمات . حتى لو عرفنا منها هذه التفاصيل مع الضبط الكافي لما أفادنا ذلك إلا من جهة إرضاء رغبتنا في الاطلاع دون أن يتصل بنا أمرها كثيراً . إن الفلسفة الشرقية لم تؤثر في فلسفتنا . ومع التسليم بأنها تقدمتها في الهند وفي الصين وفي فارس وفي مصر فأننا لم نستعمر منها كثيراً ولا قليلاً . فليس علينا أن نصعد إليها لنعرف من نحن ومن أين جئنا ، والأمور على الضد من ذلك مع الفلسفة الإغريقية ،

إننا بها نتصل بالماضي الذي منه خرجنا . وعلى الرغم من عمالة الكبرياء التي هي في الغالب جانية الكفران يجب علينا ألا ننسى أبدا . أننا أبناء إفريقيا . إنها أمتنا في جميع أمور العقل تقريبا . فلئن ساء لنا أو ائلمها فإنما نسائل أصولنا . فمن طاليس ومن فيثاغورث ومن إكسينوفان ومن أنكساغوراس ومن سقراط ومن أفلاطون ومن أرسطو طاليس إلينا لا يوجد إلا فرق الدرجة . نحن جميعا في طريق واحد مستمر من قرون عديدة ، ومتصل بلا انقطاع لا يتغير اتجاهه ، بل يصير على مرور الزمان أكثر طولا وأبهى جمالا . والظاهر أننا لا نخجل من الانسحاب إلى أمثال هؤلاء الأباء . وكل ما علينا هو أن نبقي حقيقيين بنوتهم بأن ندرج على سفنهم .

قد أمكن القول ، لا من غير حق ، بأن الفلسفة ولدت مع سقراط . والواقع أن  
لهذا الرجل العجيب من المقام ما يسمع بأن يسند إليه هذا الشرف العالى ، بأن يقرن  
اسمه بهذه الحادثة الكبرى . ولكن سقراط بتواضعه المعروف ما كان ليقبل هذا  
المجد ، فانه كان يعلم أكثر من كل إنسان أن الفلسفة قد كانت تنشأ من قبله بخوفين  
إلى أن جاء فأفاض عليها قوة وجمالا لم يفارقها بعده . لم يكن مولد الفلسفة  
في آتينسا بل في آسيا الصغرى ، لأنه يجب تأخير هذه الحادثة مائتى عام الى الوراء  
تقريبا ، إلا أن تمحى من التاريخ تلك الأسماء العظام الأولى التى ذكرتها . إن التقدم  
الذى افتتح سقراط بابه لم يكن إلا استمرارا لا ابتكارا وإبداعا .

كل الأصول غامضة بالضرورة . يجهل المرء نفسه دائماً في أقول الأمر .  
وإن تعزف سنة هذه القرون الأولى مقرون بالشك الذي يلحق أيضاً الحوادث ذاتها  
التي مرت كأنها غير محسوسة . ومع ذلك إذا لم يلتزم هنا الضبط غير الممكن  
فإن أوائل الفلاسفة اليونانية يجب أن تظهر لنا أجلى من أن يدعو للشك في أمرها  
سلب محسوس .

(١) راجع مقدمة تاريخ الفلسفة لفكتور كوزان المدرس الثاني من دروس سنة ١٨٢٨ والتاريخ

كان طاليس من ملطية ، وقد حقق التاريخ وجوده في جيش أحد ملوك ليديا نحو آخر القرن السادس قبل المسيح ، وبعده بقليل جاء فيثاغورث الذي بعد أن عاد إلى وطنه سموس إثر سياحات طويلة فز منه اتقاء لظلم بوليقراطس الذي كان يضطهده ، وذهب يحمل مذهبهم على الشطوط الشرقية لإغريقا الكبرى إلى سيبارس وقروطون . أما إكسينوفان فإنه لأسباب أشبه بالمتقدمة نزع عن كولوفون . ولما اجتمع ببعض المهاجرين من فوكاية ، الذين هم بين أنياب الأخطار قد وجدوا آخر الأمر موثلا على شواطئ البعير الترهيني في إيليا (هيللا أو فيليا) ، أسس في هذه المدينة الحديثة العهد وقتئذ مدرسة شهرت ذكرها .

أصرف القول الآن إلى هؤلاء الثلاثة العظماء الذين كانوا جميعا رؤساء مدارس خالديات ، وإن كنا لا نعرف منها إلا الشيء القليل : مدرسة يونيا ، ومدرسة فيثاغورث ، ومدرسة إيليا . وعما قريب أستطيع أن أضف إلى هذه الأسماء طائفة من أسماء آخرى ، لا يستطيع تاريخ الفلسفة أن يغفلها كما لا يستطيع إغفال الأول .

ولكنني ، لا شيء غير الفكرة في أمر طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان ، أشعر بأمر يسترعى نظري ، إنهم ثلاثتهم من هذا الجزء من العالم الهليني الذي يسمى آسيا الصغرى وإنهم تقريبا متعاصرون . إن ملطية التي هي في القارة ، وسموس في الجزيرة التي بهذا الاسم ، وكولوفون في شمال إيفيزوس بقليل ، تكاد لا تتجاوز الأبعاد بينها خمسة وعشرين فرسخا .

على هذه المسافة الضيقة وفي وقت واحد تقريبا تجد الفلسفة مهدا المحيد . لكيلا نخرج من هذه الحدود في المكان والزمان والموضوع نضيف إلى هذه الثلاثة الأسماء : طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان ، أسماء أنكسيمندروس وأنكسيميلس اللذين هما أيضا من ملطية ، وهيرقليطس الذي هو من إيفيزوس ، وأنكساغوراس من كلازومين غربي أزمير قليلا في خليج هيرموز . وأذكر اسم لوكيئس وديموقريطس اللذين ربما كانا من ملطية أيضا أو من أدير مستعمرة طيوس ، واسم ميليسوس



الذي هو من سموس كفيثاغورث . وفوق ذلك أضيف إلى هذه الأسماء أسماء بعض الحكماء الذين هم أقل استنارة من الفلاسفة ولكنهم ليسوا أقل منهم احتراماً . فمنهم بطاقس من مينيلى فى جزيرة لسبوس وهو رفيق سلاح للشاعر ألقايوس فى محاربة الطغيان ، وقد نادى به مواطنوه ديكتاتوريا عليهم فلبث فيهم عشرة أعوام يعمل صالحاً ثم نزل عن الدكتاتورية . ومنهم "بياس" من "بريدنة" الذى لو اتبع الاتحاد اليونانى ما قدمه له من النصيح لنجا كما ذكر هيرودوت . ومنهم إيزوبس الذى أقام طويلاً فى سموس ثم فى سرديس عند كرىزوس ، ذلك المولى الفريجي الذى لا ينبغي للفلسفة أن تنسى ذكره فى عداد ذويها ، والذى لم يستكف سقراط من أن ينظم حكاياته شعراً<sup>(١)</sup> .

وأذكر كذلك أسبانيا من ملطية التى حدث عنها أفلاطون فى كتابه المينكسين ، والتى كانت تحدث إلى سقراط ، والتى كانت تعطى لپيركلئس دروساً فى البلاغة كانت تؤلف منها أحياناً الخطب السياسية ، والتى خصص لها رفائيل محلاً فى مدرسته الآتينية .

من ذلك يرى أن تيديمان الأريب كان محققاً حين كنى آسيا الصغرى بـ "أم الفلسفة ووطن الحكمة"<sup>(٢)</sup> . هذه الأحداث القليلة التى جئت على ذكرها والتى يمكن أن يضاف إليها كثير من أمثالها كافية فى إثبات هذه الحقيقة . منذ الآن متى عرض حديث منشأ الفلسفة فى عالمنا الغربى — بالمقابلة للعالم الآسيوى — عرفنا لمن هو ذلك المجد ، وإلى من يجب أن يسند عدلاً .

يكفى قليل من النظر للعلم بأن من الممتنع أن تنمو الفلسفة بذاتها وحدها . من البديهي أن جميع عناصر العقل يجب أن تبلغ نماءها قبل التأمل . لأن التأمل المرتب على نمط معين لا يظهر إلا متأخراً وبعد سائر الملكات الأخرى .

(١) فيدون لأفلاطون ترجمة فيكتور كوزان ص ١٩١ و ١٩٢ .

(٢) تيديمان (روح الفلسفة النظرية) سنة ١٧٨١ ج ١ ص ١٢٩ النسخة الألمانية .



وليس بي حاجة إلى التبسط في بيان هذه الحقيقة المشاهدة في الأمم وفي الأفراد على السواء . وأقتصر على أن أقرر أن مجرى الأمور في آسيا الصغرى لم يكن مختلفا عنه في غيرها . فان الفلسفة على هذه الأرض المخصصة لم تكن نبأ مفردا ولا ثمرة غير منتظرة . وقليل من الكلمات يكفي في التذكير بأنها كانت هي المنطقة المهمة لهذا الإنتاج الشريف . وها على إلا أن أسرد أجمل الأسماء وأحقها باعتراف الناس .

في رأس هذه الطائفة اسم هوميروس الذي ولد وعاش يقينا على شطوط آسيا الصغرى وفي جزرها قبل الميلاد بنحو ألف عام . وماذا عسى أن أقول في قصائده وكيف أوفى صغريته مدحا وثناء . كل ما أقرر أن هوميروس لا يقصر أمره على أنه أكبر الشعراء بل هو أعمقهم فلسفة . وإن بلدا ينتج باكرا أمثال تلك البدائع لحقيق بأن ينتج بعد ذلك عجائب العلم والتاريخ .

بعد هوميروس أقص نبأ قلينوس الإيفيزوسى الذى هو حربي مثل طورطائيس والذي شهد وقت إظارة القميريين وشدا بها في شعره . ثم ألكان السردى الذى حق له أن يعلم لقدومنيا وطن لوكورغس ويهرها على ما بها من جفاء . وأرنيلوخس الباروصى وألقايوس اللسبوسى ذى الرابطة الذهبية كما قال هوراس . وسافو الميثيلينية أوالإيريزية التى لا يكاد يستحق أحد الثناء أكثر منها إلا هوميروس . ثم ميمترموس الأزمرى شاعر انتصارات يونيا على الليديين . ثم فوكليديس الملقب الذى حمل الشعر قواعد الأخلاق . ثم أنا كريون الطوسى . وقريب من الشعراء تريندرس اللسبوسى مسدع الموسيقى وواضع طرائقها الثلاث الأصلية : الليدية والفريجية والدورية . ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء أريون الشاعر الذى هو من لسبوس مثل تريندرس .

(١) ر . كتاب فلبين على صغرية بندار ص ١٠١ وما يليها . ر . أيضا تاريخ الآداب الإغريقية الذى ألفه أرتوريد مولر . ترجمة لالميراندج ص ٢١٨ وما يليها .

ذلك في الشعر . وكـم الى جانب الشعر من الكتوز التي لا تقل عنه في نفاستها  
وان قلت عنه في البهاء : علم الفلك والجغرافيا أبدعهما أنكسيمندروس وسكولا كس  
من كارثندا على خليج يَبُوس . والرياضيات التي أبدعها فيثاغورث وتلاميذه  
أسلاف أرسطارخس السومني معلم أرنحيدس وهيأرخس الرودسي . والتاريخ أبدعه  
إكستطس السردى وهيكاتيوس الملطي وهيلانيكوس الميتيلني ، وعلى الأخص  
هيرودوت الهاليكارناسي الذي لقب منذ زمان طويل أبا التاريخ . وبودى لو أعطيه  
لقبا آخر لو وقفت الى لقب أجمل من هذا وأدخل منه في الحق . والطب  
انتقل من جزيرة سموس الى كورينا وقروطون ورودرس وكنيدس قبل أن يقر  
قراره في قوص بفضل بقراط الذي لا يقل عظماء في فنه عن هوميروس  
في شعره . وفن عمارة المدن أبدعه هيرداموس الملطي الذي كان مع ذلك كاتباً  
سياسياً حلل مؤلفاته أرسطو في كتابه " السياسة " ( ك ٢ ب ٥ ) . وفن الحفر  
والصّب أبدعهما تيودور السموسي ابن روكوس . وفن التعدين أبدعه  
الليديون ... الخ .

أقف هنا لكيلا نجاوـز بهذا التعديد أبحاث أهد مما ينبغي . ولكنه يجب  
التنبية الى أن هذا الحصب البالغ حد الإعجاز لم ينه بانقضاء تلك الأزمان التي  
ذكرناها . فان تيوفرست هو من إيريزا ، وأيقور ربّي في سموس وكولوفون ،  
وزنون نخر الرواق ولد في كتيون من قبرص ، وإيغورس من كومة ، وتيو بومبس  
من شيوز ، وبرهاسيوس وأپليس من إيفيزوس وكولوفون ، وإسترايون من  
أماسية على البحر ( البحر الأسود ) مستعمرة إحدى المدن اليونانية من الشاطئ  
الغربي لآسيا الصغرى ... الخ .

تلقاه هذا المجد السامي الذي لم يمنحه ما ظهر بعده لا يسعني إلا أن أقف  
مأخوذاً أتساءل : هل عرف الناس أن يوفوا هذه العبقرية وهذا الكمال وذلك الإبداع  
حقوقها من الإعظام ؟ لا أعلن ذلك . وتلك في رأينا داعية الى تعديل تاريخ هذه

المستعمرات الإغريقية من آسيا الصغرى في بعض أجزائه على الأقل . تلك المستعمرات التي ندين لها بكل شيء . ولكنني إذا قريت هذا العمل وحاولت هنا عجالة فذلك لا لأرفع ظلما مرت عليه القرون لضيق دائرة موضوعي ، بل ليحسن فهم الناس لتلك الحركة الخارقة للعادة والتي هي فذة في تطور العقل الانساني . ولأبين حق واضعي الفلسفة وآباء العلم .

لذلك أعرض ، دون مجاوزة الحدود المشروعة ، ماذا كانت هذه المستعمرات التي نزحت من إغريقيا على شواطئ آسيا الغربية قبل المسيح بأحد عشر أو اثني عشر قرنا ، وما ذا كانت الحوادث السياسية الرئيسة التي اعتورت تلك الأصقاع مدة قرنين اثنين من عهد إكسينوفان الى ميليسوس ، ومن طاليس الى حرب بيلوبونيز . وسنرى أن فلاسفتنا أخذوا بقسط وافر من هذه الحوادث بل صرفوها في بعض الأحيان مع أنهم في الغالب كانوا لحزها صالين .

ولاني راجع في كل ما أقدم من القول الى هيرودوت وطوكوديدس وإكسينوفون وما حفر على رخام باروص أو رخام آرونديل .

كانت المستعمرات الإغريقية على شواطئ آسيا الصغرى مقسمة الى ثلاثة أجناس متميزة تؤلف اتحادات منفصلة : الأيوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب . يقطن هؤلاء وهؤلاء أوطانا متقاربة المساحة . فأما الأيوليون الذين هم أقول من هاجر من الوطن الأصلي المشترك فانهم حطوا رحالهم واستوطنوا آسيا بعد فتح طروادة بقرن تقريبا إذ طردوا من بيلوبونيز عند إغارة الميرقليديين . وأما اليونان فقد جاءوا بعدهم بأربعين سنة تقريبا . وأما الدوريون فكانوا آخر المهاجرين .

(١) من بين المؤرخين الحديثين أستند على المختصين في تاريخ إغريقيا الى ج جروت الذي هو أهم وأحسن ما أعرف .

كان الأبوليون الذين هم أقل الشعوب الثلاثة شهرة وأضعفها امتيازاً يقطنون اثنتى عشرة مدينة<sup>(١)</sup> وهي كومة فريكيون، ولاريسا فريكيون، ونيونتيكوس، وطمنوس، وكبلا، ونوسيون، وإبيروسا، وبيطاني، وأيغاي، ومورينا، وغروناي، وأزمير. ولكن هذه المدينة الأخيرة قد تزعت من أيديهم وأضيفت إلى الاتحاد اليوناني بفضل الذين نفوا من كولوفون والتجسوا إلى أزمير واستولوا عليها في غفلة من أهلها. وقد ضاع من أيدي الأبوليين أيضاً بعض المدن الأخرى التي أسسوها على جبال إيذا. وكان لهم خارج القارة خمس مدائن بجزيرة لسبوس، وواحدة بجزيرة طندوس، وأخرى في مجموع الجزر الصغيرة التي كان يطلق عليها اسم مائة الجزيرة منذ زمان هيرودوت. ولم يكن للدائن الأيولية من الاسم إلا الخمول. وكانت أرض أيولس أحسن من أرض يونيا ولكن جوها كان أقسى من جو الأخرى خصوصاً في سرعة التقلب.

وأما اليونان فكان لهم اثنتا عشرة مدينة كلها على التقريب مشهورة. وهي: ملطية وميوس وپرينة في قاريا، وإيفيزوس وكولوفون وليبيدوس وطبوس وكلازومين وفوكاية في ليديا وإيروطراي على اللسان الذي يكونه جبل ميماس. وكان لهم جزيرتان: سموس في الجنوب، وشيوز في الشمال. ومن الغريب أن اليونان كان لهم أربع لهجات متباينة جداً التباين: لهجة سموس وكانت لا تشابه واحدة من الثلاث الأخرى، وملطية وميوس وپرينة كان لها ثلاثا لهجة واحدة. وللدن الست الأخرى لهجتها، وكان أهل شيوز وإيروطراي يتكلمون بلسان واحد.

أما الدوريون الذين جاءوا بعد الآخرين فكان قرارهم في الجزء الجنوبي، وليس لهم إلا ست مدن نزل عددهم إلى خمس بعد قليل، وهي: لندوس، وياليسوس، وكاميروس في جزيرة رودس، وقوص، وكنيدس، وهاليكارناس. على أن هذه المدينة

(١) أتبع في ذكر هذه المدن الترتيب الذي وضعه هيرودوت. ولكن أخذنا من الجنوب إلى الشمال يجب أن ترتب هكذا: طمنوس، نيونتيكوس، لاريسا، كومة، أيغاي، مورينا، غروناي، بيطاني، كبلا، ولا يعرف مكان الأخيرين.



الأخيرة قد عزلت عن الاتحاد الدوري عقابا لها على أن أحد أهلها كان اتهم بانتهاك بعض الحرمات المقدسة .

كل واحد من هذه الاتحادات الصغيرة كان له معبد جامع مشترك يجتمعون فيه : فللدوريين معبد طريوبيون ، ولليونان معبد نبتون هليكوني على رأس موكالي في مواجهة سموس تقريبا ، وفي هذا المعبد كان يجتمع مجلس الاتحاد اليوناني المسمى پانيونيون والذي كان يرأسه دائما شاب من شبان بريئة . ولا يعرف بالضبط معبد الأبولين . كانت هذه المعابد لإقامة الأعياد الدينية عادة ، غير أنهم في الظروف الخطيرة كانوا يتداولون فيها في أمر أخطار الحلف وفيما يمس منافعهم الكبرى .

لم تك هذه المستعمرات لشغل جغرافيا إلا مساحة ضيقة . فلو أن شهرة المدائن والممالك كانت تقاس بمقدار امتدادها لظلت هذه المستعمرات مجهولة في التاريخ ، فإن مساحة المستعمرات الأيولية واليونانية والدورية لا يكاد يتجاوز مجموعها ٧٠ فرسخا في الطول إلى ١٥ أو ٢٠ فرسخا في العرض ، أى أقل من ثلاث درجات في خطوط الطول وأقل من درجة في خطوط العرض . ومساحة لسبوس خمسة عشر طولا على خمسة عرضا . وسموس لا يبلغ محيطها ٣٠ فرسخا . وشيوز أكبر منها قليلا .

ومن الطبيعي أن أهتم بأمر اليونان أكثر من الآخرين ، فإنهم كانوا أكثر نشاطا وحمقا في الملاحة والتجارة والسياسة والفنون والعلوم والآداب . ومن الأمم كثيرة العدد من كان أثرهم أقل ألف مرة من أثر اليونان .

لما ترك اليونان أشاية الواقعة شمال پيلوبونيز على خليج يكرسا كان لهم فيها اثنا عشرة مقاطعة أو مدينة . واستصحابا لتذكار وطنهم الأول لم يشاموا ان يؤسسوا في آسيا من المستعمرات عددا أكثر مما كان لهم في إغريقيا . ولما طردهم الدوريون الذين أغاروا على پيلوبونيز من الشمال اجتازوا برزخ كورنثة واحتموا الى أجل تما على الأقل في أطيقا ، وهي الملجا العادي لجميع المنفيين كما نبه إليه طوكوديدس

في مقدمة تاريخه . و عما قليل ضاقت أطبقا القليلة الخصب ذرعا بأهلها وأضطر نازحو أشاية الى البحث عن ملجا آخر . وصادف وقتئذ أن قدروس مات ميتة الأبطال دفاعا عن وطنه ، ولما ألتى نظام الملكية لم يتيسر لأبنائه أن يقيموا في بلد انقطع فيه رجاؤهم من ميراث أبيهم ، فرأسوا المهاجرين في هجرتهم . فأما نيلاؤس فولى وجهه شطر ملطية ، وأما اندركلوس فاتجه الى إيفيزوس . ولو صدقنا رخام ياروص لقلنا إن نيلاؤس هو الذى أسس المدائن الاثنتى عشرة اليونانية وأسس رابطة اتحاد تحت ظل الدين هي البانيونيون الذى لم يحكن بعد من القوة على ما كان يرجو مؤسسه .

يظهر أن المهاجرين الذين اقتفوا آثار ابني قدروس كانوا خليطا ولم يكونوا من صميم اليونان كما يمكن أن يظن . فإن الذين أتوا من أشاية الى أطبقا اختلطوا فيها بأجناس مختلفة مختلطة جد الاختلاط ليس بينهم وبين اليونان جامعة مشتركة بل لا يشابه بعضهم بعضا ، انما كانوا أبانطة من أو بوياء ، ومنجيين من أرخومينوس ، وقدميين ودريوبين وفوكيين ومولوس وأرقديين وبلايجه ودوريين من أيدورس وطائفة من أجناس أخرى . وكان كل هؤلاء الرجل يعامل بعضهم بعضا على حد المساواة ، ومع ذلك كان اليونان الذين هم من نسل شيوخ آتينا يعتبرون أشرف هذا الخليط وإن كان ذلك لم يستتبع أية مزبة عملية . وإن تلقيهم بلقب "اليونان" كان في ذلك الحين وفيما بعده أيضا قليل الرفعة ، فكان الآتينيون ينجلون منه ، وكان الملطيون في أوج قوتهم يحبون أن ينفصلوا من بقية هذا الاتحاد الذى كان دائما قليل الاحترام . وأما اليونان فكانوا من جهتهم أيضا يفخرون بأصلهم و يقيمون مثابرين الأبتوريا الآتينية ، تلك الأعياد الخاصة بالعائلة وبرابطة الأخوة الشعبية التى كانت موجودة في آتينا ، ما هذا أهل كولوفون وإيفيزوس فإنهم حرموها على أثر قيل حرام ارتكبهوه .

لم تكن المهاجرة هينة ولو أنه كان يرأسها أبناء ملك . فلم يجعل المهاجرون الى ملطية معهم نساءهم واتخذوا زوجات بالإكراه ، بل عمدوا الى القاريين فذبخوا منهم



الآباء والبعول والأولاد ، واستحبوا النساء واتخذوهن زوجات لهم ؛ ولكنهم انتقموا لأنفسهم فأقسموا الأيمان على ألا يطعموا مع غاصبيهن طعاما ولا يدعونهن أزواجهن حتى لا يذقنهم حلاوة هذا الدماء ؛ واستلفت بناتهن هذه السنة مع أزواجهن مدة أجيال .

والواقع أن البلد الذي احتله المهاجرون كان محتلًا قبلهم زمانا طويلا . فقد كان فيه ، غير أهليه ، خليط من البلاصة والنوكرين والموصيين والبيشويين في الشمال ، ومن الفريجيين والليديين والماليونيين في الوسط ، ومن القاريين والليليج... الخ في الجنوب . وكان هؤلاء قبائل منقسمين على أنفسهم أكثر مما هو الشأن في الإغريق ، ولو أنهم كانوا يقتربون القرابين بالاشتراك ؛ مثال ذلك قرابينهم إلى "مولاسا" في معبد "المشترى" القارئ . في أوائل الأمر لم تكن الممالك التي كملكة ليديا قد اتخذت نظمها بعد . ولو أن الليديين لما زُحزحوا بعد ذلك إلى الوسط نشروا سيادتهم بادي الأمر على تلك الجهات إلى الشواطئ ، وبمنوا منهم طوائف المستعمرين إلى إغريقيا الكبرى وإلى أمبريا وعلى شواطئ البحر الترهيني . وأما الموصيون الذين كانوا إلى شمال ليديا وغربها فكانوا أنزع هذه الأمم إلى الحرب . والفريجيون الذين هم أكثر توغلا في الجهة الشمالية من هؤلاء كانوا يثرون من تربية القطعان ، يبيعون من أصوافها وأجبانها ولحومها المملحة بأثمان غالية جدا في أسواق ملطية . وكان الليديون مشغولين على الأخص بصناعة المعادن ، لأن نصف أرضهم بركانية تخرج الذهب والفضة والحديد والنحاس ... الخ . وكانت أخلاق الفريجيين والليديين أخلاق تهيب وحياء ، ومن بلادهم يأتي أكثر العبيد .

ومع أن اليونان جاءوا إلى آسيا بالبحر فلم تكن تظهر عليهم المهارة في فن الملاحة . وعلى قول طوكوديدس لم يكن تفوق البحرية اليونانية حقيقة إلا تحت حكم قيروش وابنه قمبيز ؛ ومع ذلك فقد كان شأنهم أن أقبلوا بجدة على أن يتلقوا دروسا عن الكورنتيين الذين كانوا وقتئذ أعلم الناس بإنشاء العمارات البحرية وانتفعوا بتلك

الدروس . على أنهم قد أبحاثهم الحاجة منذ بداية أزمانهم الى الترام الشواطئ في ملاحظتهم . كانت هذه المدائن التي تستجلب كل شيء من داخلية البلاد لا تستطيع أن تحصل على الثراء إلا بتجارة كبرى في الصادرات والواردات . فكانت كبنوك ومراكز معاوضات بين الأهالي والبلاد التي كان يأتي منها الأجانب . فلم يمتض على هذه المدائن زمان حتى ظهرت ثروتها على صورة رائعة . ولما ازدحمت بالسكان وفاضت بالثراء استطاعت أن تنتج أساطيل قوية ، وعمرت كل شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمال إفريقية حيث كان لصور وسيدون من قبل منشآت في إغريقيا الكبرى وصقلية وفي بلاد الغالة وفي أسبانيا أمام عهد هيرقليس وفي ورامها ، وعلى الأخص في القسم الشمالي لبحر أيغاي وفي هابسبُتُس ، والبروبوتيد ، بل في البحر الأسود الذي كان يسمى وقتئذ " البحر " ، حتى لقد قيل إن ملطية وحدها كان لها خمس وسبعون أو ثمانون مستعمرة .

هذا البناء الأول للمستعمرات الإغريقية بآسيا الصغرى ، وعلى الخصوص المستعمرات اليونانية ، غير معروف إلا قليلا مع أنه استمر على الأقل ثلاثة قرون أو أربعة ، فإن التاريخ لم يبتدئ حقا إلا حين دخلت المدائن الهلينية الحرب مع المملكة الليدية أي حوالي القرن الثامن قبل الميلاد ، أعني من عهد حكم المرمادة .

روى هيرودوت على طوله تاريخ جوجيس الذي ارتقى عرش ليديا بقتله قندواس ملكها . وهذه الحكاية ليس عليها إلا مسحة الصدق وإن كانت ليست مطابقة لرواية أفلاطون التي هي بالبداهة أسطورة . فإن غضب الملكة زوجة قندولس وغدر جوجيس عشيقها ليس فيه شيء من المستحيلات . وأما حكاية الخاتم فليست إلا أسطورة طامية وجدت بعد ذلك بكثير على صورة أخرى في " ألف ليلة وليلة " . ولقد حدثت أرخيلوخس وهو معاصر لقندولس وجوجيس عن ذلك العسكري الذي صار ملكا وعن إقدامه وظفره في إحدى القطع الشعرية

(١)  
التي كان لا يزال يقرؤها هيرودوت . وقد انتهت بموت فندولس العائلة الليدية الأولى  
التي تدعى أنها سلالة هيرقليس ، والتي دام ملكها خمسمائة وخمسة أعوام مدة اثنين  
وعشرين جيلا من عهد نصف الإله الذي وصلها بنسبه كبرياؤها . وكانت  
جوجيس هو أول الدولة الثانية دولة المرمادة .

افتتح جوجيس في أول القرن السابع قبل الميلاد عهدا جديدا ، إذ أخذ يغير على  
المدائن الإغريقية ملطية وأزمير وكولوفون . وربما كان الحامل له على ذلك أنه أراد أن  
يرر اغتصابه للملك ومطالبة لبعض الضرورات السياسية ، في حين أن ليديا كانت وقتئذ  
بينها وبين الإغريق ، خصوصا إغريق القارة ، علاقات أقرب مما تكون إلى السلام .

وقد كان جوجيس ، كسائر الإغريق في آسيا وفي غيرها ، يعتقد وحى دلفوس  
ويخضع له . ولما كان محاطا بالمكائد من كل ناحية منذ تبوؤه العرش ، وخائفا من  
مخطئ الليديين الذين كانوا شديدي التعلق بالملك الذي ذبحه ، أراد أن يدخل الإله  
في قضيته ، فاستشاره وقدم إليه الهدايا الغالية . وقد أقر الإله هذا الفاصب القاتل  
على عمله . ولكن بوثيا كاهنة دلفوس كانت قد أنبأت بأن عائلة هيرقليس سوف  
ينقم لها من شخص الولد الخامس من ذرية جوجيس . وكان هذا الخليفة الخامس  
هو كرىزوس السيئ البخت المشهور بمصائبه أكثر من شهرته بكنوزه التي تضرب بها  
الأمثال . ولكن لم يك جوجيس في أوج ملكه ولا الليديون في منفعهم ليعيشوا بإتذار  
الكاهنة ، وملك ذلك العسكري الزاني القاتل ثمانية وثلاثين عاما آمنا مطمئنا  
ما صدا حروبه مع مدن الشاطئ . والظاهر أن ملطية وأزمير وكولوفون سلمت له  
وخضعت لسلطانه .

وقد حكم أردوس خلف جوجيس أكثر منه أيضا أي مدة تسعة وأربعين  
عاما . فاستولى على بريئة وهاجم ملطية بلا جدوى لأنها استطاعت رد هجماته .  
وخلفه ابنه سدواتيس ، فلم يحكث على العرش إلا اثني عشر عاما ومات ، وكانت سنوه

(١) ر . هيرودوت ك ١ ب ١٢ ، وأتلاطون ، الجمهورية ك ٢ ب ٦٩ ترجمة فكتور كوزان .

الست الأخيرة كلها مشغولة بمحاربة ملطية كما كان يفعل أبوه . ولكن هذه المدينة التي لم يكن يستطيع أن يأتيها من البحر نجحت في الدفاع عن نفسها ، على رغم أن عدوها كان يهلك حشدا كل سنة وكان دائما على قدم الاستعداد ليكرر هجماته الخربة . وفي كل مرة حاول الملطيون الحرب في العراء كانت هزيمتهم أمرا مقضيا . وقد مزقهم العدو كل ممزق مرتين على أرضهم في ليمنيون وفي سهول ميانديروس حيث صادف منهم غفلة وسوء احتياط .

وقد واصل أليات بن سدواتيس محاربة مدينة ملطية خمس سنين ، وكان يظن وقوعها في يديه بالقحط وشبكا لولا أنه استشار وحى دلفوس ، كما كان يفعل أجداده ، ففتح لعقد الصلح معها . وساعد على ذلك مهارة طراسوبولس طاغية ملطية وقتئذ . إذ أنبأه جلية الأمر صديقه بريانديروس بن كوبسيلوس طاغية كورنتا ، فأخفى عن سفير ليديا حقيقة الحال السيئة التي وقعت فيها المدينة من جراء الحصار ، وأوهمه أن في باطن أسوارها من الأرزاق والذخائر ما لم يجتمع لها مثله من قبل . وبذلك اتخذ أليات بما خبره به سفيره المخدوع وأمضى عهد ملطية في حين أنه لم يكن بينه وبين الاستيلاء عليها إلا القليل . وقد استمر هذا السلام الذي يرجع الفضل فيه إلى الوحى ودهاء طراسوبولس زمانا طويلا . ومات أليات بعد أن حكم سبعة وخمسين عاما حكما مملوا بالاضطراب . وفي هذا الزمن لم يقطع صلته الحسنة بـكاهنة دلفوس . وقد اعتراه مرض طالت مدته ، فلما برئ باستشارة الوحى قدم إلى إله دلفوس كاسا جميلة من الفضة قاعدتها من الحديد فنية الصنع صاغها جلودكوس الشيروزي مخترع ذلك النمط الحديث الذي بالغ الناس في الإعجاب به .

لم تكن حرب ملطية هي الوحيدة التي أبح نارها أليات ، بل استولى على أزمير مستعمرة كولوفون ، وهاجم مدينة كلازومين الواقعة على مسافة قليلة إلى الغرب في الخليج بعينه ، ولكن كلازومين رذته عنها وحملته خسائر عظيمة . غير أن أليات أله التوفيق وخدم آسيا كلها خدمة حقيقية بأن حول قواه إلى محاربة القميريين



الذين استولوا في عهد جدّه أردوس على تلك الولايات الآمنة المخصصة . فإنهم لما طردهم السيتيون الرحّل من مواطنهم اضطروا الى التزوج جهة الجنوب ونفذوا من قوقازيا وولّوا وجوههم جهة الغرب وجازوا هالوس وتقدّموا الى قلب آسيا الصغرى ، وكانوا قد دخلوا سرديس عاصمة ليديا على حين غفلة من أهلها وأحرقوها إلا القلعة القائمة على صخرة شاهقة يجرى من تحتها نهر يكتول فهي وحدها التي استعصت عليهم ، ثم ردّوا عن المدينة بعد ذلك ولكنهم ظلوا يهدّدون الأمن ؛ يخيفون السابلة وينهبون الأماكُن المجاورة ، حتى طردهم أليات من آسيا الصغرى ودرّهم الى الشرق وقذف بهم بين الأجناس السامية التي كانت حدود أوطانها تنهى الى هالوس . ومن يومئذ يظهر أن علاقته بهم صارت من السهولة والعطف بمكان .

لكن هذه العلاقات التي كانت بين ليديا وبين السيتيين هي التي جرت على آسيا الصغرى جيوش الميديين ثم جيوش الفرس الذين هم أشدّ بأسا . فإن فصيلة من السيتيين لما طردوا من إقليمهم القاسي المناخ هبطوا الى أرض ميديا في الشمال الغربي من نهر الفرات ، فأحسن كواكراريس ملك الميديين وفادتهم ؛ ولم تقتصر حفاوته بهم على أن مكّن لهم في وطنه ، بل دفع اليهم صبيانا من الميديين ليعلموهم لغتهم وياتعلموا في مدرستهم فن الرماية . ولكن بعض هؤلاء المتوحشين المقترين من ملك ميديا ظاههم منه شدة في قول وجهه اليهم ؛ فشفوا غليل صدورهم من هذه الإهانة بأن قتلوا الصبيان الذين هم في رعايتهم واحتتموا بمعية أليات ليتقوا شرّ العقاب الذي كانوا يتوقعون . فطلب كواكراريس تسليم الخناة وأبى ملك ليديا تسليمهم . ومن ذلك قامت بين الليديين والميديين حرب لم تحبّ نارها خمس سنين أو أكثر . وهذا السبب كان نافها جدا ، بل يظهر أن الخلاف قام على سبب آخر ، لأن المملكتين متجاورتان ؛ والاحتكاك بين أُمم ما زالت متوجشة مثار خلاف لا يُتقّى .

هنا أستوقف النظر لحادثة في غاية الخطر من حيث تاريخ تلك الأمم ومن حيث تاريخ علم الفلك ومن حيث تاريخ الفلسفة جميعا : كانت تلك الحرب

في سقها السادسة والتقى الجمعان وجنودهم على أشد ما يكون التحام بين المحاربين،  
وإذا بالشمس قد كسفت فغشيم ليل مظلم اضطربهم الى وقف القتال . ليس  
في هذه الحادثة ما يبعد احتمال وقوعها ، وليس من الغريب أن تأخذ ظاهرة من  
هذا النوع بالعقول مأخذا عميقا . خير أن هيرودوت الذي حفظ لنا ذكرها زاد  
على حكايتها أن طاليس الملطي كان قد تنبأ بهذا الكسوف الشمسي ونبا اليونان به  
وبالسنة التي يقع فيها<sup>(١)</sup> .

لا شبهة لدى في رواية المؤرخ تلك التي قد أفسحت من البحث محلا لنظريات  
كثيرة على غاية الخطورة . فقد بحث العلماء أخيرا في حساب هذا الكسوف  
بالآلات الفلكية التي بين أيدينا الآن والتي تكاد تكون معصومة من الخطأ رجاء تعيين  
تاريخ صحيح ثابت بين تلك الروايات المختلطة المشكوك فيها، ولكن لم يمكن الإجماع  
على أمر علمي محض ولا الاهتداء الى الفرض المطلوب . فإن الأب يتوقد حسب  
أن هذا الكسوف ينبغي أن يكون قد وقع في السنة الرابعة من الأولمبياد الخامسة  
والأربعين، يعني السنة ٥٩٢ قبل الميلاد . وأما سان مارتان الذي هو آخر من عني  
بهذه المسئلة فإنه وجد أن كسوفاً كلياً يرى في هالوس حيث ملقى الجيشين لا يمكن  
أن يكون إلا في ٣٠ سبتمبر سنة ٦١٠ ق م ( ز . مذكرات مجمع الرسوم الخطيئة  
والفنون الجميلة - السلسلة الجديدة - الجزء ١٢ ) وإذا يكون الفرق بين التقديرين  
ثمانية عشر عاماً . ويمكنني أن أسرد آراء آخرين من المؤلفين الحديثين ليسوا أقل اختلافاً  
من السابقين . أما بلاين عند القدماء فإنه عين هذا الكسوف بغاية الضبط في السنة  
الرابعة من الأولمبياد الثامنة والأربعين وفي السنة ١٧٠ من تأسيس روما<sup>(٢)</sup> . وهذا  
التوافق المشكوك في ضبطه بين التاريخين يجعل ذلك الكسوف في سنة ٥٨٠ تقريباً .  
ولست أريد الدخول في هذه التفاصيل لأنني لا أتطلع الى إمكان الفصل فيها واستجلاء

(١) هيرودوت ك ١ ب ٧٤

(٢) بلاين . التاريخ الطبيعي ك ٢ ب ٩ ص ١٠٦ طبعة وترجمة لهرى ..



غوامضها، بل أقف عند حدّ الرجاء في أن علم الفلك يستطيع أن يضع رأيا قاطعا في هذه المسئلة التاريخية .

أما المسئلة الأخرى التي أثارَت هذه الحادثة نأثرتها فهي : أيكون من الممكن أن طاليس حسب حقيقة هذا الكسوف وتنبأ به كما سمع بذلك هيروودوت ؟ شك المؤرخون الحديثون في ذلك . وفي هذه الأيام أنكر ج . جروت<sup>(١)</sup> أن العلم كان وقتئذ من التقدم بحيث يسمح بنبوءات مثل هذه وحسابات علمية الى هذا الحد . لا أبني أن أعارض هذا المؤرخ وهو حجة ، ولكني أنبه الى أنه يؤخذ من رواية هيروودوت عنها ، صادقة كانت أو كاذبة ، أنه في زمانه أي بعد طاليس بقرن تقريبا كان الناس يعتقدون إمكان حساب الكسوف . هذا وحده يكفي في إثبات أن العلم كان متقدما الى قدر الكفاية فإن مثل هذا الفرض يشهد بتقدم هو غاية في الحد لأنه لأجل أن يقبل العامي إمكان حساب الكسوف ويصدق ويبحث به لا بد من أن يكون العلماء قد وفوا الموضوع بحثا . ومما لا جدال فيه أيضا أن شهرة طاليس بين تلك الشعوب كانت من الرفعة بحيث إنهم نسبوا اليه من غير تردد هذه المعجزة العلمية . ولقد قرر بلاين أن هيبأرخس الرودسي أمكنه أن يضع فهرسا لكسوف الشمس وخسوف القمر مدة ستمائة عام . وفي زمن هذا الكاتب الروماني لم تكن الحسابات الفلكية لتخطئ مرة واحدة . حتى قيل : " إن هيبأرخس كان يحضر مداولات الطبيعة " . وكان هيبأرخس بعد طاليس بأربعمائة عام تقريبا . وربما كانت المسافة بين علم أحدهما وعلم الآخر متناسبة مع المسافة الزمنية بينهما ؛ لأنه ليس في يوم واحد يمكن الوصول الى نتائج علمية مضبوطة الى هذا المقدار . فلست أرى من المستحيل في شيء أن طاليس في عهد أليات قد فتح باب علم بلغ به هيبأرخس هذه الغاية البعيدة سنة ١٥٠ قبل الميلاد .

أعود الى ما كنا فيه :

بعد قليل عقد الصلح بين اللبيين والميديين بوساطة سونيزيس ملك كليكيا ولاينيوس ملك بابل . وزف أليات ابنته زوجة الى أصطياغ بن كوا كزاريس ، وأقسم الطرفان على احترام المعاهدة . واتباعا لعرف هذه الشعوب قد فصد سفراء الصلح من الجانيين أذرعههم ومضى كل فريق من دم الفريق الآخر . ولكن هذه المحالفة التي عقدت على أكل ما يمكن من الإخلاص كانت طائر نحس على ليديا ، إذ جرّتها الى حرب جديدة انكسرت فيها وفقدت وجودها .

ذلك أنه لما مات الملك أليات خلفه ابنه كريزوس الذي قدر عليه أن يكون آخر ملك لجلسه وحقت بذلك نبوءة هائف دلفوس . وكان كريزوس هذا الذي صار اسمه مرادفا للغنى أميرا من خير الأمراء المتنازين . ومع أنه كان شديد الإعجاب بكنوزه الوراثة التي جمعها أجداده الهيرقليون والميرمناديون لم يكن رجلا مترفا ولا ضعيفا كما يندر للذهن عادة ، فما كاد يلى الملك حتى فكر فى أن يتم عمل أسلافه ويخضع نهائيا جميع المدن الإغريقية على الشاطئ ، فتجنّى عليها بعمل مختلفة حقا أو باطلا بادئا فتحه بزيغيزوس ، وعمما قريب أخضع الى سلطانه كل المستعمرات إذ قهر يونيا وأيولس جميعا . ولكن كريزوس أحس أنه لم يصنع شيئا ما دامت الجزر خارجة عن قبضة يده ، فجهز أسطولا ليجاوز عليه بجيشه البحر ، ثم عدل عن هذه الفكرة التي هي قليلة الجدوى عند أمة كالليبيين بنصيحة بياس الپرينى ، وفي رواية أخرى بنصيحة بطاقس الميتيلينى ، إذ جاء الحكيم الى سرديس فسأله الملك عن ما جريات الحال فى اجزائر ، فأجاب بياس : ” إن أهل الجزائر يتأهبون لمهاجمة سرديس فى عشرة آلاف فارس “ . فأجاب كريزوس : لتشأ السماء أن يركبوا هذا الشطط . فقال الحكيم : ” أيها الملك لك الحق أن ترغب فى أن أهل الجزر يرتكبون خطأ كهذا ، ولكن ما ظنك بما سيقولون من جانبهم عند ما تأتيهم الأنباء أنك تفكر فى غزوهم من طريق البحر ؟ “ . ففهم كريزوس الدرس على مرارته ، وقنع بأن عقد عهد محالفة ومودة بينه وبين يونان الجزر .

لما أرتاح كرىزوس وأطمأن من هذه الجهة بحث فى بسط سلطانه الى جهة الشرق وفى آسيا الصغرى ، وعمّا قليل وضع يده على جميع الشعوب النازلة الى هنا من نهر هالوس دون ماوراءه ، وهم الفريجيون والميزيون والمارياندينيون والخالوبس والبلاغونيون وتراقيو ثينيا وبيتينيا والقاريون والبنفيليون حتى الدوريون واليونان والأبوليون . ولم يفلت من قبضته إلا كيليكيا وليكيا فى الجنوب . وكان نهر هالوس هو أحد الثلاثة أو الأربعة الأنهر التى تحدّد هذه البقاع المسماة آسيا الصغرى وتروبيها ، فهو ينبع من جبال إرمينية ويسير من الشرق الى الجنوب الغربى وينفرج على نحو زاوية قائمة ليتجه من الجنوب الى الشمال فيصب فى البحر الأسود شرق سينوب وطن ديوجين . وبعد نهر هالوس ثلاثة أنهر أخر عظيمة النفع لتلك الجهات تنقسم بينها شبه الجزيرة ، جارية كلها الى الغرب وصابة فى البحر الأبيض المتوسط يوازى بعضها بعضا تقريبا ، وهى المياندرس الذى يصب فى خليج ملطية ، والباقوسترى فى خليج إلفيزوس ، والهرموز فى خليج أزمير الى الشمال الغربى قليلا . وكان لكرىزوس أن يفخر بأنه تفرد بالملك فى آسيا الصغرى ، وأنه وصل بالملكة الليدية الى حد من رفاهة العيش وقوة البأس لم يكن لها مثله من قبل . ولكن ذلك هو فى الواقع كان السبب فى خرابها .

فى هذه الأثناء حصلت تغيرات وأنقلابات عظيمة فى الشرق وفى البلاد المجاورة للمملكة الليدية المتراصة الأطراف . فان قيروش خرب مملكة أصطياغ صهر كرىزوس ، وقهر ملوك آشور ، وعاهد ملك هرقانيا ، وفكر فى مهاجمة ليديا التى كان يظهر عليها أنها كانت متحدة مع أعدائه . وبعد أن بسط سلطانه على جميع البلاد شرقى نهر هالوس لم يكن هناك محل للتأخر عن عبور ذلك النهر ، كذلك لم يكن لقوة الفرس الهائلة مدفع عن أن تمتد الى البحر وأن تفتح شبه الجزيرة وكل ما تحويه من الشعوب سواء فى ذلك البرابرة والإغريق . ولقد أدرك كرىزوس تخمين خطر الموقف الذى يتهده ، فلما علم بهزيمة أصطياغ استكمل عدته للحرب بقدر ما يستطيع .



فما كاد يتعزى عن موت ابنه الذى قتل فى حادثة فى الصيد، حتى عزم على أن يقف تقدم الفرس بأن يحالف الإغريق الشواطئ وجميع الإغريق بيلوبونيز والغرب . ولهذا الغاية أرسل بادئ الأمر يستشير الوصى ليحصل على تأييد الآلهة والاعتقاد العام . وذهبت وفوده فعلا الى دلفوس ودودون، وإلى أباس فى فوكيدا، وإلى غار طرو فونيوس ومعبد انقياروس ومعبد البرنثيد على مقربة من ملطية، بل الى معبد المشتري آمون نفسه . وكان كريزوس يريد أن يضع لهم بادئ الأمر أسئلة يختبر بها صدقهم ثم يستفتيهم بعد ذلك بصورة منظمة فى المسئلة الكبرى مسئلة الحرب مع الفرس التى كانت تقلق باله . فوجد أن هاتين دلفوس وانقياروس أكثر إخلاصا، فحمل إليهما الهدايا الباهرة التى يمكن قراءة وصفها التفصيلى فى هيرودوت الذى رأى بعض هذه النفائس الغالية فى المحارب . وعند ما قتم ملك ليديا تلك الهدايا الثمينة استشار الهاتين فى أمر الحرب فكان جوابهما مبهما كله تورية، إذ قالا : " إذا اشتبك كريزوس فى الحرب مع الفرس خربت مملكة عظامى " . أيهما ؟ أدولة الفرس أم دولة ليديا ؟ لم يقل الإلهيان بالثمين ولكنهما نصحا لكريزوس أن خير وسيلة أن يتخذ حلفاء ونصراء من أقوى الشعوب الإغريقية . فعاود كريزوس هاتى دلفوس فى هذه النقطة فعين له الهاتى اللقدمونيين من الجنس الدورى والآتينيين من الجنس اليونانى ، يعنى الهليين والبلاجه ، فأوفد سفراءه الى الأجزاء المختلفة لبلاد الإغريق يخطب ودهم فلم يجب دعاءه إلا اللقدمونيون الذين هم ماثلون إليه لخدم أذاها لم قبل ذلك . أما بقية الإغريق، وعلى الخصوص الآتينيين، فلم يدركوا حقيقة الخطر المقبل ولم يجيبوا داعى ملك ليديا . واستنجد كريزوس، على ما يقول سيروبيديا، حتى بأهل مصر . ولكن من المشكوك فيه أن مصر وجهت لمساعدته مائة وعشرين ألف مقاتل كما يروى الرجل الطيب إكسينوفون .

ولقد أول كريزوس جواب الهاتى لمصلحته خطأ وأظار على كبادوس من أرض ميديا التى افتتحها قيروش قبل ذلك بقليل، وكان من الضرورى له أن يعبر

نهر الهالوس وهو في هذا المجل واسع المجرى، ووقع بذلك في صعوبة كبرى لم يتغلب عليها إلا بمحقق طاليس الذي كان قد تبع الجيش الليدي في عدد غير قليل من مواطنيه؛ فإنه اصطنع جسرا عريضاً فصل النهر إلى عدة فروع سهل اجتيازها. تلك هي الرواية التي وصلت إلى هيرودوت في سدانة عهدها. ولكن هيرودوت يظهر عليه أنه يعتقد أن الجيش عبر النهر بالبساطة على قناطر لم تنشأ في رواية العامة إلا بعد هذه الواقعة بزمان. ولما عبر كرزوس النهر استولى على المنطقة التي كانت تسمى بطيريا ونعربها. سارع قيروش إلى لقاء الغائرين بجميع جيوشه ومن انضم إليهم من أهل البلاد، ولكن قبل أن ينازل الليديين أرسل إلى اليونان يستميلهم إلى التخلي عن جيش كرزوس، ولكن اليونان بقوا على عهدهم مع كرزوس لاعتقادهم أن خيانة مخجلة لآثافي إلا بالعار المجهز من كل منفعة، لأن الإغريق لا يستطيعون أن يقفوا وحدهم في وجه الفرس إذا سقطت ليديا في يده كما كانوا يتوقعون. وإن هزيمة عامة لكل أجناس الإغريق خير من العار ما داموا مصرين على ألا يسلموا بلادهم إلى الفرس لأول وهلة. ولما آلتى الجمعان في سهول بطيريا شرق هالوس جرت بينهم حرب طاحنة استمرت نهارها طول اليوم إلى المساء لم يظهر فيها نصر نهائي لأحد الفريقين على الآخر.

ولكن أضرارها كانت على كرزوس أكبر، لأن جيشه مع بسالة قواده كان قليل العدد جداً بالنسبة إلى الجيش الآخر. ولما رأى قيروش ما مس جيشه من القرح لم يشأ أن يبدأ بالقتال في اليوم التالي، فاتهز كرزوس تلك الفرصة للتفكير إلى سرديس وعزم على أن يبلغ من الدفاع عنها غاية.

ثم استنجد حلفاءه وأما زيس ملك مصر ولا بنطوس ملك بابل واستنفر لقدمونيا لنصرته، واعتمد على أنه متى اجتمعت له هذه القوى كلها يحدد الكرة على جيوش قيروش في الربيع القادم، وجعل ميعاد حلفائه ونصرائه على تمام خمسة أشهر من يوم الدعوة في طاحنة ملكه. ولقد أصاب كرزوس الحكمة في هذه التدابير، ولكنه ارتكب خطأ جماً في صرف جنوده ظناً منه أن قيروش لا يستطيع أن يطلع



على سرديس بجنده الذى نال منه القرح ما نال . وقد خاب ظنه لأن قيروش احتفظ  
بجنوده وسار بهم بعد أن أخذوا قسطا من الراحة الى ليديا ، فلم يلبث أن نزل السهل  
الفسيع القائمة فيه مدينة سرديس .

أما كريزوس وإن كان قد أخذ على غرة فانه لم تحصل عزيمته بل اعتمد على  
ما هو مشهور عن أهل ليديا من الإقدام خصوصا كآثب فرسانهم ، فإنهم كانوا  
مقطوعى النظر لمهارتهم فى سوس الخيل وفى حسن استعمالهم الريح الطوال التى  
كانوا يعتقلونها . ولكن قيروش من جهته قد فكر فى تقليل قيمة تفوق فرسان  
العدو ، فسير فى مقدمة جيشه جماله كلها التى لم تعتد خيل ليديا رؤيتها ولا رانحتها  
بفعلت وصعبت رياضتها ، فترجل الليديون وأبلوا على الرغم من ذلك بلاء حسنا ،  
لكنهم بعد التحام هائل انهزموا فلم يجدوا لهم موئلا إلا أسوار مدينتهم .

لما رأى كريزوس أنه محصور بجنود منصوره تجمل إلى حلفائه وعلى الأخص  
اللقدمونيين ، لكن هؤلاء بعد أن تأهبوا لنصرته حسب نص المعاهدة جاءهم نبا  
سقوط سرديس عنوة فى يد قيروش بعد حصار دام أربعة عشر يوما ووقوع  
كريزوس فى الأسر . لما وقع ملك ليديا التعس فى أيدي أعدائه مثقلا بالسلاسل  
وحكم عليه بأن يحرق حيا هو وبعض أبناء العائلات الكبرى الذين كانوا معه  
وسعرت له النار وكادت تصل الى جسمه ، رقى له قلب قيروش وأخذته الرحمة على  
هذا الملك البائس الذى كان يحتمل تصارييف القدر بالرضا والتسليم ، والذى كان  
فى هذه اللحظة الرهيبة يذكر نصيحة سولون له حينما وفد عليه وأقام فى معيته . وكانت  
سنن كريزوس وقت وقوعه فى الأسر تسعة وأربعين عاما حكم منها أربعة عشر عاما  
منذ وفاة أبيه ، وبقى بعد ذلك زمنا طويلا فى معية قيروش مرافقا ومعينا له فى غزواته .

إن تاريخ سقوط سرديس ليس أقل اضطرابا من تاريخ كسوف طاليس .  
وأخذا بما على رخام باروص تكون سرديس سقطت فى السنة الثالثة من الأولياد  
التاسعة والخمسين أى سنة ٥٣٧ قبل الميلاد . أما فريريت فإنه يقول إنه وقع

في سنة ١٤٥٥ أخذنا بشهادة سوسيقراط الذي استشهد به ديوجين اللايرثي في كتابه "حياة بيرياندر". وأما قولنا فإنه أخره إلى سنة ٥٥٧ في كتابه "أخبار هيرودوت". وعلى كل حال فإن هذا التاريخ على خطره محوط بالشكوك، ولا يزال محلا للتحقيق. لمّا قلب الليديون على أمرهم أحست المدائن الإغريقية خطر مركزها، فعرض الأبوليون واليونان الطاعة على الشروط التي كانت بينهم وبين كيرزوس، فرفضها قيروش مزدريا إياهم، وذكر اليونان إصرارهم عنه حين خطب وقدم قبل ذلك ببضعة أشهر، فلم يبق لهذه المدائن إلا خوض غمار الحرب بعد ذلك الرفض المهين، فدعيت ندوتهم (الپانيونيون) وحضرها أهل المدائن كلها إلا الملطيين الذين كانوا اتخذوا للحرب عدتها من قبل، ولكن حظ الجميع منها لم يكن أحسن من حظ مملكة ليديا.

من المحتمل أن يكون هذا الحين هو تاريخ النصيحة التي قدمها طاليس للاتحاد اليوناني، فإنه لبصره بالعواقب أرتأى ألا يكون للذن اليونانية إلا جمعية واحدة تعقد في طيوس، لتوسط مركزها، على أن تحتفظ كل مدينة بنظامها الخاصة، لأنهم متى اجتمعت قواهم كانوا بالضرورة أقدر على مقاومة عدوهم المشترك، فإن الاتحاد وحده هو الذي ينجيهم ما دامت المنازعات الداخلية هي التي أضعفتهم. وأمكن هذا الرأي السديد لم يكن ليطاع فيهم مع أنه لم يجرى بعد الأوان، فإن حال اليونان لم يكن بعد من السوء بحيث لا يمكن إصلاحه. ولقد نصبح لهم طاليس بعد ذلك نصيحة في وقت أشد حرجا فلم تقابل إلا بما قبلت به سابقتها من الإعراض. ثم نصبح لهم بعد ذلك بياس البريني أحد أعضاء الندوة (الپانيونيون) أن يترك اليونان جميعا آسيا ويتخذوا أسطولا كبيرا يركبونه إلى "سردينيا" حيث يؤسسون جمهورية قوية. وأبان لهم بياس أنهم إن بقوا في آسيا لا يستطيعون أن يمحوا حريتهم. يرى هيرودوت أن اليونان لو كانوا قزروا هذا القرار الباسل لصاروا أسعد الشعوب الإغريقية كلها، ولكنهم فنعوا بمفاوضة الأبوليين ليرسلوا سفراء إلى أسطرطة يطلبون باسمهم وباسم اليونان إعانة الجمهورية إياهم.

لم تنشأ جمهورية إسبرطة أن تتمتع بقوة حقيقية، بل أرسلت رجلا ثقة من رجالها يقال له "لقرين" إلى سرديس يطلب إلى الفاتح ألا يسىء إلى أية مدينة إغريقية ويهدده بسخطه لقدمونيا . غير أن قيروش الذي ما كان يعرف إلى ذلك الوقت ما هي إسبرطة ، أخذ يسأل بها وأطن - وهو هازئ بهذه الشعوب التي يخالفها مناعة في أمورها - أنه أولى بها أن يشغلها الخطر المحدق ببلادها عن الخطر الذي يهدد يونيا . في هذا الوقت دعا قيروش اختلاف الأحوال في بابل وبكتريان والساسيين بل وفي مصر أيضا ، إلى التعجل بالسفر من سرديس إلى إقبطان ، وخلف على المدينة فارسيًا يدهي طابالوس ، وجعل على نقل الكنوز التي جمعها ملوك ليديا منذ عدة قرون ليديا يقال له بكتياس .

اتهم بكتياس غيبة قيروش في حصار بابل ، ووضع يده على الكنوز التي أوتن على نقلها ، وانتبذ بها مكانا بعيدا على الشاطئ ، ودعا الليديين إلى الثورة والاتقاض على قيروش ، وألف بالمال جنودا ساربه إلى حصر مدينة سرديس التي كان يحيا طابالوس . ولكن هذه الثورة لم تلبث حينًا حتى جاء مزاريس أحد قواد قيروش بالمدد ، واضطر بكتياس إلى الهرب والاختفاء في "كومة" . فلما طلبه مزاريس هم الكوميون بتسليمه إليه بنصيحة هائف اليرفسيدي ، لولا رجل شجاع منهم يقال له أرسطوديقوس حى الزيل ونجّاه من الهلك واستعحب عصيان الإله على انتهاك حرمت الضيافة في حق مستجير . ونجا بكتياس إلى ميتلين حيث عادت لأهل كومة نخوتهم ، وأرادوا هم أيضا حمايته . غير أن هذا السبي الحظ قد أخذه الشيوزيون بالقوة من معبد مينرفا وسلموه إلى الفرس ، لأن قيروش أمر بأن يحضر لديه حيا . وقبض الشيوزيون ثمنًا لهذا العار مقاطعة أخطر الواقعة في ميزيا تجاه لسبوس ، ولكنهم لم يسعدوا في هذه الأرض التي امتلكوها بذلك الثمن الضئيل ، فقد أكد هيرودوت أنه مرّ زمن طويل على أهل شيوز لا يستطيعون أن يقتربوا للآلهة قربانا ولا أن يضحوا بشيء مما كان يأثمهم من فلة ذلك البلد الملعون .

قسا مزاريس في التنكيل بالذين خرجوا على الملك في ثورة بكتياس ، وكتب الرق على سكان پرينة وباعهم بالمزاد ، وحرب بلا رحمة سهول مياندرس جميعها وأباحها لنهب عسكره ، ولكن منيته صادفته أثناء هذا الانتقام . ولقد أراد الفرس هذه الفظائع أن يغتالوا أيدي المغلوبين عن الثورة ، ولكن الإغريق الشاطئ ومستعمرات أيولس ويونيا ودوريدا لم يخفهم ذلك بل أخذوا عدتهم واستجمعوا بأسهم الى حرب غير متعادلة القوى ولا ملحوظ في نتيجتها الا الفشل والخذلان .

بذلك يتبدى العهد الثالث والأخير لتاريخ الإغريق . في آسيا الصغرى ، فان العهد الأقل لبث من وقت تزوجهم اليها الى حكم جوجيس غاصب ملك ميديا ، وهو أطولها ، لأنه لا يقل عن ٥٠٠ سنة . والثاني الذي كان مملوءا بالتنازع بين مدائن الإغريق ومملكة ليديا ، ويمتد الى هزيمة كروزوس وسقوط سرديس . ولم تكن قوة ملوك الليديين تلقاء قوة الفرس شيئا مذكورا ، لأن الفرس كانوا أمة حرب ملكت جزءا عظيما من آسيا ، وتقدموا تقدما كبيرا في فنون الحرب بفضل قيادة قيروش .

أما الذي خلف مزاريس على التنكيل بالثائرين واستمرار الفتح فهو رجل خليق بكل أنواع الفظائع واقتراف الدنايا يقال له هربفوس اشتهر بعمل مقطوع النظر في الحسبة حتى في معرض دنايا للبللاط الفارسي ، ذلك أن "أصطياغ" ملك الميديين ، كان قد أزعجته رؤيا ، فكلف هربفوس أمينه أن يحتال لقتل الولد الذي ولدته حديثا ابنته مندان من قبيز ، وكان هذا الحفيد المقصود بالوقعة هو قيروش ، فقبل هربفوس هذا الأمر ، ولكنه لم يشأ أن يقتل الصبي بيده ، فوكل ذلك الى راع أخذته الرحمة من توملات زوجته ، فاستبدل صبيه الذي ولد ميتا والذي دفع اليه ليقتله ، ودخلت هذه الخيلة على هربفوس ، فلما استكشف "أصطياغ" خفية الأمر وعلم بكل ما جرى كظم غيظه ، ولكنه انتقم من هربفوس شر انتقام ، فأمر بقتل ابن هربفوس سرا ، ودعا الى طعام قدم اليه فيه لحم ابنه فأكله ثم أمر فأحضر رأس الغلام ويذاه وقدمت أثناء المأدبة تحت غطاء الى هربفوس ، فلما



كشف عنها الغطاء رأى هذا المنظر الفظيع فلزم السكينة؛ فسأله "أصطياغ" في ذلك فقال : إنه تعترف اللحم الذى أكله ولا يسمعه إلا الثناء على الملك على ما تفضل به .

ومع ذلك فإن هر بنوس قد أصر على الانتقام من "أصطياغ" بأن يثب على عرشه من تحته ، فخرض قيروش سراً على العصيان . ولم يصادف هذا الأمير الشاب عناء فى حمل الفرس على نيسد نير الميديين الثقيل . ولقد بلغت العناية "بأصطياغ" أنه لما جاء حفيده على رأس الجليش الفارسى أمر على الجند هر بنوس الذى كان قد نكل به ذلك التنكيل ، فلم يلبث هذا الأخير أن خانه وانخذه بالجليش ؛ وقهر قيروش "أصطياغ" ولم يقتله بل تركه يعيش فى الخزى . وسقطت مملكة الميديين بعد أن أقامت ٣٢٨ سنة من ديجوسيزين فراورط . وبقي هذا القسم من آسيا من يومئذ تابعا للفرس الذين لم يحتفظوا به إلا أقل من تلك المدة حتى سقطت مملكتهم باغارة إسكندر .

ذلك هو هر بنوس الذى رمى به قيروش مدائن الإغريق ليخضعها . ولقد عُنيت بذكر هذه التفاصيل على شهرتها لأين أى الأمم وأى الأخلاق سيكون ليونان الشاطئ علاقة بها .

أخذ هر بنوس يبتكر طرائق لفتح المدائن ؛ فكان كلما وصل مدينة أحاط بها ثم حفر حولها خندقاً يحصر أهلها فيضطرمهم الى التسليم . فبدأ بمدينة فوكاية ، تلك المدينة التى كان لها اسم كبير فى ذلك العهد والتى تهمننا بوجه خاص جد الأهمية ، لأن أحد فلاسفتنا اكسينوفان كان بها منذ نفى من كولوفون وهرب مع مواطنيه على الشواطئ البعيدة لبحر طرهيليا . ولقد كان أهل فوكاية أول من أزعج السياحات الكبرى المقرونة بالأخطار من جميع الجنس الهلنى ، فانهم أول من علم الناس ما هو البحر الأدرياتيكى وبحر طرهيليا وإبيريا وطورطائس ، تلك الأصقاع السحيقة فى حدود الأرض وراء عمد هيرقليس ؛ وهم الذين خوروا طريقة صنع السفن فرغبوا عن السفن الفليظة المستديرة الى سفن ذات خمسين صفاً من المجاذيف ، وهى المسماة « الباتيكونتور » . ولما كان لأهل فوكاية صلات مؤدة ومعاملة



ببلاد طورطائس عرض عليهم أراضاتونيوس ملك هذه الجهة أن يهاجروا إليه إذا شاءوا أن يتركوا يونيا عند ما هدد الفرس مدينتهم . ونظرا إلى أنهم لم يكونوا قد عزموا على الهجرة بعد ، أعطاهم حليفهم الملك مبلغا عظيما من النقود ليساعدهم على إقامة سور منيع حول مدينتهم ، فأقاموا هذا السور الواسع الامتداد من أحجار كبيرة محكمة الرصف جدا .

وقف هر بنفوس أمام هذا الحصن العظيم الذي لم يستطع النفوذ منه إلى داخل المدينة ، وبقي محاصرا لها حتى أرق أهلها إرهاقا ، ثم عرض عليهم عرضا يوافقهم وهو أن يهدموا جزءا من الحصن الأمامي تحتله الفرس إشارة إلى أن أهل المدينة أطاعوا فطلب إليه الفوكيون الذين أعياهم الحصار جوابا على هذا العرض هدنة يوم واحد ، وأن يتنعد الجيش الفارسي عن مراكره ، فأجابهم هر بنفوس إلى ذلك مع توقيعه ما سيحصل ، فأغتم الفوكيون هذه الهدنة ، وحملوا على السفن نسائهم وأولادهم وجميع ما يستطيعون حمله خصوصا الأمتعة المقدسة التي جمعوها من المعابد ، وسافروا إلى شيوز ، فلما جاء الفرس في اليوم التالي وجدوا المدينة خلوًا ليس فيها أحد من أهلها .

كان الفوكيون قد رغبوا بادئ ذي بدء في أن يشتروا من أهل شيوز الجزر التي تسمى اينوزوس ، لكن هؤلاء قد رفضوا الصفقة حتى لا يخلقوا لأنفسهم مزاحمين لا يستهان بأمرهم على صرافى التجارة ، فاضطر الفوكيون إلى أن يوجهوا سفنهم نحو جزيرة قورسقة ( المسماة وقتئذ سيرفى ) حيث أسسوا فيها قبل ذلك منذ عشرين عاما مدينة « حلالية » بإشارة الهاتف ، ولكنهم قبل أن يذهبوا إلى هذا المنفى النهائي رجعوا إلى فوكاية على غيرة من حرمها الفارسي وذبحوهم ، ومع ذلك فإن هذا العمل الجريء لم يمكنهم من البقاء في وطنهم القديم بل ارتحلوا إلى أسطوطم . وليثبتوا أنهم لم يتركوه ألغوا في البحر كتلة من الحديد وأقسموا ألا يعودوا قبل أن تطفو هذه الكتلة الثقيلة على سطح الماء . وعلى رغم هذا القسم زين النصف النازحين أن ينزلوا إلى البر ويدخلوا فوكاية ، وأما النصف الآخر الذي

بريقسمة فقد اعتمد على ألا يبقى تحت نير المتوحشين الذي لا يطاق، وأبحروا الى  
قورسقة، فدخلوها آمنين وأقاموا كما يشتهون في سكية مدة خمسة أعوام مع مواطنيهم  
الذين سبقوهم اليها قبل ذلك بسنين طوال . ولكن أهل طرهينيا وقرطجنة هاجموا  
الفوكيين، إما حسدا من عند أنفسهم، وإما اضطرارا للكسب وجبا في السلب والنهب .  
ولم يكن لدى الفوكيين إلا ستون سفينة ضد مائة وعشرين لخصومهم، ولم يقرر لهم  
ذلك التردد في منازلهم، بل ذهبوا يبحثون عن عمارات لخصومهم في بحر سردينيا،  
وتحزسوا بهم وطلبوهم للقتال، ولكنهم خسروا في هذا الظفر ثلثي سفنهم فرجعوا  
تجّلين الى "علاية"، واحتملوا مائاتهم وأموالهم ليلجشوا الى موئل آخر آمن من  
هذا. والظاهر أن جزءا من هؤلاء المهاجرين قد وقع في يد الطرهينيين والقرطجنين  
فقبضوا عليهم وذبحوهم، وذهب الجزء الآخر الى رغبوم في صقلية، ومن هناك  
اتجهوا الى الشمال وأسسوا على أرض أوترى مدينة كانت تسمى في زمن هيرودوت  
"مدينة هيللا" وهي المعروفة بمدينة إيليا الشهيرة بمدرستها الفلسفية التي شيدت فيها  
بعد تأسيسها بقليل .

في نحو هذا الحين جأ أكسينوفان الى إيليا هاربا من كولوفون التي وقعت  
في قبضة الفرس، وانضم الى الفوكيين الشجعان الذين كانوا مثله يكرهون العبودية .  
من الواضح أن ماورد في شعرا أكسينوفان خاصا بإغارة الفرس الذين ما زال يسميهم  
الميديين، إنما يراد به واقعة هربغوس تلك لا حرب الميديين، كما ظن ذلك أحيانا .  
وقد يظهر أن تأسيس إيليا الذي شدا به أكسينوفان كما شدا بتأسيس كولوفون كان  
في سنة خمسمائة وست وثلاثين أو خمسمائة واثنين وثلاثين قبل الميلاد، بل قد يكون  
أدنى من ذلك، وعلى كل حال فإنه قبل إغارة مردونيوس وداتيس على بلاد الإغريق  
بثلاثين سنة على الأقل . وليس عندنا ما يفيد أن أكسينوفان عاش الى ذلك الوقت .

(١) ولقد جلا الشك في هذه النقطة فكتور كوزان . راجع القطع الفلسفية والفلسفة القديمة طبعة

ولسنا نرى فيما حفظ لنا التاريخ من التفاصيل ماذا جرى على كولوفون بخصوصها، وهي من ليديا كمدنية فوكاية، ولكن المفهوم ضمنا هو أنها وقعت فيما وقعت فيه فوكاية، وأن أهلها الذين لم يقبلوا حكم المتوحشين ركبوا البحر ليلجئوا إلى جهات أكثر طمأنينة. حق، أن هيرودوت لم يذكر بعد أخبار الفوكيين إلا أخبار أهل طيوس الذين فعلوا مثل ما فعل أولئك، فحملوا ما قدرُوا عليه في سفنهم وفصدوا تراقيا حيث أسبوا مدينة أدير، وقد كان سبقهم في الهجرة إلى تلك البلاد أحد مواطنيهم المدعو كلازومين. أضاف هيرودوت إلى هذا أن بقية مدن يونيا خضعت لحكم الفرس بعد مقاومة عنيفة. ولا مانع من افتراض أن كسينوفان كان أحد هؤلاء الأبطال الذين أثنى عليهم المؤرخ، والذين لم يلقوا قيادهم إلى الفرس إلا بحكم الضرورة. إلا الملطيين وحدهم فانهم اتفقوا مع قيروش كما ذكر آفنا، وبذلك احترم هربفوس حياتهم اكتفاء بما شئت وأذل من سائر يونان القارة. وأما أهل الجزائر فانهم بوضعهم كانوا في مأمن من الفارة، لأن الفرس لم يكن لديهم بعد أسطول يطولون به الجزائر ويلقون على أهلها نير العبودية. وأما يونيا وأبولس فانهما أطاعنا غاية الطاعة حتى جند منهم هربفوس حين مشى إلى قاريا التي وقعت في قبضته بعد قليل. وأما الكنيدون فانهم حاولوا الدفاع بالأسراع في قطع البرزخ الذي يصلهم بالقارة، ثم بدا لهم أن يستسلموا إلى الفرس أخذاً بنصيحة كاهنة دلفوس. وأما البيدازيون من ضواحي هاليكارناس فانهم قاوموا حتى حين، ولكنهم قهروا كما قهر الليقيون الذين أبلوا بلاء حسنا في الدفاع عن وطنهم. وبذلك تم النصر لقيروش، وكان يستطيع أن يقتبط وهو سائر إلى إخضاع بابل بأن كل آسيا الدنيا ملك له إلى البحر. كانت جزيرة سموس وقتئذ أقوى الجزر ذات مركز سام بما لها من الروابط بإغريقا وبمصر. وبينما كان قبيل المفتون ابن قيروش يغزو مصر ليقضى على نفسه فيها كان بوليقراطس يحكم سموس، وقد تمكن له فيها بحسن إدارته وقلة تحرجه وببالاته، حتى جعل الجزيرة من الرخاء محسودة الوفير من كل نظائرها. وكان من أمره أنه أقام فيها ثورة انتهت باستيلائه فيها على السلطان هو وأخويه يتنبوت

وسيلوسون ؛ إذ أقسم الإخوة الثلاثة حكم المدينة لكل منهم قسم معلوم . ولكن بوليقراطس لم يلبث أن تخلص من أخويه إذ قتل أحدهما وشرّد الثاني وخلص له الحكم وأطاعه أهل المدينة . وقد أراد أن يثبت لنفسه الملك المنصوب فارتبط بأمازيس ملك مصر ، وتبادل وإياه الهدايا النفيسة . ولم يمض عليه حين حتى نبّه ذكره ، وعمت شهرته بلاد الإغريق ، وكان سعيد الطالع موفقاً في مشروطاته إلى غاية المنى ؛ وكان أسطوله مؤلفاً من مائة سفينة من ذوات الخمسين صفاً من المجاذيف ، وكان يبلغ عدد رماة وحدهم ألفاً .

ولم يكن مع ذلك ليرعى لخيراته حرمة بل كان يضرب عليهم الإتاوة بغاية الجحارة ، وكان من مبادئه السياسية ألا يبقى حتى على أصدقائه متى قضى الطرف إلا أنه كان يعوّض عنهم بعد ذلك . وكان قد غزا عدّة جزر حوالى سموس ، بل عدّة مدن في القارة . ولما ساعد اللبوسيون الملطيين عليه حاربهم وقهرهم في وقعة بحرية ، وسخر جميع الأسرى مصفدين بالأغلال في حفر الخندق العميق الذي كان يحيط بأسوار المدينة . وكان من نتائج ظلمه أن بعض أهل سموس هجروها من هول ما يلقون من الجور واستجاروا بإسبرطة ، فأبحر اليه اللقدمونيون في أسطول قوى ، وحاصروا المدينة أربعين يوماً ، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم بفضل بأس بوليقراطس أو بفضل ماله . وبقي هذا الطاغية مستبداً بالحكم مهيب الجانب لا يُقلب على أمره ، حتى إن من لم يريدوا من السموسيين الاستسلام لمظالمه لم يكن لهم وسيلة إلا الهجرة بعيداً عن ملكه إلى حيث يتزلون منزلاً يرضونه . ولم يكن ليأمن على نفسه الطوارىء بذلك الخندق العميق الواسع ، بل اتخذ نفقاً تحت الجبل سلك فيه إلى المدينة ماء غدقا ، وبني رصيفاً شاهقاً متقدماً في البحر ، جعل به المرفأ أكثر ملاءمة لرسو السفن ، ثم بنى معبداً اشتهر بأنه أكبر المعابد المعروفة . وقد ذكر أرسطوطاليس أيضاً هذه الأعمال العظيمة التي عملها بوليقراطس .

وكان هذا الطاغية محباً للآداب والفنون ، ويقال إنه أول من أنشأ مكتبة . وكان مثل ذلك في تلك القرون زخرفاً نادراً ، كانت مصر وحدها هي صاحبة الإبداع



فيه . وكان يؤوى إليه الشعراء ، وكان أنقريون الطيوسى بعض جلسائه ومادحيه .

في صدد الكلام على عهد طغيان بوليقراطس هذا، ينبغي أن نورد خبر الصلات التي كانت لفيثاغورث به والتي لدينا عنها معلومات مضبوطة، فإن يميلك وفريريوس وديوجين لايرث يلتقون في هذه النقطة، وليسوا بالضرورة إلا صدى كثير من المؤلفين الذين هم أقرب عهدا بزمان فيثاغورث وكتبوا ترجمته مثل أرسطو كسين الموسيق تلميذ أرسطو وأبلانيوس الصورى وهرميب وديوجين وأنثيفون ... الخ . كان فيثاغورث بن مينيزارخس يدلى بأمه إلى أكبر عائلات سموس، ويمكن أن يتصل نسبه بأنصى مؤسس المستعمرة، ويظهر أن أباه قد جمع مالا وفيرا من تجارة القمح وكان سوريا على رأى بعض المؤرخين، وطرهينيا على قول البعض الآخر . وكان يستصحب ابنه معه في سياحاته منذ حداثته، فطاف الصبي مع أبيه تلك البلاد التي عُني بدمها بعد ذلك، فلما صار فى سن التعلم، ورأى أبوه فيه مخايل وعليه سيما النجابة، وصله بأهل الرجال امتيازاً في زمنه : طاليس — على ما يقال — وأنكسيمندر وأنكسيمين الملطى وفيرقليد السيروسي . وقد عرف فيثاغورث فيثاغورثا وهو شاب إذ صحب أباه إليها . ولما أراد السفر الى مصر زوجه بوليقراطس بكجاب توصية الى أمازيس، وذلك يثبت أن رأى فيثاغورث في بوليقراطس وقتئذ على الأقل لم يكن كراهيه فيه بعد ذلك .

لم تكن مدة إقامة فيثاغورث بمصر محل اتفاق في التاريخ، فمن مترجميه، مثل يميلك، من حددها بأثنين وعشرين عاما وإن كان ذلك قليل الاحتمال . لما أسر صكرقيز فيثاغورث سيق الى بابل، وهناك اتصل بالمجوس كما اتصل بكهنة مصر مدة إقامته بها، إذ كان محل إعجاب بذكائه ورجاحة عقله وحسن روايته . ولما رجع الى وطنه وهو متقدم في السن، أى كانت سنه ستا وخمسين سنة على قول يميلك، فتح ليه مدرسة، وظل السموسيون المعجورون بمواطنهم يعقدون مداولاتهم السياسية لقرونا عدة بعد



ذلك في مجلس نصف حلقى مسمى باسم فيثاغورث . وقد قال أرسطوكسين :  
 إن فيثاغورث لما ترك سموس فرارا من ظلم بوليقراطس لم يكن يتجاوز من العمر  
 أربعين سنة ؛ وربما كان قوله أوجه ، لأنه أقرب عهدا الى هذه الأحداث من  
 يبليك ، ومن المحتمل أن يكون أعلم بها منه ما دام أنه تلميذ أرسطو الذى كان  
 يشتغل كثيرا بفلسفة فيثاغورث . وأما شيشيرون فانه ذكر في كتابه "الجمهورية" :  
 أن فيثاغورث وصل الى إيطاليا في الأولمبية الثانية والستين أعنى في سنة ٥٢٨ قبل  
 الميلاد، أى في السنة التى جلس فيها طرخان العظيم على العرش . ولما كان شيشرون  
 (على لسان سيديون) يقصد الى تصحيح خطأ تاريخى شائع . فمن الراجح أنه يعرف  
 حق المعرفة صحة ما ذكر وأنه غير مخطئ .

ومهما تكن حياة فيثاغورث محجوبة عنا مع ما كان من اشتغال كثير من الكتاب  
 الأقدمين بها ، فالظاهر أن من المحقق أنه هاجر من سموس المحرومة الحرية ليجد  
 بلدا في إغريقيا الكبرى لا تشعثر فيه نفسه من مشاهد الظلم ويستطيع أن يتمتع فيه  
 بالاستقلال الذاتى الذى كان في حاجة إليه . وكذلك فعل إكسينوفان في نحو هذا  
 الزمن ، إذ كان يفتر من اضطهاد القرس الذين كانوا أشد ظلما من طغاة الإغريق .  
 كان ذلك هو الحظ المشترك لأمثال هؤلاء ؛ فليس من السهل أن يبقى المرء وطنيا  
 أو فيلسوفا ينوء بحمل الضغط الذى يأتبه أمثال أولئك الأسياد . وعلى ذلك حمل  
 فيثاغورث الى قروطون وإلى سيبارس مذاهب عجيبة فيها بلا شك شيء من الديانات  
 الشرقية التى اتصل بأهلها ، ولكنها حقيقة باحترام كل من يحبون الحكمة والانسانية .  
 ولم تصل إلينا مذاهب فيثاغورث إلا عن طريق الوسطاء ، إذ لم يجتمع لنا  
 شيء من مؤلفاته الكثيرة التى وضعها<sup>(١)</sup> فيما يظهر على ما يقول هيلير قليبس ، والتى مع كون  
 فيلولاوس أذاها لأول مرة بعد ثلاثة أو أربعة قرون من وضعها كانت يطلبها  
 أفلاطون بأضل ثمن .

(١) دهرجين اللايرى . حياة فيثاغورث ف ٩ ك ٨ ب ١ . وأن الرسائل بين ألكسبير وفيثاغورث  
 ربما لا تكون متعلقة . دهرجين اللايرى لما كتبه عن حياة ذينكم الفيلسوفين .

أما بوليقراطس الذي شاطر في أسباب تعليم فيثاغورث فإنه لقي حتفه على أسوأ ما يكون بعد سنين قلائل من اعتقال الحكيم سموس التي صارت أخط من أن تكون وطناله ، ذلك بأن أورطيس الذي رسمه قيروش مرزبانا على سرديس حاول أن يوسع سلطان الفرس ويدخل الجزائر تحتها ، فعزم على أن يوقع بالطاغية الذي أتى سموس الواقعة أمام حكومته قوة ومنعة ، فأرسل إلى بوليقراطس سرا رسولا يخبره عنه بأنه مهتد شخصيا بنضب فييز البالغ حد الصرع ، وأنه يريد أن يودع ماله مكانا أميناً ، ويرجو السيد أن يقبل إيداعها عنده ؛ ولكيلا يتظن في قوله طلب إليه أن يرسل ثقة له ليأخذه خزائنه المملوءة بالذهب المضروب ، على شريطة أن يبقى نصف المال للرزبان والنصف الثاني يكون لبوليقراطس ينفقه على مشروعاته الواسعة المدى إلى حد فتح أغريقا كلها .

لم يطق شره بوليقراطس صبرا ، فأرسل أمين أسراره مندر يوس إلى "سرديس" ليحقق خبر كنوز أورطيس الذي خدع الرسول وأراه صناديق مملوءة حجرا مغطاة سطوحها بالذهب ، فرجع الرسول إلى سيده وقرره ما رأى ، ففزع بوليقراطس وعقّل على أن يذهب بنفسه لإحضار الذهب ؛ وعبثا حاول أصحابه وعائلته منعه ، حتى لقد كان منه أن هتد أبنته بالآل يزوجه إلا بعد زمن طويل حين تشبّث بمنعه وقت ركوبه الفلك . ومضى وفي صحبته عرافه المدعو هيل الذي لم يصل علمه إلى كشف هذه الأجبولة . فلمّا وصل إلى حيث ينتظره أورطيس أمر الغادر بالقبض عليه وصلبه . ومع أن هيرودوت لم يكن به مظنة ضعف للطغاة ، فإنه رثى لحال بوليقراطس الذي كان من العبقريّة والسؤدد بحيث لا يستحق هذه الميته الشعاء . وكان في معية بوليقراطس في هذه السفرة المشؤومة ، غير ذلك العزاف المغفل ، ديموكيد الطبيب الشهير من قروطون الذي وقع هو أيضا بهذه الأجبولة في الرق ، ثم دعى بعد

ذلك بقليل الى بلاط دارا ليعالجه من آلتواء مفصلي أصابه ، وذلك حين أمر دارا مهلك المجوس بقتل أورطيس لارتكابه فظائع لا مصلحة في ارتكابها<sup>(١)</sup> .

لما خلت سموس من بوليقراطس لم تستأخر عن الوقوع في قبضة الفرس ، لأن الطافية لما ذهب الى حيث لقي حتفه كان قد خلف على الجزيرة أخاه مندريوس الذي هو أقل كفاية من أن يلى الحكم ، وجاءت جنود أوغانيس المرزبان الحديد تحت قيادة سيلوسون أخى بوليقراطس الذى نال حظوة عند دارا بسبب أنه عرفه في مصر حيث منقاه ، فهرب مندريوس وترك الجزيرة ، فتولى أخوه شاريلوس قيادة الحامية ، وبعد مقاومة عنيفة سقطت الجزيرة في أيدي الفاتحين ، ودخلها سيلوسون فوجدوها خلوا من سكانها .

ولما انتصر دارا على بابل بفضل إخلاص زويرة وجه قواه الى محاربة السيتين ، فصنع له مندر وكليس المهندس السموسى القنطرة المشهورة التى عبر عليها جيشه بفاز الإسفور ، وهى قنطرة من المراكب لم يكن طولها أقل من أربع ضلوات أى نحو ٨٠٠ متر . ولا بد أن يكون اتخاذ مثل هذه القنطرة من أصعب ما يكون ، وكانت واقعة ، على رأى هيرودوت ، بين بيزنطة وبين معبد قائم على مصب الإسفور . ولكى يخلد هذا الملك العظيم ذكرى هذا العمل أغدق على المهندس السموسى نعمة ، وأقام عمودين على جانبي الشاطئ كتب عليهما باللغتين اليونانية والآشورية . وقد رسم مندر وكليس فى معبد جونون لوحة تمثل القنطرة وجيوش الفرس تعبر فوقها تحت نظر دارا جالسا على عرشه . وقد شفع دارا جيشه البرى بأسطول عظيم يقوده اليونان والأبوليون وفرق من أهل هلسبون ، وأمر الأسطول أن يدخل البحر الأسود ، ثم يدخل مجرى الدانوب ونهر الإستر ، ويقم قنطرة على النهر فى محل تفرعه الأول الى عدة فروع . واتجه دارا بجنوده فى البر من تراقيا الى تلك

(١) السنة ٢٣٠ من تأسيس روما أو ٥٢٣ قبل الميلاد على رأى بلاتين ك ٣٣ ب ٦ ص ٤٠٣



النقطة، وكانت عدة جنوده البرية سبعمائة ألف مقاتل وعدة سفن أسطوله  
سثمائة سفينة، وكانت هذه الجيوش البرية والبحرية مؤلفة من جميع الأمم التي تشملها  
مملكة الفرس المترامية الأطراف من شواطئ آسيا الصغرى إلى الهندوس .

وتقدم الملك العظيم، على بعد الشقة وصعوبة المسالك، في طريقه بين تلك الأمم  
الجافلة التي كانت تولى الأدبار أمامه وتستدرجه شيئاً فشيئاً إلى مغاراتها الواسعة  
وتلك المهامه التي لا تجاز، كما وقع في أيامنا هذه لقائم آخر ليس أكثر منه بصراً  
بالعواقب ولا أقل منه نخساً في الطالع . وقد عني دارا في انتصاراته الموهومة بأن  
يقيم في طريقه أعلاماً وأعمدة نقش عليها بالعبارات الفخمة: «إخضاع الجيئين» .  
وكان يبنى آثاراً سهلة البناء، فانه أمر بأن يلقى كل جندي من جيشه العرمرم  
وهو سائر مجراً في مكان معين، فيجتمع من هذه الحجارة أكمة عظيمة ينجيل أنها  
هرم . ولقد وجد جيش دارا حتى في هذه الجاهل بعض آثار النفوذ الإغريقي،  
فإن أولئك الرجل الذين كانوا يعبدون «ذالمكسيس» الذي كان، كما يقال، عبداً  
لفيثاغورث بن منيزارخس في سموس، والذي بعد أن صار حراً وغنياً عاد إلى موطنه  
بشتات من المدنية الهلينية إذ نقل إليهم شيئاً من عقائد سيده العالم . غير أن  
هيرودوت لم يقبل هذه الرواية وردها بأن «ذالمكسيس أو غيبليزيس» كان أقدم  
من فيثاغورث بكثير، وأن فيثاغورث أعجب بحكمته العالية . ولكن تلك الرواية  
المشهوره مهما كانت كاذبة تدل على الأقل على ما لاسم الفيلسوف من الاحترام منذ  
تلك الأزمان، فإليه تنسب الثقافة الأخلاقية والإصلاح الموفق الذي وإن لم يتم  
كان سبباً في التهذيب من حال أهل تراقيا المتوحشين .

على أن دارا لما وصل إلى المثل المعين على نهر الدانوب، وجد اليونان نفذوا  
أمره بإقامة قنطرة المراكب، كما أقاموا قنطرة البسفور . ولما عبر الجنود النهر  
أراد دارا رفع القنطرة حتى يتبعه الإغريق في غزوته، ولكن قويس رئيس

الثالثة كان لحسن الحظ أسد رأيا من الملك ، فانه وصل إلى اقناعه ببقاء القنطرة لأنها طريقه الوحيد عند التقهقر ، وعلى ذلك أمر دارا اليونان أن ينتظروه ستين يوما فان لم يعد في هذه المدة هدموا القنطرة وسافروا .

حدث ما كان سهلا توقعه ، فان جيش دارا بعد أسفار نحو الشمال متعبة مديمة للفائدة اضطر إلى أن يعود خاسرا تاركا مرضاه وجرحاه . وكانت حاله حال ذلك الجيش العظيم لسنة ١٨١٣ الذي كان في تلك البلاد تقريبا يقاتل أولئك الأعداء أنفسهم الذين خدعوه الخديعة عينها . ولما انتصر السيتيون على دارا من غير حرب تقدموه إلى قنطرة الدانوب ، وكانت دارا سيلافي مالاقي نابليون في عبور نهير يريزينا لولا أمانة الإغريق الذين وكل إليهم حراسة القنطرة ، فان السيتيين حرضوهم على كسرهما قائلين : إن ميعاد الستين يوما قد مضى ، وإنهم قد أوفوا بعهدهم . وقد نصح لهم ملتياد الآتيني الذي كان قائد أهل شرسنيز وهلسبون وطاغية عليهما والذي صار بعد ذلك فاتح مرطون ، أن يهدموا القنطرة وينسحبوا إلى بلادهم وبذلك يهلك الجيش الفارسي ويسترد اليونان حريتهم ، وكانت نصيحته ستجد آذانا صاغية ، ويكون لها من الأثر ما لم يكن لأغراء السيتيين ، لولا أن اجتمع رؤساء اليونان وقضروا بناء على رأي هستيا الملطي أن ينتظروا دارا ويخلصوه . وكانت مع هستيا من رعوس اليونان سطرابطيس الشيوزي وأوسيز السموسي ولوداماس الفوكي ، وكان أرسطاغوراس الكومي وحده رئيسا للأبوليين . ولم يكن الوفاء بالعهد هو الذي حمل أولئك الرؤساء على هذا القرار الغريب ، بل هي المصلحة الشخصية ، فان هستيا لم يصادف ضياء في إقناع زملائه الذين مصالحتهم كمصلحته بأنهم إذا فقدوا تأييد الفرس لهم لم يلبث واحد منهم سييدا على مدينته التي يحكمها ، بل إن الأمة متى تخلصت من حكم الأجني تسارع إلى حكم الديمقراطية ، وتحرم رؤساءها الحاليين كل سلطان عقابا لهم على قبولهم المزاي التي خصهم بها الملك الكبير . وقد رجح لدى الرؤساء هذا الرأي وأمكن لدارا ، وقد اقتضى السيتيون أثره ، أن يفز منهم بعبور النهر .



ما ذا كان عساه أن يقع لو أن اليونان كسروا القنطرة وهلك بذلك دارا وجنوده ؟ تكون داهية دهياء على مملكة الفرس من غير شك ، ولكن هذه الضربة مهما كانت خطورتها لا تكون هي الفاضية ، لأن هنائم صراطون وسلامين وبلاطة لم تكن لتكفي لهذا الغرض . حقا ربما كانت يونيا تستطيع أن تتنفس من ضيق الخناق بعض الزمن وتسترد استقلالها ، ولكن إغارة جديدة أكثر حدة بالضرورة من سابقتها ترجعها الى الخضوع . فلم يكن حان الوقت لسقوط الفرس الذين كانت أمتهم وقتئذ في قوة الشباب وطور النمو الأول ، ولكن هذا لا ينفي الإجماع عن أنانية الرؤساء اليونان فانهم كانوا يستطيعون البقاء على عهد دارا بأسباب أشرف من الأسباب التي اتخذوها .

لما وصل دارا الى سستوس ركب البحر الى آسيا وخلف مغبار على الجنود في أوروبا ، وليفتح تراقيا ومقدونيا . وبعد قليل دعى مغبار الى صوص ، وكذلك هستيا الذي ظهر أن من عدم التبصر تركه وحده في تراقيا ، حيث أقطعه دارا إقطاعات واسعة في مدينة جزاء له على خدمته .

ولقد منيت بلاد اليونان بجهد جديد ومصائب جدد تضمر في باطنها ، فان هسيا لما ترك ملطية نزل عن السلطة الى أرسطاغوراس صهره وابن عمه ، بفاء الى هذا الأخير بعض المنفيين من نكسوس يستجدونه ، وأحس من نفسه قلة الحول في أن يقوم بمشروع فتح نكسوس وحده ، فرجع في الأمر الى أرتافرن أخى دارا ومرزبانته على سرديس وجميع تلك الجهات التي هي أول مرزبانيسة في المملكة ، فطمع أرتافرن في الاستيلاء على نكسوس وما يليها من مدن السكلاد وحصل من دارا على الأذن بتسيير مائتي سفينة تحت تصرف أرسطاغوراس ، ولكن الشقاق قد دببت عقاربته بين الأحلاف فاستطاعت نكسوس أن تدافع عن نفسها وأن تصد هجمات محاصريها وتردّهم بالخربة بعد حصار أربعة أشهر ، وعلى ذلك لم يوفق أرسطاغوراس الى تحقيق شيء مما وعد به مرزبان سرديس ، فخاف من ذلك على سلطانه الخاص ، وعقد

العزم على ألا يكون نصف مذنب فغلظ ذنبه ، وأوقد نار ثورة صريحة دفعه اليها أيضاً سلفه هستيا الذى كان لا يزال فى صومس عند الملك الكبير ، ولكى يجذب قلوب الملطيين اليه نزل عن حكومة الطفيان ، ورتب بدلها حكومة الشعب ، ودعا المدائن اليونانية الأخرى الى المهبين ، فاستجابت لدعائه وطردت جميع الطغاة الذين نصبوا عليها تنصبيا .

ان ما أتاه أرسطاغوراس من الإقدام الكبير كان بعد استشارة أصحابه . فاما هيئات الملطى المؤرخ فكان رأيه ألا يوقدوا نار الحرب فى الحال وليس لديهم المال الضرورى ، فلما لم يستطع الإقناع برأيه ألح فى وجوب توجيه كل قواهم نحو البحر ، بفكرة أنهم فيه أقدر على الهجوم منهم فى البر ، ولهذا الغاية نصح بأن يأخذوا جميع أموال كيزوس التى جمعها فى معبد البرنشيد ، ولكنهم أستموا آذانهم عن الاستماع لهذا رأى السديد ، وأصرروا على الثورة على أى حال . وكان أرسطاغوراس يشعر تماما بضعف يونيا فذهب إلى أسبرطة ليتخذها حليفة له .

ولقد عني أرسطاغوراس ليزيد كليومين ملك أسبرطة علما بحقيقة مشروعاته بأن يبين له فى أثناء المفاوضات مواقع البلاد التى كانت موضوع الحديث وهى ليديا وفريجة وقبادوس وفارس ... الخ . بينها له مرسومة على صحيفة من النحاس حملها معه ، وكان وقتئذ من أحدث ما يكون رسم خريطة جغرافية . ويظهر أن أنكسيمندروس هو صاحب هذا الاختراع البديع ، ولكن كليومين لم يفهم إلا بسؤال واحد : "ما هى المسافة بين بحر يونيا وبين المحل الذى يقيم فيه الملك ؟" فأجابه ببساطة : "مسير ثلاثة أشهر" وكان ينبغى لأرسطاغوراس أن يحسب وقع هذا الجواب فى نفس رجل أسبرطى ، لأن كليومين بعد أن سمع هذا الجواب أمر نزيله أن يبرح لقدمونيا قبل غروب الشمس ، ورفض مع الازدراء المال الذى جمعه إليه ليحاول إخوائه به . وكان ما قاله أرسطاغوراس عن المسافة حقيقة واقعية ، فان هيرودوت قد عدد بالضبط والعناية المائة والإحدى عشرة محطة الواقعة على الطريق



الجميل الذي أنشأ دارا من سرديس إلى صوص على نهر كواسب أو كراسو البعيد جدًا من مدينة بابل نحو الشرق . فكان ١٣٥٠٠ ذلوة أو ٤٥٠ برزنجيا والبرزنج هو في المتوسط ٣٠ ذلوة أو بعبارة أخرى ٦٠٠ فرسخ ، فكان لابد للقيام بمشروع ضخم كهذا هجرية اسکندر ومائتا طم حرب على مملكة الفرس الضخمة ، ولم يمكن لكايومين من خلقه ولا من زمانه ما يجزئه على معاناة أمثال هذه المشروعات .

لما فشل أرسطاغوراس في أسيرة قصد آتينا لأنها صارت شيئاً فشيئاً أقوى مما كانت عليه منذ قلبت طغیان البيزستراتيين ، وأخذت ترسل السفراء إلى أرتافون مرزبان سرديس حتى لا يصنى إلى مزاعم هيبياس الذي التجأ إليه . ولما لم ينجح أرسطاغوراس في استمالة كايومين ، ونجح في استمالة سكان آتينا ، وعدتهم ثلاثون ألفاً — كما ذكره هيرودوت بعبارة ملؤها التهمك ، إذ ذكرهم بأن ملطية كانت مستعمرة لاجدادهم — فنقرر أن يرسلوا إلى يونيا عشرين سفينة لنصرتها . وكان ذلك — كما رواه أيضاً هيرودوت ، بداية الحروب التي فيها لبست الجمهورية حلل الفخر بتخليص الإغريق والتي فيها لاقت دولة الفرس هزائم قاسية كانت طلائع لخرابها العاجل . وقد حمل أرسطاغوراس البيون أيضاً على الثورة ، وهم أولئك الذين أخرجوا من ضفاف إستريمون إلى فريجة بأمر دارا ، وهربوا منها إلى شيوز وسافروا من شيوز إلى لسبوس ومنها إلى دوريسكوس ومنها عادوا إلى بلدهم الأصلي .

لما وصلت السفن العشرون إلى إيفيزوس وانضم إليها خمس سفن أخرى من إريتريا لاقوا إخوة أرسطاغوراس يقودون جند ملطية لأن أخاهم أقام بالمدينة يباشر بنفسه حركة التعبئة وقد ترك الجيش البري الأسطول في مياه إيفيزوس وتقدم هو على ساحل "قايستر" يحوس خلال طمولوس حتى وصل إلى سرديس ، فأخذها من غير حرب تذكر وحرقها بفساية السهولة ، لأن سطوح منازلها مغطاة بالقصب اليابس . ولم يتمكن أرتافون إلا من الاستعصام هو وجنوده بالقلعة . وقد انزعج الفرس والليديون لما رأوا المدينة غنيمة النار ، ولكنهم استجمعوا شجعانهم وأخرجوا إلى المحاربين ووثقوا

أمامهم حتى اضطروهم الى التقهقر نحو الشاطئ ، ونهض الفرس المرباطون على  
الغالوس الى المعركة فلم يحدوا اليونان في سرديس فاقتنوا آثارهم الى ايفيزوس حيث  
نالوا منهم نيللا في واقعة كبرى .

ولقد أخذ اليأس من الآتينيين كل مأخذ من جراء هذه الهزيمة فانسحبوا على  
رغم رجاء ارسطاغوراس والحساحه ، ولكنه هو لم ييأس . بل اعتمد على جنوده  
الخاصة وعلى مساعدة مدن هلسيون وقاريا وجزيرة قبرص العظيمة وإذ ذلك كان  
أونيزيلوس طاغية سلامين منتقضا على الفرس .

لما علم دارا بما أتاه الآتييون من المشاطرة في إحراق سرديس أقسم أن ينتقم منهم  
ويجزيهم على هذه الاساءة شر الجزاء ، وأرسل هستيا بدئا ليعيد اليونان الى الطاعة  
بفضل دسائسه ، ولم تكن مع ذلك أحوال اليونان بخير . بل إن قبرص سلمت بعد  
مقاومة شديدة ، وقاريا التي كانت نائرة ردت الى الطاعة وكلازومين سقطت  
في قبضة أرتافرن وأوطانيس ، وكذلك سلمت كومة أوليد ، فلم يستطع ارسطاغوراس  
احتمال هذه الخيبة فانزوى في مرسين بلد حميه هستيا . وكلين هيكاط الملطى يرى  
أن الأوفق لهم الالتجاء الى جزيرة ليروس حيث يمكنهم البقاء حتى يعودوا الى ملطية  
في الوقت المناسب . ولما سافر ارسطاغوراس الى تراقيا قتل أمام قلعة وهلك جيشه .

ولم يكن حفظ هستيا بأحسن حالا من ذلك فان أرتافرن تظنن في أمره ، واطلع  
على دسائسه ففر بعد عناء من سرديس الى جزيرة شيوز فانتبذوه بفكرة أنه صديعة  
الفرس ، ولكنه بعد ذلك كسب جاذبيتهم بأن أظهرهم على ما فعل لاقامة ثورة اليونان  
فحملوه الى ملطية حيث قابله أهلها بفتور ، لأنهم بعد أن نالوا حریتهم كانوا يخشون  
أن يعيد اليهم أيام طفيانته ، ولما نفى من وطنه حصل من أهل لسبوس على بعض  
السفن بطوف بها جهة يزنطة ينهب أموال الذين لا يريدون أن ينضموا اليه .

أخذت العاصفة التي أثارها ثورة ارسطاغوراس تهيم على رأس يونيا التي  
لم تقهر أمام هذا الخطر المزعج . انعقد اليانيونيون وقرّر الحرب ، ولم تكن هناك



فكرة في حرب برية فلم يؤلف جيش ثا وعولت ملطية على أن تستفرد بحماية أسوارها التي يهددها العدو، ولكنهم رتبوا أسطولا عظيما تجتمع سفنه في لادى وهى جزيرة صغيرة قبالة ملطية، فاجتمعت اليه السفن من كل ناحية حتى إن الأبوليين أرسلوا سبعين سفينة فكان المملطيون ومعهم ثمانون سفينة في الجناح الأيمن جهة الشرق، وكان مع البريين اثنتا عشرة سفينة، ومع الميونتين ثلاثة، ومع أهل طية سبع عشرة، ومع الشيوزيين مائة سفينة، ومع الاريتريين ثمان، والفوكيين ثلاث فقط كالميونتين، وكان مع أهل سموس في آخر الجناح الأيسر الى جهة الغرب سبعون سفينة، فكان هذا الأسطول الكبير العدد في طاقته أن يقاوم حلفاء الفرس الذين هم الفينيقيون والقبارصة والصقليون والمصريون، ولكن تسلل الشقاق بين اليونان، وحقد بعضهم على بعض حتى يوم الواقعة فلم يتناصروا كما ينبغي. وكان السموسيون واللبوسيون أول من فز من حومة القتال. ويكاد الشيوزيون أن يكونوا وحدهم هم الذين صلوا سعي الحرب وقاموا بواجبهم ولكنهم كانوا أضعف من ألا يهزموا. وختمت الحرب بهزيمة نامة. وكان دينيس رئيس الفوكيين بطلا مغوارا، وكانت عزيمته بحيث يضمن الظفر لو أطاخوا أمره، فلما انهزم لم يجد مناصا من الحرب على شواطئ فينيقيا، ومن هناك الى صقلية حيث يشن الغارة على القرطاجنيين والطرهينيين. بعد هزيمة لادى حوصرت ملطية برا وبحرا فأحسن الدفاع عن نفسها، ولكنها أخذت عنوة بعد حصار مهلك، فذبحت رجالها وسبيت نساؤها وأطفالها، وسبق بهم أرقاء بأمر دارا الى مصب نهر دجلة، واحتل الفرس المدينة والسهل الذى يحيط بها وأعطوا بقية ما كان يتبعها من الأرض الى بيدازي قاريا. أما آتينا التي تخاذلت عن ملطية وتركها، فانها أليت لمصائبها التي هى نذير بمصائب أدهى وأمر. ولقد صاغ هذه الواقعة المحزنة الشاعر المأساوى فرينشوس في رواية تمهيلية أبكت جميع شهود تمثيلها، لحكم على الشاعر بتفريجه ألف درهم ومنعت الرواية منعاً باتاً. ثم قصيد الفرس جزيرة سموس فلما رآهم أهلها ومعهم أقيس بن سيلوزون طاغيتهم القديم الذى كان نفاه أرسطاغوراس تفرسوا ماسبرل بهم القدر فاستحبوا

الرحيل من أوطانهم على أن يحملوا ظلمه مرة أخرى ، فهاجروا من جزيرتهم الى قَلْقَطَة حيث كان يدعوهم الى عقيلة أهل زنكل . وكان السموسيون هم وحدهم اليونان الذين هاجروا هذه المرة هم والملطيون الذين استطاعوا أن يفرّوا من المذبحة . ودخل أقيس سموس تحت حماية الفرس الذين آمنتوا بمعابد هذه المدينة وخذها من الإحراق اعتدادا بجميل السموسيين الذين تحاذلوا عن اخوانهم يوم لادى .

وقد حاول هسيا أن يقاوم من جديد بعد أن انضم إليه بعض اليونان والأبوليين ، ولكنه قبض عليه قرب أطرنة في ميزيا وسبق الى أرتافون في سرديس فقتله صليبا وأرسل رأسه مصبرة بالملح الى دارا في صوص .

ولما قضى الأسطول الفارسي فصل الشتاء في ملطية فتح جميع الجزر شيوز ولسبوس وتسدوس ... الخ في حين أن الجحش البرى يستكمل فتح جميع المدائن الإغريقية .

ولقد كان لانتصار الفرس نتائج فظيعة ، كما أئذّر الفرس بذلك قبله بست سنين حين بدأت ثورة أرسطاغوراس ، فانهم كانوا يذبحون الرجال ويخصّون أجمل الفتيان ويرسلون أجمل الفتيات الى صوص ، ويحرقون المدائن وما فيها من المعابد ليتقموا لحرق معبد سبيل إلهة سرديس . وفي أثناء ذلك كان أرتافون عامل أخيه دارا يدخل في إصلاح الشقاق بين اليونانيين ، وكان يضرب عليهم الجزية التي بقي مقدارها ثابتا لم يتغير الى زمن هيودوت أى بعد ستين سنة ، ثم أخذ مردنيوس صهر دارا قيادة جيش جرار في البر والبحر وسار به في يونيا يقيم حكومة شعبية متعجها الى أوروبا إيعاقب آئينا وإريتريا على مساعدتهما في عصيان مستعمرات آسيا الصغرى . فاما إريتريا فقد أسلمها بعض الخونة فقهرها داتيس ، وحرقت معابدها وصعد رجالها في الأغلال يساق بهم أرقاء الى صوص . وأما آئينا التي هتدها الخطر بعد إريتريا بأيام فانها اقتضت الحرب وحدها هي والبلاتيون اقتحام الأبطال ، وصدت الفازين في مرطون . وعلى ذكر مرطون أمسك عن القول لأنى لا أقصد رواية عجائب

الشجاعة والوطنية . وما ذا أنا قائل في الوطنية ! آتينا التي سيكون من أمرها أن تثير العالم بذكائها قد خلصته وقتئذ بزميتها التي لا تترعزع ، فإذا كان قدر للفرس أن ينتصروا ما كان عسى أن نصير إليه المدنية الغربية ؟ وما ذا يكون مصير أوروبا ؟ الله وحده يعلم ذلك ولكن آتينا تستحق اعترافا أبديا بجهلها . وقد صيرت مرطون بلوغ الطرموفيل وأرتيميزيوم وسلامين وبلاطه وميكال تجاه سموس من المحطات . وكان أول شرط لقهر المتوحشين هو عدم الخوف منهم ، ذلك هو السنة الحسنة التي استلقتها يونيا والتي أخذت بها آتينا في هذا الطرف أمام خطر مزيج . لقد اقتدتنا مدينة ميغرا ( آتينا ) من الاستعباد الأسوي منذ اثنين وعشرين قرنا . نحن الذين نعرف اليوم آسيا بعلاقة أننا نمدها نستطيع أن نرى أكثر من اغريق ملتياد وطمستوكل من أية هاوية انتشلونا . ونستطيع أن نحلف كما فعل ديمستين بأسماء الأبطال شهداء مرطون .

في كتاب هيرودوت ينبغي أن تقرأ هذه الحكاية الخطيرة على بساطة في سردها كتبها بعد الواقعة بأقل من ثلاثين سنة ، وإنه ليخاطب في أولييارجالا أخذوا بحظ من ذلك الانتصار ومن الحوادث التي كان يمكن أن يكون هولها شاهد عيان . فلا أريد أن أكرر ما حدث به ذلك المؤرخ الشريف من سيرة المجد ، ولكن لي بعض كلمات على يونيا لا تمشى بالحوادث إلى العهد الذي كان فيه ميليسوس آخر من علم من فلاسفتنا في سموس مذاهب مدرسة إيلي .

لما قهر اليونان اضطربوا إلى أن يخدموا سادتهم ويتبعوهم في حروبهم ضد إغريقا ، ففى سلامين كان من سموس اثنان من قواد الأسطول الفارسي : طيومستور بن اندروداماس وفيلاقس بن هستيا ، وقد ألبا بلاء حسنا ضد سفن لقدمونيا حين كان الفينيقيون يحاربون سفن آتينا ، ولكنه مهما كان لإغريق آسيا الصغرى من العمل في تأليف جزء عظيم من أسطول دارا وإكرار كسيس ، فانهم لم يكونوا إلا ليربصوا الفرصة المناسبة للمصيان . بعد هزيمة سلامين جاء أسطول الفرس



يقضى الشتاء في كومة وفي سموس بعد أن وصلت الملك المغلوب ومعيته . فلما جاءت السنة التالية حضر الأسطول الإغريق تحت قيادة ليوتيخيدس ملك أسبرطة يبحث عن أسطول الفرس في مياه آسيا الصغرى أظهرت له جميع مدائن الشاطئ والبحزر استعدادها لمظاهرتة والعصيان على الفرس ، وعلى الأخص جزيرة سموس ، فانها كانت تلهب شوقا إلى خلع طيومستور الذي رماهم به المتوحشون طاغية عليهم . فأرسلت لهذا الغرض رسلا إلى ليوتيخيدس سواء في أسبرطة أو ديلوس ، ليؤكدوا له استعدادها . وربما كانت هذه المخبرات هي التي قوت رئيس الإغريق على الحضور لمهاجمة الفرس في موضعهم ، ويمكن المتوحشين منذ الدرس القاسي الذي تلقوه في سلامين لم يكونوا ليخرجوا على اقتحام حرب بحرية . وقد أذنوا للأسطول الفينيقي أن ينسحب ، ولم يكذب معهم إلا يونان وإغريق من الشاطئ ، فغيروا مراكزهم من سموس إلى ميكال حيث جزوا سفنهم إلى البر وأساطرها بسور يصح أن يكون خط دفاع ، وإلى جانبها جيش مؤلف من مئتين ألف مقاتل تحت قيادة تيجران الذي عهد إليه إكرار كسيس في المحافظة على يونيا . وكان الفرس يظنون أنهم من موضعهم هذا في حصن حصين . ولزيادة الحيلة قد زعوا السلاح من أهل سموس الذين كانوا يهتمونهم بأن لهم ضلعا مع ليوتيخيدس والذين كان منهم أن افتدوا بما لهم أسرى آتينا وردوهم إلى وطنهم ، وفوق ذلك فقد كلف الفرس الملطيين بحماية الطرق المؤدية إلى قم ميكال ، وعلى ذلك لم يكن لديهم أدنى ريب في أن يضربوا من حصنهم كل هجمة عليهم من العدو ، ولكنهم مع ذلك قد أهلكهم الآتيديون والقورنتيون بفضل شجاعتهم وبانتفاض أهل سموس وأهل ملطية ، فدمر جيشهم تدميرا ، وقتل قائده تيجران وحرق أسطولهم ورجع الإغريق ظافرين من هذه الموقعة مثقلين بالغنائم .

كانت يونيا قد تخلصت من حكم الأجنبي بعد واقعة ميكال ، ولكن هل تستطيع أن تقوم قائمتها بنفسها وتدفع عنها حلق المتوحشين متى تركت إلى قواها وحدها ؟ . كان من المشكوك فيه أن لها طاقة على المقاومة ، فاجتمع القواد في سموس وتداولوا فيما إذا كان الواجب على اليونان أن يهجروا نهائيا سواحل آسيا الصغرى



ويلتجئوا الى قسم من إغريقا يعين لهم ، فعارض الآتيون جد المعارضة في هذا القرار مع أنه كان من الميسور تعويض اليونانيين على حساب الخونة الذين كانوا قد تخاذلوا عن الدفاع في القضية العامة عند الغارة الميدية . وأما البلوبونيزيون فانهم انضموا الى هذا الرأي من غير مشقة ، ووقف الأمر عند عقد معاهدة محالفة مع السموسيين والشبوزيين واللسبوسيين وجميع الذين شاطروا في الظفر . وقد كان الجيش الفارسي قد التجأ الى سرديس حيث كان أكراركسيس باقيا منذ رجوعه المنجل ثم تركها تآ الى صوص ليستر عاره ويكظم غيظه . ولما أصبح الأسطول الإغريق سيدا على بحر إيجه كله لايهاب فيه عدوا رجع الى جهة بلوبونيز سائرا على امتداد كل الشواطئ حاملا من أبيدوس بعض بقايا قنطرة أكراركسيس المشهورة لجعلها في المعابد تذكارا لذلك الانتصار .

لما أمنت يونيا شرغارات الفرس أخذت تعمّر ما تحزب ووضعت نفسها تحت حماية آتينا التي تربطها بها تذكارات الماضي ومنافع الحال وضعا تاما بقدر الإمكان ، وبهذه المثابة تحزبت يونيام آتينا ضد أسبرطة التي كان ملكها ليوتيجيدس وبوزانياس موضعا للنظن فيما يتعلق بعلاقتها مع المتوحشين . لقد كانت آتينا قوية جدا في البحر بحيث تستطيع أن تقدم ليونيا مساعدة عاجلة مفيدة في حين أن أسبرطة لا تستطيع أن تقدم هذه المساعدة ولو أرادت . من أجل ذلك أخذ اليونان يحفظ عظيم في اتحاد ديلوس وشاطروا بمقدار وافر في النفقات العامة التي أنفقها الحلفاء للتحصن من هجوم المتوحشين مرة أخرى ، وكان ذلك على أثر حوادث ثلاثة ومبكال أى في نشوة الاستقلال المسترقة وبمجموعة الثقة المتبادلة ( نحو سنة ٤٧٧ قبل الميلاد ) .

ولكن آتينا كان من شأنها أن جاوزت في استعمال السلطان الذي أوتيته عفوا بفزت على نفسها الغيرة والأحقاد التي سببت بعد ذلك حرب بلوبونيز في وقت كان عدوهم المشترك لا يزال فيه بقية . وأخذ سلطان آتينا ، كما نبه إليه أرسطو ،

يثقل على نفوس حلفائها الذين هم مساوون لها لا رعاياها ، وبخاصة أهل نكسوس وطاشوز الذين عوملوا معاملة قاسية ظالمة (٤٦٧ - ٤٦٥) ولم يكونوا ليستسلموا الى غطرسة الآتينيين في أوامرهم . غير أن الأسطول الآتينى وهو مؤلف من مائتى شراع كان يخر دائما على شواطئ آسيا عجز الجانب مهيباً من الأسطول الفيليقى الفارصى الذى هرب أمامه حتى بلغ مياه النيل . كانت تلك خدمة حيوية ليونيا . من أجل ذلك كانت يونيا من جانبها تتسامح في كثير من الامتهان الذى كانت تمنحه عليها حليفها القوية في مقابل هذه الحماية المستمرة التى تنالها . والظاهر أن اعترافها بحيلها كان الى الغاية القصوى حين رأت أن استقلالها مضمون بمعاهدة استكرهت آتينا على عقدها الملك الكبير بعد عدة انتصارات داوت الهزيمة التى وقعت في مصر (٤٥٥ قبل الميلاد) . وهذه المعاهدة التى يرجع الفضل في نصوصها الى دهاء سيمون وأعماله في قبرص ، كانت تنص على أن فارس تترك شواطئ آسيا الصغرى التى يقطنها الإغريق حرة تمام الحرية فلا تضع عليهم جزية ولا تدنو بجنودها الى خط على مسافة معلومة من الشاطئ ، وفى مقابل ذلك يتعهد الآتينيون وحلفاؤهم ألا يغزوا بعد الآن قبرص ولا صقلية ولا فينيقية ولا مصر . وقد أرسل الإغريق سفراء الى صوص حيث صدق على المعاهدة وكان قلياس هو الممثل لآتينا (نحو ٤٤٩ قبل الميلاد) <sup>(١)</sup> .

صارت جمهورية آتينا وقتئذ في أوج قوتها ، فانها كانت على رأس اتحاد بحرى تكاد لتصرف فيه على هواها ، مؤيدة بطائفة من الأحلاف في القارة ، سيدة على مستعمرات عديدة على جميع سواحل بحر إيجه وعلى الهلسيون وبحار الإغريق ، يضطلع بأعبائها رجل مثل بيريكليس . فهى لذلك كانت تتطلع الى بسط سلطانها المطلق على جميع الجنس الإغريق . وهذا الطمع هو الذى أعماها وذهب بها . من بين حلفائها كانت مموس وهى أشدهم بطشا وكانت تحتفظ هذه الجزيرة الكبيرة لتقاء آتينا بنوع من المساواة في المعاملة قد لا يأنلف وما تضمه الجمهورية من مشروعات بسط سلطانها ،

(١) ألخ ج برت إلخا شديدا في بيان الأهمية الكبرى لهذه المعاهدة . ( تاريخ الإغريق ج ٥ ص ٤٥١ وما بعدها ) .

حدث شجار قليل الخطورة بين سموس وبين ملطية بشأن أرض برين الصغيرة  
جزء إلى المداخل الآتية فان الجمهورية قد دعت الفريقين إلى التقاضي أمامها .  
وكانت سموس تخشى تحيز بيريكليس للمطية التي هي وطن أسبانيا فرفضت قبول هذا  
التحكيم المريب فأرسلت آتينا لفورها أربعين سفينة لإرغام سموس على الطاعة ،  
فقلبت حكومتهم من الأوليغارشية إلى الديموقراطية ، وأخذ خمسون من أعيان  
الأهالي وعدد مثله من أبناء العائلة الرفيعة رهائن وضعوا في جزيرة لمنوس . وبقيت  
حامية في سموس لتحقيق نظام الحكومة الجديدة (نحو ٤٣٩ قبل الميلاد) .

كان هذا التصرف من جانب آتينا فظيما فقبل بمثله لأن منفي سموس  
ذهبوا إلى يسوتيس مرزبان سرديس يستجدونه فأمدتهم ببعض مقاتلين فقصدوا  
سموس وعدتهم سبعمائة رجل ، وأنقضوا على حرس الجزيرة الآتيني بيانا وأسلموهم  
إلى يسوتيس . وفي الوقت عينه كره رابحة مثل الأولى على جزيرة لمنوس ردت اليهم  
رهائنهم ، وفوق ذلك تحالفوا مع بيزنطة التي تكاد تكون مثلهم في التبرم بحكومة آتينا ،  
وكان ذلك مفيدا لهم . كل هذا إنما هو خطر جدى يهدد الجمهورية ، فلو احتملت  
عصيان سموس لذهب ذلك برأسها وبسلطانها الذي كانت تؤيده هدنة الثلاثين عاما  
التي عقدت قبل ذلك ببعض سنين مع اسبرطة عدوها الوحيد المريب ، لذلك عقدت  
آتينا العزيمة على التنكيل بسموس تنكيلا يمنع سواها من أن يفعل بهم بتقليدها .  
ستون سفينة أرسلت سريعا إلى الناشرين انفصل منها ست عشرة إما لمراقبة الأسطول  
الفينيقي على شواطئ آسيا ، لأن يسوتيس لا يقوته أن يضعه تحت تصرف الناشرين ،  
وإما ليأتي بالمسدد من جزيرتي شيوز واسبوس اللتين بقيتا تحت الطاعة ، ولكن  
من الجائر عليهما أن تقلبا ظهر الحن . وبقي الأربع والأربعون سفينة أمام سموس  
تحت قيادة بيريكليس أحد القواد العشرة السنويين الذين من بينهم سوفكل الشاعر  
الذي نشر "أنتيجون" السنة الماضية . ومع أن السموسيين كانوا يتوقعون هذا  
الهجوم ، فانهم كانوا ذهبوا لمحاصرة ملطية ، وكانوا عائدين إذ ألتقوا مع بيريكليس



بالقرب من جزيرة تراچيا ، ومع أنه كان لديهم سبعون سفينة من بينها عشرون تحمل رجال حرب فان يريكليس لم يتأخر عن منازلهم وأنتصر عليهم ، وعوضت خسارة سفنه بالمدد الذي جاءه وقدره أربعون سفينة جاءت من آثينا ونحس وعشرون من لسبوس وشيوز اللتين قدّمتهما باخلاص .

وقد تلت الواقعة البحرية واقعة برية ، إذ نزل الآثينيون الى الأرض ، وأنتصروا على الثائرين وأسرعوا في إقامة أسوار عالية تحصر المدينة من ثلاث جهات في حين أنها مضيق عليها من جهة البحر أيضا تضيق . وفي هذا المركز الحرج تنقّل السموسيين أن يرسلوا خمس سفن تحت إمرة استيزاغوراس يستعجل الأسطول الفيني الذي كانوا أخوج ما يكونون إليه . ولبتدرك يريكليس خطر تجمع هذا الأسطول أسرع بستين سفينة مما معه أمام سموس متجها الى قونوس في قاريا حيث كانت هي موطن الاجتماع كما كان يقال . فلما بعد يريكليس خرج السموسيون مستعجلين ، ولم يكن خط دفاع الآثينيين قد تم بعد فانهزموا وخربت بعض سفنهم ودارت عليهم الدائرة في البر والبحر ، ولكن نجاح السموسيين لم يكن ليلبث مدة فان يريكليس لما رجع بعد غيبة أربعة عشر يوما غير مجرى الحال ، ولكن في تلك المدة كانت المدينة قد استطاعت أن تدخر الزاد وفيرا وأستعدت لمقاومة حصار جديد ، عاد الحصار كما كان وقوى الحصار البحري بستين سفينة جاءت من آثينا وثلاثين من لسبوس وشيوز فكادت تكون مدة مجموع السفن مائتي شراع تحيط بسموس .

في هذه الحادثة نال ميليسوس القدرح المعلن في الوطنية وسعد الطالع ، إذ كان على رأس الأسطول والبحري فانهز غيبة يريكليس وحرك حمية مواطنيه بغاية الاقدام وكسب الظفر الذي تكلمنا عنه آنفا . ويظهر على قول بلوتارخس في ترجمة يريكليس مستندا الى أرسطو : أن ميليسوس هزم يريكليس نفسه في واقعة بحرية أولى ، غير أن طوكوديدس الذي شهد هذه الوقائع لم يقل شيئا من ذلك فتكون هذه الرواية محالا للشك ، ومع ذلك فان النجاح الأول لميليسوس لم يكن من شأنه أن يخلص



وطنه، فإن بيريكليس لما جاء نبأ هزيمة جيشه عجل الى سموس فخرج ميليسوس للقاءه، ولكنه انهزم في حرب برية، ويمكن أن يكون هزم أرضاً في واقعة بحرية. وقد استمر الحصار على أضيق مما كان. وبقيت سموس وفيها ميليسوس تقاوم تسعة أشهر، لأن بيريكليس كان أحب اليه أن يأخذها بالآناة حتى مع إنفاق المال والزمان من أن يسفك الدماء الآثية.

فلما جاء السمسيون على آخر زادهم سلموا ودك بيريكليس أسوارهم وأخذ سفنهم واضطروهم الى دفع نفقات الحرب التي قدرت كما قيل بألف طالنطن، أي خمسة ملايين من الفرنكات في زمننا، فدفعت سموس على الفور جزءاً من هذا المبلغ الطائل وقتئذ، وتمهدت بدفع الباقي مؤمناً عليه برهائن قدموها. ويقال إن بيريكليس أبدى في هذا الطرف ما تشعزله الأبدان من الفظاعة في معاملة بعض الأبرى الذين ماتوا تحت العصا بعد تعذيب عشرة أيام، ولكن الذي روى هذه الفظائع مؤرخ متأخر من سموس وهو دوريس في عهد بطليموس فيلادلفوس. ولا شك في أن روايته تشق عن الحقد الوطني، فإن بلوتارخس زيف هذه الرواية التي لم يجد لها أصلاً في طوكوديدس ولا في أرسطو ولا في ليفورس وهم الذين استرشد بمؤلفاتهم في ترجمة بيريكليس.

يظهر أن آتينا كانت تعلق أكبر أهمية بقمع ثورة سموس، لأن مثلها من شأنه أن يُحتذى. فإذا قلد سموس غيرها تداعت مشاريع الجمهورية الآثية رأساً على عقب. من أجل ذلك قوبل هذا الظافر في آتينا عند عودته إليها بأجل مظاهر التحمس، وأقيمت حفلات المآتم الفاخرة لشهداء هذه التجريدة ووكلت الحكمة المقدسة أمر تأبينهم الى بيريكليس. ليس لدينا نص هذا التأين، ولكننا يمكن أن نأخذ عنه فكرة من التأين الذي نقله لنا طوكوديدس من حيث المعاني على الأقل، ذلك التأين الذي أقيم لشهداء حرب اليلويونيز، فإن بين الحريين علاقة مشابهة لأن كليهما فتنة داخلية تمزق وحدة الإغريق. وقد قوبل مدح شهداء حرب سموس

بناية الحفاوة ، فان يريكليس لما نزل عن منصة الخطابة قامت اليه النساء جميعهن متأثرات بالاعتراف بفضل بهاتقنه ويتوجنه بالأزهار والعصائب ، كما كان يصنع بالمصارع المنتصر في حفلة الألعاب العمومية ؛ إلا امرأة واحدة لم تشرك الجماعة في ذلك الإحجاب المجمع عليه ، تلك هي إيلينس أخت سيمون الذي كان زمنا طويلا منافس يريكليس وأقبلت عليه تقول له : "حق إنها أعمال مجد حقيقة بهذه الأكاليل ! ولقد أضعنا رجالنا لا في حرب الفينيقيين أو الميديين ، كما فعل أنى سيمون ، ولكن في تخريب مدينة محالفة تدلى بأصلها إلينا وجعل عاليها سافلها" .

لم يكن هذا الانتقاد إلا مصداق الحقيقة ، ولكن الظافرين قد كانوا سكارى بحفرة الظفر . ولم يكن حظ سموس إلا نذيرا بما فيه القدر لكثير من المدائن الإغريقية الأخرى في الحرب الكبرى التي كان يتوقعها يريكليس . والظاهر أنه هو أيضا كان متأثرا بنجاحه الى حد لا ياتلف مع اعتدال أخلاقه المعروف . فإذا صدقنا فيه الشاعر يون الشيوزي لحسبنا يريكليس يفخر بأنه فاق أظامنون الشهير الذي قضى عشر سنين في فتح مدينة أجنبية ، مع أنه لم يقض إلا تسعة أشهر للاستيلاء على أكثر المدائن اليونانية مالا وأعزها نفرا ، ولكن كلبه يريكليس هذه إنما تقلها صديق لسيمون خصمه فهي بذلك بعيدة الاحتمال ، لأن كلمة كهذه تخرج من فم رجل سياسة لا تعد إلا غشما ، إنما نخر شخصى سبي الذوق ومعاجرة في غير موضعها موجهة للطفاء ، ولكن مهما كان انتقاص هذا الشاعر له حقا أو باطلا ، فانه كاف في الدلالة على ما طقته آتينا من الأهمية على هذه الحرب قصيرة العمر غزيرة الدماء . وعلى رأى طوكوديدس الذى هو مؤرخ شاهد عيان أن السموسيين لو كانوا انتصروا في هذه الحرب لأخذوا من آتينا سيادة البحر ، فكانت هذه الحرب على ما هي عمل للأسف حرب موت وحياة بالنسبة للجمهوريتين . فلما خضعت سموس رغم مقاومة ميليسوس العنيفة لم يبقى لآتينا شئ تقشاه الا شر نفسها ، وذلك نوع من الخطر تلهو عن الشورى به المدائن كما تلهو عنه كبرياء الأفراد .



لا أريد أن أجاوز بهذه الاعتبارات التاريخية الى أبعد من ذلك بل يظهر لي أنها على إيجازها كافية لأن تكشف بوضوح عن حالة الوسط الحقيقي الذي نشأت فيه الفلسفة والذي عاش فيه الأعيان الذين نشئت بامرهم وعملوا أعمالهم . وإني ملخص أبرز رسوم هذه اللوحة التي رسمتها لانعاش حياة تلك الأزمان أو بعض أجزائها على الأقل .

أجل ظهرت الفلسفة لأول مرة في آسيا الصغرى قبل الميلاد بستة أو سبعة قرون ، أنها المستعمرات الاغريقية التي خرجت من يونيا بيلوبونيز ، وهي التي أشعلت هذا المصباح في أقطار نصف متوحشة ونقلته الى آتيننا حيث كان الاستعداد للانتفاع به تاما ، فان أنكساغوراس الكلازوميني عاش مع سقراط ، وسقراط هو أب أفلاطون ، ويمكن أن يقال إنه أب لأرسطو أيضا ، ولكن قبل أرسطو وقبل أفلاطون وقبل سقراط كانت بذور الفلسفة مبدورة على أرض أخرى ، وكان من اللازم أن تنقل الى أطيقا حيث تؤتي ثمراتها . نعم إن الفلسفة كانت مسبوقة هناك كما هو شأنها في كل ناحية بالشعر ، فان هوميروس أنشد من قبل أن يفكر فيثاغورث بأربمائية أو نجمائية عام ، ولكن العلم بجميع صورته : الفلك والرياضيات والطبيعة والتاريخ والطب ، كل ذلك تبع الفلسفة وناصرها ، لأن الفلسفة هي التي نفخت روح الحياة في كل هذه الفروع وأكسبت بها قوى جديدة .

في وسط المنازعات المدنية والحروب الأجنبية والتجارة والصناعة والملاحة الى الجبهات السحيقة والوقائع والأخطار المتنوعة ، في وسط حروب الأبطال التي كان يذكي ناراها فئة قليلة من الرجال الأذكياء الأحرار على دولة نخمة ، في وسط كل ذلك يجب أن يوضع مهد الفلسفة الخاشع المجيد . لم يكن هاجر فيثاغورث ولا كسينوفان الى شواطئ إيطاليا وإلى إغريقيا الكبرى إلا سخطا على الطغيان أو الاضطهاد . وما لقحت إيطاليا إلا بهذين الأستاذين اللذين جاءاها من الشاطئ الآخر للبحر ، ولكنها لم تثمر لأن النبات الغريب لم يجد فيها الأغذية الضرورية

لنضججه . فكان أن ترجع الفلسفة الى منزلها الأول الذى منه درج أوائل المهاجرين  
لتكسب فيه صورتها الحقيقية وتكتسب ثوب جمالها وتستوفى قسطها من  
العظمة وحققها من الاستقلال الذى كلفها به استشهاد أهلها . غير أن هذه  
الفلسفة ذاتها مهما دعا الظاهر الى أنها ابتدعت فى إغريقيا أفلا يكون من  
المحتمل أن تكون اقتبست الشرارة من قبس الاختلاط مع جيران إغريقيا ؟  
فإن طاليس قد عاش مع الليديين ، وأصل أجداده من فينيقيا . وفيثاغورث الذى  
يمكن أن يكون هو أيضا من أصل فينيقى زار حقيقة سوريا ومصر وكلمة ماذا تعلم  
هناك ؟ وماذا جلب منها ؟ أو بمبارة أخرى بماذا تدعى الفلسفة الإغريقية جدة  
فلسفتنا وأم غربتنا للعالم الشرق ؟ هل من عليم يحمل هاتين المسئلتين ؟ هل العقل  
اليونانى بل العقل الغربى افترض شيئا ما من العقل الشرق العتيق ؟ هذه أيضا  
مسئلة مظلمة على ما لدينا من النور الحديث ، وسأحاول الجواب عليها بعد ، غير أنى  
بادئ ذى بدء أبنى تكملة لما سبق أن أثير مسئلة أقل بسطا ولو أن لها أهميتها  
وفائدتها فإنها مع قلة تسديدها جوهرية .

نحن نعرف فلا سفتنا ونعرف بعض الحوادث الرئيسة فى حياتهم . نعرف بعض  
مؤلفاتهم إن لم تكن لدينا كلها . وإذا كان هوميروس هو وحده الذى وصل إلينا  
كاملا تقريبا بفضل أفلاطون ففسد كان يمكن أن يصل إلينا الآخرون إذا لم تكن  
المصادفة أعمت تأليفهم التى هى مستودعات أفكارهم . إذا فقد كتب الأقدمون !  
ومن ذا الذى يجعل ذلك موضعا للشك ! هذه النظرية التى أقربها هنا ليست قاصرة  
على ما يتعلق بطاليس وفيثاغورث وإكسينوفان ومعاصريهم ولكنها تنسحب أيضا  
على من قبلهم وعلى من بعدهم الى مسافات طويلة ، كيف خرجت من أيدي  
مؤلفيها تلك المؤلفات التى هى الآن تحت أيدينا كاملة أو آثارا ناقصة ومخرومة .  
وعلى أى مادة كتبت باديئ الأمر وماذا كانت وسائل الكتابة فى عهد إكسينوفان  
بل فى عهد ليكورغوس أو هوميروس ؟ ولأجل أن يكون بحثنا فى حدود وضعية ضيقة



تسأل كيف كانوا يكتبون في المستعمرات الإغريقية بآسيا الصغرى في حاجات تجارتهم النشطة ومقتضيات سياستهم المعقدة الحازمة وشعرهم الحاد وعلمهم العجيب وبالجملة في سائر حاجات عيشة اجتماعية راقية مليئة بالأعمال .

أظن أننا الآن بحيث نجيب على هذه المسئلة بطريقة قاطعة واضحة تمام الوضوح . ولكن قبل أن نقول كلمتنا في هذا اللغز نرى من الحسن تقديم حوادث مسلم بها لنبين أن استعمال الكتابة قبل الميلاد المسيحى بسبعة قرون في آسيا الصغرى بل في فارس نصف المتوحشة كان من الانتشار والسهولة على ما هو عليه عندنا الآن . كانت موادها أشياء أخرى ولكنها تكاد تساوى المواد التى نستعملها اليوم إلا أعجوبة المطبعة . لم يكن للناس في تلك الأزمان البعيدة ورق كالأوراق التى عندنا ، ولكنهم كان لديهم ما يساويه وما يؤدى لهم المطلوب من الورق .

أنتح بالمصادفة هيرودوت وطروكوديدس وإكسيتوفان وأفلاطون وأرسطو وأخذ الأشياء كما رووها بل كما رأوها وكما استعملوها .

أضمر هيريفوس وهو في معية أصطياغ ملك الميديين أن ينتقم من سيده القاسى انتقاما وينصف لنفسه ، وأراد أن يتفق مع قيروش الذى على حداثة سنه كان له بين الفرس من النفوذ ما سيخرج منه مملكة فسيحة الأرجاء . لما لم يسع هيريفوس أن يتصل مباشرة بالأمير الشاب الذى يحمل هو أيضا ما يدعو للانتقام ، أرسل خادما أميناً يحمل إليه بعض الصيد ، وجعل في بطن الأرنب كتاباً أخفاه فيه يحرض به قيروش على الثورة ، ويؤكد له مساعدته إياه . ما ذا فعل قيروش ؟ لما فتح بطن الأرنب بيده ، كما أوصى المهدي خادمه به ، وقرأ الكتاب بمغل ، وضع كتاباً مزوراً يفيد أن أصطياغ قد عينه رئيساً على الفرس التابعين وقتئذ للميديين . وقرأ ذلك الكتاب المزور على أعضاء طائفة الأشمينيين فصداقوه ، وبهذه المثابة قادهم قيروش على غير علم منهم وحارب بهم أصطياغ وخلصه . ولم يكن هيريفوس وقيروش مع ذلك

إلا متوحشين ، ولكن ها نحن أولاء بصدد أناس متعلمين في آسيا الصغرى وفي مصر .

وهذا بوليقراطس طاغية سموس وهو على سرير ملكه متمتعاً بالرفاهية إلى غايتها والناس الذين يعجبون به أو يخافون بطشه يكبرون منه حذقه وسعاده . وكان له بآمازيس الحكيم ملك مصر رابطة اتفاق بل صلة صداقة تخاف آمازيس على صاحبه ذلك الموفق المهيب مما اجتمع له من التوفيق المستمر أن يتغير له الدهر ، وهو يعلم أنه لا ثبات للحظوظ الانسانية فنصح له أن يحذر الغير في قلب القدر ، كتب له بذلك خطاب عطف ونبوة أوصاه فيه أن يضرب على نفسه قربانا يتق به سخط الحظ الخادع الخائن إن استطاع . فاجابه بوليقراطس الذي يخشى على نفسه ما يخشاه صاحبه بخطاب أرسله إليه في مصر ، ذكر له فيه الوسيلة التي اتخذها ليصيب نفسه بمحض اختياره بمصيبة موجهة ، والمصادفة الخارقة للعادة هي التي صيرت قربانه عبثا . فكان آمازيس وبوليقراطس يتبادلان الرسائل بين سموس ومنفيس على نحو السهولة التي يتخاطب بها التجار في وقتنا الحاضر بين أزمير والاسكندرية<sup>(١)</sup> . لست أدعي أن الخطاب الذي نسبه هيرودوت إلى آمازيس صورة رسمية من خطابه الأصلي لا يتعارض إليها الشك ولكنه لا محل لأدنى شك في أن الملكين كانا يتبادلان الرسائل الكتابية .

كذلك كان بوليقراطس نفسه قد جمع مكتبة كثيرة الكتب كما ذكرنا آنفاً ، وقد كانت في العالم الإغريقي إحدى الباكورات التي استمتع بها بوليقراطس وأنفق في جمعها مالا طائلا . ويقولون نحو ذلك بالنسبة إلى بيزسراطس المتقدم بالزمان على بوليقراطس . يقولون إنه أنشأ مكتبة في آتيناً وجعلها مكتبة عمومية ليحاطف من حال الشعب بهذه المزية وبغيرها ، ولكن ناقل هذا الخبر البنا هم من المتأخرين ، لأن أحدهما أطيني والآخر أولوجل ، غير أني لا أجد أسباباً تجعل على الشك

(١) هيرودت ك ٣ ب ٤٠ وما بعده .

في روايتهما . فاما بوليقراطس فان مصر كانت له قدوة ما كان أسهل عليه تقليدها كما سنبينه بعد ، وكان في استطاعته أن يجمع آثار المؤلفين الذين يعجبون سكان الشواطئ الذين يطربون للشعر ويتذوقون طعموم العلم منذ عهد هوميروس . وأما بيزيسترراطس فن المؤكد أنه اذا لم يكن فتح مكتبة للجمهور فهو على الأقل قد اقتنى الكتب واشتغل بنفسه فيها لغرض سياسي محض ، وروى بلوتارخس في كتابه "حياة طيسبي" أن بيزيسترراطس سأل من "هيريود" بيت شعر كان يمكن أن يجرح صائف الآتينيين ، وأنه زاد على قصيدة هوميروس بيتا من شأنه أن يسرهم ، فذلك الحذف وهذه الاضافة كيف يمكن إثباتهما إلا أن يكون لديه نسخ من تلك القصائد يمكن فيها التغير والتبديل .

نرجع الى استعمال الرسائل في العهد الذي نحن بصددده .

ان أوريطيس مرزبان سرديس الذي عامل بوليقراطس بتلك القسوة الفظيعة استوجب بسلوكه الوحشي سخط كل من حوله ، فان أحد زملائه غاب عليه أحبولته التي نصبها لطاغية سموس ، فقتله هو وابنه . وكان دارا الذي ارتقى عرش الملك حديثا ساخطا على أوريطيس الذي فوق ما قارف من الآثام تلكا في حرب المجوس والفرس بعد موت قبيز ، وكان ذلك أكثر مما يلزم للملك الجديد من الأسباب التي تجعله على التخلص من مرزبان قوى يسوس فريجة وليديا ويونيا جميعا ويقود جيشا عرمرما . ولأن يقبض عليه جهرا بالقوة فيه ما فيه من عدم التبصر خصوصا في ابتداء حكم جديد . ومع ذلك فان أوريطيس دس على سفراء دارا الذين جاءوا يدعونه الى مقابلة الملك من قتلهم سرا ، فصار بجلة ما فعل مستحقا للعقوبة ، ولكن كان يلزم مداراته بعض الشيء وتجنب ثورة أصبح حدوثها قريب الوقوع ، فدعا دارا أكابر الفرس وطلب اليهم أن يخلصوه من ذلك العاصي إما بقتله وإما بالقبض عليه وإحضاره ، وفي كلتا الحالتين لا ينبغي اتباع غير طريق الحيلة ، فتقدم اليه منهم ثلاثون دفعة واحدة كلهم يعرض قيامه بهذا العمل وحده ، فلم يشأ دارا أن يختار من هذه العروض الصادرة عن الاخلاص واقتنع بين أصحابه فصادت القرعة باجى بن أرطوطيس .

ما ذا فعل باجى ؟ كتب كثيرا من الأوامر تتعلق بمسائل شتى ، وختم كل واحد منها بختم دارا ، فلما وصل الى سرديس سلم هذه الأوامر الى سكرتير الملك بحضرة أوريطيس ، لأن كل مرزبان كان لديه ممثل للملك ، ففَضَّ السكرتير النظام عن تلك الأوامر وقرأها على الضباط العظام الذين كانوا حول أوريطيس . وكانت تلك الأوامر موجهة اليهم بنوع أخص ، فتلقوا جميعا أوامر الملك بغاية الطاعة والاحترام . فسر باجى بهذه المحنة الأولى ورأى أن في استطاعته الاعتماد على طاعتهم ، فأفضى اليهم سرا بعض الأوامر التى يأمرهم فيها دارا بالانفضاخ عن أوريطيس والانقطاع عن خدمته ، فأطاعه الضباط أيضا وألقوا رماحهم دلالة على أنهم تركوا المرزبان ، فلما تحقق باجى من تأثيره فيهم جعل سكرتير الملك يقرأ عليهم أمره لياهم بقتل المرزبان ، فهجموا عليه فخر صريعا تحت طعنات سيوفهم ، وبذلك أخذ منه القود ليوليقرطس ، ونال دارا بغيته من الانتقام<sup>(١)</sup> .

على ذلك كان الفرس أنفسهم فى زمن دارا يستعملون الكتب بالسهولة التى يستعملها بها الإغريق الذين هم أرق منهم تعلما وأكثر مدنية ، فان الملك الكبير كان يرسل أوامره الى جميع أجزاء مملكته الفسيحة الأرجاء . وكانت هذه الأوامر مكتوبة بالأوضاع وباللغات التى ربما لا تزال تستعملها الى الآن تلك البلاد القليلة المدنية

لما اتهم الإغريق بوزانياس بأن له ضلعا مع الفرس وكرهوه عزم فعلا على خيانة قضيتهم الشريفة التى طالما خدوها فى بلاتة ، فراسل اكراركسيس بكتاب يعرض عليه فيه أن يخضع له أسبرطة وبقية بلاد الإغريق ، فقبل ملك الفرس عرض ذلك الخائن ، وكتب إليه بخط يده كتابا أرسله إليه مع أرطبان مرزبان دسكيلينس . فلما أحسن أهل إيفورس خيانة ملكهم ، كتبوا اليه يندرونه بأن يغادر طروادة ويعود الى أسبرطة حيث يستطيعون مراقبة سلوكه . فلم يجرؤ بوزانياس على



مخالفتهم ، وعاد الى مقر ملكه ، ولكنه لم يكف مع ذلك عن مراسلته الجناثية ، ولكن الرجل الذي سلم اليه آخر الرسائل خاف على نفسه لأنه لم يعد ولا واحد من الرسل الذين حملوا أمثال هذا الكتاب الى دارا ، ففحص غلاف الكتب بعد أن قلده الختم الموضوع عليها ليقتلها كما كانت ؛ فتحها ليرى ما اذا كان لخوفه محل ، واذا به يقرأ توصية على قتله ، فحمل الكتب الى أهل إيفورس وبلغهم أمر الملك الذي كان يسلم إغريقا للتوحشين .

إن تاريخ طيمستوكل أشبه ما يكون بتاريخ يوزانياس وإن كان أقل منه جناية ، لأن الآتينيين كانوا عرضوه على الجيانة بأن عاقبوه بالنفى ظلماً فكاتب أرطقزاركسيس . ولما هرب من أرغوص الى قرقيرو ومنها الى الملك أدميت ملك الملوص ، ومن عنده الى اسكندر ملك مقدونيا جاء آخر الأمر الى إيفيزوس حيث كتب الى الملك الكبير يطلب اليه ملجأ أباه عليه الإغريق . وقد روى طوكوديدس صورة ذلك الكتاب ولا محل للتظن في صحته .

من غير النافع أن نعدد الأمثلة لأنها مستفيضة في جميع المؤرخين الذين لم اذكهم وليس من الضروري أن نذهب بالتثليل بعيداً ، فقد وضع أنت الناس في إغريقيا وفي آسيا الصغرى كانوا يستعملون الكتب في الأعمال العمومية والخصوصية على نحو ما نستعملها نحن تقريبا ، وبوسائل أشبه ما تكون بوسائلنا من حيث المادة التي كان يسهل الحصول عليها من غير عناء ، وأنهم يختمون الأوراق على نحو ما نختم أوراقنا بالطوايع الرسمية ، وبالأختام التي يمكن تقليدها من غير أن تكسر ... الخ .

وماذا كانت تلك المواد ؟ — .

تجيبنا على ذلك عبارة هيرودوت الصريحة ، فإن ذلك المؤرخ العظيم للأزمان الأولى للعالم الإغريق قال في عرض حديثه عن كيفية نقل "قدموس" الحروف الهجائية من فينيقيا الى القارة عند اليونان ما يأتي :

” يطلق اليونان على الكتب من قديم الزمان اسم الدفاتر أو الجلود لأنهم  
 ” لم يكن عندهم ورق في تلك الأزمان كانوا يستعملون للكتابة جلود المعزى  
 ” والغنم ، بل في أيامنا ما يزال كثير من المتوحشين يكتبون على الدفاتر أو جلود من  
 ” هذا النوع <sup>(١)</sup> .

وقد أتى هيرودوت بما لا يقل عن ذلك عجبا ، فانه ذكر أنه رأى بنفسه عند  
 زيارته طيبة في بيوسيا في معبد أبولون الأسميني ثلاثة نصائب منقوشا عليها  
 بالحروف التي كانت تستعمل في يونيا . وهذه النقوش باللغة في القدم الى لا يوس  
 أبي أوديبي أى بعد قدموس بأربعة أجيال .

إن الكلمة التي يستعملها هيرودوت عبارة عن الكتب هي كلمة ” بيلوس “  
 ودلالاتها معروفة بصورة مضبوطة ، فان هذه الكلمة تدل على جزء معين من بردى  
 مصر . ولم يترك تيوفراسط محلا لأقل شك في هذا الصدد ، فانه في كتابه ” تاريخ  
 النباتات <sup>(٢)</sup> “ قد وصف النباتات المائية ، وتبسط في وصف البردى الذى ينمو في ماء  
 النيل ، وصدق الاستعمالات المهمة المتنوعة التي يصلح لها البردى ، وبعد أن قال : إن  
 من الخشب تصنع المراكب ، قال : ” ومن البيلوس تصنع الشرع والحصر والملابس  
 أحيانا والنعال والحبال وأشياء أخرى كثيرة أهمها الكتب ” بيليا “ المعروفة عند  
 الأجانب حق المعرفة . وعلى ذلك يكون معنى بيلوس الذى ذكره تيوفراسط هو  
 ذلك الجزء من ساق البردى الذى لمرونته ومقاومته يقبل هذه الاستعمالات المختلفة  
 بالنسج واللى .

وخلاف مكتبتى بيزيسطراط و بوليقراطس ، فالثابت من الأدلة التفصيلية التي  
 أتى بها أفلاطون أن الكتب في زمنه على المعنى الذى نفهمه نحن من هذا اللفظ  
 كانت منتشرة جد الانتشار بآتيننا . وقد روى سقراط نفسه في كتاب ” فيدون “ أنه  
 سمع ذات يوم انسانا يقرأ كتاب انكساغوراس وفيه أن العقل هو نظام كل الأشياء

(١) هيرودوت ك ٥ ب ٥٩ وما بعده .

(٢) تيوفراسط وتاريخ النباتات ك ٤ ب ٩

ومبدؤها . ولما فرغته هذه الحكمة البالغة رجا أن يجد في انكساغوراس حل كثير من النظريات بعد ما سمع من براعة الابتداء ، فخذ في طلب مؤلفاته وهو يظن أنه سيتعلم منها علم الخير والشر ، فقرأها على شوق الفهم ، ولكنه كلما تقدم في القراءة خاب من رجائه فالتقى بها الى جانب ليعود الى تفكره الذاتي ؛ اذا كان اسقراط كتب مراجعها ويتركها ، كما يفعل بيننا عشاق العلم والحكمة سواء بسواء ، يرجعون الى كنوز دور الكتب فلا يجدون فيها شفاء الغلة الذي يطلبونه .

وروى أنيفون في أول كتابه « پرمينيد » نقلا عن رواية فيتودور أحد أصحاب زنون الإيلي قال : ” لما أتى پرمينيد وكان قد تقدم في السن الى آتينا مع تلميذه أقام في حى السيراميك خارج الأسوار فانتقل إليه سقراط في رفقة لسمع قراءة كتب زنون “ وكانت تلك هي أول مرة حمل فيها زنون و پرمينيد هذه الكتب الى آتينا . وكان سقراط وقتها صغير السن ، وكان زنون نفسه هو الذى يقرأ كتابه لأن پرمينيد كان غائبا في تلك اللحظة وكان على وشك أن يفرغ من القراءة إذ عاد فيتودور ومعه پرمينيد ومستمع آخر هو أرسطوطاليس الذى صار بعد ذلك أحد التلاميذ ، ولم يسمع فيتودور إلا قليلا مما كان باقيا ، ولكنه أقام الى آخر التلاوة التى كان قد سمعها قبل ذلك في جلسة أخرى .

لما أصفى سقراط الى النهاية طلب الى زنون أن يتفضل بإعادة القضية الأولى من الكتاب الأول فأجاب طلبه مع الارتياح ، وأخذ الكتاب وأعاد الجملة التى وقف فيها سقراط والتى أراد سقراط استحضار ألفاظها حتى يدخل في مناقشة المعانى : ” اذا كانت الموجودات متعددة لزم عليه أن تكون متشابهة وغير متشابهة فى آن واحد فيما بينها ، وهذا مستحيل لأن غير المتشابه لا يمكن أن يكون متشابه ، وما هو متشابه لا يمكن أن يكون غير متشابه أيضا “ وأبتدا الجدال وقتئذ فكرر سقراط قضية زنون ، وسأله اذا كان هذا حقا هو ما يريد ؟ فأكد زنون أن ذلك هو غرض كتابه ، فالتفت سقراط الى پرمينيد وقال له : ” أرى واضحاً أن زنون متصل بك لا بصلات الصداقة فقط بل بكتاباته . فالواقع أنكما تقولان جميعا معنى

واحدًا، وإن اختلفت العبارة، فإن أحدهما يثبت أن الكل هو واحد، ويثبت الآخر أن التعدد ممتنع“ فأعترف زنون بأن الحق في جانب سقراط، وأنه ما كتب كتابه إلا انتصاراً للمذهب پرمينيد ضد أولئك الذين يرغبون جعله سخرياً، وأن كتابه جواب على نصراء التعدد، وأن الغرض منه أن يبين لهم أن مذهبهم نفسه له نتائج أسخف من المذهب المضاد. وزاد على ذلك زنون بقوله: ”إني ألفت هذا الكتاب مدفوعاً بدافع المجادلة، فسرق مني قبل أن أسأل نفسي عما إذا كان ينبغي نشره أولاً ينبغي. على هذا كنت يا سقراط تخدع نفسك إذ اعتقدت أن هذا الكتاب إنما أملته على رغبة رجل ناضج بدلاً من أن تنسبه إلى شاب يميل به ما لطبع الشباب من حب المغالبة“.

وآسתר حديثهم دائراً على موضوع الوحدة والتعدد بما هو معروف لديهم من الموارد والمغالطة مما أكف عن الاسترسال فيه، فحسبنا هذه التفاصيل دلالة على أن زنون وپرمينيد لما جاءا من إيليا إلى غرب إغريقا الكبرى كان في بلدهما كتب كما في آتيناً، وأن هؤلاء المتناظرين كانوا يتخذون الكتب لما تتخذة نحن من الأغراض يقرءونها ويعيدونها ويقفون ببعض جملها للتحقق منها. ونحن في شأننا لا نقلب إلا على مثالهم صفحات ما لدينا من الكتب التي في حجم الثمن أو الاثنى عشرى التي ليست بأكثر مطاوعة للتقليب من كتبهم.

وفي مقدمة قدر الرشيقه قابل سقراط ذلك الشاب الذي خرج يتتره في الحلاء بعد أن مضى صباحه قاعداً. فيم قضى قدر صبحه إذا؟ في استماع قطعة كان يقرؤها له ليزياس بن سيفال، وما زال مأخوذاً بما قرئ عليه. وقد كان ليزياس أتى خصيصاً لهذا الغرض من بيره إلى مونيشيا، فطلب سقراط من صديقه الشاب أن يفسر له ذلك الكلام العجيب، فامتنع قدر بفكرة أنه أقل علماً من أن يكرر مثل تلك العبارات الجبيلة، ولكن سقراط الذي كان عالياً يشغف صاحبه رقيق الحاشية أكد له أنه لا بد أن يكون قد حفظ تلك القطعة عن ظهر قلب، لأنه لا بد أن يكون استعاد



من مؤلفها أن يقرأها عدة مرات وأنه لم يقنع بذلك بل لابد أن يكون أخذ الكراسة المكتوبة فيها حتى يقرأها على خلاء ، وأن ذلك كان شغله الشاغل الذي ألهاه عن الخروج صبيحة يومه ، فأخذ فدر يتنصل بحجج ضعيفة ، ولكن سقراط ألحف في المسألة فأظهره فدر على الرسالة المخطوطة التي كانت بيده مخبأة تحت طرف رداءه ، وأخذ الصاحبان يمشان وهما سائران على شاطئ الألووص حيث كان يغمر فيه سقراط قدميه ليبترد ، عن مكان يناسب القراءة بالراحة حتى وصلا الى مجلس تحت شجرة ساج عالية ظليلة بجانب شجرة كف مريم يعطر نورها الهواء على مسمع من خرير عين صافية بين التماثيل والأصنام القائمة للمحور ولنهر أخلاوس ، بفلس فدر وسقراط في الظل على الحشيش الغض وقرأ الشاب كتاب ليزياس في النسخة التي معه .

فأثنى سقراط على بلاغة ليزياس ، ولكنه لم يصل الى حد إعجاب صاحبه الشاب وقال له : إن هذا الموضوع قد كتب عليه الحكماء في الأزمان القديمة بما لا يقل لإجادة عن هذا ، وحسبك منهم الحسناء سافو الشاعرة أو الحكيم أفرقيون بل حسبك أي كاتب من الكتاب ، فلم يصدق فدر من ذلك شيئا وسأله أن يأتي بأحسن مما أتى به ليزياس ، وإن لم يفعل على الفور فلن يقرأ له شيئا بعدها ، فأخذ سقراط لفوره في مسابقة ما ظنها مستحيلة عليه . وأعاد كلام ليزياس في نفس الموضوع على ما فيه من الشطط والإشكال ، ولكنه ارتقى كثيرا عن هذه المنافسة النافهة في موضوع مطروق ، واتهز هذه الفرصة ليعطى الشاب درسا في الخطابة والذوق . إن ليزياس يكتب أكثر مما ينبغي فيجب تعلم الحكم على مؤلفاته حتى لا تعطى من القيمة أكثر مما تساويه في الحقيقة ، وإن رجال السياسة البصراء يربشون بنفوسهم عن تأليف مؤلفات تكون بعدهم موضوعا لانتقاد الخلف انتقادا قاسيا ، فاذا كتبوا بالمصادفة شيئا كتبوه بكل عناية حتى لا يعاب عليهم . وهذا يريكليس أخطب الخطباء وتلميذ أنكساغوراس العظيم لم يترك شيئا مكتوبا .

وبينما سقراط يرسم قواعد الخطابة الحقيقية إذا به يصل الى اختراع الكتابة والكتب ، على حسب أسطورة محفوظة في نقراتس ، احدى مدائن الدلتا ، ربما كان سولون قد وعها من هناك ، أن الكتابة من اختراع الإله توت وهو أفضى بها الى الملك طاموس الذى كان يحكم فى طيبة . ولم يعجب طاموس بهذا الاختراع كما أعجب به مبدعه ، وخشى على المصريين من الكتابة التى يبعد عليها أن تصيرهم أكثر حكمة بل تضرهم متى جعلتهم يعتقدون أنهم يعلمون ما يقرءونه قراءة سطحية فى كتبهم . قال سقراط معضدا رأى طاموس : "يكون الانسان" "من البساطة بمكان اذا تصور أنه يمكن إيداع أى فن من الفنون فى الكتب ، وأنه" "يمكن تعلمه منها ، كما لو كان قد نرج يوما من الكتب شىء بين متين ، إلا ما يكون" "من تنشيط الذاكرة عند الذى كان يعلم من قبل ما تحويه الكتب . وإن محصلات" "الكتابة أشبه بمحصلات الرسم . سل لوحات الرسم تجبك بسكوت جليل ، وسل" "الكتب تجبك دائما بهذا الجواب . وقد تعتقد عند استماع ما فيها أنها طيبة ،" "ولكن مقالا متى كتب دار فى كل ناحية ، فبقع فى أيدى من يفهمونه كما يقع" "فى أيدى الذين لم يكتب لأجلهم ، وأنه لا يعرف لمن يتكلم وأمام من يلزم الصمت ."

"فإذا آحقره أو عابه أحد بغير حق التجأ الى أبيه ليساعده ، لأنه لا يستطيع أن" "يقاوم ولا أن يساعد نفسه ."

فسقراط يحط من شأن هذه المقالات الميتة فى طى الكتابة التى يحويها ويرفع فوقها قدر المقال الذى ينقشه العلم فى نفس الذى يتعلم ، ذلك المقال الحى الملىء بالحياة هو الذى يبقى فى الذهن ، وما منزلة المقال المكتوب منه إلا الشبح الباهت . هذا هو ما ينصح ليفسر أن يكثر العناية بمزاولة . ان الشاعر والنائر بصححان ويمحززان ألف مرة ما قد كتبنا ، يزيدان عليه أو ينقصان منه ، ولكن يلزمهما قبل كل شىء أن يمتا بما فى نفسيهما ويرعيانه حق رعايته ، تلك هى الوسيلة لاستحقاق ذلك اللقب الجميل لقب الفيلسوف . ذلك هو رأى الذى يمكن أن يعطيه قدر الى

ليزياس ، وذلك هو الرأي الذى يعرف سقراط كيف يجعل أصحابه الشبان يتذوقونه ، وعلى الأخص إيزقراط الجميل الذى عليه مخايل النبوغ .

أنا لا أناقش رأى الحكيم الآتينى مهما ظهر لى منه عدم اختلافه مع ذوقه السليم المعروف ، ولكن أيا كانت قيمته فانه ينتج منه أن سقراط وفرد وجميع أصحابهما يستعملون الكتب كما تستعملها نحن ؛ يكتبون مقالاتهم ومؤلفاتهم كما نفعل نحن ، ويدرسونها ويصححونها ويهذبونها كما نفعل نحن . وينتج من هذا فوق ما تقدم أنه منذ زمن أفلاطون كان ينسب اكتشاف الكتابة واختراع الكتب الى مصر . ولا شك فى أن أفلاطون وهو من ذرية سولون يجب أن يعلم أكثر من غيره شأن تلك الأسطورة التى جاء بها جده الأجدد من البلد الأجنبي .

وعلى هذه الوقائع الفاطمة نزيد وقائع من العصر ذاته . لما وصل إكسينوفون رئيس تهقر عشرة الآلاف من يزنطة الى سلميديس آخر نقطة وصل اليها فى الشمال ، حكى أنه عند دخوله فى البحر الأسود وجد سفنا كثيرة جانحة فى الرمل تحت حرف الشاطئ ، وأن أهل تراقيا سكان تلك المنطقة يسارعون الى نهب أولئك الفرق النساء وينقاتلون على أيهم يسرق من السلب أكثر من غيره . ولذلك توجد منقولات كثيرة على هذا الشاطئ الخبيث ينقلها الملاحون فى صناديق من الخشب ، ومن بينها كتب لا شك فى أن أولئك المتوحشين ما كانوا يفهمونها ، ولكنهم يحفظونها لبيعوها<sup>(١)</sup> . ونظرا الى أنه كان يوجد عدد عظيم من الجاليات الاغريقية فى تلك الجهات يزنطة وغيرها ، فليس مستحيلا أن فكر أولئك الملاحون فى الاتجار بالكتب ، وربما كانوا ينقلونها من الشواطئ الآسيوية ومن آتيننا والمدائن الأخرى لليونان النازلين والمهاجرين الذين مع بعدهم عن وطنهم لتوق أنفسهم الى الاقتباس من نوره الذى هم أحوج ما يكونون اليه فى غربتهم .

لا أقول بأنه فى زمن أفلاطون بل فيما قبله لم يكن يوجد فى آتيننا أصلا كتب يبيعون الكتب ويشترونها فذلك محتمل جدا ، ولكنه ليس عندنا على ذلك شهادات

تقارن في قدمها ذلك الزمن . فان أول شهادة من هذا النوع تنسب الى زنون الستيومي ، فان زنون قبل أن يترك مدينة ستيوم وهي مستعمرة فيزيقية في قبرص اشترى حمولة من الأرجوان ليربح فيها في آتينا وذهب يستقي الهاتف عن أحسن طريقة للعيشة ، فنصح له الهاتف أن يصير في لون الموتى . وفسر زنون هذه النصيحة بأنه يجب عليه أن يعكف على قراءة كتب الأقدمين حتى يشجب لونه . فلما وصل الى آتينا بعد غرق مخزن دخل عند كتي وأخذ يقرأ بلذة شديدة الكتاب الثاني من مذكرات إكسينوفون على سقراط ، فسأل الكتي وهو مسحور بلذة ما قرأ : أين يمكنه أن يقابل المؤلفين الذين يكتبون مثل هذه الملح ؟ فأشار له الكتي بأصبعه الى «قراطيس» الذي كان مارا وقتها في الشارع ، فعجل زنون الى الأستاذ يتعقب خطاه حتى وصل اليه وتلمذ عليه ، ولكن لما لم يستطع ذلك الحفاء الغليظ اعتزل قراطيس إذ أصبح في قدرته أن يضع مؤلفات لا تنقل عن مؤلفات أستاذه وأخصها كتابه على فيثاغورث<sup>(١)</sup> . وكان عمر زنون وقتئذ ثلاثين عاما ، وعلى الاحتمال الغالب أن أرسطو وقتها كان لا يزال حيا ، فان ذلك كان في آخر ملك اسكندر .

أقص حادثة أخيرة أستعيرها من نظريات أرسطو في الفصل السادس عشر الباب السادس (ص ٩١٤ ف ٢٥ طبعة برلين) يتساءل المؤلف : لماذا قطع الكتب يعطى هيئات مختلفة على حسب ما اذا كان هذا القطع مستقيا أو بالبحراف ؟ أترك التفسير الى ناحية لأنه لا يهمنا هنا ، ولكن ذلك يبين أن أرسطو كان لديه كتب من جنس كتبنا وعلى الأقل من جهة كونها مقصودة على صورة منتظمة قليلا أو كثيرا . بعد ذلك في الفصل الثامن عشر يبحث أرسطو : لماذا نسم القراءة بعض الناس ؟ ولماذا بعضهم على الضد من ذلك يتناول الكتاب حين يريد أن يبقى ساهرا ؟ كل ذلك يعين استعمالا للكتب أشبه ما تكون بما تفعل نحن .

(١) دوبرجين اللايرث لك ٧ حياة زنون الستيومي .



كان في آتينا بعضهم يقرأ في سريره وليس معدوما فيها هذا الصنف من الناس الذين يأتون هذه البدعة عندنا .

من أين جاءت هذه الكتب ؟ وعلى أى مادة كانت مكتوبة ؟ لا أتناحر في الجواب : كانت مكتوبة على ورق البردى ، وكان البردى يجرى من مصر . منذ أقدم الأزمان كان بين مصر وبين إغريقيا روابط مستمرة ، ومن باب أولى كان بين مصر وآسيا الصغرى . وإن أقدم الهجرات التي اتبع فيها سبيل إناخوس وسركوفس وكثير غيرهم إنما عادت من شواطئ النيل جالبة معها إلى الهلين في عداد ما جلبته لهم أسماء جميع آلهتهم المتنوعة إلى اللانهاية ، وبعد ذلك ضاعفت العلاقات دواعى التجارة والحروب . وفي تلك القرون التي نحن بصددتها كانت مصر متدخلة دائما لمصالح شتى في سياسة جميع الأمم المجاورة لها ، وعلى الأخص سياسة المدائن الإغريقية التي على الشاطئ . ولما أن فتح الفرس مصر صارت هذه العلاقات أكثر توثقا واستمرارا ، فإن أسطول المصريين وجيوشهم كانت تشهد كل حين وقائع البر والبحر . ومن البديهي أن الأمم المختلطة على هذا النحو تتبادل كثيرا من الأشياء بحكم الضرورة . وكانت مصر وقتئذ الوحيدة تقريبا في إنتاج البردى فكانت تصدر منه كميات وفيرة إلى بقية العالم .

قد كان من السهل على مصر وهي التي اكتشفت الكتابة وهي التي تخرج البردى وتستعمله تلك الاستعمالات الصادرة عن المهارة والذكاء أن تتصور أيضا إنشاء المكاتب ، فإن الكتب متى كتبت وجب جمعها وحفظها لحفظ الذكر لكل ما اشتملت عليه . وعلى الرغم من قول طاموس وأفلاطون وسقراط فقد ظهر أن تلك المحفوظات مفيدة ونفيسة جدا . ذلك ما كان هو الواقع . فإن أوزيمندياس أحد ملوك مصر يعتبر أنه أول من اقتنى مكتبة أو من أوائل من اقتنوا مكاتب . وتذكر هذا الحادث العجيب نقله إلينا ديودور الصقلي الذي زار مصر في الأولمبية ١٨٠ كما كان زارها هيرودوت من قبله بأربعائة وخمسين عاما ورأى بعينه كل ما يتكلم عنه تقريبا .

بعد أن قال كلمة عن قبور الملوك التي كان عددها سبعة وأربعين على رواية الكهنة والتي لم تكن إلا سبعة عشر حين زارها ديودور<sup>(١)</sup>، وصف بغاية التفصيل الأثر الشهير لأوزيمندياس، ومن بين العماثر التي تنسب إلى هذا الملك دار الكتب المقدسة المنقوش على وجهتها: "دواء النفس". ولا يستتج من كلام ديودور نفسه أن هذه المكتبة كانت لا تزال قائمة في زمنه، فأما أنها وجدت فذلك ما لا يكاد الشك يتطرق إليه. ولقد كان لدى الكهنة المصريين كتب بالغة في القدم مسجل فيها تاريخ البلاد سنة فسنة تسجيلا منتظما والوراثية غير المنقطعة على عرش مصر لأربعمائة وسبعين فرعوناً ونحس ملكات، ولم يشأ ديودور أن يكرر بالنسبة لعهد كل فرعون ما كانت تحويه هذه الكتب التي يظهر أنه اطلع عليها، ولكنه وضع خلاصتها وعلى تلك الوثائق بنى عمله. فإذا لم تكن هذه المكتبة موجودة قبل المسيح بخمسين عاماً فلا أقل من أن يكون ذكرها وارداً في تلك السنويات الرسمية التي كان لا يزال يمكن الاطلاع عليها مهما كان مبلغها من الضبط قلة أو كثرة<sup>(٢)</sup>.

وعلى رأى علمائنا المشتغلين بالآثار فإن أوزيمندوس الذي كان يسميه الإغريق أوزيمندياس هو فرعون من العائلة السادسة عشرة. وهذه العائلة يقترن عهدها تقريباً بعهد إناخوس أى بتاريخ نحو ألفى سنة قبل الميلاد. فإن الهكسوس أو عرب الرعاة تكون العائلة السابعة عشرة.

مثل هذه الأحاديث ربما كانت تظهر لنا حديث خرافة، إذ لا يمكن التصديق بوجود كتب في زمن بالغ من القدم حد الغاية، إذا لم تكن حاصلين الآن في متاحفنا على

(١) نزلت إليها بنفسى في السنة ١٨٥٤ عند سياحتي في مصر ووجدت أن إعجاب ديودور كان أقل من حقيقة الواقع بكثير. (ر. رسائل على مصر طبع وفيل ص ٢٧٤ وما بعدها (بارنلى ساتلير)).

(٢) يتكلم ديودور على الأقل مرتين أو ثلاثاً على سياحته في مصر. ر. المجموعة التاريخية لك ١ ب ٤٤ ف ١ ب ٦٩ ف ٧٠ وفيما يتعلق بمكتبة أوزيمندياس راجع الكتاب فيه ب ٤٩ ف ٣. وإذا ما حدث سولون كهنة سايس ذكروا له كتبهم المقدسة وفيها سنويات البلد منذ ثمانية آلاف عام (ر. طوماوس ترجمة فنكور كوزان ص ١٠٩).

الأدلة، التي لا تقبل التهم، المثبتة لهذه الحوادث، نفى باريس وفي طورينو وفي ليدن وفي برلين ... الخ أوراق البردى والمخطوطات التي يصل تاريخها الى ثلاثة عشر وأربعة عشر قرنا قبل الميلاد المسيحي بل الى أبعد من ذلك . ولكل أن يراها ولمعرفة تاريخها ليس عليه إلا أن يستقى شموليون ودي روجي ومارييت وأميدى يرون وليمانس ولسيوس ... الخ . إن بردية طورينو الشهيرة التي تكلم عنها شموليون في خطابه الى دى بلاكاس (ص ٤٢) هي على الأقل من القرن الثالث عشر قبل المسيح كما بينه لسيوس (نودتنبوخ ص ١٧) وفي كتاب الملوك نقل لسيوس (لوحة ٦) مخطوطة يصل تاريخها الى العائلة الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، وذلك ما يبلغ بنا الى أقصى مما ذكرنا . ووصف مارييت في مذكرته عن دار الآثار بيولاقي (ص ١٤٨) برديا وجد في طيبة في نحو المترين طولاً يتعلق بأحدى الثلاث العائلات الأولى للأمبراطورية الجديدة، وهذه المخطوطة لا يقل عمرها عن ١٢٨٨ سنة قبل الميلاد بل يمكن أن تكون من سنة ١٧٠٠ ومخطوطة أخرى (ص ١٥٣) طولها أربعة أمتار ونصف على ٠,٣٥ ارتفاعاً وهي من متعلقات العائلة الثامنة عشرة فتكون من سبعة عشر قرناً قبل الميلاد . ويمكن إيراد أمثلة من هذا النوع الى ما يشاء، ولكن حسبنا ما أوردناه وما أظن بنا حاجة الى المجاوزة بالإيضاح الى أبعد من ذلك فقد كل .

أكثر من ذلك . قد وجد بجانب المخطوطات الأدوات التي تصلح لكتابتها فناجين تحوى المادة الملونة وقصب الأقلام، وذلك ما يعدل عندنا الحابر والريش، والمصاقل التي تصقل البردى قبل الكتابة عليه، والمقالم التي توضع فيها الأقلام . وفي دار الآثار بليدن توجد ألواح الكتابة ومعها دوى فيها يميز المرء بغاية الوضوح الحبر الأسود أو الأحمر وقد جف في باطنها ودوى من البرنز ... الخ . وكل هذه الآثار إنما هي سابقة على العائلة السادسة عشرة على رأى ليمانس (ص ١٠٨ ف ٢٤٥) وفي دار الآثار بيولاقي توجد ألواح الكتاب، ومعها كل لوازمها وهي كما قتر مارييت سابقة لعهد إبراهيم (ص ٢٠٩) وعلى ذلك يكون عمرها من ٣٥ الى ٤٥ قرناً .

وفي باريس في متحفنا المصرى أيضا جميع الأدوات اللازمة للكتاب ( القاعة المدنية - دولا ب P . درج X ) . وكذلك في قاعة المونى ( درج LM ) ترى المخطوطات إما على ورق البردى أو على القماش ، كل ذلك غير أوراق البردى الكبيرة المنشورة المحبوكة بالأطر المغطاة بالزجاج والتي تبلغ أطوالها عدة أمتار . وفي ليدن مخطوطات تبلغ أطوالها الى اثنى عشر مترا . والواقع أنه كان يمكن صنع ورق البردى الى طول غير متناه ، لأن العرض وحده هو المحدود ولا يكاد يزيد عن ٣٠ سنتيمترا .

من التفاصيل التي تقدمت والتي يمكننا أن نزيد في إيضاها عند الحاجة أظن أننا نستطيع استنتاج النتائج الآتية التي هي كذلك ، كما يظهر لى ، حوادث ثابتة - :  
إن فلاسفتنا للقرن الخامس والسادس قبل الميلاد كتبوا مؤلفاتهم سواء في آسيا الصغرى أو في إغريقيا الكبرى ، وقد وصل إلينا بعض أبراء هذه المؤلفات من خلال الصعوبات التي كانت تقترن بنقل الكتب ، قبل اكتشاف المطبعة واختراع الورق من القطن ومن الكتان أو استعمال الرق . وإن كتب إكسينوفان وميليسوس بل ربما كتب طاليس وفيثاغورث أيضا كلها كتبت كما يكتب كل الناس وقتئذ على ورق البردى المصرى . ولا بد أن تكون صورها على شكل ورق البردى المحفوظ في دور الآثار . ومن الممكن أن تكون أوراق البردى رتبت ، منذ عهد قديم وبالتحقيق منذ عهد أرسطو ، بحيث يكون شكلها كشكل كتبنا الحاضرة . ومن ثم تيسر جمع الكتب في المكاتب ، فإن المكاتب التي ينسبون إليها بوليقراطس وبزيسترات لم تكن بلا شك إلا تقليدا للمكاتب المصرية التي كان أشهرها دار الكتب التي أنشأها أوزيمندياس .

ما الذي بق علينا تعزفه ؟ ربما كان شيئا واحدا هو الذي تقتضيه نفوسنا الطلعة بحكم عاداتنا الجديدة في دقة التحزى وهو صنع البردى المخصص للمخطبات وللمؤلفات الكتاب . ومن محاسن المصادفات أن پلاين الذي ليس أقل منا حبا للاطلاع قد نقل إلينا هذه المعلومات اذ يقول لنا كيف كان يصنع ورق البردى في زمنه .



ومن المفهوم ضمنا أن هذه الصناعة قد نالها بعض التحسين بمرور الزمن الطويل الذي ابتدئ من عهد أوزيندياس إلى القرن الأول للميلاد، ولكن الأصول الرئيسة لهذه الصناعة لا بد أن تكون قديمة جدًا بل الظاهر أنه لم يكبد يدخل عليها أقل تغيير<sup>(١)</sup>. وقد عني بلاين عناية كبرى بوصف هذا القصب المسمى بردى نظرا إلى "أن المدنية وتذكارات الأشياء مرتبطان باستعمال الورق"، وبهما يتعلق تخليد ذكرى الرجال". أما قرون فانه لم يبلغ بتاريخ استعمال الورق إلى أبعد من عهد اسكندر الأكبر وتأسيس مدينة الاسكندرية. وقد يكون ذلك صحيحا فيما يتعلق باستعمال الورق في روما، ولكننا قد رأينا آنفا أنه لا يمكن أن يكون صحيحا بالنسبة إلى مصر ولا إلى إفريقيا، وبلاين لا يشاطر رأى قرون مهما كان معتبرا. وهالك ما يقوله في ذلك النبات النفيس الذي يريد درسه :

ينبت البردى في المستنقعات أو مياه النيل الراكدة على عمق لا يزيد على ذراعين، جذره المعوج في ثخن الذراع تقريبا، وساقه مثلث الأضلاع ويندر أن يعلوا أكثر من عشرة أذرع يتناقص سمكه من تحت إلى فوق. فأما جذره فيستعمل وقودا وقد تتخذ منه بعض الآنية، وأما ساقه الحطبي فتتخذ منه القوارب، ومن قشرته تنسج الشرع<sup>(٢)</sup> والحصر والملابس والأغطية والحبال. وذلك ما قرأناه آنفا عن تيوفراسط ونقله عنه بلاين بلا شك. وإن بردى مصر في كل الاستعمالات التي ذكرناها خير من كل بردى آخر، فإن البردى الذي ينبت في سوريا أو على شواطئ نهر الفرات بقرب بابل بعيد عليه أن يساوى البردى المصرى خصوصا في صنع الورق. ولصنع الورق يقسم البردى إلى أشرطة رقيقة جدًا وعريضة بقدر الممكن. وأحسن شريط منها هو شريط قلب النبات ثم الذي يليه على هذا الترتيب. وهذه الطبقات الداخلية وحدها كان يصنع ورق الكتب المقدسة وسمى الورق من ثم باسم هيراقى.

(١) بلاين . التاريخ الطبيعى ك ١٢ ب ٢١ وما بعده ترجمة وطبع ليرى .

(٢) وهذا ما كان يصهره هيرودوت حينما كان يسبح في مصر ك ٢ ب ٩٦ وعندنا في متحف اللوفر

نعال من البردى .

وبعد حين أعطى لأعلى درجة من الورق المنقى بالغسل اسم أغسطس، كما سميت الدرجة الثانية من الورق باسم ليثى امرأة أغسطس، وكان الهيراني إذا في الدرجة الثالثة، وورق الدرجة الرابعة سمي أنغباتري نسبة إلى المكان الذي كان يصنع فيه . ومن أنواعه المتدركة إلى أسفل ورق سايس الذي يصنع من قراطة البردى ثم ورق الطينيو طبق من مدينة قريبة من سايس ويباع بالوزن، ثم ورق الأنبوريتيك أو ورق المتعجر، ولا يصلح إلا للقاروف أو لف البضائع، وبعد هذه الأشرطة تأتي قشرة البردى وهي أشبه ما تكون بقشرة الخيزران لا تصلح إلا لصنع الأحبال التي لها خاصة البقاء في الماء .

كل أنواع الورق كانت تصنع بطريقة واحدة، ولا يكون الاختلاف إلا في مادة الورقة، ومتى أخذت الأشرطة بعناية تشر على نحو يخوان مندى بماء النيل، فإن هذا السائل الحامل للطمى يصلح كلقاق لتقوية الأشرطة وضمها بعضها إلى بعض . وعلى هذا الخوان المحال نوطا تلزق الأشرطة على طولها وتقرض من نهايتها حتى تصبح منتظمة ومتساوية في الطول ثم يؤتى بأشرطة أخرى توضع بالعرض على شكل تعريش، ولوقاية الورق من التمزق كانوا يضعونه تحت المكبس فيحصلون منه على الورق الذي يعرضونه بعد ذلك للشمس ليجف . ثم يضعون هذه الأوراق بعضها فوق بعض لتكون منها فرائد الورق التي لا يتجاوز عذة الواحدة منها عشرين ورقة . وكان الورق مختلف العرض، وأحسن ما كان في عرض ثلاثة عشر أصبعاً، والهيراني لم يكده يتجاوز عرضه الأحد عشر، وقال فانيوس أن هذا الورق الهيراني الذي اشتق اسمه من اسم ذلك الصانع الماهر الذي أبدعه لا يتجاوز العشرة . والورق المتعجرى كان في عرض ستة أصابع . وكان يمكنهم أيضاً أن يصلوا الأوراق أطراف بعضها ببعض ليحصلوا على ورق لا نهاية لطوله كما عندنا .

وكانوا يقدرون الورق كما نقدره نحن برقته ومثاقته وبياضه وصلبه . وقد اهتم الإمبراطور كلود بتحسين ورق أغسطس الذي كان يحده أرق مما يلزم وأكثر شفافية

بجعل منه ورقا جديدا بأن جعل السدى من أشرطة الدرجة الثانية والمخمة من أشرطة الدرجة الأولى ، وبهذه الطريقة زيد في عرض الورق إذ بلغ عرضه ذراعا في الفرخ الكبير. وكانوا يفضلون ورق كلود في الكتب ويستعملون ورق أغسطس في الخطابات .

وكانوا يصقلون الورق بقطعة من العاج أو بحجارة ناعمة ، ولكنه كان من اللازم الوقوف بهذه العملية عند حد معين ، وإلا زلق الحبر فلا يأخذ في الورق وتكون الحروف المكتوبة معرّضة لأن تتمحى عما قريب ، وذلك هو الذي يحصل في ورقنا حين يجاد صقله أكثر مما يلزم . ربما يكون حسنا في مرأى العين ، ولكنه لا يطيب الانتفاع به . وقد كان يحدث ماء النيل الحمى ضررا من هذا النوع متى صب من غير احتراز في ابتداء العملية إذ يجعل الورق غير قابل للكتابة بل يترك فيه رائحة يعرفونها له وبقعا كان يلزم لازالتها أن يخرقوها من مواقع البقع ويرفعوها بغاية الدقة حتى لا يفتن لها المشتري ، لحسن سبك الغش فيها ، إلا بالاستعمال إذ يشرب الورق الحبر في مواضع الرق ويجعل الحروف سائحة لا تقرأ إلا قليلا .

لذلك قال بلاين إنه لتوق تلك العيوب المختلفة كان يلزق الورق بكيفية تجعله أطرى من قماش الكتان نفسه ، ووجد أن هذه الطرائق فعالة جدا قال : إنه رأى عند أحد أصحابه وكان مغرما بخطوط المؤلفين مخطوطات لشيشيرون ولأغسطس ولقرجيل على ورق من هذا النوع ، بل رأى عنده مخطوطات لطيريوس وقايوس غراكوس مضى عليها مائتا عام مما يدل على أن لصق الورق كان من الجودة بحيث يقاوم كثر الزمان .

وبعد أن أورد بلاين هذه التفاصيل عاد ينقض رأى فزون في أن استعمال الورق حديث في إيطاليا وحاول أن يثبت ، ضد مذهب ذلك العالم ، أن الكتب كانت معروفة منذ زمن "نوما بومبيليوس" فقد عثر في تابوت هذا الملك الذي وجد في زمن قنصلية ستيقيوس وبمبيليوس طنفيوس ، بعد موته بخمسة وثمانين سنة ،



على كتب من الورق . كذلك ثلاثة كتب جاءت بها العزافة الى طرخان الأجل كانت مكتوبة على ورق حرقت منها اثنين والثالث الذى قبله هذا الملك البصير قد حفظ الى عهد سيلا ثم بادى حريقه روما . واذا أريد برهان دافع غير منقطع الأثر على استعمال الورق فى الزمن القديم فإلى على المرید إلا أن يتصفح رسائل شيشيرون فيجد فيها المعلومات المضبوطة القوية فى هذا الموضوع . فان الناس ما زالوا يستعملون الأوراق مع السهولة القصوى ، ويسرفون فى استعمالها الى الغاية . كتب شيشيرون الى أطيقيوس كل يوم بل مرات عديدة فى كل يوم تارة رسائل طويلة ، وتارة أخرى تذاكر بسيطة ، يرسل إليه مع رسوله بعض أسطر أو صحيفة إذا لم يكن لديه ما يقوله أكثر من ذلك أو سلسلة من الصحائف لا آخرها إذا انطلق قلبه يتدفق أو إذا حضرته مناقشة مسائل هامة . ومتى كان موضوع الكتاب يهم عدة أشخاص عمل منه نسخ بعدهم أو صرح للمرسل إليه باتيان هذا العمل ، أما إذا كان موضوع الكتاب دقيقا يشطب الكاتب غير مرة العبارات الناقصة عن تأدية المعنى المراد تماما ، ويرجع مرات على ما كتب ويهذه ويحرره . وإذا كان الكاتب قد أخذ منه التأثر مأخذا يبيكه ترك دمعه أحيانا تمحو الكتابة ، ومتى فرغ من الكتاب طواه وختمه . فإذا نسي الكاتب شيئا أو أهمل تفصيل معنى من المعانى فتح الكتاب من جديد ، فان كانت الورقة لا محل فيها كتبت الزيادة بالعرض . ومتى قرأ الكاتب المرسل إليه وكان لا يتضمن شيئا يراد حفظه مزقه . ولا يتساهل فى ذلك إذا كان المرسل قد أوصى بحفظ سره . فإذا طرح الكتاب مطرعا من غير أن يمزقه فيمكن رده إلى مرسله إذا طلب رده إليه . فإذا لم يجد أحدهم ورقا مسح الكتابة من على ورقة أخرى وكتب عليها بعد غسلها أو كشطها . متى فرغ الكاتب من كتبه جمعها وسلمها الى البريد بوصول كل كتاب الى المرسل إليه بغاية الأمانة . وقد تنهز الفرصة فيكتب الى أصحاب متعددين فى جهة واحدة ، فإذا فك المرسل إليه الصرة وزع الكتب على المرسل إليهم ، وعند الحاجة قد ترسل الرسل الى الأشخاص البعيدين .



ويمكن أن يحمل الإنسان بنفسه كل هذا التعب ، يكتب كتبه بيده ويختتمها ويرسلها ، وقد يتخذ له سكرتيرا يكل اليه كل ذلك ، يمل عليه الكتاب ويوقع عليه بتوقيعه . فاذا كان المرء متعبا ، وعلى الأخص اذا كان به رمد اضطر الى تكليف غيره ، وفي هذه الحالة يعتذر لصاحبه بعجزه عن أن يمسك القلم ، كما نقول نحن في هذا المقام . وهؤلاء السكاترة هم محل أمانة بالضرورة متى كانوا يطلعون على أسرار العائلة والأعمال الخصوصية والسياسية . وفي الغالب يستحقون هذه الكرامة التي يؤنون إياها ، ولكنهم أحيانا يخونون ساداتهم ويفترون بما معهم من الأوراق . ولما أنهم عادة من الأرفاء يقتنى أثرهم ويقبض عليهم إلا اذا أبعدوا في فرارهم بحيث لا يمكن الوصول اليهم . ويخلف الخادم غير الأمين أو العاجز خادم أكثر أمانة وأوفر كفاءة ، كل ذلك على محمل بحيث لا ينقطع سير المراسلة زمنا طويلا .

واذا كانت استعمال الكتابة في الشؤون الخصوصية من السرعة والسهولة على ما وصفنا فقد كان استعمالها في الشؤون العامة لا يقل عن ذلك الوصف ، فان تحرير جميع العقود الرسمية يحصل بغاية السهولة ، ومتى استتمت هذه العقود الشرائط المطلوبة عمل منها نسخ بقدر عدد المتفعين بها . كذلك الأوامر تصدر الى الموظفين القائمين بالأعمال التنفيذية من كل الطبقات والمخاطبات الادارية تحصل بوسائل سريعة مأمونة يظهر أنها تشبه على الأقل ما هو عندنا الآن . فإلى أقاصى حدود الجمهورية تصل الأوامر العالية التي يصدرها مجالس الشيوخ ويتخذ من هذه الأوامر صور رسمية تحفظ بحافظ السجلات ، ولولا المحن المتنوعة التي قلبت حال العاصمة الرومانية الخالدة من فتن داخلية ونهب وحرائق وحروب خارجية وهجوم وغازات ... الخ . لولا ذلك كله لكان المرجح أن تكون بين أيدينا تلك الوثائق التي هي أنفث للتاريخ منها لارضاء حبنا الاطلاع على ذخائر الفن . فان المسادة التي كتب عليها كل ذلك يمكن حفظها بدون أن تتغير مدة ثلاثين قرنا ، كما تشهد به أوراق البردي المحفوظة في دور الآثار عندنا . فاذا أصابنا ما أصابنا من فقد معالم من ذلك القندم المحترم المخصب فانما كان ذلك من خطايا الناس لا من خطيئة الزمان .

كذلك كان استعمال الكتب منتشرا عاما في عهد شيشيرون كاستعمال الخطابات كما هو الحال في أيامنا، فلم يكن أحد من الأهلالي ذو ميسرة وعلى شيء من العلم إلا له مكتبة على شكل المكاتب التي كانت لأهلالي الاسكندرية وفي سائر مدائن الاغريق من قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة قرون<sup>(١)</sup>. كان لكل امرئ في روما مجموعة من الكتب يختارها لنفسه بنفسه أو بواسطة صديق له عوضا عنه اذا كان لهذا الصديق من مركزه مكتبة من ذلك أو كان معترفا له بحسن الذوق في هذا النوع. وقد كان من شيشيرون أن كلف أطيقيوس إذ كان في آتينسا أن يرسل إليه تماشيل وزخارف ليزين بها مكتبته التي كان يسميها الأكاديمي. ولما كانت أطيقيوس يريد أن يتخلص من بعض كتب نسخها ويريد بيعها رجاء شيشيرون في ألا يبيعها من غيره لأنه كان معجبا بمكتبة أطيقيوس، وكانت مؤلفة بعناية خصوصية، فطلب إليه تلك النسخ ليجعلها أساسا لمكتبته، ولا يكون عليه بعد ذلك إلا أن يكملها على حسب ما تقتضيه حاجته ودراسته وهواه، كان ذلك في سنة ٦٨٦ ولم تكن سن شيشيرون تجاوز الأربعين، ومع ذلك يفكر في أن يتزوى من ميدان العمل إلى مسكن جميل هادئ يعيش فيه مع كتبه "تلكم الصحب القدماء" التي يحب مخالطتها جدا، كما كان يقول ذلك لقزون الذي هو أيضا يفوق شيشيرون في الشغف بالعلم والأبحاث المتنوعة في قديميات وطنه وقديميات الأمم الأجنبية. حين تمكن شيشيرون من بعض ساعات الراحة والعزلة حبس نفسه في مكتبته التي زخرفها وزينها، واختفى وسط كتبه حتى كان يحمل منها ركاما عظيما يحيط به من كل ناحية. ومتى لم يكن لديه ما يرغب في مراجعته استنسخه عند أحد أصحابه، فإذا كان لبعض الأصحاب مثل هذه الحاجة قضاهم على خير وجه فيكلف مكتبته ومقربيه وسكائره بنسخ الكتاب المطلوب، ويجد لذة في إهدائه كما كان يسره أن

(١) نقل سويتون أن فيصر كلف قزون بإنشاء مكتبات عامة فيها الكتب الاغريقية واللاتينية.

وقد وضع قزون مؤلفا خاصا بالمكتبات ولكنه مفقود مع الاسف. راجع كتاب جستون بوازير ص ٢٢،

يتقبل كتابا يرسل اليه . وكان من الجارى في عرفهم أن الرجل يهدى الى صاحبه الكتاب الذى يعرف أن له فيه رغبة مستترة أو كان له به حاجة من غير أن يطلبه . وإذا زار أحدهم آخر فوجد كتابا يوافقه أعير إياه فيرده بعد أن يقضى منه حاجته الخ .

يمكننى أن أضاعف هذه التفاصيل الى غير نهاية ، ولكن ما الفائدة في ذلك والناس يعلمون أن الرومان في آخر الجمهورية وقبل بلاين الذى أجاد لنا في كيفية صنع الورق بمائة ونمسين عاما كانوا قد اتخذوا من البردى كل ما يتخذة الآن نحن من الكتان ومن القطن ، فكان الناس يكتبون في روما بمقدار ما نكتب نحن في الأغراض الاجتماعية عينها وبنفس السهولة والحدة ، بل مع تشابه تام في الشهوات والمباراة . كانت المادة مختلفة ولكن الموضوع واحد . ولا أجد بين الحالين خلافا إلا الخلاف الكبير الذى هو المطبعة التى لم تكن لتستكشف إلا بعد ذلك بخمسة عشر أو ستة عشر قرنا . كان نسخ الكتب والأوامر الإدارية والخطابات أمرا غالبا وبطيئا ، وذلك يستتبع أن تكون تلك النسخ قليلة العدد وفى غاية التعرض للضياع . جاءت المطبعة فجعلت النشر والنقل والحفظ ألف مرة أكثر أمانا وألف مرة أكثر سرعة وألف مرة أرخص ثمنا . بيد النساخ استُبدل ضبط المكيئة المعصوم وقوتها التى لا تعرف حثا ورخصها الذى لا ينافس ، ولكن ذلك لم يكن مهما قيل فيه إلا تغيرا ماديا صرفا ، فان المقصود متوفر فى الأزمان الغابرة . على ذلك يكون المخترع الحقيقى الكبير لا يزال هو الشيخ توت أو أى ساحر آخر من السحرة المصريين الذى انطق البردى والحروف التى رسمها عليه قلم الكاتب مغمورا فى مادة ملونة . وعلى الرغم مما كان يفكر فيه البصير طاموس فان المقالة المكتوبة فى الذهن لم تكن لتكفى إلا الذى يحملها فى طيات نفسه لأنها منعزلة وشبه صماء . وما كانت المقالة لتعيش إلا بالكتابة ، ويمكنها أن ترجو من العمر ما لا يتنبئ للفرد الفانى أن يرجوه أبدا ، فان أوراق البردى لا تزال تكلمنا ، وسوف تكلم أحفادنا أزمانا طويلا مع أن طاموس قد حبس عن الكلام منذ أربعين قرنا .



من ذا الذى كان يعرف ما افكره لو لم يكن أحد الكتبة الأقل حذرا منه قد سجل لنا أقواله التهكية على صفحات البردى التى شد ما كان يستهين بشأنها ذلك الفرعون الحكيم المسرف فى الحكمة .



بعد أن ثبتنا فلاسفتنا فى نصابهم من حقيقة الحوادث التى كانت تعتور حياتهم فى حال الدراسة أو فى حال الحرب، فى حال الإقامة أو فى حال التشريد، وبعد أن بيننا الظروف الحسية التى ألفوا فيها مؤلفاتهم صار جازا لنا عن بيئة وشئ من الاطمئنان أن نتساءل الى أى حد كانت أصلية هذه الفلسفة؟ انها كما يظهر لنا نبئت نحو القرن السابع قبل الميلاد فى آسيا الصغرى المرتبطة بروابط وثيقة مع جميع البلدان المحيطة بها فبأى شئ هى مدينة لها؟ وهل استعارت منها شيئا؟ أم هل هى مستقلة تمام الاستقلال لم تنبع سواها؟ وهل لم تنهل شيئا من غير مناهلها الذاتية؟ أكانت مذاهب طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان محض إبداع لها من الأصلية ما لشعر هوميروس وسافو وأرخيلوكس والكايوس؟ وبعبارة أخرى هل الغرب الذى فتح صدره للحياة العلمية يدين بشئ للشرق الذى هو مخالف له والذى هو معتبر أنه متقدم عليه بكثير فى هذا الطريق الوعر الذى حده النهائى هو الفلسفة؟

أجيب من غير تردد بالسلب وأن إغريقا لم تدن لأحد غيرها، وإن المساعدات التى وردتها تكاد تكون من خفة الوزن بحيث يمكن الجزم بأن إغريقا فى العلم أيضا كانت ذات إحداث وإبداع، شأنها فى بقية الأشياء الأخرى، وإذا كانت تلقت شيئا من جيرانها فما هو إلا أصول عديمة الصور فصورتها هى وبلغت من تصويرها حد التمام بحيث يمكن القول بحق إنها هى التى أوجدتها فى الواقع .

وعلى أن أقرب بادية ذى بدء ماذا يعنى بالفلسفة؟ وحسبى حدثا وهو :  
 "اتجاه العقل اتجاها نزيها الى العلم" . المشاهدة لأجل العلم من غير غرض آخر  
 إلا فهم العالم الذى نعيش فيه وظواهره وأصله ونهايته . هذا هو المعنى الذى تولد



وقتئذ لأول مرة في العقل الانساني والذي ، من طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان الى عهدنا ، لا يزال ينمو من قرن الى قرن ، والذي ينمو في المستقبل بلا انقطاع ما دامت القرون وما دام الزمن الذي يقاس بها على بقاء النوع الانساني . ذلك هو ما أجادت الفلسفة في بداية أمرها عمله أن اعتنقت جميع العلوم بلا استثناء . وما هو إلا بسبب ضعف عقلا وضرورات البحث العام أن انفردت العلوم الخصوصية شيئا فشيئا وانعزلت أمها الفلسفة عن أولادها ، ولكنها ما زالت تفيدها وتنوكتها عليها . ولم تلبث الفلسفة أن حددت دائرتها الخاصة المتوزعة أجزاؤها في العلوم المختلفة التي الفلسفة أصلها وتماها ، ولكنها في تلك الأيام الأولى كانت مختلطة بجميع العلوم ، لأن العلوم لم تكن بعد قد خربت منها . من هذا سمت نفسها بذلك الاسم الجليل المتواضع ، فإن فيثاغورث لما سأله ليون طاغيسة الفلياز ( سيقونيا ) أجاب بأنه فيلسوف وهو اسم لم يسمع من قبل . الفيلسوف ليس إلا صاحب الحكمة أى صاحب العقل ذلك العقل الذي يدرس الأشياء ويدرس نفسه أيضا . وقد كان فيثاغورث يقول : " حال الناس في الحياة يسمون فيها يشبه حال الجمهور يتقاطرون الى الأعياد الرسمية . ففى جمعيات الجمهور الفسيحة لكل واحد من الساعين اليها أغراض مختلفة ، أحدهم يقصدها ليبيع فيها بضائعه مدفوعا بحب الكسب ، وآخر لا يقوده اليها إلا حب المجد والرغبة في أن يتال قصب السبق في القوة أو في المهارة . وطائفة أشرف من هؤلاء لا يظهرون فيها إلا لمشاهدة جمال محال تلك الاجتماعات وبجانب الصناعة المعروضة لأنظار الجميع . كذلك في الحياة ، للناس الذين تضمهم الجمعية الانسانية مشاغل متباينة . فمنهم المجرورون بجواذب الثروة والتمتع التي لا تقاوم . وآخرون مملوك عليهم أمرهم بالطمع في السلطان والشرف وهما لا ينالان إلا بالحروب الحادة والمنافسات التي تسفك الدماء ، ولكن الغرض الأسمى للرجل هو إمعان النظر فيما في هذا الكون من الجمال المتشعب الذي يقدمه لأنظارنا وبذلك يستحق عنوان فيلسوف . فمن الحسن أن ينظر المرء الى أقطار السموات الفسيحة يتتبع سير الأفلاك التي تتحرك فيها على قدر غاية في النظام ، ولكنه لا يستطيع فهمه جيدا

إلا بالمبدأ المعقول المجرد الذي يسير الكون ويحصى كل شيء عددا ومقياسا ،  
فالحكمة تنحصر في التعرف بقدر الممكن لهذه الظواهر الإلهية الأبدية الأولى التي  
لا تتغير . والفلسفة ليست إلا التبع المستمر لهذه الدراسة الشريفة التي تنير الناس  
وتصلحهم<sup>(١)</sup> .

منذ البداية قد علمت الفلسفة ما كانت تفعل . منذ خمسة وعشرين قرنا لم  
تبحث الفلسفة إلا في تحقيق الفكرة التي قامت بها عند خطواتها الأولى بالاندراج  
تحقيقا كاملا . وما زالت حكمة فيثاغورث هي حكمتنا وإن كانت العلوم قد رقت  
رقيا كبيرا جدا ، ولكن الفيلسوف لم يتغير فانه سيبقى دائما هو الذي يتأمل في الأشياء  
ويلاحظها ليفهمها وليفهم نفسه ، هذا هو معنى العلم والفلسفة الذي أنسب شرفه  
إلى إغريقيا دون سواها . فمن إغريقيا تلقيناه من غير أن يكون افكره أحد من قبلها  
في هذا الشرق الذي كانت تعتقده ويعتقده غالب أهل زماننا ينبوع كل نور وحكمة .

من كانت تستطيع إغريقيا أن تستعير هذا المعنى وقتئذ ؟ أمن مصر أم من  
فيليقيا أم من الفرس أم من الهند ؟ لا أرى غير هذه الأمم أحدا كان يستطيع أن  
يعلم الإغريق شيئا وأقول : إن هذه الأمم ولو أنها علمتهم أشياء كثيرة فلم تعلمهم  
الفلسفة أصلا . لاشك في أن كثيرا من فلاسفتنا وفيثاغورث على الأخص ساحوا  
سياحات طويلة في تلك البلاد وأنهم ذهبوا إليها ليتعلموا ، فان فيثاغورث الذي ربما  
كان يبل إلى فيليقيا بعائلته ذهب إلى مصر كما فعل طاليس من قبل وكما فعل  
هيرودوت بعده بقرن وأقام فيها ويقال : إنه لقن الأسرار الخفية . وقد يمكن تصديق  
ذلك بسهولة ، لأن سولون ذهب إليها أيضا . والظاهر يدل على أنه لم يقف عند  
محادثة كهنة سايس<sup>(٢)</sup> في أمر الأطلانديد ، ومن المحتمل أيضا أن فيثاغورث جاوز مصر  
إلى كلدة وتحادث مع المجرس كما كان قد تحادث مع الكهنة المصريين . والفضل

(١) بيليك ، حياة فيثاغورث ص ٧ و ٨ ، ٩ طبعة فرمان ديدر على أثر ديوجين اللايرتي .

فكل هذه الوثائق وثائق بيليك وفرغوريوس يمكن جمع حياة فيثاغورث المهمة ونبذة تامة عن مذاهبه الأصلية .

(٢) راجع طهارس أفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٠٧ وما بعدها .

في ذلك يرجع الى الطريق الملكي الذي أنشأه دارا يصل به المسافر من سرديس الى صوص في أعماق فارس وراء دجلة والفرات من غير مشقة إلا طول السباحة التي تقطع في ثلاثة أشهر . وليس يرى لماذا لا يدفع حب العلم الى إزراع مثل هذه السباحات في حين أن المياسة ، حتى قبل فتح ذلك الطريق ، كانت تقتضي كل وقت علاقات من هذا النوع . وقد كان حكماء الإغريق مشوفين دائما الى زيارة مصر وفينيقيا وبلدة وهي البلاد الشقيقة التي كانوا يؤمنوا ليجدوا فيها كنوز العلم . والواقع أنهم جابوا تلك الأقطار الشاسعة مع ما عليه الوصول إليها من المشقة .

ماذا جلبوا منها ؟ الآن وعلى أثر الاكتشافات اللغوية والأثرية التي جاء بها قرننا الحاضر والمعلومات المبروظيفية والكتابات وأوراق البردى المصرية وكتب زورواستر وكتب الهند المقدسة ودين البراهمة والبوذيين ، نقول إن طريق الجواب مفتوح أمامنا ، ونستطيع أن نرى فيه أحسن مما رأى الإغريق ، نرى ما ذا كانت حكمة الشرق المزعومة . تلقاء الآثار المقسرة بالضغط الكافي إن لم يكن بالكل فعل الأقل بالجزء نعلم ما ذا تساويه وما ذا يمكنها أن تؤتيه ، يبحث فيها عبثا عن الفلسفة وهي عنها غائبة فكيف يكون الإغريق حتى مع تناول الأسرار الخفية قد وجدوا الحكمة فيها ما دامت لم تكن فيها .

نطرح الى جانب فينيقيا ويهودة جميعا ، فإن التوراة أثر ذو قيمة لا تقدر إن بما تشتمل عليه وإن بما نخرج منها ، ولكن لا أرى أن إغريقيا استعارت منها شيئا أيا كان ، وإذا كانت كتب اليهود المقدسة قد وصلت إليها بأية طريقة كانت فلماذا تحبى ذلك وهي قد أعلنت إعلانا طاليا بل طاليا فوق ما يلزم حكمة مصر وحكمة الجبوس ؟ أى عقبة اعترضتها في اطراء الحكمة العبرانية اذا كانت عرفت ؟ يمكن أن يوسف على أنها جهلتها ، وأنا أظن أيضا أن إغريقيا التي كانت مستعدة للرقى بنفسها كانت تجد من دراسة كتب موسى مساعدة قوية ، ولكنها ما علمت منها شيئا .



والقول بضد ذلك يمكن أن يكون دليلا على إيمان حاد ، ولكنه ضلال مبین لا ينهض واقفا أمام أدلة الحوادث . فلما ترجم التوراة السبعون بعد ذلك أى فى عهد بطليموس الثانى فىلادلفى ( ٢٧٥ قبل الميلاد ) أمكن الإغريق أن يقرءوها وليس يرى أنهم تحزكوا لها ولا استناروا بها ، ولو قرئت عليهم فى زمن طاليس وفيثاغورث لكان أثرها أقل من ذلك أيضا ، ولو فسرت لهم لما كادوا يفهمونها ولا يصغون إليها . والواقع أنها لم تقدم شيئا .

أقول عن مصر ما قلته عن فينقيا ويهودة تقرىبا ، فمن عهد الاكتشاف العظيم الذى أتاه شموليون ومن كل الأعمال التى تبعته وأيدته بعلم ما إذا كانت أرض الفراعنة القديمة ، فقد يكون الانسان واثقا من أنه لن يصادف فيها ما يدل على الفلسفة إلا بيانات غير منتظرة من نوع جديد . كانت الاعتقادات الدينية مستفيضة فيها ، وكانت عريقة فى أصالتها جميلة على ما فيها من شذوذ ، ولكن العلم بالمعنى انحصار لم يكن بها ، وكل شيء يساعد على إثبات أنه لم يكن فيها أصلا بل لم يكن ممكن الوجود بها على رغم ما عليه أهلها من الذكاء الحقيقى ، إن ذلك لا يقلل من أهمية دراسة مصر ، ولكنه لا ينبغى أن نتظر منها ما ليس فيها . لها سنوات وليس لها تاريخ . يمكن أن يكون لها مشاهدات مضبوطة لبعض الحوادث الطبيعية والفلكية على الأخص ولكنها ليس لها علم . لها مذاهب دينية وليس لها فلسفة . حالها كحال فينقيا جارتها وحال يهودة التى كانت خاضعة لها وتخلصت منها منذ عهد موسى . يمكن أن يكون لها معلومات كبرى ولكنها لم تمدها ولم تركها على مبادئ معينة .

وللحكم على مجوس كلدة لدينا ما ذكره هيرودوت وما كتبه الكتاب المعاصرون وما تعلمنا إياه الكتب الدينية المجوسية التى فتح لنا مغالقتها حديثا علماء اللغات وفى مقدمتهم إيجين بورنوف .

أما على قول هيرودوت الذى يظهر أنه رأى المجوس عن كثب فانهم لا يكادون يكونون إلا عزافين . عند ما أراد أصطياغ ملك الميديين أن يفسر الحلم الغريب الذى



رأته أبنته مندانا قصد الى المجوس المحترفين بتعبير الرؤيا واتبع نصيحتهم مع التحجج،  
 إذ أمر بقتل حفيده قيروش . وعند ما يريد قبيز أن يزعم حملته الجنونية على مصر  
 بعهد الى مجوسى القيام بأعباء الدولة مدة غيابة فيسىء المجوسى في ثقة الملك به ويجلس  
 على العرش أخاه سمرديس الكاذب، ولكن الفرس غاظهم هذا الاغتصاب الذى يفضى  
 الى خضوعهم للمجوسى، فانفق سبعة منهم تحت إمرة الفارسى دارا بن هستانب  
 وذبحوا الأخوين اللذين تبوءا الملك غصبا . وهم هم المجوس الذين يفسرون حلم  
 اكراكريس، اذ يهيم بمحاربة اغريقا وعلى رأيسهم يمشى، وبينما هو فى الطريق على  
 ضفاف الستريمون، اذا بالمجوس يذبحون الخيل البيض يستفتحون بها باب النصر .  
 فلما شنت الأسطول (٤٨٠ قبل الميلاد) بريح طاصف على شاطئ تراقيا فى رأس  
 سباس، فیربعيد من أطوس حيث هلك أسطول آخر قبل ذلك بعشرين سنين، اذا  
 بالمجوس يقربون قرايين للريح ليهطلوا نائرتهم فى اليوم الرابع . وبالجملة لا يقرب  
 قربان الا بحضرة مجوسى لينشد ما يسميه هيرودوت ثيوجونى ( أنشودة الآلهة )  
 ليم بذلك الاحتفال الدينى .

من أجل ذلك كانت فى اغريقا القديمة وعلى الخصوص فى روما شهرة للمجوس  
 وكراهة لهم فى آن واحد؛ ومن أسمهم اشتق اسم ذلك الفن الخفى الذى هو "السحر"  
 وهو مخوف عند العامة وطالما غرر بهم . وقد أنمى عليه بلاين بالسخط فوق ما قد  
 يستحق . ومنذ عهد أرسطو كانت تلصق هذه التهم بالمجوس الفرس والكلدان، فان  
 هذا الفيلسوف قد أفرد مؤلفا خصيصا بذلك وسماه "الماجيك"<sup>(١)</sup> ليدفع عنهم التهم  
 التى ظهر له فسادها . وفى كتابه المسمى "فى الفلسفة" ظن أن من الواجب عليه أن  
 يشتغل بأمر المجوس الذين يعتبرهم أقدم عهدا من كهنة مصر، ولما وصل الى لاهوتهم  
 تكلم عن الأصاين اللذين يعترفون بهما : الحسن والقبيع "أوروماز — وأريمان".

(١) بلاين التاريخ الطبيعى ك ٣٠ المخصص كله لهذه المسئلة .

(٢) ديوجين اللايرتى فى مقدمته ف ٨

ومن الكتاب المتأخرين عن أرسطو من جعل المجوس آباء الجنوزوفست (فلاسفة الهند المتريفيين) بل آباء اليهود أيضا . وفي كتاب دانيال الذي كتب في عهد دارا أن مجوس بابل لبسوا إلا منجسين وسحرة ومفسري أحلام . ومع ذلك كانوا يلقبونهم بالحكماء ، ولكن الخدم التي تطلب منهم لا تكاد تدل على أنهم أرفع درجة من المحتالين والسحرة السجاليين ، فهل هم أنفسهم أولئك الذين كان لهم أرصاد فلكية في بابل قدرها أرسطو خير تقدير<sup>(١)</sup> ؟

ولكن المجوس اذا كانوا فلكيين مهرة فليسوا فلاسفة ، وكتبهم الدينية (زند) التي نعرفها الآن بطريقة أكيدة تبين لنا ذلك بغاية الوضوح . فان الفينديداد واليسنا واليشت وجميع القطع المنسوبة الى زورواستر (زاراؤسترا) تشتمل على آثار من ديانة ظاهر عليها الجلال والقوة في خلال تلك الظلمات ، ولكنها لا تشتمل على مذهب فلسفي . وهذه الكتب هي كل ما يمكن اسناده الى مجوس ككلية . فاذا كان فيثاغورث قد اطلع عليها بالمصادفة فإنه لم يدخل منها شيئا في مذهبه الخاص : صلوات وأدعية وآناشيد وعقائد مبهمة وغير مستقرة وآثار من سير مقدسة وخرافات ليست هي خرافات الفيداس وليست كذلك من خرافات الإغريق ، ذلك على الأخص هو كل ما يمكن أن يقرأ في كتبهم . وهذا في الحقيقة لا ينقص من أهميتها الكبرى ، فان تاريخ الديانات يمكن أن يكتشف فيها الأصول النفسية للغاية ، ولكن تاريخ الفلسفة لا يجد فيها شيئا يمينه ، وعلى ذلك لم يكن المجوس ولا المصريون قد أوجوا الى لاغريق يونيا شيئا .

أفكون الهند؟ ولا هي أيضا .

ليل حالك لا يزال يغشى الأصول الهندية وأخبارها ، ولأن هذه البلاد ما كتبت قط تاريخها نصادف أحكم العناء في ترتيب الحوادث والوقائع المتنوعة التي تتعلق بها . كذلك الحوادث الخاصة بالعلوم والآداب لا تخرج عن هذا الخفاء

(١) أرسطو كتاب السما . ك ٢ ب ١٢ ف ١ ص ١٧٨ من ترجمتي .

العام . ومع ذلك يبين لنا ، وسط هذا الاختياط الذى يكاد لا يخلص أبدا ، بعض الأصول الرئيسة الحقة على ما فيها من شدة الابهام ، فيمكن الجزم بأن آثارا بعينها من آثار العقل الهندى أقدم أو أحدث عهدا من بعض آثاره الأخرى . من ذلك أن أنواع القيدا ، وعلى الأخص القيدا التاريخى الذى لقب مع التسامح بلقب "الريك" هى متقدمة على سائر البقية . وجماعة القيدا أو على الأقل تلك المتقدمة لا يكاد يقل عمرها عن خمسة عشر قرنا قبل الميلاد ، غير أن هذه الأناشيد الشعرية ليس فيها شئ من الفلسفة . أما الخرافات الفياضة النامية فيها فإنها تشبه الخرافات اليونانية ، كما أن بين لغتى اليونان والهند البرهمانية مشابهة أخوة ، ولكن الطابع الفلسفى معدوم منها بالمرّة . وأما الأوپانيشاد التى يمكن أن يوجد فيها هذا الطابع بعد البرهمانيات فن المؤكد أنها متأخرة عن الأزمان التى نحن بصدددها ، فمع أن طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان هم من القرن السادس قبل المسيح فإن الأوپانيشاد لا يمكن إبلاغ أقدمها إلا إلى القرن الرابع .

وعلى ذلك لم يكن الإغريق يستعبروا شيئا من الهند مع افتراض أنه كان من الممكن فى ذلك الزمان أن يكون لهم مخالطة مستمرة بحكام شواطئ الهندوس ، بله حكماء أواسط شبه جزيرة الهند أو شرقها . وما عرف العالم الإغريق بحجاجة الجنوزوفست إلا بتجريدة الاسكندر وسفارة ميغاستين ، ولكن الاسكندر وميغاستين هما متأخران بما تبقى عام عن حكماء سموس وملطية وكولوفون .

حق أن الهند خلافا لمصر ويهودة وفارس لها فلسفة حقيقية نعرفها فى مجموعها ونعرف منها آثارا تفصيلية . وريثا ندرسها دراسة تامة نقدر منذ الآن أننا نعلم أن هذه الفلسفة مستوفية كل الشرائط اللازمة للعلم على النحو الذى نعينه نحن اليوم ، والذى كان يعنيه الإغريق دائما . إنها مستقلة تمام الاستقلال ، وغرضها كغرض حكمة الإغريق تفهم العالم والانسان . ولا شك فى أنها درست كليهما على غير الوجه المفيد ، ولكنها جعلتهما شغلها الوحيد ، فينبغى أن يكون لها بمذاهبها الستة التى تنقسمها وتؤلفها مركز عظيم فى التاريخ العام للعقل البشرى .



ما هو تاريخ هذه الفلسفة ؟ وإلى أى زمن تنسب ؟ ذلك هو كل ما يهمنا في هذا المقام .

قد كان يظن أن أحد هذه المذاهب الذي هو مذهب سَمَنْخِيَا الملقب من بَكلَا كان سابقا على البوذية . ولما أن بوذا مات سنة ٥٤٣ قبل الميلاد يكون سَمَنْخِيَا معاصرا لطاليس ومعاصريه الآخرين . وكانوا يُقَفُّون مذهب سَمَنْخِيَا بالمذاهب الأخرى على ترتيب معين لا يخلو من التحكم كثيرا أو قليلا ، باعتبار أن كل هذه المذاهب متأخرة عنه . وبالتبع تكون متأخرة عن فلسفة آسيا الصغرى ، ولكن يظهر أن هذا الترتيب أصبح الآن معدوم النصير ، لأن أغزر البراهمة علما متفقون على ترتيب سَمَنْخِيَا بعد البوذية بزمان طويل . إن الفلسفة لم تظهر في الدين القديم إلا لاستئصال شأفة الإلحاد أو على الأقل لتفيل من غربه . وإن مذهب سَمَنْخِيَا الذي هو ملحد وروحاني معا ما يكون إلا طليعة التوفيق بين اعتقادات الدين الجديد وبين الاعتقادات الجاثية من قيدا ، ويكون "النيابا" أو المنطق جاء نفسه قبل سَمَنْخِيَا الحاجات المناظرة وتكون القيدعتا متأخرة عن الاثنين <sup>(١)</sup> .

ليس لي من حاجة إلى الدخول في مناقشات من هذا النوع ، ولا أريد أن أجاوز بالبحث حدود ما قدمته من القول ، وإلا كانت إفاضة في العبث ، فإن من البين أننا حتى إذا وضعنا سَمَنْخِيَا في الترتيب الوجودي قبل ظهور البوذية وجدنا أن الاضرب لم يكن في وسعهم أن يعرفوا من مذهبه شيئا عند ما أخذوا يفلسفون لأول مرة . ومع افتراض أن سياحة فيثاغورث بلغت به بابل وصوص ، فإنها لم تعلمه مذاهب لم تكن خلقت في بحجاب أو على شطوط نهر الجنج .

ينبغي أن يزداد على هذا أن "داراسانا" الفلسفة الهندية على ما هي معروفة عندنا منذ كولبروك وما تلا مذكراته المشهورة من المعلومات ليس بينها وبين الفلسفة الإغريقية في تلك الأزمان الأولى علاقة مشاركة . فلا في طاليس ولا في فيثاغورث

(١) ر . مؤلف بريجا «حوار على الفلسفة الهندية» لندن ١٨٦١ في قطع الثمن ص ٥٠ وما بعدها .

وكان الأستاذ بريجا أستاذا في مدرسة يشوب بكلكتا أهدي مؤلفه إلى جون مور .



ولا في أكسينوفان يمكن العثور على أثر لشابهة أو التقليد . وهذا مفهوم بالبداية . مادام الظاهر كله يدل على أن الفلسفة البرهمانية لم تنم إلا بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة . ومتى خرجنا بالهند من الموضوع صار من العبث أن نبلغ بالبحث الصين ، فإن لاوتسو معتبر أنه عاش في القرن السادس قبل الميلاد ، ولكن الفلاسفة الاغريق الأول لو كانوا قرءوا الثاوي كنج وهو كتاب الطريق والفضيلة لما استطاعوا أن يجدوا فيه ما يصلح لهم .

على ذلك لا الصين ولا الهند ولا فارس ولا مصر نفسها لم تلهم الاغريق شيئا من فلسفتهم . وسأبين فيما يلي أى حظ من التأثير كان للذاهب المصرية في مذهب فيثاغورث ، ولكنه يمكن الجزم بصورة عامة أن الفلسفة الاغريقية باعتبار أنها في مهدها فلسفة بالغة في الأصالية غايتها . وبأن معنى العلم على الصورة التي صورتها بها هذه الفلسفة وقتئذ كان باكورة فهم العقل البشري للعلم ، تلك هي نتيجة كبرى أعترف بضاية الارتياح أنها ليست أمرا جديدا ، كما قد يبين من الاعتبارات التي تقدمت . بل قد تقدمت بزمان رجال ارتأوا هذا الرأي من غير أن يكون قد توفر لديهم كل ما لدينا من الأدلة .

فإن العالم المحقق برونر كان يكتب منذ قرن كامل في هذا الموضوع . وقبل أن يصل الى الفلسفة الاغريقية يبحث عن بدايات الفلسفة في الأرض جميعها . فراح يستجوب على التعاقب العبرانيين والكلدانيين والفرس والهنود والعرب والفينيقيين والمصريين وطائفة من أمم أخرى ، فلم يثر فيها على الفلسفة التي ينشدهم إياها عبثا ، حتى بلغ الاغريق فقال : "الآن لنبلغ الاغريق هذه الأمة المشهورة منذ كانت صبية في المهد بدرس الحكمة والفنون ، والتي عندها وجدت الفلسفة مقرها الذي بنته زمنا طويلا بعد أن تلقت هذه الأمة عن المتوحشين بعض الجرائم من المعارف الالهية والبشرية" .

(١) راجع مؤلف اساتيلاس بنوليان " لاو - تسين - زى - كنج " المطبعة الملكية

ثم بعد أن درس النظريات القديمة لأنساب الآلهة التمثيلية والفلسفة السياسية للحكماء أضاف هذا العالم الرصين مؤرخ الفلسفة الى ما تقدم ما يلى محدثا عن مدرسة يونيا: "الى هنا لم نقدر فلسفة الاغريق إلا وهي صبية تريت في مهبها، ولكنها قد بلغنا الآن منها الطور الذى فيه بدأ العقل البشرى يزاول الفلسفة الحقة، ويظهر بالأفكار المرتبة مظهر المشغوف بالنفوذ في حقيقة الأشياء، فالى العقيدة الاغريقية ينبغي أن ننسب هذا المجد كما بينته آنفا وفي أول هذا التاريخ عند البحث في الأصول الصحيحة للفلسفة<sup>(١)</sup>".

وأما أنا من جانبي فلا أزيد على ترديد عبارة بروخر، وأعدنى سعيدا باستنادى الى هذا المجلة المحترم المثين الذى تقدم بمائة عام ما لدينا في هذا العصر من المعلومات البينة. نتيجتى كنتيجته. نعم إغريقيا أصيلة على الاطلاق. أعطت كل العالم ولم يعطها العالم شيئا إلا ما ربما يكون من بذور كانت عقيمة في غيرها فعرفت هي وحدها أن تنبتا. لن أتوسع في الكلام على مذاهب طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان؛ بل أقترض أنها معروفة بمقدار ما يمكن أن تعرف من القطع النادرة التى نجت من البلى وأقف عند بعض الملاحظات العامة الى غاية العموم. من البين أن أكل هذه المذاهب الثلاثة على نسبة كبيرة هو مذهب فيثاغورث. ونحن لا نستطيع أن نتعرفه إلا من خلال الشروح التى وضعتها عقول قليلة التفوق جاءت بعد المصنف بستة أو سبعة قرون، ولكنها مع ذلك كافية في بيان أن الدراسة التى كان يزاولها حكميم سموس شدة ما كانت أفصح ميدانا وأكثر ضبها من دراسات معاصريه، فيها الفلسفة بتمامها تقريبا مع أجزائها الأصلية التى تألف هي منها. وفوق ذلك فإن دراسة العلوم وعلى الأخص العلوم الرياضية بلغت فيها شأوا بعيدا. ومن البلية أن شخص فيثاغورث كذهبه لا يزال يحيط به من الظلام حجاب لا شئ يمزقه، ولا شك في أن هذا الحجاب العظيم انما جاء كبره من السكوت الذى ألزمه فيثاغورث وألزم إياه تلاميذه الذين بقوا محتفظين بتنفيذ أمره مدة عدة أجيال. وكان فيلولاوس

(١) بروخر تاريخ الفلسفة سفر (١) ص ٣٦٤، ٤٥٧

السابق لأفلاطون بقليل هو أقول من علم القاعدة — على ما يؤكّدون — ونشر المذهب بل ربما نشر كتب الأستاذ أيضا .

ومما لا يقل عن هذا مطابقة للواقع هو أن فيثاغورث على فلسفته كان يحتفظ في نظرنا بشيء من النحو الديني إن لم يكن في أفكاره فعلى الأقل في الجمعية التي ألفتها والتي لا يدخل إليها إلا بعد امتحان قاس يعجزه المريد ، فليست الفيثاغورية مفتوحة للكافة كاللذهب الطبيعي لطاليس ، ولا كذهب ما وراء الطبيعة لإكسينوفان ، لفيثاغورث تلاميذ ، ولكنهم بعض أعضاء الجمعية منتظمة خاضعة للملاحظة شديدة ومحصورة في حدود لا تتجاوز ، إنما نوع من مدينة فلسفية دينية سياسية قاسية وضيقة الحدود . فلم تلبث أن آرتاب في أمرها جيرانها فخرّبوها بالحديد وبالنار وما كان أسهل عليهم ذلك نظرا إلى أن هذه الجمعية من الوداعة بمكان . ومن البديهي أن نظام المدرسة الفيثاغورية كان على مثال مدارس الكهنة المصريين ، وربما كانت على مثال مدارس المجوس أيضا . وإن تنازع الأرواح هو عقيدة شرقية صرفة لم تتأقلم في العالم الهليني ، مع أن أفلاطون وضعها تحت إشرافه . كان فيثاغورث مؤسس مدرسة ورئيس جمعية معا ومبدع مذهب لا يتلقاه إلا أشياخه ، وبهذه المثابة كان بين فلاسفة الإغريق وحيدا في هذا الباب . وينبغي أن يرجح أن سياحاته في مصر وكلدة هي التي أوجدت في نفسه مقاصد من هذا النوع فنقلها إلى بلاد قلما توافقها وتصح فيها ، ولكنها مع ذلك جعلت لفيثاغورث مركزا قدسيا صليبا معا فبق به علما فردا متميزا عن قبله ومن بعده . مذهبه العلمي غير تام ، ولكنه عظيم جليل . ومذهبه الأخلاقي طاهر لا غبار عليه حتى إن مذهب أفلاطون مع كونه أشد منه تعمقا لم يرجح عليه في طهره .

ولندع إلى جانب شخصيات الفلاسفة وننبه إلى أن الفلسفة الإغريقية بتمامها كانت موضوعا في وضع استثنائي أفادها جدا وهو أنها لم يكن أمامها أبدا ديانة مبنية على كتب مقدسة ، وقد كان الأمر على ضد ذلك في مصر ويهودة وفارس وفي الهند حيث لم تكن الحال قاصرة على أن الدين قد سبق الفلسفة في تلك



البلاذ، كما هو الحال عادة في كل زمان . بل إنها اعتمدت فوق ذلك على أسس معتبرة أنها إلهية ، ومع ذلك أقامت قرونا طوالا كافلة لسد الحاجات الأدبية والأخلاقية في تلك الأمم . وبعد ذلك نرجعت الفلسفة من المحاريب فثلا في بلاد الهند البرهمانية أو البوذية استطاعت الفلسفة أن تنمو نموا كبيرا متحللة من القيود الأولى وإن كان نجاحهما لم يكن عظيما . أما في بلاد الاغريق فلم يكن ما يشبه ذلك ، لأن الاغريق لم يكن لهم كتب إلهية ولا موسى بها . وقد كان أرفي ولينوس وسائر المرتلين الأقدمين الذين كانوا ينشدون آيات الأسرار الأولى كلهم ما كان يتكلم إلا بأسمه هو دون أن يسند ما يقول الى الإله . ولما كان الاشرار بالله متغير الصور منشورا في البلاد لا ينتظمها على حال واحد لم يستطع الوصول الى تأليف جسم من المذاهب قد يصير ديانة ذات قوام خاص ، فلم يكن للكهنة نقابة قوية ذات سلطان وكان الناس يحترمونهم ولكن لا يطيعونهم ، ولم تكن الروابط بين الهيئتين إلا مفككة العرى ، لأنها إنما تبحث عن معتقدات عامة يغير من عمومها في كل جهة أساطير محلية لا نهاية لها ، وعن بعض احتفالات عامة لم تكن إلزامية ، وهواتف يستشيرها الناس وقتا يريدون ، وألعاب عمومية . والكتاب الوحيد الذي أخذ يجامع قلوب الاغريق إنما هو قصيدة حماسية . إن قصيدة من شعر الحماسة تسحر العقول ولكنها لا تهديها ، تأخذ بالقلوب ولكنها لا توجب الايمان ، إنها تنمي الاحساسات الشريفة بما تقدم من التذكارات الوطنية ، ولكنها لا تسوى سبل السلوك . فما قصيدة حماسية بالتوراة ولا هي بالزانداستا ولا بمتراس البراهمة ولا بالقربان المثلث عند البوذيين . فالواقع أن الفلسفة كانت هي وحدها دين الهلن .

وما تنسب عظمة الفلسفة الاغريقية التي لا تزال تدهشنا وتتعلم منها بعد خمسة وعشرين قرنا إلا الى استقلالها المطلق . ولو أنها كانت تحت وصاية ديانة حسنة النظام أفكانت تظهر قواعدها بهذه السهولة التي ظهرت بها ؟ أو كانت تحيا تلك



الحياة الطبية القوية ؟ أو كانت تلد للعالم تلك الملح من التأليف وتؤتي ذلك الثمر اللذيذ ؟ من ذا الذي يعرف ذلك ؟ لا شك في أن المجلس الهليني كان عجيب الاستعداد فقد نجح في ميدان الفلسفة ، كما نجح في ميادين الأعمال الأخرى ، ولكن أما كانت تذبل هذه الخواص العجيبة لو أن العُصارة التي تغذيها جرت في قنوات أخرى من قبل وخصوصا في قنوات الديانة ! ولم يكن تاريخهم الخرافي إلا لعبا تلعب به الملوكات ، فكانت الخواص العليا للنفس في سعة من أن تقف لها نحو جذبا آخر وتبحث عن غذاء لها أغزر مادة وأدخل في باب الحق . بعيد على أن أنكر نعم الديانات على الناس ، وأرى أن من الخير أن تكون قد سبقت الفلسفة دائما ، وعند جميع الشعوب ، ولكني لا أستطيع أن أحجم عن القول بأنه إذا كانت ديانة الهلين أكثر جدية مما كانت عليه لأوشكت فلسفتهم وعلومهم أن تكون أقل في الجدة مما كانت عليه بكثير ، وتلك خسارة لا تعوّض على الاغريق وعلينا أيضا لأننا نحن أبناءهم ومظهر استمرار حياتهم .

ولئن أنسب إلى آسيا الصغرى وتلك الجمهوريات الاغريقية الصغيرة التي كانت مقبلة على شواطئها كل المجد الطارف في اختراع الفلسفة والعلم والشعر والموسيقى وكثير من الفنون الأخرى ، فإنني لا أقصد إلى أن أغمط آتينا حقها من المجد المقطوع النظيف ، ذلك لأنه من آتينا خرج في زمن قدروس أهل بعض هذه المستعمرات التي جمعت بين النشاط والذكاء والشاعرية والحربية ، وفي آتينا اجتمع اليونان . بل يمكن القول بأن آتينا أعطت من دمها ومن روحها تلك الجاليات التي لم تستطع أن تظلوا تحت سمائها بعد أن أقاموا بها زمنا طويلا . ثم إن تلك المستعمرات لم تستطع أن تحفظ في أوطانها جراثيم للفلسفة التي تمخضت عنها ، فإنه إذا كان طاليس بقى في ملطية فإن فيثاغورث قد هاجر من مموس إلى سيباريس وقروطون ، واكسينوفان ترك كولوفون إلى ايليا . فلما نعت الفلسفة موقنا من اغريقيا الكبرى بما فيها صقلية وجدت سلطانها الحقيقي في آتينا آخر مطافها ،

وجدته بسقراط وأفلاطون في عهد أنكساغوراس وبيريكليس وفيدياس وسوفكل،  
 كل ذلك تكون آتينا قد حوت أسى مظهر للذكاء الإغريق، وتكون الأمم المخصبة  
 التي ولدت الملح من كل نوع، فإن الفلسفة لما اقتلعت مرتين رجعت إلى الأرض  
 الأولى التي منها خرجت المستعمرات اليونانية لتؤتي فيها أجمل زهرها وأنضج  
 ثمارها. ولم تكن الفلسفة في آسيا الصغرى إلا عارضا جاءت به المصائب السياسية،  
 فأقامت فيها قليلا ولكن بعد أن انبعث نورها الساطع. فلما استقرت بآتينا مكثت  
 بها أكثر من ألف سنة من عهد بيريكليس إلى عهد جستنيان فهي معلمة روما  
 وجدة الإسكندرية ومنافستها الحدية دائما بالاحترام.

من أجل ذلك يظهر لنا أنت آتينا وبونيا أو بلفظ واحد إغريقيا كان لها على  
 من عداها فضل وسؤدد لا يطاقول، ومن أجل ذلك نضع منزلتها من سماء المجسد  
 في أوجها، لا يقار بها فيه ولا على مسافة كبرى تلك الأمم التي حاربتها ومزقتها  
 ولكنها لم تقهرها مع أنها تربي عليها في العدد ألف مرة. فمن ذا الذي يقام  
 له وزن بجانب الإغريق في باب الشعر والفنون والعلم والفلسفة؟ لست أعني  
 السنين ولا سائر تلك الشغوب الرحل في شماليها، ولكنها أعني الفرس والهنود بل  
 المصريين أيضا. ماذا عسى أن تكون القرون الأولى لولا الهلن؟ ما هي تلك المعارف  
 الإنسانية التي ليس لهم فضل في أمرها؟ ولقد أراد مؤرخو الإنسانية ومنهم هرودور  
 أن يتلمسوا أسباب هذا التفوق الخارق للعادة من ظروف وأوضاع كلها مادية  
 كشكل أرضهم وخال جوهم وحاجات تجارتهم... الخ، ولكن مع أن تأثير هذه  
 الظروف لا ينكر إلا أنها لا تستطيع أن تحمل لنا مشا كل هذه النظرية الدقيقة ولا أن  
 تفسر لنا سر هذا التفوق تفسيرا مقنعا، فإن شواطئ آسيا الصغرى وضاف بحر  
 إيجه وأطيقا، وبيلوپونيز وإغريقيا الكبرى لم تتغير عن أصلها، ومع ذلك أين هي  
 تلك الروح التي كانت تمشي الهلن في تلك العصور الخصبية؟ ماذا صارت روح  
 تلك الشعوب التي لم تتغير أوطانها المخصبة الجميلة منذ ذلك العهد إلى اليوم فإن  
 أخلاقهم لا يعدون الآن شيئا فيما يتعلق بارتقاء الممارك الإنسانية.



لا نكاد نجد لهذا السؤال جواباً ممكناً إلا الواقع نفسه ، فإننا لنرى كيف كانت اغتريقاً فوق كل الأمم حتى بالبقايا القليلة التي وصلت إلينا من أعمالها، ولكن لماذا اصطفى هذا الشعب الصغير في زمن معين خلال قرون عديدة ليكون عنوان النور الأبدى الهادي لجميع الأمم فيما يتعلق بالمعقولات؟ ذلك سر من أسرار العناية الإلهية ليس لنا بالتفوذ في كنهه يدان، بل هو كسائر أسرار الله تنال إعجابنا ولايناها فهمنا. انب الإغريق ، الذين لم يكن لهم على النوع الإنساني سعة النظر التي تقدمها لنا اليوم فلسفة التاريخ مدعمة بشقي الملاحظات، قد حاولوا مع ذلك أن يفسروا لأنفسهم أعجوبة عبقرتهم . واني أوترأ أيضاً في هذا المقام أن أستجوبهم بدل أن أجيب عنهم في هذه المسئلة، أولئك هم ثلاثة شهود عدول من عصر واحد تقريباً وهم بقراط وأفلاطون وأرسطو، يشهد أحدهم باسم علم وظائف الأعضاء ، والثاني باسم الفلسفة والوطنية، والثالث باسم السياسة . ولا بأس من أن نتخذ بجانب هؤلاء شاهداً على الشعر إيشيل الذي كان يقاتل في مرطون .

فن كاتب بقراط على الأهوية والمياه والأماكن ، ذلك الكتاب الذي يتخيل قارنه كأنما ممدّه فيما أتى به من النظريات هو العلم الحديث، استطرد فيه المؤلف بحكم ضرورة استيفاء موضوعه الى المقارنة بين الجنسين والوطنين اللذين يعرفهما حق المعرفة، لأنه عاش فيهما فقال :

” أريد بالمقارنة بين آسيا وأوروبا أن أين كيف أن كليهما تخالف الأخرى “  
 ” في كل شيء، وأنه ليس بين الأمم التي تقطن كليهما أية مشابهة في البنية . وقد “  
 ” يكون من التزام ما لا يلزم تعديد جميع الفروق، بل أكتفى بأكثرها أهمية، وأشدّها “  
 ” بروزاً للبيان، لأعرض رأي الذي أرتأيته في ذلك، فأقول: إن آسيا تختلف عن “  
 ” أوروبا اختلافاً عظيماً بطبيعتها حاصلاتها جميعاً، سواء فيها ما تخرج الأرض وما يخرج “  
 ” من ظهور الناس الذين يزرعونها. فكل ما يتولد في آسيا يفضل ما يتولد في أوروبا “  
 ” فضلاً كبيراً في الجمال وفي بسطة الجسم . جوها أكثر اعتدالاً، وأمها أدمث “  
 ” أخلاقاً وأسهل قياداً، والعلة في ذلك هي التوازن التام بين الفصول ... فان المشاشية “

” التي ترى في أرض آسيا حسنة المنظر خصبة الثكاثر إلى حد مدهش، وترى فيها  
 ” ناهجة إلى الغاية. وأما الناس فيها فمؤهم عظيم، يمتازون عن الأجناس الأخرى  
 ” بجمال صورهم وفضل قامتهم، ولا يختلف بعضهم عن بعض في الرءاء ولا في الصورة.  
 ” ويمكن أن يقال: إن مثل هذه الجهة بينها وبين الربيع نسب يكاد يكون متصلا  
 ” بالنظر لتأليف فصول السنة ولطف آثارها، ولكن لاشجاعة الرجولة ولا مصابة  
 ” المشاق ولا إجهاد النفس في العمل ولا شدة البأس كل هذه الصفات لا تنمو  
 ” في مثل هذه الطبيعة، سواء فيه الوطنيون والمستوطنون، بل إن حب الملاهي  
 ” عندهم يتغلب على ما عداه من الميول الأخرى .

” أما من جهة ضعة النفس وعدم الشجاعة فإن الآسيويين إذا كانوا أقل ميلا  
 ” للحرب وأكثر سلاما في الطبع من الأوروبيين فعلة ذلك إنما هي على الخصوص  
 ” في حال إقليهم حيث لا توجد تقلبات شديدة لا في الحر ولا في البرد بل  
 ” قليلا ما يشعر بتغير الجو، وحيث لا يعتري العقل صدمات ولا يعرف الجسم  
 ” تغيرات . وتلك أفعالات من شأنها أن تكسب الخلق وحشة وتمزج به ميلا  
 ” للمحاج والمصيان أكثر مما تفعل الحال الجوية دائمة التماثل . ألا إنها التغيرات  
 ” من النقيض إلى النقيض هي التي تنبه العقل الإنساني وتمنعه من أن ينام  
 ” في ظلال السكون . تلك هي الأسباب التي يتعلق بها على ما يظهر لي ضعة  
 ” نفوس الآسيويين .

” ينبغي أن يضاف إلى ذلك حال النظمات، فإن جزء آسيا الأكبر خاضع للولوك .  
 ” وحيثما كان الناس لا يملكون حرية أشخاصهم لا يعينهم المرون باستعمال السلاح، بل  
 ” يصرفون كل عنايتهم في أن يظهرُوا بمظهر العجزة غير الصالحين للخدمة العسكرية،  
 ” ذلك بأن الخطر ليس مقسوما بينهم قسمة عادلة، إذ يسعى الرعايا إلى خوض غمار  
 ” الحرب يذوقون فيها من المتاعب ألوانا يموتون فيها من أجل أسيادهم بعيدين عن  
 ” أبنائهم وعن نسايتهم وعن كل ما هو عزيز عليهم . وفي حين أن كل ما يأتونه من



”ضروب النشاط والبسالة انما يجنى اسيادهم ثمرة يكبر به قدرهم وتشتد به عصبهم“  
 ”فإن أولئك المحاربين لا يحنون من وراء كل ذلك الا الأخطار والمهلك . وفوق ذلك“  
 ”فإن هؤلاء الرعايا لا بد لهم من أن يروا في الغالب دخول الأعداء وانقطاع الأشغال“  
 ”سببا لجعل غيظانهم حصيدا جريئا . بهذه المنابة ترى الذين آتتهم الطبيعة في هذه“  
 ”الأمم قوة في القلب وميولا حسنة قد تمنعهم تلك النظمات السياسية من الانتفاع بها.“  
 ”وإن أكبر برهان على ما أقدم هو أن في آسيا جميع الأمم الإغريقية والمتوخشة“  
 ”المتحللة من نير السيادة والتي تضع قوانينها بنفسها لنفسها وتشتغل لحسابها هي أكثر“  
 ”الأمم الآسيوية ميلا الى الحرب . ولما أنها كانت تتعرض لأخطار الحروب لحسابها“  
 ”الخاص فكانت تتمتع بثمره شجاعتها أو تتحمل سوء نتائج جبنها ليسوا كالأسيويين“  
 ”المحكومين بالملوك ، فإن الشجاعة تفقد وجودها بالضرورة في قلوب الرجال الخاضعين“  
 ”لحكم الملوكية ، فموسمهم مستعبدة فلا يكادون يهتمون بمماناة الأخطار بمحض“  
 ”إرادتهم من أجل توسيع سلطان غيرهم . ولكن الأمر على ضد ذلك إذا كان الانسان“  
 ”غير خاضع إلا الى قوانينه الذاتية وإذا كان يعرض نفسه للخطر من أجل منفعة“  
 ”الخاصة لا من أجل منفعة غيره . من هذا شأنه يقتحم المخاوف طائما مختارا ويلقى“  
 ”بنفسه بكل قلبه في جميع مهاوى المصادفات ، لأنه سيجنى لنفسه ثمرة انتصاره .“  
 ”من أجل ذلك كانت القوانين مساعدة عن سعة على تكوين الشجاعة“ .

”تلك هي المقارنة العامة التي يمكن تقريرها بين أوروبا وآسيا في كل الأشياء“<sup>(١)</sup>  
 ذكر أفلاطون في كتابه المينكسين حيث لا يزيد سقراط على أن يكرر مقالات  
 أسباميا الشاعرة الملطية تمجيذا للاغريق الذين قهروا قبائل آسيا ما نصه :

”لما جاء الفرس الذين هم سادة آسيا وحكامها يسمعون لإذلال أوروبا قائلهم“  
 ”أباؤنا أبناء هذه الأرض قهروهم ودحروهم . ولتقدير قيمة هذا العمل العظيم ينبغي“

(١) سقراط كتاب الأهوية والمياه والأماكن ب ١٢ ، ١٦ ، ٢٣ من ٥٣ ، ٦٢ ، ٨٧

(١)  
 "أن تنتقل بالفكرة الى العصر التي كانت فيه آسيا كلها خاضعة الى ملكها الثالث،"  
 "فاؤلم قيروش الذي لما مكثه عبقريته من تحرير مواطنيه الفرس أخضع اليه"  
 "سادتهم الميديين، وحكم بقية آسيا الى حدود مصر. ثم فتح ابنه مصر وسائر الإقطار"  
 "الافريقية التي استطاع أن يصل إليها . وثالثهم دارا قد بسط حدود مملكته"  
 "ومدها الى سبتيا بفتوحات جيشه البري، وأما أساطيله بفعلته سيد البحر والجزر،"  
 "واذ كان لا يجرؤ أحد على مقاومته وقد ذلت له هلمات الأمم فكمن من أمة قوية"  
 "حربية ألقت عنانها الى الفرس ودخلت تحت نير سلطانهم ... ! اذا استحضرت"  
 "الانسان هذه الظروف في ذهنه أمكنه أن يقدر حقا البسالة التي أتاها يوم مرطون"  
 "وأولئك المقاتلون الذين صبروا على مهاجمة المتوحشين، وعاقبوا تجميع آسيا وكبرياءها،"  
 "والذين أثبتوا للإغريق بما جاءوا به من الأنفال والغنائم أن قوة الفرس لا تستعصى"  
 "على المقاومة، وأنه لا شيء من كثرة العدد ولا من سعة الثروة يقف أمام الشجاعة ..."  
 "لذلك ينبغي أن يسند ثناء هذا النصر الأول الى أولئك المقاتلين . وأما الثاني فنشأه"  
 "مسند الى الظافرين في الوقائع البحرية بسلاطين وأرطيميس، وقد ضرب أبطال"  
 "مرطون مثلا للإغريق عامة أن فئة قليلة حرة تكفي لرد غارة جيوش المتوحشين"  
 "البرية، مهما كانت لا تحصي عددا، ولكنه لم يكن ليثبت أن ذلك ممكن أيضا"  
 "في البحر كما أمكن في البر حتى وقعت الوقائع البحرية فاستحق بها أولئك"  
 "البحارة المهرة ما أحرزوا من المجد لتخليصهم الإغريق من الخوف الأكبر، ولأنهم"  
 "صبروا الأساطيل الفارسية لا تزيد مهابة على الجنود الفارسية، أما الواقعة الثالثة من"  
 "وقائع الاستقلال الإغريق من حيث الترتيب التاريخي ومن حيث شدة الإقدام"  
 "فهي واقعة بلاتنة، وهي أول واقعة اشترك فيها اللقدونيون والآثينيون وباءوا"  
 "بمجدها جميعا، وقد كان اللقاء فيها حرجا والخطر محيقا فتغلبوا على كل شيء. وياله"  
 "من فضل يستأهل مدائحنا ومدائح قرون المستقبل ."

(١) إيشيل . (الفرس البيت ٧٦٥ وما يليه) يذكر عددا آخر . يرى أن آسيا في عرف إيشيل

وأغلاطون كان حدها الشرق أرض فارس .

الى أى شىء فى الاغريق نسبت أسباسيا هذه الشجاعة وهذا المجد؟ الى علة واحدة، الى الحرية التى كانت لُتَمَّعَ بها آتينا . قالت : ”ها أنتم هؤلاء ترون كيف أن أجداد هؤلاء المقاتلين وأجدادنا وهؤلاء المقاتلين أنفسهم الذين ولدوا بالطالع المسمود وربوا فى مهد الحرية قد أتوا هذه الفعال الجميلة العمومية والخصوصية لفرض واحد هو خدمة الانسانية“ .

وما كان هذا الشيد الا أليق ما يكون بالأعمال التى يشدو بها . وحقيق بأسباسيا أن تمتدح آتينا وأبناءها . ولما قام مينكسين يشكر سقراط عند انصرافه لم يمالك نفسه من أن يمجهر بهذا القول : ”وحق المشتري إن أسباسيا لسعيدة بأنها وهى امرأة تقدر على كتابة مثل هذه المقالات“ .

ولا شك فى أن هذا الشاب قد أصاب فيما قال ، إلا أنه فاتته أن هذه المرأة كانت من ملطية وأن أجدادها ، مع أنهم كانوا لا يزالون أضعف من الآتينيين ، قد حاربوا الفرس غير مرة من قبل أن لتولى آتينا أمر قهرهم .

وأخيرا فإن أرسطو يشرك أفلاطون وسقراط فى رأيهما ، فانه لما تكلم على الصفات المطلوبة فى سكان المدينة فى حكومة منظمة قال :

”لكى يلم المرء بهذه الصفات ما عليه إلا أن يطرح نظره الى أشهر المدائن“  
 ”الاغريقية والى بقية الأمم المختلفة التى نتقاسم سطح الأرض ليرى أن الأمم التى“  
 ”تسكن الأقاليم الباردة حتى فى أوروبا هى على العموم مملوءة بالشجاعة ولكنهم“  
 ”على التحقيق أقل ذكاء فى العقل ومهارة فى الصناعة ، وبهذه المثابة يحتفظون“  
 ”بمخترتهم خير احتفاظ ، ولكنهم من الجهة السيامية غير قابلين للنظام ، ولم يستطيعوا“  
 ”مطلقا أن يقهروا جيرانهم . أما فى آسيا فالأمر على ضد ذلك ، فان أهمها أكثر“

(١) مينكسين أفلاطون تريجة فكتور كوزان ص ١٩٦ وما بعدها . ذلك هو الذى ذكره أيضا لايشبل على لسان جماعة المنشدين يجهلون أنوسا أم اكرار كبس : ”لا يستطيع مخلوق أن يقول إن الآتينيين عبيده أوروبا“ الفرس البيت ٢٤٢



”ذكاء وقابلية للفنون، ولكنهم تنقصهم قوة القلب ويصبرون على البقاء تحت نير“  
 ”العبودية المؤبدة . أما الجنس الإغريق الذى هو بموقعه الجغرافى وسط بين هؤلاء“  
 ”وهؤلاء فإنه يجمع صفات الطرفين ويجمع بين الذكاء والشجاعة، يعرف كيف يجمع“  
 ”بين حفظ الحرية وبين تأليف حكومات غاية فى النظام . فهو جدير إذا“  
 ”توصلت كلمته فى حكومة واحدة أن يفتح العالم“ .

هذا رأى ثلاثة رجال ، أولئك هم أرسطو وأفلاطون وبقرراط فى عبقرية  
 اليونان، إنهم لم ينفوا عن الإغريق المؤثرات الخارجية التى آثارها أظهر من أن  
 تخفى، ولكنهم اهتموا على الخصوص بالأسباب الأخلاقية . وما ضلوا فيما ذهبوا  
 إليه، لأننا نحن الآن مع أننا أكثر تنورا، بما أصبنا من التجربة الطويلة، لا نستطيع  
 أن نزيد شيئا على هذه الاعتبارات الصادقة المستمدة وجودها بنوع ما من الجنس،  
 فلتبقى إغريقيا إذا ما كانت فى المصور الأولى مدفونة فى طيات مجدها، ولكن  
 خالدة ما خلدت أعمال الانسان التى تقع فى يوم من الأيام ثم تلتفها أيدي البلى  
 مهما كان موضعها من الجمال والكمال .

كنت أريد أن أفرغ من هذه المقدمة التى طالت أكثر مما ينبغى، ولكنها  
 لا تكون كاملة إذا لم أرجع بها إلى الكلام على الكتابين اللذين نتقدتهما وإذا لم أبسط  
 القول على المسألة الكبرى التى تشبثت بها مدرسة إيليا، تلك المدرسة التى يمثلها  
 إكسينوفان وميليسوس أعنى بها وحدة الوجود وعدم تغيره . وما أدراك ما هى  
 تلك المناقشة التى تارثرتها فى بداية الفلسفة وقام بها رجال تقلبوا فى الأعمال الحيوية  
 من حرب وسياسة وسياحة واستعمار؟ وإذا نراهم فلاسفة ونظرين نراهم جميعا يزاولون  
 المقاصد العملية بهمة مدهشة، وأنى لنا إدراك التوفيق بين الحالين إذا لم نلم بالأخلاق  
 والعادات والضرورات التى كانت فى تلك الأزمان المضطربة! كان طاليس فى جيش  
 ألياط وكان أحد المؤتمرين فى البانيونيوم، وفيثاغورث يحوب البلاد الأجنبية زمنا

(١) أرسطو . السياسة ك ٤ ب ٦ ف ١ من ترجمتى من ٢١٧ من الطبعة الثانية .



طويلا على كثرة الأخطار وبعد الشقة ؛ وإكسينوفان الذى فنى نفسه طوعا من وطنه المقهور بالفرس يذهب للانضمام إلى الفوكيين فيما وراء البحار ؛ وميليسوس يدافع عن سموس ضد الآتيين بعزيمة لم يتغلب عليها يريكليس إلا بعد طول المعاء، أولئك قواد وساسة يشتغلون بما وراء الطبيعة ! أمر شديد الندرة دائما ! وفوق ذلك فإنهم يظهر عليهم أنهم فنوا فى دقة التدليل ، تلك الخاصة التى كانت تتم بها عن بيئة مدرسة إيليا . إذا سلمنا بما ذكره أفلاطون فى كتابه المسمى "برميليد" فإن ذلك الانتقاد والهمة كانا من الصحة بمكان ولا شك أن من الفريب أن تملك التدقيقات المنطقية على مثل هؤلاء الرجال عقولهم ، غير أنه يجب التنبيه إلى أن برميليد مع كونه تلميذا إكسينوفان وخليفته قد شرع لنفسه طريقا غير طريقه لمسح من أفكاره وغلا فيها ، وربما كان ذلك أثرا من آثار الروح العامة المنتشرة وقتئذ فى إغريقيا الكبرى ، تلك الروح التى كانت وقتئذ تبذع فى صقلية فن الخطابة والتى غلت فى نظريات فيثاغورث على العدد إلى حد الإفراط .

ليست تلك روح إكسينوفان التى نتجلى فى المقطوعات التى بقيت لنا من آثاره وفى الكتاب الذى أترجمه الآن فى هذا المجلد . وعلى رأى أن هذه النقطة هى التى ينبغى أن نوجه النظر إلى الإمعان فيها للإصابة فى تقدير قيمة هذه المذاهب الناشئة وقتئذ ، والتى لم تكن لتأخذ بعد مركزا ثابتا فى العقل الإنسانى فى بداية هبوه من سباته .

أول نظرة فى الطبيعة التى تحيط بنا تظهر لنا بادئ الأمر وحدة الوجود ، وما يكون إلا بعد ذلك بالزمان أن نميز بالجهد والتحليل أجزاء مختلفة فى هذا المجموع العام الذى يسحر جلاله أبصارنا ويغيب إدراكنا . ولم تستطع الهند لا قبل الفلسفة الإغريقية ولا بعدها أن تخرج من تأثير فكرة الوحدة بل فثبت فيها بكتبتها وبقي العلم على المعنى الخاص غريبا عنها على الإطلاق طول حياتها ، كان لها نظريات للتمجيم فيها نصيب قليل أو كثير ، وتصورات للعقل فيها حظ وثير أو ضئيل ، كلها قائمة على

الأصل العام للأشياء، ولكن لم يكن فيها دراسة خاصة وضعية للظواهر الطبيعية، ذلك هو أساس العبقرية الهندية وعظمتها، لا يوجد شيء أكثر من ذلك في الفيدا والبرهانا والأوبانيشاد والأناشيد الحماسية والقوانين ولا في الدراسات الفلسفية. أما العبقرية الإغريقية فإنها اتقت أن تسحرها ظواهر النظرة الأولى في الوجود، ورفضت بذلك الخطر عن نفسها، ولئن كانت قد اتجهت وقتاً ما إلى فكرة الوحدة فإنها قد عرفت لحسن الحظ كيف تخلص منها لتدرس عن قرب دراسة منتجة بعض الأجزاء الأصلية لهذه الوحدة التي ليست في الواقع إلا صورة اللانهاية عينها.

ذلك هو الواقع حتى أن طاليس حين بحثه في التعبير عن ماهية العالم كان يدرس الأصل المادى الذى تكوّن منه، ومع أنه قد أخطأ هذا الأصل الذى ظنه الماء فإنه على كل حال كان يعتمد على ما يشاهد بالحوس فى الطبيعة ليتعرف أمرار الأشياء. يستغل بالهندسة ويتبع جريان الكواكب فى أفلاكها ما دام أنه كان على وشك أن يتنبأ بكسوف الشمس. وعلى رأى أرسطو، وشهادته قاطعة فى هذا المعنى، أن طاليس كان يسلّم بأن العالم مملوء بالآلهة القائمة بأمر النفس وبالحركة، وليس فيثاغورث بأقل استقساكاً بفكرة الوحدة مع أنه كان يحزبها، ولم تله استكشافاته الرياضية والفلكية لحظة واحدة عن النظر فى توافق النظام العالمى، فكان يعترف بوجود طوائف متخالفة فى هذا النظام، ولكنه مع ذلك يعترف على وجه الخصوص بوحدة عجيبة، وعلى رأيه أن الأضداد اثنين اثنين تكوّن كلاً واحداً يكون أرقى منها. وأن الوحدة هى الأصل الحقيقى فى العالم المادى كما هى فى العدد، وبذلك أوتى فيثاغورث إلى تعريف الله دون أن يميزه تمييزاً تاماً عن العالم الذى ينظمه ويسيره.

أما هند إكسينوفان فإن فكرة وحدانية الله وقدرته هى ظاهرة بغاية الوضوح دون أن يتعمق فيها كما تعمق فيها أفلاطون من بعده وكما هو الحال على الخصوص فى اللاهوت المسيحى. وأظن أن هذه النظرة الأولى فى الوحدة الإلهية هى التى

ألفت جلالها الباهر وخفاءها في نظريات مدرسة إيليا . وعندى أن ذلك هو الذى يفسر أطلاط هذا المذهب الشريف . إن نظرا إكسينوفان لم يكن بعينه المدى ، إن شتم ، ولكنه على الأقل لا يفضل . أما پرميليد فإن به ميلا إلى السفسطة التى حملت تلميذه ذنون على أن ينكر الحركة وحملت غريغياس على تأييد أبعد مذاهب العدمية ضلالا وأقلها تنزها . وأما ميليسوس فإنه لزم الحدة الوسط بين الأستاذ صاحب المذهب وبين الذين ظلوا به حتى وقعوا في المحال . وإلى مقارب بين إكسينوفان وميليسوس وإذا كر الفروق الأساسية بينهما على ما يظهر لى :

لقد كان إكسينوفان مليئا باحترام هذا المذهب الذى لم يدركه أحد من قبله بمثل ما أدركه هو من الوضوح والجلال ، لذلك نفى عنه خيالات الشعراء اللطيفة التى تحط من مقامه كما نفى عنه الأنثروپومورفيزم الجسافى الذى هو مذهب العوام ( تصور ذات الله تعالى على صورة الإنسان ) . تعالى الله عما يصفون من النقائص وعن صور الكائنات الفانية وعن صور هؤلاء التعمساء الذين يجعلونه على صورتهم . ليس كمثله شيء فى الوجود لأنه لماذا يكون المثل خالقا بدلا من أن يكون مخلوقا ؟ وإن الله الذى لا يمكن أن يأتى من موجود يشابهه لا يمكن من باب أولى أن يأتى من شيء يكون دون مقامه . إذا هو لم يخلق من شيء فيكون بالضرورة أزليا . وأخذا بنتيجة ليست أقل ضرورية من الأولى يكون قديرا على كل شيء . لو كان آلهة متعددون لكانوا أقوى أو أضعف بعضهم من بعض ، وعلى ذلك لا يكون إله ، لأن خاصة الإله أن يملك كل شيء ولا يملكه شيء أيا كان . ولما كان الله أزليا قديرا على كل شيء لزم على ذلك أن يكون واحدا ، لأنه لو كان له منافسون لما أمكنه أن ينفذ أحكامه ويحقق إرادته العليا .

من ذلك ترى أن فى إكسينوفان بعض مبادئ جلييلة لم يرفضها اللاهوت المسيحي بل تقبلها بالعناية قبولاً حسناً ، ولكن نظرا إكسينوفان قد اضطرب فى هذه النقطة ، وليس فى ذلك ما يوجب الاستغراب . ولقد أراد أن ينفذ نظره فى حقيقة

الذات الإلهية فأخذه العثار في هذا الطريق الوعر الذى ضل فيه كثير غيره ، فانه يقول : الله الذى لا يشابهه شئ من الحوادث هو على الأقل يشبه ذاته ، وهو هو في جميع أجزائه وهو بأكمله هو في كل جزء منها . قد يكون ذلك مقبولا ولكن إكسينوفان لما وقع في الاستعارات التى لا تساوى قيمتها إلا ما تساويه الأتروپومورفيزم التى انتقدتها بحق أخذ يشبه الله بفلك ، وكانت النتيجة عنده أن الله لا يمكن أن يكون لا لا متناهيا ولا متناهيا ، وأنه لا يمكن أن يكون له حركة ولا سكون ، كما أنه لا أول له ولا وسط ولا آخر . ومع ذلك فإن إكسينوفان لم يندفع نفسه في أمر الصعوبات غير المتناهية التى تقف في حل هذه المسئلة ، ودليل ذلك ما قاله في هذه الأبيات الجميلة التى نقلها إلينا سكستوس أميريكوس .

” لا أحد من الكائنات الهالكة يستطيع أن يرى جليا في هذه الأعماق ، ولن  
” يستطيع أحد أن يعرف حقيقة ماهية الآلهة والعالم ، تلك الماهية التى أحاول  
” الكلام عليها . فاذا لقي أحد يوما بالمصادفة الحقيقة الثامة كما عرف هو نفسه  
” أن يقدر ما وصل اليه منها ، وليس في كل ما يقال في هذا الشأن إلا محض  
” تشبيه وتقريب “ .

والظاهر أن پرمينيد لم يتمش بالبحث في هذا الموضوع الكبير الى الحد الذى وصل اليه أستاذه . وأما ذنون تلميذ پرمينيد وواضع فن الجدل فإنه ، على ما قال ديوجين اللايرثي نقلا عن أرسطو ، قد وصل في هذا الموضوع الى لا أدريّة فلا فيها غريغاس الى أقصى حد ، ولكنى أكرر أنى لا أشتغل بذنون ولا پرميليسد بل ألتخطاهما الى ميليسوس فهو الذى أقصد درسه بمد إكسينوفان .

مع أن ميليسوس يفصله عن رئيس المذهب ثلاثة أو أربعة قرون ، فانه أحرص الناس على أن يحذو حذوه ويلتزم تعاليمه ، إلا أنه ، عوضا عن أن يبقى متمسكا بإله إكسينوفان الواحد الأزلى القادر على كل شئ بل والمدرّك لكل شئ ، أيضا ، زاغ عن الطريق ووضع الموجود موضع الإله فاشتغل بالموجود آخذاً لما يراه



في كل تجزده وفي كل عقمه . غير أن التأملات الميتافيزيقية مهما قل فيها الضبط فان ذلك لا يقلل من جمالها ولا من تعمقها الاستثنائي .

الموجود لا يأتي من الموجود وإلا لزم عليه أن يتقدم نفسه وهذا تناقض . ومثل ذلك في التناقض أن يتولد الموجود من المعدوم . على ذلك لم يكن الموجود قد وجد في زمن ما ، وعليه يكون الموجود أزليا وفوق ذلك لا يعتريه الفساد ولا الانتهاء ، لأنه إما أن يتغير الى معدوم وهذا محال ، وإما أن يتغير الى موجود آخر وإذا فلا يكون متعدما ، فالموجود على ذلك كان دائما ويكون دائما ، وما دام أنه لم يوجد من القدم فهو لا أول له ، وما دام لا يمكن فناؤه فهو لا آخر له ، وما دام لا أول له ولا آخر له فهو حتما لا متناه ، وما دام لا متناهيا فهو واحد ، لأن اللانهاية منافية للتعدد ، إذ لا يمكن تصور اثنين أو عدة لا متناهية . ومتى كان الموجود أبديا واحدا لا متناهيا كان بالنتيجة غير متحرك ولا قابل للتغير ، لأنه في أي مكان غير ذاته يمكنه أن يتحرك ؟ ولما كان موصوفا بالوحدانية المطلقة فأي تحول أو تبدل أو تغير يمكن أن يلحقه ؟ ولو أمكن أن يتبدل بغيره أيأ كان لاكتفى أن يكون شبيه نفسه ولا تعدت صورته الأولى وجاءته صورة أخرى . ومع تقدم الزمن ينعدم هذا الموجود الأبدي والالائي ويحول الى لا شيء . ولما كان الموجود أبديا لا متناهيا واحدا كان لا يمكن أن يكون له جسم ، فلا يمكن أن يكون ماديا ، لأنه اذا كان ذلك لزم عليه أن يكون ذا أجزاء متميزة بعضها عن بعض ، وهذا يناقض وحدانيته ولا نهايته وأبديته . لا شيء كائن حقيقة الا الموجود . وجميع الأشياء التي تؤكد لنا حواسنا وجودها ليست إلا مظاهر خداعة متحولة كثيرا أو قليلا ، فهي غير موجودة بالمعنى الخاص ما دامت متغيرة وما دام أنها تهلك بعد أن تولد . أما الموجود الحقيقي فانه لا يتحول ولا يتغير أبدا ولو أن الأشياء التي تظهر أمام حواسنا كانت موجودة كما نظنها للزم على ذلك أن تكون غير قابلة للتغير وأبدية كالموجود نفسه ، فلا شيء بموجود إلا الوحدة ، وأما التمسك فلا وجود له أصلا .

أما أنا فاني أجد أفكار ميليسوس هذه خليقة به ، وبالمدرسة التي هو أحد أعضائها ، لا شك في أنها متناقضة من بعض الوجوه ، ولكننا من خلال هذه الرسوم البالية والمقطوعات القليلة نشعر لها بعظمة وقوة لم يوفهما تاريخ الفلسفة حقهما من حسن التقدير، وربما كان هذا الغمط منذ أرسطو .

وإني أعترف بأن أنكساغوراس مفهوم خير فهم بعد إكسينوفان وميليسوس ، فإن أنكساغوراس الذي هو معاصر لقائد سموس ( ميليسوس ) هو الذي جلا الغوامض عن علم الطبيعة وقواعد نظام الكون في عصره بأن أدخل عليها تلك الفكرة الصالحة : أن العالم يديره العقل المدبر .

ولقد أعجب سقراط بهذا المذهب مع أنه يرى أن أنكساغوراس لم يكن يستقصي كل نتائجه ، كما أننا نعلم ما صرح به أرسطو من الثناء الجميل على أنكساغوراس إذ يقول : لقد جاء أنكساغوراس بعد كثير من الضلالات ، أشبه ما يكون برجل سليم العقل يتكلم وسط المجانين . فمن البني أن ينتقص فضل أنكساغوراس أو أن ينازع فيه بعد ما كان من شهادة سقراط وأرسطو ، فإن له الفضل الأوفى في هذا المذهب ، وايس شاذا عن المؤلف أن كلمة من عبقرى تكشف القناع عن المغيبات العلمية . قد يقال إن إكسينوفان وميليسوس هما اللذان وطأ لهذا المذهب بنظريتهما التي هي أقرب ما يكون منه . ولا مشاحة في ذلك فإن لهما نصيبهما الوافر من ذلك الفضل .

ذلك هو المعنى الحقيقي لمذهب الوحدة في مدرسة أيليا التي طالما حجب من نورها وصغر من قدرها على نسب غير مضبوطة ، وما الوحدة الإيلية إلا الله طلبوا معرفته يتلمسونها بين حجب الجهالة الأولى ويدرسونها ، كما يمكن أن تدرس في تلك الأزمان إذ العلم والمشاهدة العلمية لا يزالان في بدايتهما . فلم تكن تلك الوحدة قد وصلت بعد إلى ما قرره أنكساغوراس من الإدراك الإلهي ولا ما قرره سقراط وأفلاطون من العناية

(١) أرسطو الميتافيزيقا ك ١ ب ٣ ترجمة فكتور كوزان . رفع فلسفة الطبيعة الخامسة ص ٢٠٤

الربانية . غير أن تقرير تلك الوحدة مع ذلك كان الجسرثومة الأولى لكل هذه المذاهب . ومهما يكن من صدق الانتقادات التي يمكن توجيهها الى المذهب الذي يرأسه إكسينوفان ، فلا شك في أن تلك التوجهات السامية هي التي آتته عظمته وخطره في تاريخ الفلسفة .

أقف عند هذا الحد وألخص ببيان أوفى تلك المعاني التي جثت على إيضاها بشيء من الضبط ربما كان أقل مما كنت أريد .

قد ظهر لي أن مجيء الفلسفة الى عالمنا الغربي حادثة من الخطر بحيث أردت أن أحيطها بكل ما يحلو خفاءها معتمدا في ذلك على استجواب التاريخ عن الأمم وعن الظروف التي اعتورت هذه الحادثة . ومما ينبغي التنبيه اليه أن هذه الحادثة إنما كانت من احتكاك أوروبا بآسيا، وإن كان ذلك قد حصل من قبل في حرب طروادة إلا أن ظروف هذه الحرب مطروحة جانبا لأنها نرافية أولقطة العلم بها . ذلك الاختلاط حصل في بقعة من الأرض ليس فيها من السعة إلا بمقدار ما يلزم لتحرك الجاليات الإغريقية وفي عصر يعتبر نسبيا عصر نوحش ولكنه كان مملوءا بالخصب الذي لم يتجدد بعد من وقتئذ الى الآن . على ذلك كانت آسيا الصغرى هي السابقة على آتينا التي فاقتها من بعض الوجوه ، كما يشهد بذلك هوميروس ، ولكن آسيا التي حملت بهذا الأصل العجيب تحت تأثير أم غربية عنه لم تستطع تعهده وإخماءه ، فعاد منها يستكمل قوته وكأله الى الأرض العتيقة التي كان قد خرج منها منذ خمسة أو ستة قرون .

ولقد تصدّيت فوق ذلك لتبيين أن العبقرية الإغريقية هي التي دانت العالم بهذا النفع العلمي الجليل دون أن تكون مدينة فيه لغيرها . فإذا كانت الشعوب المجاورة لها آتتها شيئا من العلم فما هو إلا مدد مبهم غاية في الإبهام . لا مرأى في أن المصريين والكلدان والهنود لهم في ماضي الإنسانية مقام كبير ، ولكنهم مع ذلك في الفلسفة أوفى العلم بعبارة أعم ليسوا شيئا مذكورا في جانب الإغريق الذين لم يكونوا ليتعلموا



منهم . ولقد أثبتت مقارنة اللغات في أيامنا هذه أن لغة الإلياذة ولغة التيدا كانتا في الأصل لغة واحدة ، وأن اللسان الإغريقى والسكريت أخوان ولدتها أم واحدة ، ولكنه اذا كان الأصل الذى أطرح في أزمان ما قبل التاريخ واحدا ، فان ما قدر على الأخوين كان مختلفا جد الاختلاف ؛ لأن العالم الإغريقى قد أنتج الآداب والعلوم والفنون التى ننسج الآن على منوالها ، وشاطر يحفظ عظيم في تقدم المدنية المسيحية حتى وصلت الى ما هى عليه الآن ؛ في حين أن العالم الهندى ما أنتج إلا البرهمانية والبوذية ؛ فهو نازل عنا بمراحل على الرغم من المزايا المتعددة التى يكون من الظلم عدم الاعتراف له بها . بين العالم الإغريقى وبين العالم الهندى تآنى بلاد فارس التى توسطت بين العالمين في المكان كما هى في الزمان ، ولكنها لم تشغل مركزا يذكرها ولم تستفد منها الإغريقى إلا المجد الخالد الذى أحرزه أمثال ملتياد وليونيداس وطيمستوكل والإسكندر .

ومع ذلك فان الهند وفارس وإغريقيا ومصر ويهودة نفسها ، مهما كانت الفروق بينها في المعقولات ، كلها هي الخمسة فروع متفرعة عن جنس واحد . فان علم أنساب الشعوب ووصفها الذى لا ينبغي أن يكون له أهمية عظمى في هذه الأبحاث ، لكنه مع ذلك لا ينبغي أن يفتل أمره فيها قطعا ، هذا العلم قد كشف الغطاء عن مشابهة تامة بين هذه الشعوب منطوية تحت فروق في الأخلاق وفي العقل وفي اللغة ، وهذا الجنس الرفيع الذى يجمع الخمسة الشعوب المذكورة هو ما يسمونه بالجنس الهندى القوقازى . وإن الأمم السامية نفسها متفرعة منه أيضا كالأخرى وإن كانت قابلياتها تخالف قابليات الأخرى على الإطلاق فهي قوية فيما يتعلق بالدين عقيمة فيما عداه تقريبا ، ولكن في هذه العائلة الكبرى الجميلة التى كأنها احتكرت لنفسها الذكاء الحقيقى يقف الإغريقى بجلتهم في صفها الأول . وحينما كانوا يسمون من عداهم بالمتوحشين لم تكن كبرياؤهم باللغة من السوء الحد الذى كان يظن بهم . ومع أنه كان خيرا أن يكونوا أكثر تواضعا فإنا الطلئ المدفوعين الى هذه الكبرياء بدواعى غرائزهم الصادقة لم يكونوا مخدوعين على شرف مقامهم أكثر مما ينبغي .



والآن ونحن في وسعنا أن نحكم حكما خلوا من الغرض نقول إنهم أحق من سواهم بقصب السبق . ومهما يكن من حال المستقبل فليس من الهين عليه أن يترحمهم من هذا المقام . أما أنا فلست أتردد في إسناد هذا المجد إليهم ، مع أنى لا أنكر ما كان لمنافسيهم من العظمة بل من التفوق في بعض الوجوه ، ولكن من الذى يمكننا أن نضعه في حلبة المجد في مستوى فوق مستوى الهلين وقد جاءونا يقدمون بين يدي دعواهم الشعر والآداب والفنون والعلوم والفلسفة والتاريخ ؟ .

ولقد بينت ، على مهد الفلسفة الناشئة ، مقام مدرسة إيليا وما لإكسينوفان وميليسوس من الأهلية الخاصة بين طاليس وفيثاغورث .

ينبغي أن نكرر أن كل ما نسرده من هذه الحوادث التاريخية إنما هو تاريخنا ولو كان منذ خمسة وعشرين أو منذ ثلاثين قرنا ، ذلك بأننا أبناء الإغريق ، ولولاهم لما وصلنا الى ما وصلنا إليه ، فإن إغريقيا هي التي علمت روما ، وبواسطة روما وإغريقيا فتحت المسيحية بلادنا ومدنتنا بعد أن انتفعت بكل ما تقدمها ومهد لها السبيل . وإن العلم على جميع صوره كان معدوما في الشرق ، فاخترعه الإغريق ونقلوه إلينا . وما كان من روما والعالم الحالى بتمامه منذ إظارة المتوحشين إلا أن اقتفوا هذا الأثر الذى عفا رسمه أحيانا ولكنه لم يندم أبدا .

وإني إذ عنيت بإيضاح هذه الآثار الأولى أردت أن أوفى أجدادنا حقهم وأن أذكر بما علينا من الواجب نحوهم بأن بينت مراكمهم وخدماتهم للإنسانية . إن العقل الانسانى بطيء في سيره فيحسن به وهو سائر في طريقه غير المتناهي أن يلقى نظره الوقت بعد الوقت الى الوراء ليرى من أين ابتدأ سيره وليسدد خطاه في المستقبل غير المحدود الذى ينتظر قدومه ! .

فبراير سنة ١٨٦٦

# الكون والفساد

## الكتاب الأول

### الباب الأول

الموضوع العام لهذا الكتاب - تمحيص المذاهب السابقة - آراء مختلفة - تمحيص نظريات أنكساغوراس ولوكريس وديمقريطس - نقض خاص لمذهب أميديل - الاستشهاد ببعض آياته - المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الأشياء تبعاً لما يسلم به من الوحدة أو التعدد للعناصر الأولية .

§ ١ - لأجل أن ندرك الكون والفساد في الأشياء التي تتولد وتهلك بالطبع يلزمنا، كما هو الحال في البقية ، أن نقدر على حدة عللها ونسبها ، وسننظر أيضاً عند معالجة النمو والاستحالة ما هي كل واحدة من هاتين الظاهرتين ونبحث ما إذا

---

ب ك ١ ب ١ - أخذ فيلوپون يثبت أن هذا الكتاب متصل جد الاتصال بكتاب السماء . ودليله الأصل في ذلك أن كتاب السماء ينتهي بجملة فيها أداة استندراك لا يوجد معاد لها إلا في هذا الكتاب . وهذا الدليل ليس قاطعاً جداً . ولكن من المحقق أن مواد الكتابين مرتبط بعضها ببعض فضل ارتباط ، وأن أرسطو بعدما درس السماء والخواص العامة للأجرام اللاتغيرة التي تولفها أمكنه أن يفكر في اتسام هذه الدراسة بدراسة الأجسام التي من شأنها في الطبيعة أن تتولد وتهلك تابعة في ذلك قوانين منتظمة . الصلة القوية بين الكتابين موجودة كما نبه إليه فيلوپون ولكن الصلة المنطقية بينهما هي أيضاً أسمى .

§ ١ - بالطبع - أراد أرسطو ، وهو لا يشتغل إلا بالأجسام المكونة أو المألوفة بفعل الطبيعة ، أن يخرج جميع الأجسام التي تكونها أو تهلكها الصناعة الانسانية . فإن هذه الأجسام يمكن أن تكون موضوع دراسة خاصة . - عللها ونسبها - اللفظ اليوناني الذي صرت عنه بالنسب هو أيضاً مهم

كان طبع الكون وطبع الاستحالة هما واحداً بعينه أو هما متميزان بالحقيقة كما هما متميزان بالاسم الدال على كليهما ؟ .

§ ٢ - من القدماء من رأوا أن ما يسمى كونا مطلقا ليس إلا استحالة والآخرون منهم رأوا أن كون الأشياء واستحالتها ظاهرتان مختلفتان . فالذين يزعمون أن العالم كلُّ ذو صورة واحدة ويجعلون الأشياء كلها تخرج من مبدأ واحد بعينه هؤلاء يلزمهم بالضرورة أن يروا الكون مجرد استحالة وأن يفترضوا أن ما يولد بالمعنى الخاص إنما هو يستحيل . وعلى ضد ذلك الذين يسمون بأن المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد كما مبيد قل وأنكساغوراس ولوكريس . هؤلاء

جدا . وقد حاول فيلوبون أن يوضحه فلم يوفق إلى ذلك . وربما كان لفظ «تحولات» صالحاً أيضاً . - التو والاستحالة - بنى الرجوع إلى تعريف هذين اللفظين في كتاب الطبيعة لأرسطو ك ٤ ب ٣ ف ٧ وك ٥ ب ٣ ف ١١ وما بعدها . فإن التو هو حركة في الكم وأما الاستحالة فأنها حركة في الكيف . - الكون والاستحالة - أما الكون بالمعنى الخاص فهو الانتقال من اللاوجود إلى الوجود . وأما الاستحالة فهي ليست إلا مجرد تغير في الكائن الموجود من قبل . - بالحقيقة - زدت هذا اللفظ لاتمام الفكرة . لأجل تبين الفرق بين الكون وبين الاستحالة استشهد فيلوبون ببيت شعر لهوميروس . ولكن هوميروس لا يكاد يصلح جهة ذات وزن في هذه الفروق اللفظية والمبانيزية .

§ ٢ - من القدماء - سيري أن أرسطو يعنى بهم أمبيدقل وأنكساغوراس ولوكريس وديمقريطس... الخ . - كونا مطلقا - معنى الانتقال من العدم إلى الوجود . - ليس الاستحالة - يعنى إدماج ظاهرتي الكون والاستحالة . - ظاهرتان مختلفتان - هذا الرأي هو وحده الصحيح فإن الكون والاستحالة معنيان لا يمكن إدماجهما أحدهما في الآخر . - إن العالم كلُّ ذو صورة واحدة - وأنه لا يوجد إلا عنصر واحد بعينه هو الذي يكون كل شيء . بلا استثناء . وهؤلاء الفلاسفة هم على العموم اليونان وأصحاب مدرسة إيليا التي كانت تؤيد مذهب وحدة الجوهر ووحدة الوجود . - مجرد استحالة - قد زدت على المتن كلمة مجرد . - ما يولد بالمعنى الخاص - هو الذي سماه التولد المطلق كما نبه إليه فيلوبون . - المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد - وأنه «يوجد أكثر من مادة واحدة» . ولقد سمى هنا أنصار تعدد العناصر وأما أنصار الوحدة فلم يسمهم . أقام فيلوبون نفسه مقام أرسطو طاليس وذكر بأن طاليس لم يك ليقل إلا الماء عنصراً واحداً ، وأنكسيميون ردّ يوجين الأهلون يقول كلاهما بأنه الهواء . وأنكسيمندروس يقول بأنه عنصر وسط بين الهواء وبين الماء . وكان هيرقليطس يقول بأنه

يجب أن يكون لهم رأى مضاد للأول تماما . § ٣ - ومع ذلك فإن أنكساغوراس في هذا قد نكر التعبير الخاص وغلب في لغته الخلط بين ولد وهلك وبين تفسير . على أنه يعترف بتعدد العناصر كما يفعل فلاسفة آخرون . كذلك قال أمبيدقل إن عناصر الأجسام كانت أربعة وأنه باضافة المنتصرين المحركين يكون المجموع ستة عناصر . أما أنكساغوراس فإنه ارتأى أنها غير متناهية في العدد كما كان يرى لوكيس وديمقريطس . والواقع أن أنكساغوراس كان يعتبر عناصر الأجسام المركبة من أجزاء متماثلة ، المتشابهة الأجزاء ، مثل العظم واللحم والنخاع وجميع المواد الأخرى التي كل جزء منها مرادف للكل . § ٤ - ويؤمن ديمقريطس ولوكيس أن جميع الأجسام مركبة في البداية من أجزاء لا تتجزأ أو ذرات وهي غير متناهية لا في عددها ولا في أشكالها . وأن الأجسام لا تختلف في أصلها بعضها عن بعض إلا بالعناصر التي تتركب منها

النار . أما فلاسفة العدد فإن أمبيدقل كان يقبل القول بالعناصر الأربعة كما قاله أرسطو النار والهواء والماء والارض . وأما أنكساغوراس فإنه كان يفترضها تلك الاجسام المتجانسة المتشابهة الأجزاء واللا متناهية . وديمقريطس ولوكيس كانا يفترضان هذا الفرض بالنسبة لذراتها اللامتناهية في العدد وفي اختلاف أشكالها . ( ر . الفقرات الآتية ) .

§ ٣ - نكر أنكساغوراس التعبير الخاص - في عهد أنكساغوراس لم تكن لغة الفلسفة قد تكونت كما حصل ذلك بعد . - كما يفعل فلاسفة آخرون - يعني المذكورين بعد ذلك . - المنتصرين المحركين - هذان المنتصران المحركان اللذان يقول بهما أمبيدقل هما التناثر والعشق أو لها يفرق الأشياء والثاني يجمعها . - ستة عناصر - يعني عنصرى الحركة مضافا اليهما العناصر الأربعة المادية الارض والماء والهواء والنار . وعلى رأى أمبيدقل أن هذه الأربعة الأخيرة متضعة فقط وأما الآثان فإنهما فاعلان ومحركان . - من أجزاء متماثلة المتشابهة الأجزاء ( هووميريس ) - أحد هذين الصيرين ليس الا ترجمة للآخر - كل جزء منها مرادف للكل - فإن جزء العظم يسمى عظما وجزء من اللحم يسمى لحما في حين أن جزء اليد لا يسمى يدا ... الخ وعلى ذلك يوجد من العناصر الأولية المتشابهة بمقدار ما يوجد من الجواهر المختلفة ولذلك كانت عناصر أنكساغوراس غير متناهية في العدد .

§ ٤ - أجزاء لا تتجزأ أو ذرات - كلا الاسمين مرادف للآخر تماما . واسم الذرات أكثر استعمالا وقد بين فيلاريون هنا وجه الخلاف بين مذهب أبيقور في الذرات وبين مذهب ديمقريطس فإن أبيقور



وبوضع هذه العناصر وترتيبها . § ٥ - وبظهر هنا أن أنكساغوراس من رأي معارض لرأى أميدقل لأن هذا الأخير يقول بأن النار والماء والهواء والأرض هي الأربعة العناصر وأنها أبسط من اللحم أو العظم أو أى عنصر آخر من العناصر المتشابهة فيما بينها أو الأجسام المتشابهة الأجزاء . ولكن أنكساغوراس على الضد من ذلك يزعم أن الأجسام المتشابهة الأجزاء هي بسيطة وأنها هي العناصر الحقيقية بينما أن الأرض والنار والهواء مركبة وأن جراثيم العناصر منتشرة في كل مكان .

§ ٦ - على ذلك متى ادعى أن جميع الأشياء تخرج من عنصر واحد لاغير لزم ضرورة اعتبار كون الأشياء وفسادها كمجرد استعالة . فيكون إذا الموضوع للظواهر دائما واحدا ودائما هو بعينه . فلانما على موضوع من هذا القليل يمكن أن يقال إنه يعاني استعالة ولكن متى سلم بأنواع متعددة للظواهر وجب التسليم أيضا بأن الاستعالة تخالف الكون . لأن كون الأشياء وفسادها حيثئذ يحصلان باتحاد العناصر أو بافتراقها . وفي هذا المعنى أمكن لأميدقل أن يقول :

ليس لشيء من طبع ثابت ، وما الكل إلا اختلاط وافتراق

يقول بهدم تنهى الذرات في العدد ولكه لا يسلم بأنها غير متناهية في الأشكال . - إلا بالعناصر التي تتركب منها - أو بعبارة أخرى « التي تأتي من منها » . هذا من أجل التخالف غير المتناهى في طبيعة الذرات . - بوضع هذه العناصر وترتيبها - هذا لعدم التناهي في الأشكال .

§ ٥ - من رأي معارض - لا يجهد فيلوپون بين رأي أنكساغوراس ورأى أميدقل من مصافة التعارض ما تدل عليه عبارة أرسطو . - النار والماء والهواء والأرض - ذكرتها بهذا الترتيب لأن أرسطو ذكرها كذلك . - أنها أبسط من اللحم - قد يؤخذ من صوغ هذه الجملة أن أميدقل كان يعلم مذهب أنكساغوراس وينتفده . ولكن التاريخ الزمنى لا يسمح بذلك . ولعل المراد هنا هم أتباع أميدقل كما يدل عليه تعبير النسخة الإغريقية لا أميدقل نفسه . - جراثيم العناصر - هذه الجراثيم شدة ما تقارب إذا الذرات التي هي منتشرة في كل مكان على حسب مذهب ديمقريطس .

§ ٦ - ادعى أن جميع الأشياء تخرج من عنصر واحد لاغير - هذا مذهب لم يقبله أرسطو أبدا . - كمجرد استعالة - ر(١) أنفا . - الموضوع للظواهر - قد زدت على النص اللفظ الأخير . - يعاني استعالة - يلزم في الواقع وجود موضوع دائم حتى يمكن أن يكون على التعاقب محلا للاستعالات التي

٧٩ - هذا تعبير، كما يرى، يلائم تماما فرض هؤلاء الفلاسفة . وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم . وإذن فإن هؤلاء الفلاسفة أنفسهم مضطرون الى الاعتراف بأن الاستحالة أمر مخالف للكون . ومع ذلك فإن من المحال أن توجد استحالة حقيقية على حسب المبادئ التي يقررونها . على أنه من السهل الاقتناع بصحة الرأي الذي تقرره هنا . فالواقع أنه كما أن الجوهر في حال السكون نجده يعتريه في ذاته تغير في العظم يسمى النمو والنقص كذلك أيضا يمكننا أن نشاهد فيه الاستحالة . ٨٥ - ولكن من جهة أخرى ليس أقل من ذلك في باب المحال لإيضاح الاستحالة على حسب ما يقوله الذين يسلمون بأكثر من عنصر واحد . لأن التأثيرات التي تجعلنا نقول بوجود الاستحالة هي فصول للعناصر، أريد أن أقول، الحار والبارد، والأبيض والأسود، والجاف والرطب، واللين والصلب، وجميع الخواص الأخرى المشابهة كما يقوله أيضا أمبيدقل :

الشمس في كل مكان بيضاء مملوءة بالحرارة ، وفي كل مكان المطر يثر شتاء وبرد .

تكاثره إذ يمر من البارد الى الحار ومن الأبيض الى الأسود... الخ أو على التبادل . - بأنواع متعددة للجواهر - عبارة النص بالضغط « أجناس متعددة » . - باتحاد العناصر أو بافراقها - تحت تأثير العشق والتنافر كما يريد أمبيدقل .

٧٩ - فرض هؤلاء الفلاسفة - الذين يقولون بتعدد العناصر . - وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم - أو بعبارة أخرى « أن الفرض الذي نُسده لهم هو الذي يسلمون به » . - مضطرون الى الاعتراف - لا يظهر أن أمبيدقل أنكز بالضغط ، ومن حق هذا القول أن يوجه الى ديمقريطس وأنصار الوحدة . - أن توجد استحالة حقيقية - النص أقل من هذا ضبطا في التعبير . - نجده يعتريه - إنما يستشهد أرسطو الى المشاهدة الحسية وعلى رأيه أن الاستحالة ليست ظاهرة أقل وضوحا من النمو والذبول اللذين ندركما حواسنا بنفاة السهولة . ان الفكرة في هذه الفقرة لا تزال مضطربة خافتة ولم أستطع جلاها كما أردت على الرغم من تفسير فيلو بونت وتفسير إسكندر الافروديزي الذي نقله بجانب تفسيره . - نشاهد فيه الاستحالة - أو تغير الكيف .

٨٥ - الذين يسلمون بأكثر من عنصر واحد - قد يظهر من هذا أن الفقرة السابقة موجهة الى الفلاسفة الذين يقولون بوحدة الجوهر ولكن النص لا يساعد على هذا التفسير . - التأثيرات - أو التغيرات . - فصول للعناصر - أو بعبارة أوسع « الفروق التي توجد بين العناصر » . - الحار والبارد - بطريقة عامة

أنه يقرر المميزات عينها لسائر الأشياء . وينتج من ذلك أنه إذا كان الماء لا يخرج من النار، ولا الأرض من الماء . فإن الأسود لا يمكن أن يخرج من الأبيض، ولا الصلب من اللين . وهذا التذليل بعينه قد ينطبق على جميع التغيرات الأخرى . وهذا بالضبط إذا ما كان يُعنى بالاستحالة .

§ ٩ - ولكن أليس من البين أنه يلزم دائماً افتراض وجود مادة واحدة لا غير لأجل الأضداد، سواء أُنْغِثت بالنقلة في الآن أم تَنْغِثت بالنمو أو النقص أم تَنْغِثت بالاستحالة ؟ يلزم ألا يكون إلا عنصر واحد ومادة واحدة بعينها لأجل جميع الكيوف التي تُتبدل بعضها ببعض . وإذا كان العنصر واحداً فهناك أيضاً استحالة .

§ ١٠ - وعلى ذلك يظهر لنا أن أمبيدقل يناقض الحوادث الأكثر واقعية ويناقض نفسه معاً . لأنه يزعم معاً أن العناصر لا يمكن أن ينجى بعضها من البعض الآخر بل على الضد يأتي منها سائر الأشياء ، وفي الوقت عينه بعد أن رد إلى الوحدة الطبيعية كلها كاملة ما عدا التنافر ، قد استخرج بعد ذلك كل شيء من الوحدة التي تخيلها . فعلى رأيه الأشياء بانفصالها عن هذه الوحدة

كل المفاهيمات بالتضاد التي تتوارد وتتعاقب على موضوع واحد بعينه . - ينتج من ذلك - ليست هذه نتيجة تنتج بالضرورة من مذهب أمبيدقل - وهذا بالضبط إذا ما كان يعنى بالاستحالة - ولا يظهر أن أمبيدقل ينكره .

§ ٩ - ولكن أليس من البين - على هذه النظرية راجع كتاب الطبيعة ك ١ ب ٧ ف ٤ وكتاب المقولات ب ١١ - بالنقلة في الآن ... بالنمو ... بالاستحالة - تلك هي أنواع الحركة الثلاثة التي يقول بها أرسطو وقد شرحها في كتاب الطبيعة . - مادة واحدة بعينها - عبارة النص ليست من البيان على هذا القدر . - التي تتبدل بعضها ببعض - والتي هي بناء على ذلك أضداد ، فإن الجسم بعينه هو الذي يكون بالتناوب حاراً أو بارداً أو أبيض أو أسود ... الخ .

§ ١٠ - يناقض الحوادث الأكثر واقعية - بإنكاره وجود الاستحالة وهي ظاهرة مشاهدة بنافية السهولة . - رد إلى الوحدة - ذلك هو (سفيروس) إله المادة المظروف في العالم على رأي أمبيدقل بفعل العشق إلى أن يأتي التنافر فيكشفه عنه من جديد بأن يفصل العناصر . - ما عدا التنافر - ما دام هو الذي يجب أن يتفصل من جديد الوحدة التي أوجدها العشق . - فعلى رأيه - يظهر أن ما على هو قتل حرفي لمبارقة أمبيدقل

العنصرية بواسطة بعض فصول وبعض تغاير فهذا الشيء بعينه صار ما هو آخر صار نارا .  
وبهذه المثابة يسمى الشمس بيضاء حارة والأرض كثيفة صلبة . ولكن متى بحيث  
هذه الفصول ، ويمكن أن نحى ما دامت متولدة في وقت بعينه ، أمكن للأرض بالبداية  
أن تأتي إذا من الماء كما يمكن أيضا لآء أن يأتي من الأرض . كذلك الحال بالنسبة  
لجميع الأشياء الأخرى التي جرى عليها التحول والتغير ، لا في الزمن الذي يتكلم عنه  
فقط بل التي تتغير أيضا في هذا اليوم . ١١ § — زد على ذلك أن في مذهب  
أمبيدقل توجد مبادئ منها يمكن أن تتولد الأشياء وتتفصل من جديد ، وعلى الخصوص  
متى سلمنا بالتنازع الأبدي المتبادل بين التنافر والعشق . فانظر كيف أن الأشياء فيما  
يظهر لتولد إذا من مبدأ واحد . لأن النار والماء والأرض وهي لا تزال مجتمعة  
لم تكن لتكون كل العالم . ولكنه بهذه النظرية لا يعرف إن كان يلزم الاعتراف  
بأن لمن مبدأ واحدا أو مبادئ متعددة وأغنى بهن الأرض والنار والعناصر التي من  
هذا القليل . ذلك بأنه في الواقع من جهة ما يفترض كثرة مبادئ منه تأتي الأرض  
والنار متغيرتين بالحركة المتحصلة فانه لا يوجد إذا الا عنصر واحد لا غير . ولكن

ولكن البيان غير جلي وفيه الغموض العادى الذى يوجد في نقوض أرسطو . — فهذا الشيء بعينه صار ما . —  
لا يظهر أن هذا هو مذهب أمبيدقل الحقيق فان رأيه هو أن العناصر كلها مكونة ولا تتغير ، بل هي فقط  
تجتمع أو تفرق تحت التأثير القدير للعشق والتنافر . — ويمكن أن نحى — قد لا تكون هذه هي فكرة أمبيدقل  
الحقيقية . — ما دامت متولدة في وقت بعينه — يظهر أن أمبيدقل على الغنى من ذلك يعتقد أن هذه  
الفروق أبدية . — بل التي تتغير أيضا في هذا اليوم — في مذهب أرسطو ولكن لا في مذهب أمبيدقل .  
١١ § — زد على ذلك أن في مذهب أمبيدقل — ليس النص بهذا الضبط من البيان ، فان المعارضة  
الجديدة تقصر في أنه في مذهب أمبيدقل توجد مبادئ سابقة على العناصر وعلى ذلك تكون هذه العناصر  
ليست عناصر حقيقية .

— التنافر والعشق — هما مبدآن سابقان للعناصر مجعماها ويفرقاها . — من مبدأ واحد — حينما يكشف  
(سفيروس) إله المادة من جديد بفعل التنافر . — مبدأ واحدا أو مبادئ متعددة — يكون على الأقل  
الاثان التنافر والعشق . — كثرة — يمكن ألا تكون هذه أيضا فكرة أمبيدقل ، فان التنافر والعشق  
لا يكونان بالضبط العناصر وإنما هما عملان بها فقط .



من جهة أن هذا العنصر عينه هو متحصل من اجتماع هذه الجواهر التي تتحد ينتج أن هذه الجواهر قبل اجتماعها هي ذواتها أشد عنصرية وسابقة بطبيعتها .

§ ١٢ — ولكن يلزمنا في دورنا أن نتكلم بطريقة عامة على كون الأشياء وفسادها على معناها المطلق ، وسنعيد البحث فيما إذا كان هذا الكون أو لم يكن وسنقول كيف يكون هو . ثم نتكلم أيضا على الحركات البسيطة كالنمو والاستحالة .

— أشد عنصرية — هذه هي عبارة النص قسما . § ١٢ — في دورنا — زدت هاتين الكلمتين للدلالة على الانتقال الذي لم يذكر بالنص هنا ، فإنه بعد أن استعرض أرسطو على التوالي مذاهب الآخرين سيبين مذهبه وسيتكلم أولا على الكون مرجعا الكلام على نمو الأشياء واستحالتها الى ما بعد .

## الباب الثاني

عدم كفاية نظرية أفلاطون — جود على نظرية ديمقريطس ولوكيس — نظرية جديدة على كون الأشياء  
وفسادها — الخط المتبع — أهمية مسألة الذرات — رأى ديمقريطس ولوكيس — رأى أفلاطون في كتابه  
طبارس — خطأ هؤلاء وهؤلاء — وجوب الأخذ بملاحظة الأحداث على الأخص — فضل ديمقريطس  
من هذه الجهة — أفكار في قابلية الأشياء للقسمة — يمكن القراض القسمة لا انتهاية — صعوبات هذه  
النظرية — صعوبات ليست أقل خطرا من نظرية الذرات — نقض هذه النظرية — المعنى العام الذي  
يجل عليه كون الأشياء .

١ § — لم يدرس إذا أفلاطون الكون والفساد إلا من حيث طريقة وجودها  
بالأشياء بل لم يكن ليدرس الكون في كل عمومته بل اقتصر على كون العناصر . ولم يقل  
شيئا على تكون جميع الأجسام التي هي من جنس اللحم والعظم وسائر الأجسام المشابهة  
لها ولم يتكلم على الاستحالة ولا على النمو ولم يبين كيفية إدراكه إياهما في الموجودات .  
٢ § — على أنه يمكن الجزم بأنه لم يتكلم أحد على هذه الموضوعات إلا بطريقة  
سطحية جدا ما عدا ديمقريطس فإنه يظهر أنه فكر في كل المسائل ولكنه يخالفنا  
في إيضاح الطريقة التي بها تحدث الأشياء . ولم يفكر أحد كما قلنا آنفا في إيضاح النمو  
إلا ما ربما يكون على المعنى الذي نهمه الكافة به هذه الظاهرة . أعني بأن يقال إن

١ § — لم يدرس إذا أفلاطون — رجع أرسطو إلى نفس مذاهب أسلافه . — إذا — هذه الكلمة  
موجودة في النص دون أن يكون لها وجه يبررها . — طريقة وجودها بالأشياء — — — — —  
يريد أن يقول إن أفلاطون لم يدرس الكون إلا في الحال الزاهية للأشياء من غير أن يحاول الصعود  
إلى الأصل ، فإذا كانت هذه هي فكرته فقد لا تكون صادقة تماما إذ قد يوجد في طبارس ما يناقضها .  
— على كون العناصر — دون كون الكيف التي تتألف العناصر . — على الاستحالة ولا على النمو — يعني  
النصين الآخرين للحركة .

٢ § — ما عدا ديمقريطس — مدح ديمقريطس هذا يمكن أن يظهر عظاما جدا بعد ذلك الانتقاد السابق  
الموجه إلى أفلاطون . — كل المسائل — ليست عبارة النص في هذا القدر من الضبط . — التي بها تحدث  
الأشياء — هذا ليس تام الموضح ، ولكن عبارة النص أدق من ترجمتنا . ولا شك في أن أرسطو يريد

الأجسام تنمو لأن الشبيه يأتي فينضاف إلى الشبيه . أما كيف تحصل هذه الظاهرة فذلك ما لم يوضحه أحد البتة حتى الآن . ٣٨ - ومع ذلك فلم تُدرس أيضا بعدُ مسألة الاختلاط ولا أية واحدة من المسائل التي من هذا القبيل ولا مثلا مسألة معرفة كيف تفعل الأشياء وتتفعل وكيف أن شيئا بعينه يفعل الأحداث الطبيعية وآخر بعينه يتفعل بها . ٤٥ - لما لم يهتم ديمقريطس ولوكريس إلا بصور العناصر استخرجوا منها استحالة الأشياء وكونها . وعلى هذا فن انقسام الذرات ومن اتحادها يأتي الكون والفساد ومن ترتيب الذرات ووضعها تأتي الاستحالة . ولكن لما كان هؤلاء الفلاسفة يحسبون الحقيقة في مجرد الظاهر وكانت الظواهر متضادة ولا متناهية بالعدد معا اضطروا أن يجعلوا أشكال الذرات لا متناهيا أيضا بحيث إن الشيء الواحد يمكن أن يظهر ضِدَّ ما هو لنظر هذا الرائي أو ذلك تبعا لتغيرات وضعه ويظهر متغير الصورة بمجرد أن تختلط به أو تزداد عليه أصغر جزئية أجنبية . ويظهر أنه صار غير ذاته جملة بتغير موضع جزء واحد من أجزائه . ذلك كما أنه يمكن أن تستخدم الحروف بعضها لتأليف مأساة أو فكاهة حسبما يُختار .

أن يقول إن ديمقريطس موافق له فيما يتعلق بكون الأشياء ولكنه يخالفه في كيفية حدوث هذه الظاهرة . - في إيضاح النقطة - لا يرى أن أرسطوقس قد سد هذا النقص ( ر . الطبيعة ك ٦ ب ٦ ف ٥ من ترجمتنا ) . ٣٨ - ومع ذلك فلم تُدرس أيضا - بعض هذه المسائل قد درس إما في كتاب الطبيعة وإما في الكتاب الرابع من الميتافيزيقا ( الآثار العلوية ) ولكن لا أعرف إذا كان أرسطوقس قد تعمق في البحث فيها إلى أبعد مما فعل أسلافه . ٤٥ - لما لم يهتم ديمقريطس ولوكريس إلا بصور العناصر - ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط . وهذا المعنى هو معنى فيلويون وقد يمكن ترجمته هكذا : " بعد أن تخيل ديمقريطس ولوكريس صور العناصر " - الذرات - أضفت هذه الكلمة لأن مذهب ديمقريطس معلوم تماما ومذهب الذرات لا يميل في الحقيقة إلا القسمة والاتحاد والترتيب والوضع على جميع الظواهر . - يحسبون الحقيقة في مجرد الظاهر - بهذا هو المذهب الذي اعتنقه بعد ذلك السفسطائيون وطالباً جاريه سقراط ( ر . فروطاغوراس لأغلاطون ) . - أشكال الذرات - أضفت أيضا هاتين الكلمتين . - تبعا لتغيرات وضعه - مثل فيلويون لذلك بطرق الحماة فإنه تبعا لمسقط الضوء وموضع الراي يثرون بالألوان المختلفة .



§ ٥ - ولكن لما كان كل الناس من غير استثناء تقريباً يعتقد بوجه العموم أن كون الأشياء واستحالتها هما ظاهرتان مختلفتان جداً ، وأن الأشياء لتكون أو لتفسد يجب أن تتحد أو تنفصل في حين أنها تستحيل بتغيرات في خواصها ، وجب علينا من أجل ذلك أن نقف على هذه المسائل التي يمرض منها في الواقع صعوبات حقيقية متعددة . إذا لم يجعل كون الأشياء ، مثلاً ، إلا اتحاداً فإن لهذه النظرية طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد . ولكن هناك براهين أخرى قاطعة على صحة المعنى المضاد ، ومن الصعب جداً نقضها ، تثبت أن كون الأشياء لا يمكن أن يكون شيئاً آخر إلا مجرد الاتحاد وأنه إذا كان الكون ليس اتحاداً فمن ثم لا يوجد كون أصلاً وأنه ليس إلا استعالة . لذلك يجب أن نعالج حل هذه الصعوبات مهما كانت خطورتها .

§ ٦ - النقطة الأصلية في ابتداء هذه المناقشة هي معرفة ما إذا كانت الأشياء تكون وتستحيل وتتم أو تعاني الظواهر المضادة لهذه الظواهر بسبب وجود ذرات أعنى أعظماً أولية غير قابلة للتقسمة أو ما إذا كان لا يوجد أصلاً أعظماً غير قابلة للتقسمة . هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الأصل . ومن جهة أخرى بفرض وجود الذرات يمكن أن يتساءل أيضاً عما إذا كانت كما يريد ديمقريطس ولوكيوس

— جزء واحد من أجزائه — ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط . — تستخدم الحروف بينها — أو بعبارة أصح « حروف الهجاء » .

§ ٥ - كل الناس — يشمل أنكساغوراس وأميديقل . — كون الأشياء واستحالتها — من الصعب في الواقع خلط الظاهرتين وجعل أحدهما الأخرى . وإن عبارة النص في التمييز بليغة غاية الجلاء . — وجب علينا أن نقف — سيكون ذلك موضوع هذا الباب والأبواب التالية . — طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد — هذا مهم .

§ ٦ - هي معرفة — ما إذا كان يوجد ذرات أو لا يوجد . — تكون وتستحيل وتتم — تلك هي الأنواع الثلاثة للحركات التي الأشياء قابلة لها . — الظواهر المضادة لهذه — معنى الفساد والاستعالة إلى كيف مضاد النقص . — أضفى — أضفت هذه الكلمة . — هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الأصل — لذلك عاد أرسطو إلى الكلام عليها مرات عدة . — كما ذكر في طهارس — ر كتاب المبادئ ٢ ب ٧



— هذه الأقسام غير المنقسمة هي أجساما أو ما اذا كانت مجرد سطوح كما ذكر في طيمائوس . . . ٧ § — ولكن من غير المعقول ، كما بينا في غير هذا الموضع ، أن نجاوز بتعليل الأجسام الى حد تصييرها سطوحا . وعلى ذلك يكون أقرب الى المعقول القول بأن الذرات هي أجسام . على أنى لأعترف أن هذا الرأي هو أيضا قليل الشبه بالمعقول . ومع ذلك يمكن في هذا المذهب كما قد قيل أن تفسر استحالة الأشياء وكونها يتبدل بلحم الواحد تبعا لدورانه أو لتمامه أو تبعا لاختلاف أشكاله . ذلك ما يفعل ديموقريطس وهذا هو الذى أدى به الى انكار حقيقة اللون مادام اللون في صرفة إنما يكون من حركة الأجسام حول مركزها . ولكن الذين يقبلون قسمة الأجسام الى سطوح أولئك لا يمكنهم بعد ذلك أن يدركوا اللون . لأنه يجمع السطوح ذوات السعة بعضها مع بعض يمكن الوصول فقط الى تكوين جوامد ولكن لا يمكن الوصول الى إيجاد أى كيف جسمانى .

٨ § — والسبب الذى جعل هؤلاء الفلاسفة يرون ، أقل من الآخرين ، الظواهر التى هي محل وفاق بين الناس جميعا هو عدم المشاهدة . وعلى ضد ذلك الذين استرادوا من فحص الطبيعة ، أولئك أحسن حالا في استكشاف هذه المبادئ التى يمكن أن

ف ١٤ § ٧ — في غير هذا الموضع — في كتاب السماء ٣ كما يقول أيضا فيلو بون . — الى حد تصييرها سطوحا — هذا الرأي ليس هو رأى أفلاطون في طيمائوس الى حد ما يظهر على أرسطو أنه يذهب اليه هنا . — على أنى لأعترف — عبارة النص أقل وضوحا من هذه . — كما قد قيل — يرى فيلو بون أن الألفاظ التى يستعملها أرسطو في هذا الموضع على قول ديموقريطس هي الفاظ مأخوذة على الأنص من لغة أبدير . — دورانه ... تمامه — هذان التعبيران ليسا بالفرنسية أكثر ضبطا في أداء المعنى من نظيريهما باليونانية . — الذين يقبلون قسمة الأجسام الى سطوح — مثل أفلاطون أو فلاسفة آخرون . — أن يدركوا اللون — أو أى كيف آخر للأجسام . عبارة النص أقل ضبطا من هذه .

٨ § — محل وفاق بين الناس جميعا — عبارة النص مهمة فليست واثقا من أنى حصلت المعنى جيدا . — عدم المشاهدة — يوصى أرسطو هنا بمشاهدة الأحداث كما يوصى به دائما ولكنه لم يكن في موضع آخر مينا وجازما كما هو في هذا الموضع . ر . مقدمة ترجيح لثيودور لوجيا ص ٤٢ وما يليها . — التى يمكن أن تفسح بهد — أو بعبارة فيلو بون وهي : " التى يمكن أن تشمل عددا من الحوادث ما أكثره " .

تسحب بعد على حوادث ما أكثر عددها. ولكن هؤلاء الذين هم تائهون في نظريات معقدة لا يلاحظون الأحداث الواقعة وليست أعينهم موجهة إلا إلى عدد قليل من الظواهر وهم يحكمون بسهولة كبرى . § ٩ - هاهنا أيضا يمكن أن يرى كل الفرق الذي يفرق بين الدراسة الحقة للطبيعة وبين دراسة منطقية محضة . لأن هؤلاء الفلاسفة من أجل أن يبينوا مثلا أنه يوجد ذرات أو أعظام غير قابلة للقسمه يدعون أنه إذا لم تكن تلك الذرات فإن المثلث نفسه ، المثل الأصل للثلث ، يكون مؤلفا مع أن ديمقريطس في هذه المسئلة يظهر أنه لم يعول في حلها إلا على دراسات خصوصية وطبيعية محضة . ومع ذلك فإن ما سبيل من هذه المناقشة سيبين لنا ما نريد أن نقول بأوضح من ذلك .

§ ١٠ - من الصعوبة الكبرى افتراض أن الجسم يوجد وأنه عظيم قابل للقسمه إلى ما لا نهاية وأنه من الممكن تحقيق هذه القسمه . لماذا يبقى في الواقع في الجسم الذي يمكن أن يخلص من قسمه كهذه ؟ فإذا افترض أن شيئا قابلا للقسمه مطلقا وأنه يمكن حقيقة قسمته هكذا فلا يكون من المحال في شيء أنه أمكن

والفرق بين البارتين حديم القيمة . - تائهون في نظريات معقدة - عبارة النص تفيد أيضا "ولكن هؤلاء الذين هم يمدون عن الأفكار العامة ... الخ" . - بسهولة كبرى - وبخفة أكثر . § ٩ - الدراسة الحقة - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - هؤلاء الفلاسفة - يعني أفلاطون ومدرسه . - إذا لم تكن تلك الذرات - أضفت هذه الكلمات التي يظهر أنها ضرورية . - المثلث نفسه المثل الأصل للثلث - هذه الكلمات الأخيرة ليست إلا تفسيرا لما سبقها . فإن المثلث نفسه في لغة مذهب أفلاطون هو المثل الأصل للثلث . - مؤلفا - أي قابلا للقسمه وهذا يناقض تماما نظرية المثل . - مايل من هذه المناقشة سيبين لنا ... بأوضح من ذلك - يشعر أرسطو نفسه بأنه لم يقل هنا قدر الكفاية ليكون بنا تماما . يدافع فيلو بون عن أفلاطون ضد أرسطو الذي لم يحصل جيدا فكرة أسناذه . ويظن فيلو بون أن هذه النظرية قد يمكن أنها موجودة على الأكثر في مذاهب أفلاطون غير المكتوبة .

§ ١٠ - من الصعوبة الكبرى - كل المعنى في هذه الفقرة غامض . واليكها بأبسط عبارة : "من الصعب أن يفهم أن الجسم يمكن أن يقبل القسمه إلى ما لا نهاية وأن لا توجد فيه الأجزاء التي لا تقبل . لأن هذه القسمه تفنى الجسم عن آخره ولا يبين منه شيء . وبذلك يوصل إلى أن الجسم مؤلف من مجرد نقط ليس

قسمته مطلقا مع أنه لم يقسم في الواقع ولا أنه قد قسم فعلا . والأمر كذلك إذا فيما إذا يقسم الشيء بالنصف . وعلى العموم لو أن شيئا قابلا بالطبع للقسمة الى اللانهاية قد قسم لما كان ذلك محالا البتة . كما لا يكون محالا أن يفترض إمكان قسمته عشرة آلاف مرة مضروبة في عشرة آلاف مع أنه لا أحد يستطيع المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد .

§ ١١ - ما دام الجسم معتبرا أنه حائز لهذه الخاصة فلنسلم أنه يمكن قسمته مطلقا على هذا النحو . ولكن إذا ما بقي بعد هذه التقاسيم ؟ هل سيكون عظما ؟ لكن ذلك غير ممكن لأنه إذا يوجد شيء فر من عملية التقسيم وكان الفرض ، على الضد ، أن الجسم قابل للقسمة من غير أى حد ومطلقا . ولكنه إذا لم يبق جسم ولا عظم وظلت القسمة مستمرة فإما أن القسمة لاتقع إلا على نقط وإذا تصير العناصر التي تتركب الجسم عديدة العظم وأما ألا يبقى هناك شيء أصلا . § ١٢ - ينتج من ذلك أنه سواء أكان الجسم يأتي من لا شيء أم يؤلف من أجزاء فالأمر على الحالين تصير الكل الى ألا يكون إلا ظاهرا . حتى مع التسليم بأن الجسم يمكن أن يأتي

لما أبعاد أصلا . — وأنه من الممكن تحقيق هذه القسمة — عبارة النص أقل من ذلك ضبطا . — الذي يمكن أن يخص من قسمة كهذه — لأنها ستندم نهائيا كل ما تركب منه الجسم . — فلا يكون من المحال — هذا فرض يمكن دائما فرضه ولا يلزم عليه شيء من المحال . — إذا يقسم الشيء بالنصف — متى إذا قسم دائما الى اثنين كل ما يبقى من الشيء في التقسيم المتتابع أو إذا قسم الى أجزاء غير متساوية ، بكتنا الطريقتين يوصل الى اعدامه كله بهذا التقسيم غير المتناهي . — المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد — لعدم كفاية الآلات التي يستعملها الانسان .

§ ١١ — معتبرا أنه حائز لهذه الخاصة — عبارة النص أقل ضبطا من هذا التعبير . — ماذا يبقى — تكرار للسئلة الموضوع في الفقرة الماضية . — بعد هذه التقاسيم — زدت هذه الكلمات لبيان الفكرة قليلا . عظما — يكون أيضا قابلا للقسمة . — من غير أى حد ومطلقا — ليس في النص الا كلمة واحدة . — عديدة العظم — لأن النقط الرياضية مفروض أنها لا عظم لها البتة . § ١٢ — يأتي من لا شيء . — أعني من نقط ليس لها أى امتداد . — ألا يكون إلا ظاهرا — تلك هي النتيجة التي استنتجها المفسطاثيون من مذهب ديمقريطس . — بأن الجسم يمكن أن يأتي من نقط — النص ليس بهذه الصراحة .



من نقط فلا يكون هناك أيضا كتم . وفي الواقع لو أن هذه النقط كانت لتمام  
تتألف عظاما واحدا وأن العظم كان واحدا وأنها كلها فيه فإن جميع هذه النقط  
المجموعة ما كانت لتجعل الكل أكبر لأن الكل بانقسامه إلى نقطتين أو عدة  
لا يكون لا أكبر ولا أصغر من ذي قبل ، بحيث إنه مهما جمع من تلك النقط  
فلا يمكن الوصول أبدا إلى تأليف عظم حقيق منها . § ١٣ — إذا قيل إنه يوصل  
بالقسمة إلى ألا يحصل منها إلا كدشارة الجسم الحق على هذا القرض لا بد من  
أن الجسم يأتي من عظم أيا كان ، وتبقى المسئلة كما كانت وهي كيف أن هذا  
الجسم الأخير قابل للقسمة في دوره . فإذا قيل إن ما انفصل ليس جسيما بل هو  
صورة ما قابلة للانفصال أو خاصة ما فينتج من ذلك أن العظم يتحول إلى نقط  
والى تماسات محولة بهذه الطريقة . وإذا يكون من غير المعقول الاعتقاد بأن العظم

— ك — لأن النقط لا تمثل كمية ما . — لا أكبر ولا أصغر من ذي قبل — مهما كان عدد نقط القسمة .  
— عظم حقيق — أضفت لفظ حقيق .

§ ١٣ — كدشارة الجسم — عبارة الأصل دقيقة ويظهر أن الفكرة غامضة ولو أنها في الحقيقة واضحة .  
فإن أرسطو يفرض أنه يراد إثبات وجود الذرات وأن قسمة الجسم لا يمكن أن تنتهي إلى الأبد .  
فإذا وصل بالتقسيم الممكن غاية الامكان إلى تصوير الجسم مسحوقا كدشارة الخشب عند قطعه ولكن قطع  
النشارة مهما دق حجمها فإن لها امتدادا وترجع المسئلة بالنسبة لهذه الاجسام الصغيرة إلى ما كانت عليه  
بالنسبة للجسم الذي كانت تؤلفه باجتماعها من قبل . — عظم أيا كان — فإن قطع النشارة مهما صغر حجمها لها دائما  
حجم قابل للتقدير . — في دوره — زدت هاتين الكلمتين . — إن ما انفصل — أي بالقسمة البالغة أقصى حد  
لها . — قابلة للانفصال — قال فيلويون إن في هذا رواية أخرى وإن في بعض النسخ المخطوطة عبارة  
« غير قابلة للانفصال » بدل عبارة « قابلة للانفصال » . والسياق يقتضي على الظاهر أو نقية العبارة  
الأخيرة . ومع ذلك فإن فيلويون يفضل معنى عبارة « غير قابلة للانفصال » لأن الصورة في الواقع غير  
قابلة للانفصال من الجسم بمعنى أنها تنعدم بانعدامه ولا يمكن أن تكون شيئا بدونه . ولقد أثبت في ترجمتي  
عبارة الرواية المشهورة ولكن الأخرى هي مناسبة أيضا . — إلى نقط وإلى تماسات — نظريات أبطلت  
آخرا . — أشياء ليست أعضا ما — ما دام أن النقط والتماسات لا يمكن أن يكون لها على ما هو المفروض  
أي امتداد إلى أية جهة ما .



يمكن أبدا أن يأتي من أشياء ليست أعظاما . § ١٤ — ولكن فوق ذلك في أي مكان تكون هذه النقطة سواء افترضت عديمة الحركة أم افترضت متحركة؟ إنه لا يوجد أبدا إلا تماس واحد بين شئين فلا بد أيضا من افتراض أنه يوجد شيء ليس هو التماس ولا القسمة ولا النقطة .

لو قبل إذا أن كل جسم أيا كان مهما كان امتداده يمكن دائما أن يقبل القسمة مطلقا لكانت تلك هي النتائج التي يوصل إليها .

§ ١٥ — من جهة أخرى إذا أمكنني بعد القسمة أن أركب الخشب الذي نشرته أو أية مادة أخرى بأن أعيد إليها وحدتها الأولى وأن أجعلها مثل ما كانت تماما فمن الواضح أنني أستطيع أن أفعل ذلك في أية نقطة بلغتها في كسرى الخشب . إذا فبالقوة الجسم قابل دائما للقسمة مطلقا وبدون حد . ماذا يوجد إذا هاهنا خارجا عن القسمة وبمعزل عنها إذا قيل إنها خاصة للجسم ؟ يمكن دائما أن يسأل كيف أن الجسم يتحلل إلى خواص من هذا القبيل وكيف يمكن أن يتألف منها وكيف أن هذه الخواص يمكن أن تتفصل عن الجسم .

§ ١٤ — في أي مكان — يعني : « في أي جزء من الجسم ؟ » — افترضت متحركة — كما يفعل الرياضيون اذ يسمون بأن النقطة متى تحركت أحدثت خطا كما أن الخط يحدث السطح والسطح الجسم . وقد نبه فيلورن إلى أنه يمكن إعطاء هذه الجملة صورة الاستفهام أو صورة الإيجاب على السواء . — أنه يوجد شيء — يعني الجزأين المسادين اللذين يتماسان أو أنهما متماسان في نقطة تفصلهما . — لو قبل إذا — ر . ما سبق ف ١٠ هذا هو ملخص القسم الأول من كل هذه المناقشة . فانه إذا لم تقبل الذرات وقبل القول بأن كل جسم قابل للقسمة مطلقا فذلك هي النتائج غير المعقولة التي تؤدي إليها هذه النظرية . فيستنتج من هذا مع ديمقريطس حقيقة نظرية الذرات . ومع ذلك فان هذا الملخص يمكن أن يظهر أنه سابق لوقته

§ ١٥ — من جهة أخرى — برهان جديد لإيضاح وجود الذرات . — مثل ما كانت تماما — يظهر أن هذا مناقض لما قبل سابقا ف ١٣ — في أية نقطة بلغتها في كسرى الخشب — وعدد النقط يمكن ألا يتناهي ما دامت النقط مفروضا أنها عديمة الامتداد . — فبالقوة — إن لم يكن بالفعل لعل واحدة هي عدم كفاية الآلات التي يستخدمها الانسان . — خارجا عن القسمة وبمعزل عنها — لا يوجد في النص إلا كلمة واحدة لهذا المعنى . — إلى خواص من هذا القبيل — تكرير لما قيل آنفا ف ١٣

§ ١٦ — إذا كان إذا محالا أن الأعظام تتكون من مجزؤ تماسات أو نقط فانه يلزم ضرورة أن يوجد أجسام وأعظام لا تتجزأ . ولكن هذا الافتراض عينه للذرات يخالف محالا لا يمكن تخطيه ولو أن هذه المسئلة قد فحست في غير هذا الموضع إلا أنه يلزم أن يحاول حلها هنا أيضا . وللوصول الى ذلك يلزم أخذها من جديد بنماها من البداية .

§ ١٧ — نقول إذا بادئ بدء إنه ليس من غير المعقول في شيء تقرير أن كل جسم محسوس هو معا قابل للقسمة وغير قابل للقسمة في نقطة ما ما دام أنه يمكن أن يكون قابلا للقسمة بالقوة المجزؤة وغير قابل للقسمة بالفعل . ولكن الذي يظهر أنه محال تماما هو أن جسما يكون قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة لأنه إذا كان ذلك ممكنا فلا يكون أبدا بهذا الوجه أن الجسم يجمع بين الخاصتين بأن يكون غير قابل للقسمة وقابلا لها معا بالفعل . بل أنه يكون فقط قابلا للقسمة بالفعل في نقطة ما . وإذا

§ ١٦ — إذا كان إذا — تلخيص لتأيد نظرية ديمقريطس . — أجسام وأعظام لا تتجزأ — أو عبارة أخرى ذرات كما كان يقرره ديمقريطس . — للذرات — أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان . — غير هذا الموضع — ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٤ ف ٥ وراجع كتاب الطبيعة في مواطن عدة حيث نظرية الذرات ملع اليها الماسا لا مينة بيانا وضعيا . ويستشهد فيلويرون على الأخص بالكتاب السابع من الطبيعة حيث لا أجد فيه أنا شيئا من هذا القبيل . ويستشهد أيضا برسالة الخطوط غير المنتظمة التي ينسبها الى تيوفراست بدلا من أرسطو اتباعا لراى بعض المؤلفين .

§ ١٧ — معا قابل للقسمة وغير قابل لها — بالفعل هذا محال ولكن يمكن أن أحدهما إمكان مجرد والأخرى قسمة بالفعل . وإذا فالجسم في الذهن قابل للقسمة الى اللانهاية . ولكن في الخارج نقف القسمة عند حد بسرعة . — قابل للقسمة بالقوة المجزؤة وغير قابل لها بالفعل — عبارة النص أقل ضبطا . — يكون قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة — يعنى متقسما وغير منقسم في آن واحد بالقوة . وهل رغم تفسير فيلويرون ومجهوداتى فان هذه النقطة فيها من الغموض ما لم أستطع أن أزيله بالمره . واليك البيان الذي يمكن فهمها به : ” إن جسما لا يمكن أن يكون معا قابلا وغير قابل للقسمة حتى بمجرد القوة لأنه إذا كان كذلك بالقوة كان كذلك أيضا بالفعل . وهاتان القابليتان في الخارج لا يجتمعان مطلقا . فكل الذي يمكن حقيقة هو أن الجسم يكون قابلا للقسمة في نقطة ما . وهذا لا يفيد أنه قابل للقسمة مطلقا لأنه حينئذ

لا يبقى منه شيء مطلقا ويتحول الجسم إلى شيء غير جسماني . ومع التسليم بأنه يمكنه أن يكون ثانية إما بأن يأتي من النقط أو أن لا يأتي من شيء أبدا على الإطلاق فكيف يصير كون الجسم من جديد ممكنا .

١٨٩ — أما ما هو بين فهو أن الجسم ينقسم بالفعل إلى أجزاء متميزة ومنفصلة وإلى أعظام أصغر فأصغر دائما تتباعد بعضها عن بعض وتنزل . ولكن من المحقق أيضا أن هذه التجزئة البعضية لا يمكن أن يتجاوز بها إلى اللانهاية وأنه ليس من الممكن أيضا قسمة الجسم في أية نقطة ما لأن هذه القسمة غير المحدودة ليست ممكنة الإجراء ولا يمكن أن تمتشي إلا إلى حد معين . § ١٩ — يلزم إذا أن توجد ذرات أو أعظام لا تتجزأ خصوصا إذا سلم أن كون الأشياء وفسادها يحصلان أحدهما بالانفراق والآخر بالاجتماع ذلك هو الاستدلال الذي يظهر أنه يبين ضرورة وجود الأعظام غير القابلة للقسمة أو الذرات . ونحن نتكفل بإثبات أن هذا الاستدلال يرتكز من حيث لا يشعر على سفسطة مستورة يستار سنكشفه عنها .

لا يبقى بعد القسمة شيء أصلا ويتحول الجسم إذا إلى شيء غير جسماني . — الجسم ... غير جسماني — هذا التقابل موجود بلقطه في النص . — من النقط — التي هي ليست محسوسة ما دامت مفروضة مدعية الامتداد . — من شيء أبدا على الإطلاق — أو ربما كان "من العدم . من لا شيء" . — كون الجسم من جديد — عبارة النص ليست بهذا الضبط .

§ ١٨ — ينقسم بالفعل — أضفت هذه الكلمة الأخيرة لبيان المعنى تماما . — أصغر فأصغر دائما — على حسب المادة التي هي موضوع القسمة والآلات التي تستخدم لذلك . — تتباعد — هذه عبارة النص وربما كانت غير مناسبة . — وتنزل — بعد عملية القسمة . — التجزئة — أو التصغير أي تصوير الشيء إلى أجزاء دقيقة ثم إلى أدق منها وهكذا . — إلا إلى حد معين — في الخارج مع أنها في الذهن ممكنة إلى ما لا نهاية . § ١٩ — يلزم إذا — حيث لا يؤخذ إلا بالظواهر المحسوسة القابلة للشاهدة يكون مذهب الذرات مذهبا حقا جدا . لأن التجزئة في الواقع يجب أن تقف عاجلا ثم تصادف على ما يظهر حقيقة كثرودا في الجزئيات التي لا تستطيع أن تنالها التجزئة — بالانفراق — لعناصر لا تقبل النقص ولا الزوال . بالاجتماع — بين هذه العناصر بعضها . — الذرات — أضفت هذه الكلمة لأن الذرات غير قابلة للقسمة كما يدل عليه اسمها وفوق ذلك فإنها غير قابلة للقسمة بالنسبة لنا بسبب ذلك . — ونحن نتكفل — عبارة

§ ٢٠ — كما أن النقطة لا تُتصل بالنقطة فقابلية القسمة المطلقة تكون من جهة متعلقة بالأعظام ومن جهة أخرى غير متعلقة بها . ومن يسلّم بهذه النظرية يظهر أنه يسلّم أيضا بأنه لا يوجد بعدُ إلا النقطة التي هي في كل مكان وفي كل اتجاه . وبنتيجة ضرورية فإن العظم بالتجزئة يصير لا شيء . لأن النقطة ما دامت في كل مكان فالجسم لا يمكن أن يتركب إلا من التماسات أو من النقط . § ٢١ — وحينئذ فمعنى هذا هو الرجوع الى القول بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا ما دام يوجد في كل محل نقطة ما وأن كل النقط مجتمعة هي ككل واحدة منها على حدة وأنه في الواقع لا يوجد أكثر من واحدة لأن النقط ليست متتابعة بعضها لبعض . والنتيجة أيضا أن الجسم ليس قابلا للقسمة مطلقا . لأنه إذا كان الجسم قابلا للقسمة في وسطه فانه يكون قابلا لها في النقطة التي تُتصل بهذا الوسط . ولكن الآن غير متصل بالآن كما أن النقطة لا تُتصل بالنقطة . على أنه في هذا تنحصر قسمة الأجسام وتركيبها بحيث إنه يوجد أيضا اجتماع واقتراق للأجزاء . ولكن الجسم مع ذلك لا يتحول الى ذرات وأنه لا يأتي من ذرات . تلك النظرية التي تشمل

النص أقل ضبطا من هذا ولكني أردت بهذا التعبير تأدية معنى الحدة التي استعملها المؤلف في عبارته . — سنكشفه عنها — إن البيان الآتي قد يبين طبعه عدم مطابقته تمام المطابقة لهذا الوحد .

§ ٢٠ — لا تُتصل بالنقطة — ما دامت النقط معتبرا أن ليس لها أقل امتداد . — ومن يسلّم بهذه النظرية — التي هي أن الجسم قابل للقسمة مطلقا . — بالتجزئة — في النقط التي يقال إنه مركب منها . — إلا من التماسات أو النقط — ر ما سبق ف ١٦ § ٢١ — بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا — هذا هو المعنى الذي اتخذوه فيلويون وهو مع ذلك يجد أن المعنى ليس واضحاً على قدر الكفاية . وإن هذه المناقشة كلها هي في غاية الاضطراب ومن الصعب الوقوف فيها على الفكرة الحقيقية للمؤلف . — يوجد في كل محل نقطة ما — يعني أن التجزئة يمكن أن تحصل في أي نقطة كيفما اتفق . — لا يوجد أكثر من واحدة — في الواقع أنه يوجد من النقطة بقدر ما يراد ولكنها كلها متشابهة فلا يمكن أبداً أن يؤخذ منها في الدقة الواحدة إلا نقطة واحدة . — والنتيجة أيضا — النص ليس كذلك من حيث ضبط العبارة ولكني اضطرت الى زيادة الضبط لأرفق به بين التريديد المذكور في الفقرة السابقة . — الآن ... النقطة — الكلمتان المقابلتان لها في النص اليوناني أكثر تقارباً بينهما من الكلمتين اللتين اضطرت لاستعمالهما في الترجمة . —



صعوبات عديدة لا يمكن حلها . كذلك لا يمكن أن يتركب الجسم بطريقة بها تكون التجزئة ممكنة لا إلى حد ما . فإذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة كان الأمر كذلك ولكن الجسم ينحل إلى أجزاء متدرجة في الصغر وأن الاتحاد حصل بين أصغر الأجزاء .

§ ٢٢ - الكون المطلق الكامل للأشياء لا يقصر كما زعموا على اجتماع العناصر وتفرقها كما أن الاستحالة ليست مجرد تغير في الكثرة . بل ذلك خطأ تام يقع فيه كل الناس . ونكرر مرة أخرى أنه لا يوجد كون وفساد مطلقان للأشياء باجتماع العناصر واقتراقها . إنما يوجدان فقط متى يتغير شيء بأكمله عند ما يأتي من شيء آخر بعينه .

§ ٢٣ - وقد يظن أيضا أن الاستحالة هي تغير ما من هذا القبيل ولكن هاهنا فرقا عظيما . فإن في الموضوع جزءا يرجع إلى الكنه وجزءا يرجع إلى المادة متى فقط حصل التغير في هذين الأمرين فهناك حقا كون وفساد . ولا يكون إلا مجرد استحالة متى حصل التغير في الخواص والكيف العارضة للشيء . § ٢٤ - فما هو إلا باقتراق الأشياء وواجتماعها أنها تصبح قابلة للفساد بسهولة مثال ذلك متى تجزأ الماء إلى قطرات

- للأجزاء - أضفتنا من عدى . - صعوبات عديدة لا يمكن حلها - عرض بعضها في الكلام السابق . - ممكنة لا إلى حد ما - وذلك يهدم مذهب الذرات . على هذا يكون أرسطو يرفض الكل و يقبل هذا المذهب لأنه يجد من كل ناحية صعوبات لا يمكن التغلب عليها . - فإذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة - هذا يظهر عليه أنه يذيل دسه في النص بعض المفسرين .

§ ٢٢ - الكون - كل آخر هذا الباب هو استطراد بعد المؤلف به شيئا فشيئا من الفكرة التي كان يظهر عليه أول الأمر متابعة القول فيها . - اجتماع العناصر وتفرقها - لأن العناصر حينئذ هي أسبق من المركب الذي يتركب منها . - عند ما يأتي من شيء آخر بعينه - عبارة النص ليست محكمة فإن هناك أيضا لا يوجد كون بالمعنى الخاص . § ٢٣ - الاستحالة - الاستطراد مستمر - ظلما - أضفت هذه الكلمة . - في الموضوع أو في الشيء . - إلى الكنه - الحد والماهية . - هذين الشئين - أضفت علامة التثنية وصيغة النص صيغة جمع . - حقا - أضفت هذه الكلمة . § ٢٤ - فما هو إلا باقتراق الأشياء وواجتماعها . - ما سبق في آخر الفقرة ٢٢ - متى تجزأ الماء - المشاهدة صحيحة وقد حصلت من زمان بعيد

صغيرات تتحول بأسرع ما يكون الى هواء ، في حين أنها اذا بقيت كتلة تصير هواء  
بأبطأ من ذلك .

§ ٢٥ — على أن هذا سيتضح فيما يلي . ولكن هاهنا أردنا فقط إثبات أن  
من المحال أن يكون كون الأشياء مجرد تأليف كما زعم بعض الفلاسفة .

لأن هذه الظاهرة تقع تحت النظر في غالب الأحيان ( — المبررولوجيا ك ٢ ب ٢ ف ١٨ من ترجمتي ) .  
— تتحول بأسرع ما يكون الى هواء — أو بمدة أخرى تتغير .

§ ٢٥ — على أن هذا سيتضح فيما يلي — ذلك بأن المؤلف نفسه أحس أنه لم يكن دائماً مبنياً  
بقدر ما يطلب منه . — مجرد تأليف — سواء أكان اجتماعاً أم اقترافاً . راجع ما سبق ف ١٩

## الباب الثالث

في الكون المطلق وفي فساد الأشياء — صعوبة هذه المسئلة — الكون والفساد الإضافيان — التعليل الذي يقف في هذا البحث — شواهد من كتاب الحركة — أبدية الكائنات وتعاقلها المستمر — تبادل الكون والفساد — تميز لفظي مهم — استشهاد بـ «مفيد» — الفرق بين الكون المطلق والكون الإضافي — فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين — الرأي الدائم في هذا الموضوع — في أن شهادة الحواس تعلل أكثر مما تستحق — توضيحات مختلفة — طريقة فهم أبدية الظواهر .

§ ١ — متى تقرر هذا يلزم البحث أولا فيما إذا كان يوجد في الواقع شيء يولد ويموت بطريقة مطلقة أو ما إذا كان لا يوجد شيء يولد ويموت بالمعنى الخاص . وفي هذه الحالة يلزم فحص ما إذا كان أي شيء ما لا يأتي دائما من شيء آخر هو يخرج منه : مثال ذلك من المريض يأتي الصحيح ومن الصحيح يأتي المريض أو كالصغير يأتي من الكبير والكبير يأتي من الصغير وكل الأشياء بلا استثناء "تكون" بهذه الطريقة عينا . إذا سلم بكون مطلق يلزم حينئذ أن الموجود يأتي مطلقا من اللاموجود أي من العدم بحيث يحق التأكيد بأن العدم يتعلق ببعض الموجودات . والكون الإضافي يمكن أن يأتي من لا موجود إضافي . ومثال ذلك

§ ١ — بطريقة مطلقة — أعني من غير أن يوجد شيء يسبقه ومنه يمكن أن يخرج . — بالمعنى الخاص — يعني بالمعنى المطلق للكلمة . — وفي هذه الحالة — يعني في حالة افتراض أن لا يوجد كون مطلق . وأن الموجود الكائن يخرج دائما من موجود سابق عليه . وقد قلنا الجملة لأنها في النص قد طالت أكثر مما يلزم . — من المريض يأتي الصحيح — يعني أن الموجود المريض يرجع صحيحا . أو بالعكس يصير الصحيح مريضا . فالموجود إذا لا يكون بالمعنى الخاص . بل هو فقط يتغير حاله ويمر بكيفيات مختلفة . ولكنه كان أولا ومن قبل أن يلحقه التغير . — بكون مطلق — يعني أن الشيء الذي لم يكن من قبل قد وجد وهو يخرج من العدم حيث كان فيه قبل الوجود . — من اللاموجود من العدم — ليس في النص إلا كلمة واحدة وعلى هذا المعنى يقال عن شيء ما إنه مغفور في العدم وإن «العدم يتعلق ببعض الموجودات» كما هي عبارة النص . ولقد يظهر على العبارة صورة التناقض على أنها صادقة . — الأبيض يمكن أن يأتي من اللا أبيض — أعني أن شيئا لم يكن أبيض يمكن أن يصير أبيض . وليس ذلك هو الكون بالمعنى

الأبيض يمكن أن يأتي من اللا أبيض أو الجميل يأتي من اللا جميل . لكن الكون المطلق يجب أن يأتي من اللا وجود المطلق .

§ ٢ — حينئذ المطلق هاهنا يدل إما على الأولى في كل مقولة للوجود وأما على الكلي أعني الذي يشمل ويحوى كل شيء . فإذا كان الأولى هو مدلول المطلق فهناك كون للجوهرات مما هو ليس بجوهر . ولكن ما ليس له جوهرية وما ليس البتة شيئا معينا بذاته لا يمكنه بالبداهة أن يكون لأى واحدة أخرى من المقولات كالكيف والكَم والأين ... الخ لأنه حينئذ يكون معناه التسليم بأن كيف الجواهر يمكن أن تنفصل عنها ، فإذا كان اللاموجود هو بصورة عامة مدلول المطلق فذلك هو النفي الكلي لجميع الأشياء وعلى ذلك لما يولد وما يكون يلزم ضرورة أن يولد من لا شيء .

الخاص بل هو مجرد تغير أو مجرد استعمال . — الكون المطلق يأتي من اللا وجود المطلق — يعنى أن شيئا يكون بعد أن لم يكن ، خارجا من العدم الذى كان فيه .

§ ٢ — حينئذ المطلق هاهنا يدل إما على الأولى — المطلق يظهر أنه لا يمكن استعماله في هذا المعنى الضيق ولكن هذا هنا هو مجرد تمييز لفظي كله محكم . — في كل مقولة للوجود — يعنى في جميع المقولات إلا في مقولة الجوهر فإن الأولى هو الحسد الأعلى وعلى ذلك ففى مقولة الكيف ليس المقصود واحدة من الكيوف الخاصة بل هو الكيف نفسه . — وإما على الكلي — يعنى الجوهر وإلى هذا المعنى ينصرف عادة لفظ المطلق . — يشمل ويحوى كل شيء . — ليس في النص إلا كلمة واحدة . ومعنى ذلك أنه يلزم أولا أن يوجد الشيء حتى يمكن بعد أن يوصف بأى كيف انفق . — فإذا كان الأولى هو مدلول المطلق — أضفت الكلمات الثلاثة الأخيرة لجعل الفكرة أكثر ضبطا وطلا . — فهناك كون للجوهر — التعبير لا يظهر أنه على ما ينبغي . فاقرب المقصود ليس هو الجوهر بالضبط بل هو مجرد وجود مكيف تبعاً لكل مقولة فإن شيئا يصير أبيض بعد أن لم يكن أبيض من قبل . — الخ — وضعت هذه الكلمة للدلالة على أن جميع المقولات ليست مذكورة هنا . — كيوف — عبارة النص أعراض . — مدلول المطلق — رأيت من الواجب تكرير هذه العبارة لتكميل النص . — النفي الكلي لجميع الأشياء — ولعل أحسن من ذلك أن يقال : " النفي الكلي لجميع المقولات " بما فيها مقولة الجوهر . — ما يولد وما يكون — ليس في النص إلا أحد الفعلين .



§ ٣ - على أننا قد تكلمنا على هذا الموضوع في موضع آخر وبحسبنا بأطول من ذلك ولكننا نلخص ها هنا فكرتنا ونقول في قليل من الكلمات إن من وجه يمكن أن يوجد كون مطلق لشيء آت من العدم من اللاوجود . ومن وجه آخر لا شيء يمكن أبدا أن يأتي إلا مما هو موجود . ذلك في الحق أن ما هو مجرد القوة وليس بالفعل يجب أن "يكون" أولا وبالضرورة على الوجهين اللذين بينهما آنفا ولكنه لا بد مع ذلك من العناية الكبرى في فحص هذه المسئلة التي يمكن أن صعوبتها ندهشنا حتى بعد الإيضاحات التي أسلفناها . وتلك المسئلة هي كيف أن الكون المطلق يحصل سواء أكان يأتي مما هو بالقوة أم يأتي بأي وجه آخر .

§ ٤ - يمكن البحث في الحق فيما إذا كان يوجد فقط كون للجوهر ولشيء معين بالفعل أو ما إذا كان لا يوجد أيضا كون للكيف ولكم ولأين ... الخ . وهذه الأسئلة عنها توجه على السواء بالنسبة إلى الفساد . وإنه إذا كان بالفعل شيء يكون أو يولد فمن الواضح أنه يجب وجود جوهر ما بالقوة على الأقل إن لم يكن بالفعل وبالكمال منه يخرج كون الشيء وفيه يتغير بالضرورة متى فسد . § ٥ - هل من الممكن أن واحدة من المقولات الأخرى التي هي بالفعل وبالكمال المحض تتعلق بهذا

§ ٣ - في موضع آخر - يعني في الكتاب الأول من الطبيعة ب ٨ ف ١ وما يليها ص ٧٣ من ترجمتنا كانه إليه فيلويون . - آت من العدم من اللاوجود - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - لا شيء يمكن أبدا أن يأتي - ليست عبارة النص بهذا القدر من البيان . - ما هو مجرد القوة - الممكن ليس موجودا على التحقيق ولكنه يكفي إمكان وجوده لأجل أن يكون له وجود بنوع ما . - على الوجهين اللذين بينهما - زدت هاتين الكلمتين الأخيرتين ، وبعبارة أخرى الممكن كائن وغير كائن مما .

§ ٤ - إذا كان يوجد فقط - أضفت الكلمة الأخيرة . - كون للجوهر - ويمكن ترجمتها بهذه العبارة «إذا كان الكون يتعلق بالجوهر» . - بالنسبة إلى الفساد - الذي هو ضد الكون . أفلا يوجد كون وفساد إلا في مقولة الجوهر ؟ ألا يوجدان أيضا في المقولات الأخرى . - بالفعل - زدت هذه الكلمة . - جوهر ما - كلمة جوهر بعينها موجودة في النص ولكن يظهر أن الجوهر يجب دائما أن يكون بالفعل لا أن يكون ممكنا مجرد إمكان . - بالفعل وبالكمال - ليس في النص إلا كلمة واحدة . § ٥ - واحدة من المقولات الأخرى - يعني إحدى المقولات الأخرى غير مقولة الجوهر . - بهذا الموجود بالقوة - النص ليس

الموجود بالقوة ؟ أو بعبارة أخرى هل يمكن تطبيق معانى الكيف والكم والأين على هذا الذى ليس شيئا إلا بالقوة و بالقوة فقط بدون أن يكون شيئا بذاته بطريقة مطلقة حتى ولا أن يكون مطلقا أبدا ؟ لأنه اذا كان هذا الموجود ليس أى شيء بالفعل ولكنه كل الأشياء بالقوة فان الوجود المفهوم على هذا النحو يمكن أن يكون ذا وجود منفصل وحيثئذ يوصل الى هذه النتيجة التى هابها الفلاسفة الأولون أكثر من كل شيء وهى إيجاد الأشياء من العدم المحض . ولكنه اذا لم يسلم أن هذا يكون موجودا حقيقيا أو جوهريا وأنه شيء آخر من المقولات المذكورة فحيثئذ يفرض كما قلنا آتفا أن الكيفيات والأعراض يمكن أن تكون منفصلة عن الجواهر .

§ ٦ - تلك هى النظريات التى يلزم مناقشتها هنا بالقدر المناسب كما أنه يلزمنا البحث عما هى العلة التى تجعل كون الموجودات أبديا سواء الكون المطلق أو الكون البعضى . ما دام لا يوجد على رأينا إلا علة واحدة أوحد منها ينبعث مبدأ الحركة وما دام لا يوجد أيضا إلا مادة واحدة يلزم إيضاح ما هى هذه العلة .

بهذا الوضوح . - والأين - أو أى مقولة أخرى . - ذا وجود مفصل - وهذا تناقض . - التى هابها الفلاسفة أكثر من كل شيء . - الفلاسفة الذين لم يستطيعوا أبدا أن يقبلوا بأية صورة معنى العدم . - من العدم المحض - عبارة النص بالضبط هى « من العدم السابق الوجود » . - كائن حقيقى - يمكن أن يضاف « متميز » فإذا كان الممكن ليس جوهريا فيقال إنه واحدة أخرى من المقولات . - المذكورة - آتفا . - كما قلنا آتفا - ر ف ٢

§ ٦ - بالقدر المناسب - لهذا الموضوع الخاص الذى تدرسه فى هذا الكتاب . - العلة التى تجعل كون الموجودات أبديا - ليس هذا شيئا آخر إلا الإسناد الى الله الذى هو خالق الأشياء وحافظها كما هو مبين بعد . - سواء الكون المطلق - يعنى الذى يخرج الأشياء من العدم . - أو الكون البعضى - يعنى كون الكيفيات المتعاقبة على الأشياء . - علة واحدة أوحد - هى المحرك الذى لا يتحرك . - مادة واحدة أوحد - فيها يفعل المحرك الأثر . - ما هى هذه العلة - هاهنا عبارة النص ينقصها قليل من الجلاء ، لأن السياق يقتضى طنين لا علة واحدة وهما علة فاعلة وعلة مادية .

٧ § — ولكنا سبق بنا أن تكلمنا عليها في كتابنا "الحركة" إذ قررنا فيه أنه يوجد من جهة شيء غير متحرك طول الأبد كله ومن جهة أخرى شيء على ضد ذلك واقع في حركة أبدية . فدراسة المبدأ غير المتحرك للأشياء تتعلق بفلسفة أخرى عليا . وأما المتحرك الذي يحرك كل البقية، لأنه هو نفسه قد حرك بحركة مستمرة، فالتناهي مستكلم عليه فيما بعد عند ما نوضح ما هي صلة كل واحدة من الظواهر الخاصة . وهنا تقتصر على علاج هذه العلة التي تظهر بصورة مادة والتي تجعل أن كون الأشياء وفسادها لا يتخلقان في الطبيعة . ولكن هذه المناقشة قد تجاوز أيضا الشك الذي أثراه آفا وسيري كيف ينبغي أن يعني أيضا بالفساد المطلق وبمطلق كون الأشياء .

٨ § — ومع ذلك فاتها مشكلة محيرة أن يعرف ماذا عسى أن تكون العلة التي تدبر وتسلسل تناسل الأشياء إذا فرضنا أن ما يفسد يرجع إلى العدم وأن اللاوجود ليس شيئا . لأن ما ليس موجودا ليس جوهرًا ولا كيفًا ولا كمًا ولا أينًا الخ لأنه حيثما ما دام في كل آن واحد من الكائنات يبيد وينعدم كيف يتأتى أن العالم بتمامه لم يكن قد فنى منذ زمان طويل ألف مرة إذا كان المنبع الذي يأتي منه كل واحد من

٧ § — في كتابنا "الحركة" — هذا العنوان يدل على كتاب الطبيعة . — إذ قررنا فيه . ر . الطبيعة له ٨ ب ٣ ف ٢ من ترجعنا . ر . أيضا أوائل كتاب الطبيعة والتحقيق الخاص للعنوانات المختلفة لهذا الكتاب . — بفلسفة أخرى عليا — يعني ما بعد الطبيعة . ر . الكتاب السابع من ترجمة كوزان . — سنكلم عليه فيما بعد — ر . الباب العاشر من الكتاب الثاني من هذا المؤلف . — الظواهر — أو الكائنات . — العلة التي تظهر بصورة مادة — يعني العلة المادية . — لا يتخلقان — هذا هو التناهي الأبدى للكائنات . ولكن في مذهب أرسطو لمنا أن العالم ليس له أول ولا ينبغي أن يكون له آخر فتعاقب الكائنات يجب أن يستمر كما نرى . وهذه المسئلة قد بحثت أيضا في الكتاب الثامن من الطبيعة ب ٧ ف ٤ و٥ في الكتاب الثالث ب ٥ ف ٤ — بالفساد المطلق وبمطلق كون الأشياء . — يعني إمكان أن شيئا يمحى من العدم ويرجع إليه .

٨ § — التي تدبر وتسلسل — ليس في النص الا كلمة واحدة . — يرجع إلى العدم — أو يذهب إلى العدم . — ليس جوهرًا ولا كيفًا — أعني في أي مقول من المقولات . — ولا أينًا — ليس هنا إلا أربعة مقولات معدودة حرمًا عن عشرة . لذلك وضعت لفظ ... الخ . — العالم بتمامه — عبارة النص

هذه الكائنات محدودة ومتناهية؟ في الحق إذا كان هذا التوارث الأبدي لا ينقطع البتة فليس ذلك بأن الينبوع الذي تصدر منه الكائنات يكون غير متناه لأن ذلك محال تماما ما دام أنه في الواقع لا شيء غير متناه . وأنه إنما يكون فقط بالقوة أن شيئا يمكن أن يكون غير متناه في القسمة . وقد وضعنا أن القسمة هي وحدها محل عدم الانقطاع وعدم القوات لأنه يمكن دائما الحصول على كمية أضعف فأضعف . وإكاثا هانا لا نرى وجهها للشبهة . أفلا تصير أبدية التعاقب ضرورية بهذا السبب وحده أن فساد شيء هو ككون شيء آخر وأن العكس بالعكس كون هذا موت ذلك أو فساده ؟ .

§ ٩ — وبهذا تلقى علة يمكنها أن تكفي لتوضيح كل شيء بالنسبة لكون الأشياء وفسادها ، هاهنا في عمومها وهناك في كل فرد من الكائنات بخصوصه . على أنه مع هذا يلزم البحث في أنه لماذا عند الكلام على بعض الأشياء يقال بطريقة مطلقة إنها تكون وتهلك في حين أنه عند الكلام على بعض أشياء أخرى لا يقال ذلك على إطلاقه ، إذا كان حقا أن كون موجود بعينه هو عين فساد آخر وإذا كان العكس بالعكس فساد هذا هو كون لذلك . § ١٠ — هذا التباين في التعبير يقتضي أيضا أن يفسر ما دام أننا نقول عن كائن في حالة بعينها إنه فسد مطلقا لا أنه فسد من وجه بعينه فقط وما دما نصرف الكون إلى معنى مطلق كما نصرف الفساد سواء بسواء .

بالضبط « الكل » . — محدودا ومتناهيا — ليس في النص الا كلمة واحدة . — هذا التوارث الأبدي — عبارة النص ليست بهذا الوضوح . — وقد وضعنا — ر . الطبيعة نظرية الانهائية ك ٣ ب ٥ ف ٤ . وب ٢ ف ٥ . — أضعف فأضعف — ذلك في الحق هو نظرية أرسطو في الطبيعة . ولكن يظهر أنه يمكن أن يكون نمو الأشياء غير متناه وكذلك قسمتها مادام الموضوع من كل وجه كميات تحليلية محضة . — بهذا السبب وحده أن فساد شيء — هذا الفرض عينه موجود في كتاب الطبيعة ك ٣ ب ١٢ ف ٢ من ترجمتنا . § ٩ — هاهنا في عمومها — النص ليس بهذه الصراحة . — بطريقة مطلقة — من غير تحديد ولا تقييد من أي نوع .

§ ١٠ — هذا التباين في التعبير — عبارة النص هي : « هذا » فقط . — إنه فسد مطلقا — يعني أنه يمر من الوجود إلى اللاوجود بوجه تام وينقطع عن الوجود بعد أن بق فيه زمنا ما . — من وجه



على ذلك فشيء بعينه يصير شيئا آخر بعينه ولكنه لا يصير على الإطلاق . انظر مثلا كيف نقول عن شخص يتعلم انه يصير عالما ولكننا لا نقول من أجل ذلك انه يصير ويكون على الإطلاق . وبإدكار ما قلناه غالبا من أن بعض الأسماء تدل على جوهر حقيقى والبعض الآخر لا يدل عليه يمكن معرفة من أين تأتى المسئلة المطروحة ها هنا . لأنه يهيم كثيرا أن يعين فيم يتغير الشيء الذى يتغير، مثال ذلك تحول الشيء الذى يصير نارا يمكن أن يسمى كونا مطلقا ولكن أيضا فسادا لشيء للأرض مثلا . وكذلك كون الأرض هو بلا شك أيضا كون ، ولكنه ليس كونا مطلقا مع أنه فساد مطلق ومثلا فساد النار .

§ ١١ — بهذا المعنى كان پرمينيد لا يعترف إلا بشيئين فى الدنيا الموجود والا موجود وهما عنده النار والأرض . على أنه ليس من المهم اقتراض هذه العناصر أو عناصر أخرى مشابهة لها لأننا لا نبحث إلا فى الطريقة التى بها تحصل

بعينه فقط — معنى مثلا أن شيئا يصير أبيض بعد أن كان أسود فإنه لا يتقطع بذلك عن أنه كان مطلقا . فقط أنه اقتطع عن كونه أبيض . وأنه فسد من حيث إنه أبيض دون أن يفسد حقيقة . — من شخص يتعلم — وأنه على ذلك لم يكن بعد عالما ثم يصير إذا عالما . ولكن لا يمكن أن يقال بوجه مطلق انه يصير كالوأنه ولد مثلا . — إنه يصير ويكون — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — ما قلناه غالبا — يمكن أن يراجع كتاب المقولات ب ٤ ف ١ . — بعض الأسماء — عبارة النص فى ترجمة . — جوهر حقيقى — عبارة النص بالضبط "شيء معين" . — فسادا لشيء للأرض مثلا — معنى أن الأرض يجب أن تفسد لتصير ناراً مع التسليم بأن هذا التحول يمكن كما يفترضه پرمينيد . — فساد النار — الملاحظة بعينها .

§ ١١ — الموجود والا موجود — فى كتاب الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ هو البارد والبارد لا الموجود والا موجود اللذان اعتبرهما پرمينيد العنصرين الأولين . ومع ذلك فإن البارد والبارد هما مرادفان أيضا فى ذلك الكتاب للأرض والنار . — على أنه ليس من المهم — يخص أرسطو ها هنا أن تحول الأرض الى نار أو النار الى أرض فرض غريب فى بابه . — لافى موضوعها — معنى الموضوع الذى فيه تحقق الظواهر والذى يمكن أن يكون على السواء الأرض أو النار أى جسم آخر كيفما اتفق . فإن الجوهر يمكن أن يتغير ولكن الظاهرة هى دائما هى بعينها . ومع ذلك فإن أرسطو قد بين عبارته بربا واضحا فما يلى .

الظواهر لا في موضوعها . إذا التفسير الذي يوصل الأشياء إلى اللا وجود المطلق إنما هو فساد مطلق وبالعكس ما يوصلها مطلقا إلى الوجود هو كون مطلق . ولكن مهما كانت الجواهر التي يعتبر فيها الكون والفساد سواء النار أو الأرض أو أي عنصر آخر مشابه فإن الكون والفساد لا يزالان أحدهما للوجود والآخر للآوجود .

١٢٤ — هذا إذا هو فرق أول في التعبير يمكن تقريره بين الكون والفساد المطلقين وبين الكون والفساد اللذين ليسا مطلقين . وقرئ آخر يمكن أن يميزها وهو المادة التي يحصلان فيها أيا كانت هذه المادة فالتى تدل فصولها دلالة أكثر على هذه الحقيقة بعينها أو تلك هي أيضا أدخل في الجوهرية والتي تدل فصولها دلالة أكثر على العدم هي أدخل في اللا موجود . وعلى ذلك فالحرارة مقولة ما ونوع حقيقي وعلى الضد البرودة فانها ليست إلا عدما . وبهذه الفصول بعينها تميز الأرض والنار .

١٣٤ — عند العامي ، إنما يقترن الفرق على الأخص بين الكون وبين الفساد هو أن الواحد مدرك بالحواس وأن الآخر ليس كذلك . فتمى وجد تفسير في مادة محسوسة قال العامي إن الشيء يولد ويكون كما يقول إنه يموت ويفسد حينما يتغير

— التفسير الذي يوصل — ليس النص بهذه الصراحة . — سواء النار أو الأرض — كما يريد برهنيدي .  
— أحدهما للوجود — وهو الكون أو التولد . — والآخر للآوجود — وهو الفساد أو التلف .

١٢٤ — فرق أول في التعبير — ليست عبارة النص على هذا الضبط . — التي يحصلان فيها — أضفت هذه الكلمات لإيضاح الفكرة . — هذه الحقيقة بعينها أو تلك — عبارة النص هي بالبساطة «شيء» . — وعلى ذلك فالحرارة مقولة — قد لا يكون هذا المثل مختارا اختيارا حسنا . فإذا كان البرد هو عدم الحرارة فقد يمكن القول أيضا بأن الحرارة عدم البرودة . فإن الحرارة والبرودة هما على السواء كيفان أحدهما ضد الآخر . — تتميز الأرض والنار — ر . الفقرة السابقة . وعلى حسب تفسير فلهو يون أن النار أدخل في الجوهرية من الأرض . فانها الإيجاب أو الملكة في حين أن الأرض ليست إلا العدم . ر . آخر الفقرة الآتية .

١٣٤ — الفرق بين الكون وبين الفساد — الترجمة أضبط من النص . — فتمى وجد تفسير — الترجمة أضبط من النص . — يولد ويكون ... يموت ويفسد — ليس في النص في كلا الطرفين إلا كلمة

الى مادة غير مرئية . ذلك بأن الناس يعترفون على العموم الوجود واللاوجود تبعاً لما إذا كانوا يحسّون الشيء أو لا يحسّونه . كما أنهم يعتبرون الموجود ما يعرفونه واللاوجود ما يجهلونه . فحينئذ الحس هو الذى يؤدى وظيفة العلم . وكما أن الناس لا يدركون حقيقة حياتهم وكونهم إلا لأنهم يحسّون أو يمكنهم أن يحسّوا ، كذلك أيضاً إدراكهم لوجود الأشياء إذ يبحثون عن حقيقتها وما هم بواجديها فيما يقولون . § ١٤ — ذلك أن الكون والفساد المطلقين هما متغايران تماماً تبعاً لاعتبارهما على حسب الرأى العامى أو لاعتبارهما فى حقيقتهما الواقعية . إذا الهواء والريح أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما جسمين إذا كان المرجع فى ذلك الى مجرد شهادة الحواس . ومن أجل ذلك يظن أن الأشياء التى فسدت مطلقاً تفسد بالتحول الى هذين العنصرين فى حين أنه يعتقد أن الأشياء تولد وتكون متى تحولت الى بعض عناصر يمكن لمسها أى الى أرض مثلاً . ولكن فى الحق ذائكم العنصران هما جوهر ونوع أكثر من الأرض نفسها .

§ ١٥ — إذا قد وضع ما يدل على أنه يوجد الكون المطلق من حيث كونه فساداً لشيء والفساد المطلق من حيث كونه كونا لشيء أيضاً . وهذا يتعلق ،

واحدة . — إدراكهم لوجود الأشياء — يعنى على حسب أن الأشياء محسوسة أو غير محسوسة أولاً يمكن أن نحس . § ١٤ — على حسب الرأى العامى — يمكن ترجمتها أيضاً هكذا : «أخذنا بمجرد الظاهر» . — أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما جسمين — عبارة النص هى بالضبط «أقل» فقط — الى مجرد شهادة الحواس — ما دام أن الهواء والريح يحسّان أقل من العناصر الكثيفة مثل الأرض والماء . — الى هذين العنصرين — الهواء والريح . — مثلاً — زدت هذا اللفظ لتمام الفكرة . — ونوع — أو صورة . وليس لفظ النص بأكثر ضبطاً من اللفظ الذى التزمت استعماله . — أكثر من الأرض قطعاً — ربما كان اللازم بيان حلة هذه النظرية التى يظهر لأول وهلة أنها مشككة . أما فيلويون فيزعم أن الهواء من الحقيقة أكثر جوهرية من الأرض لأنه يحيط بها وأن له فوق ذلك خاصية الحرارة التى تزيد فى تمدده .

§ ١٥ — إذا قد وضع — ليس هذا الإيضاح جلياً كالمرغوب . وربما كان هذا الملخص الذى أثبت هنا سابقاً لوقته . — أنه يوجد — يظهر أن الأحسن هو أن يقال : «إنه يظن أن يوجد» .



في الواقع، بأن المادة مختلفة إما لأن الواحدة جوهر في حين أن الأخرى ليست  
جوهرا وإما لأن الواحدة هي أكثر وأن الأخرى أقل وإما لأن المادة التي يأتي  
منها الشيء والتي يذهب إليها هي أقل أو أكثر حسية . ويقال على الأشياء تارة  
إنها تولد وتصير بالاطلاق وتارة يقال بالتعيين إنها تصير هذا الشيء بعينه أو ذاك  
من غير أن يأتي واحد من الآخر بالتكافؤ على النحو الذي نعينه هاهنا . ونحن  
نقتصر في الواقع الآن على إيضاح لماذا — ما دام أن كل كون هو فساد لشيء  
آخر وأن كل فساد هو كون لشيء آخر أيضا — نحن لا نُسند على هذا الوجه عينه  
الكون والفساد إلى الأشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر .

§ ١٦ — على أن هذا لا يحل المسئلة التي كنا وضعناها لأنفسنا حلا نهائيا .  
بل هو يوضح لماذا يقال عن واحد يتعلم إنه يصير عالما لا أنه يصير مطلقا في حين  
أنه بالنسبة لشيء ينشأ طبيعة يقال بطريقة عامة إنه يولد ويصير . تلك هي النماين  
أي المقولات المختلفة التي بعضها يدل على الموجود الحقيقي والجزئي والآخر يدل  
على الكيف والآخر على الكم . وبالتالي لا يقال البتة على كل الأشياء التي لا تدل على جوهر

ولكن لم أجزم على المغامرة بهذا التفسير . — المادة — عبارة النص هي غير معينة أيضا كاللفظ الذي استعملته  
في الترجمة فإنه يمكن أن يسأل : مادة أي شيء هي ؟ . — الواحدة — يعني من هذين الشئين .  
— جوهر — يعني شيئا شمسيا وخصا . — هي أكثر — أو بعبارة أخرى « الواحدة لها وجود أكثر بروزا  
والأخرى وجود أقل حسية » . — تولد وتصير — لا يوجد إلا كلمة واحدة في النص الإغريقي .  
— بالتعيين — أو فقط . — الذي نعينه هاهنا — إذ نقول إن التولد المطلق هو فساد شيء آخر وإن الفساد المطلق  
هو أيضا تولد . — نحن لا نُسند على هذا الوجه عينه — كل هذه القيود دقيقة وقامضة . — إلى  
الأشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر — تلك هي الأحوال المختلفة التي بها يمر جسم بعينه كما يفهم من سياق  
الكلام الآتي . وليس هذا بالمعنى الخاص فسادا لكيف أو كونا له بل هو مجرد تعاقب .

§ ١٦ — التي كنا وضعناها لأنفسنا حلا نهائيا — على الروابط الحقيقية بين الكون المطلق وبين  
الفساد المطلق . — إنه يصير عالما — إذ أن جهله يتقلب علما كما أن قلبه يمكن أن يتقلب جهلا إذا نسي  
ما حفظه . — ينشأ طبيعة — كلمة النص يظهر لي أن لها ما لهذا اللفظ الذي استخدمته في الترجمة من  
القوة . — إنه يولد ويصير — لا يوجد في النص إلا كلمة واحدة . — بعضها... الموجود الحقيقي والجزئي —



إنها تصير بطريقة مطلقة بل إنها تصير كذا أو كذا من الأشياء . ومع ذلك فإن الكون في كل الأحوال على السواء لا ينطبق انطباقا صريحا إلا على الأشياء الداخلة في إحدى المجموعتين . مثلا في مقولة الجوهر يقال إن الشيء يصير إذا تكون نار . ولا يقال ذلك إذا كان الذي يكون هو أرضا . وفي مقولة كيف يقال عن الشيء إنه يصير إذا صار الكائن عالما لا إذا صار جاهلا . § ١٧ — إذا فانظر كيف نوضح لماذا بعض الأشياء يكون بطريقة مطلقة وكيف أن البعض الآخر لا يكون لا بطريقة مطلقة ولا أصلا حتى في الجواهر أعيانها . وقد قلنا أيضا لماذا الموضوع من حيث هو مادة هو علة الكون المستمر الأبدي للأشياء نظرا إلى أنه يمكن على السواء أن يتغير في الأضداد وأنه بالنسبة للجواهر كون ظاهرة هو دائما فساد لآخرى وبالكاف أن فساد هذه كون لتلك .

وهو مقوله الجوهر . والنص أقل ضبطا من ذلك . — والآخر على الكم — لا يوجد ههنا إلا ثلاث مقولات على التعداد مع أن المقولات عشرة . ر . تجاب المقولات ب ٤ ص ٨ هـ من ترجمتنا . — إنها تصير كذا أو كذا من الأشياء — يعني أنها تتغير بالكيف أو بالوضع ما دام المفروض ضرورة أن الجوهر هو ثابت تحت جميع المقولات . — في إحدى المجموعتين — اللتين إحداهما موجبة والأخرى سالبة . ومع ذلك فإن ما يلي كفيلا بإيضاح هذه الفكرة وإن كانت الحدود التي اتخذت أمثلة ربما لا يكون قد توافر فيها حسن الاختيار . — إذا تكون نار — لأن النار معتبرة حدا إيجابيا في حين أن الأرض معتبرة حدا سلبيا . — إذا كان الذي يكون هو أرضا — ر . ما سبق ف ١٤ — إذا صار الكائن عالما — هذا هو الحد الإيجابي في حين أن الجاهل حد سلبى ولكن في الحالة الأولى والأخرى يقال أيضا إنه يصير عالما أو يصير جاهلا . وكل هذا هو غاية في الدقة .

§ ١٧ — حتى في الجواهر أعيانها — يعني في حالة ما إذا كان شيء مع كونه موجودا أقل في مرتبة الوجود من آخر لأنه تابع له . ر . ما سبق ف ١٥ . — الموضوع من حيث هو مادة — الموضوع يبقى لأنه ماديا محل الأضداد التي تحمل فيه وتتماقب عليه . فالموضوع يبقى مع تغيره . — المستمر الأبدي — لا يوجد في النص إلا كلمة واحدة . — كون ظاهرة — أو بعبارة أخرى تغير الكيفيات . فإن كون الأسود هو فساد للأبيض وكون الأبيض هو فساد للأسود ، والموضوع الذي يصير على التناوب أسود وأبيض لا يزال باقيا .

§ ١٨ — على أنه لم يبق محل لأن يتساءل لماذا أن هذا الفساد الدائم للوجودات هو الذى يجعل أن شيئا يمكن أن يكون . لأنه كما يقال إن شيئا هو فاسد مطلقا حينما يمر الى اللاحسوس وإلى اللاموجود كذلك يمكن أن يقال إنه يكون ويأتى من اللاموجود متى أتى من اللاحسوس ، والنتيجة أنه سواء أكان هناك موضوع أولا أم لم يكن فإن الشيء يأتى دائما من العدم بحيث إن الشيء فى آن واحد حين يكون يأتى من الالوجود وحين يفسد يعود الى الالوجود أيضا . وهذا هو الفاعل فى أنه ليس يوجد انقطاع ولا خلق . لأن الكون هو فساد الالوجود والفساد هو كون العدم . § ١٩ — ولكن قد يتساءل عما اذا كان هذا اللاموجود المطلق هو ثانى الضدين . ومثلا لما أن الأرض وكل ما هو ثقيل هو اللاموجود إذا كانت النار وكل ما هو خفيف هي أو ليست هي الموجود . ولكن يمكن أن يقال أيضا إن الأرض هي الموجود وإن اللاموجود هو مادة الأرض كما أنه هو مادة النار على السواء . ولكن هل مادة أحد هذين العنصرين ومادة الآخر هي إذا مختلفة ؟ وهل من المحال

§ ١٨ — أن هذا الفساد الدائم للوجودات — ليس النص على هذا القدر من الصراحة فى كل هذا الموطن . — حينما يمر الى اللاحسوس — ر . ما سبق ف ١٣ . — فإن الشيء يأتى دائما من العدم — قد اتخذت عبارة كمباراة النص فى أنها عامة غامضة . وبعبارة أخرى : سواء كان هناك مجرد تغير فى الكيف فالظاهرة تأتى دائما بما لم يكن . — انقطاع ولا خلق — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . ومع ذلك فمن فرط التعمق أو بالحرى من الإسراف القوى أنه يمكن التكلم عن كون العدم أو فساد .

§ ١٩ — هو ثانى الضدين — الذى ليس كائنا بالفعل ولكنه يمكن أن يكون بأن يشغل محل الضد الذى هو كائن . — لما أن الأرض وكل ما هو ثقيل هو اللاموجود — ضد رأى العامى الذى يستند إلى الأرض وجودا أكثر من وجود الهواء والنار بحجة أن الحواس تدركها أكثر . ر . ما سبق ف ١٣ . — أن الأرض هي الموجود — يظهر فى الحق أنه من الصعب إنكار ذلك . — وإن اللاموجود هو مادة الأرض — لا يظهر أن اللاموجود يمكن أن يكون مادة لأى شيء . ما إلا أن يصرف ذلك إلى المعنى المجرد المحض حيث كان القول فيما ر . — وهل من المحال أن يأتى أحدهما من الآخر — هذا ما يشبه أن لا يعتمد إلا على شهادة الحواس . — لها أصدقاء — قد يكون أضبط من ذلك بيانا أن يقال إنها بعضها لبعض ضد .

أن يأتي أحدهما من الآخر كما هو الحال في الأضداد . لأن النار والأرض والماء والهواء لها أضداد أو هل أن مادتها هي واحدة من وجه وهل ليست مختلفة إلا من وجه آخر ؟ لأن ما هو موضوع من وجه ومن آخر هو واحد ولكن شكل الوجود هو وحده الذي ليس واحدا . على أننا نقف عند ما قلناه في هذا الموضوع .

— ما هو موضوع — يعني المادة مأخوذة على معناها المجردة لا على الحق الحقيقي بالفعل . — شكل الوجود هو وحده — هذا تمييز من لازمات أرسطو وهو في الغالب غاية في الصعوبة والضبط . — نقف — لا يظهر مع ذلك أن الموضوع قد انتهى ولا أنه على الخصوص قد وضع بقدر الكفاية من الإيضاحات التي سبقت .



## الباب الرابع

فصول الكون والاستحالة — تميز الموضوع ومحمول الموضوع — حد الاستحالة — أمثلة مختلفة — حد الكون المطلق وأمثلة متنوعة — آخر المقارنة بين الكون والاستحالة .

§ ١ — يجب الآن توضيح بماذا يختلف الكون والاستحالة لأننا نرى أن هذين التغيرين للأشياء هما متميزان تماما أحدهما من الآخر نظرا إلى أن الموضوع الذي هو كائن حقيقى والتكيف الذى هو طبعا محمول على الموضوع هما في غاية الاختلاف وأنه يجوز أن يقع التغير بأحدهما وبالآخر . § ٢ — توجد استحالة متى كان الموضوع ، وهو باق بعينه وهو دائما محسوس ، يلحقه تغير فى خواصه المخصوصة التى يمكن أن تكون مع ذلك أضدادا أو أوساطا . على ذلك مثلا الجسم هو صحيح ثم هو مريض مع بقاءه هو بذاته . وكذلك أيضا النحاس هو تارة مستدير وتارة ذو زوايا مع بقاءه جوهريا هو بعينه . § ٣ — ولكن حينما الموجود يلحقه التغير بكميته دون أن يبقى منه شئ محسوس من جهة أنه موضوع واحد وبجذبه وأن الدم مثلا يتكون بأن يأتى من كل النطقة وأن الهواء يأتى من كل الماء

§ ب ٤ ف ١ — الكون والاستحالة — الكون أو التولد هو الحركة فى الجوهر معنى الحركة التى تسير مما ليس موجودا إلى ما هو موجود أى من اللاوجود إلى الوجود . وأما الاستحالة فهى الحركة التى تنير فى الموضوع كفيته وتغيبها أضدادها . ر . الطبيعة ك ٣ ب ٣ ف ٨ وك ٧ ب ٤ ف ٣ من ترجمتنا . — التغير بأحدهما وبالآخر — لفظ تغير معروف هنا إلى معنى الحركة .

§ ٢ — توجد استحالة — حد الاستحالة هذا لا يبعد فى شئ من الحد الذى أعطى فى كتاب الطبيعة . — وهو دائما محسوس — أو عبارة أخرى : حقيقة متميزة وشخصية يمكن أن تدركها حواسنا . — أضدادا أو أوساطا — مثلا الجسم وهو يميز من الأسود إلى الأبيض أو وهو يميز بجميع الألوان المتوسطة التى بين ذينك اللونين . — مع بقاءه هو بذاته — من حيث الجوهر . وهذا هو الشرط الأساسى وبدونه لا يمكن أن تقع الاستحالة . — جوهريا — أضفت هذه الكلمة لزيادة بيان المعنى .

§ ٣ — ولكن حينما الموجود يلحقه التغير — حد الكون أو لصيرورة الأشياء . — بكميته — هذا هو الشرط الأساسى للتولد وإلا فلا يكون التغير الاستحالة . — الدم يتكون بأن يأتى من كل النطقة —



أو بالعكس الماء من كل الهواء . حينئذ يوجد في هذه الحالة كون للواحد وفساد للآخر . وهذا حق على الخصوص متى كان التغير يمر من اللامحسوس الى المحسوس سواء بالنسبة لحاسة اللمس أو بالنسبة لجميع الخواص الأخرى مثلا حينما يوجد كون الماء أو حينما يوجد تحلل الماء الى هواء لأن الهواء هو بالمقارنة غير محسوس تقريبا . § ٤ — ولكن في هذه الأشياء إذا بقي لحدى التقابل صكيف ما متقابل في الموجود الذى يتولد وفي الذى يفسد وإذا كان مثلا حينما يتكون الماء بأن يأتى من الهواء وهذان العنصران هما على السواء شفافان وباردان فإذا لا يلزم بعد أن أحد هذين الكيفين فقط يتعلق بالجسم الذى فيه يحدث التغير . ومتى لم يكن الأمر كذلك فلا يكون إلا مجرد استحالة . مثلا في حالة ما الرجل الموسيقى ينعدم والرجل غير الموسيقى يكون ويظهر ، ولكن الرجل لا يزال دائما هو بعينه . وحينئذ إذا لم تكن أصلا خاصة هذا الموجود أو كيفه إلا المهارة في فن الموسيقى أو الجهل به فإذا

الأمر على العكس التطفة هي التي تأتي من الدم إلا إذا كان لفظ " التطفة " هاهنا له معنى خاص . — كون للواحد وفساد للآخر — اتخذت نماير مهمة كتناير النص . — بالمقارنة — زدت هذه الكلمة . § ٤ — ولكن في هذه الأشياء إذا — يرى مفسر وجامعة " كويمبر " بحق أن المعنى في هذه الفقرة متعلق وتوضيحات فيلويون لا يخلو ضمنه . ويظهر أن أرسطو يقصد الرد على اعتراض لم يبيته بالضبط . « في الكون يتولد الكائن بكميته والتغير يلحقه بكميته . أما في الاستحالة فالكيفيات وحدها هي التي تكون محلا للتغير وإذا متى وقع كون عنصر جديد يمكن أن يتسائل إذا كانت كيفيات الأول يجب أن تزول من أيضا جميعها معه » . يجب أرسطو بالسلب متى كان الكيف مشتركا بين الكائن الذى يزول وبين الكائن الذى يتولد بالتغير . وعلى ذلك فالماء مع أنه يأتى من الهواء الذى انعدم له خواص الهواء من جهة أنه مثله شفاف بارد . هذا هو تفسير المفسرين نقله هنا . ولقد كان من المزعوم فيه أن يكون النص أكثر توسعا . — فقط — زدت هذه الكلمة . — متى لم يكن الأمر كذلك — يعنى متى لم يكن للشيء الكائن الكيفيات حينها التي للشيء الفاسد . — فلا يكون إلا مجرد استحالة — عبارة النص أقل ضبطا . الاستحالة مجرد تغير في الكيف وليس تغيرا بجوهرها . — في حالة ما الرجل الموسيقى ينعدم — حفظت أسلوب عبارة النص مع أنه في اللغة اليونانية شاذ كما تراء في الفرنسية . — ولكن الرجل — يعنى الموجد الجوهرى الذى هو تارة موسيق وأخرى غير موسيق . — خاصة ... أو كفه — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — إلا المهارة في فن الموسيقى أو الجهل به — النص في غاية من الإيجاز لم يبلغه عبارتي في الترجمة .

يوجد كون لإحدى الظاهرتين وفساد للأخرى . من ذلك يرى لماذا أن تلك ليست إلا كيفيات للرجل في حين أن هذا هو كون وفساد للرجل الذي هو موسيقى وللرجل الذي لا يعرف الموسيقى فليس هناك إلا تكيف للموضوع الذي هو ثابت وهذا هو بالضبط ما يسمى استحالة . § ٥ — وإذا حينما يكون تغير حد ضد لآخر حادثا في الكم فتلك زيادة ونقص . ومتى كان ذلك في الأين فتلك هي نقلة . ومتى كان في الملكية الخاصة والكيف فتلك استحالة بالمعنى الخاص . ولكن متى لم يبق شيء مطلقا من الموضوع الذي أحد أضداده هو تغير أو عرض فذلك أنه يوجد كون من وجه وفساد من وجه آخر . § ٦ — وحيلثذ فالمادة التي هي على جهة الأولوية والأفضلية الموضوع القابل للكون والفساد . وبوجه ما هي أيضا التي تعاني أنواع التغيرات الأخرى لأن كل الموضوعات مهما كانت فهي قابلة لتقابلات ما بالأضداد .

على أنا نقف هنا فيما كنا نريد أن نقول على الكون والفساد وعلى الاستحالة أيضا لنوضح ما إذا هي تكون أولا تكون وكيف تكون .

— كون... وفساد — كما في الجواهر . — كيفيات — أو تغيرات . — للرجل — الذي يبق كما هو مع هذه التغيرات المختلفة . — للرجل الذي هو موسيقى — والذي ليس بعد مجرد رجل على المعنى المطلق والجوهري . § ٥ — حد ضد لآخر — عبارة النص "الضدية" ر . المقولات ب ١٠ ١١٤١٠ ص ١١٩ من ترجمتنا لتعرف الفرق بين المتقابلات والأضداد . — فتلك زيادة ونقص — فان الموجود يتغير إذا في الكم . فتلك هي نقلة — فان الموجود إذا يتغير فقط في المكان . — في الملكية الخاصة — أو في الانفعال . — بالمعنى الخاص — أضفت هاتين الكلمتين لضبط المعنى . § ٦ — المادة — مأخوذة على وجه غير معين البتة كما هو في الكتاب الأول من الطبيعة ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتي . — على جهة الأولوية — أو "على الخصوص" . — للكون والفساد — تبعا لأنها تكون أو لا تكون . — وبوجه ما — بطريقة ملغوية لا بالطريقة الخاصة . — أنواع التغيرات الأخرى — الزيادة والنقص والنقلة والاستحالة ، وقد لاحظ بحق فيلاريون أن أرسطو لم يكن يباين في أي موضع آخر أجل منه في هذا الموضع فيما يتعلق بمحد المادة الذي هو دائما من الصعوبة بمكان .

## الباب الخامس

نظرية النمو — الفروق بين الكون والاستحالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو — نقل الشيء النامي غير المحسوسة — صعوبة إدراك من أين يأتي النمو في الجسم — كل أجزاء الجسم نمو دفعة واحدة — الشروط الأصلية للنمو هي ثلاثة — المقارنة بين النمو والاستحالة — نظرية جديدة للنمو — تميز ما بالفعل من ما بالقوة — يلزم أن ما بالقوة يحقق حتى يوجد النمو — علاقة العنصر الجديد الذي يحدث نمو الجسم بالجسم النامي .

§ ١ — علينا أيضا أن نتكلم على النمو وأن نقول فيما إذا يختلف النمو عن الكون وعن الاستحالة وكيف يمكن الأشياء التي تنمو أن تنمو والتي تنقص أن تنقص .

§ ٢ — يلزم إذا أولا أن نفحص ما إذا كان الفرق بين هذه الظواهر بعضها والبعض الآخر ينحصر فقط في الموضوع الذي تتعلق به . إن تغيرا يقع من موجود إلى موجود آخر، مثلا من الجوهر بمجرد القوة إلى الجوهر بالفعل وبالكمال هل هو كون وتولد؟ والتغير الذي يقع في العظم هل هو نمو ونقص؟ أو ذلك الذي يحصل في الكيف هل هو استحالة؟ ولكن الظاهرتين الأخيرتين اللتين ذكرناهما أليستا دائما تغاير أشياء تمر من القوة إلى الفعل والكمال؟ أو أيضا أليست طريقة التغير

§ ب هـ ١ — النمو — على تقدير « ومل النص » الذي هو ضد النمو كما أنه تكلم على الفساد ضد الكون . وليس هناك حد يقابل الاستحالة لأنها يمكن أن تقع على الوجهين . وآخر هذه الفقرتين يثبت مع ذلك أن أرسطو يتصدى للكلام على النص كما يتصدى للكلام على النمو .

§ ٢ — في الموضوع الذي تتعلق به — هذه العبارة غامضة قليلا لعبارة النص ، ويمكن ترجمة عبارة النص أيضا هكذا : « في الموضوع الذي تحصل فيه » . — من الجوهر بمجرد القوة — من الجوهر الذي ليس موجودا إلى جوهر حقيق موجود بالفعل كما يخرج حيوان من حيوان يلد . — هل هو كون وتولد — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — الذي يقع في العظم — على وجه أو على وجه آخر . — الظاهرتين الأخيرتين — زدت لفظ « الأخيرتين » زيادة في البيان . — إلى الفعل والكمال — ليس في النص إلا كلمة واحدة . وإن الكلمتين اللتين ذكرتهما ليست إحداهما إلا ترجمة للأخرى .



هي التي تختلف ؟ وحيث أن الشيء الذي يستحيل بمنزلة الشيء الذي يتولد ويصير لا يظهر أنه يجب لها التغير بالمكان لزوما . ولكن الذي ينمو والذي يذبل يجب أن يتغير بالحيز تغيرا مخالفا لتغير الشيء الذي يتحرك في الأين . § ٣ - لأن الشيء المتحرك في الأين يغير مكانه بكميته في حين أن الذي ينمو لا يتغير إلا كشيء يتزلزل ويمتد . والموضوع وهو باق في مكانه أجزاؤه وحدها تغير مكانها . ولكن هذا ليس كحال أجزاء الكرة الدائرة على نفسها لأن هذه الأجزاء تغير محل جسم الكرة كله مع بقائه في الحيز بعينه . وعلى الضد من ذلك أجزاء الجسم النامي تشغل حيزا أكثر فأكثر كما أن أجزاء الجسم الذابل تشغل حيزا أقل فأقل .

§ ٤ - يرى حيث أن التغير في شيء يتولد وفي الذي يستحيل وفي الذي ينمو هو يختلف لا بالشيء الذي يقبل التغير فحسب بل أيضا بالطريقة التي يحصل بها التغير . ولكن أما من حيث الشيء ذاته الذي يلحقه تغير النمو وتغير الذبول - من جهة أن النمو والذبول يظهر أنهما لا ينطبقان إلا على عظم - كيف يلغى إدراك أنه ينمو ؟ هل يجب أن يفهم أنه يتكون في هذه الحالة جسم وعظم فعلى مما ليس هو جسما ولا عظما إلا بمجرد القوة والذي هو بالفعل وبالكمال ليس له جسم ولا عظم حقيقي ؟

- التي تختلف - من الكون ومن الامتالة الى النمو والى النقص - يتولد ويصير - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - يجب لها التغير بالمكان - بأن يأخذ أكثر أو أقل من الحيز تبعاً لحال النمو والنقص . - الذي يتحرك في الأين - أو « الذي تحلقه نقلة » .

§ ٣ - مكانه بكميته - يميز المفسرون هاهنا حالين . إما أن الجسم ينتقل بكميته مارا من مكان الى آخر وإما أن أجزاءه هي التي تغير مكانها كحال أجزاء كرة تدور على نفسها دون أن تغير مكانها كما هو مذكور بعد . - يتزلزل ويمتد - ليس في النص إلا كلمة واحدة ليست على هذا القدر من الضبط . - أجزاؤه وحدها - أضفت الكلمة الأخيرة . - الدائرة على نفسها - ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٤ ف ١ ص ٥٥٤ من ترجمتنا . - الكرة - زدت هذا اللفظ . - حيزا أكثر فأكثر - دون أن تغير مكانها .

§ ٤ - في شيء يتولد ... والذي يستحيل ... والذي ينمو - تلك هي الأنواع الثلاثة الممكنة للتغير . - بالطريقة التي يحصل بها التغير - كما بين هذا في الفقرة السابقة . - أما من حيث الشيء ذاته - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - أنه ينمو - أضفت هذه العبارة لأنه ظهر لي أنها ضرورية لتكميل الفكرة . وزجما يلزم أن يزداد أيضا "ويذبل" كما فعل ذلك عدة من المفسرين . - بالفعل وبالكمال -



غير أن هذا الإيضاح نفسه يمكن أن يحمل على معنى مزدوج ويمكن أيضا أن يتساءل على أى الوجهين يجب أن يحصل النمو . هل هو يأتي من المادة التي تكون منزلة ومنفصلة في ذاتها؟ أم هل يأتي من المادة التي تكون في جسم آخر؟ ولكن هذين الوجهين لفهم النمو أليسا هما مستحيلان على السواء؟ فإنه إذا كانت في الواقع مادة النمو منزلة فإما ألا تشغل أى جزء في الأين وإما أن تكون كنقطة أو ألا تكون إلا من الخلو وتكون جسما لا تدركه حواسنا . ففى أحد هذين الفرضين لا يمكن أن تكون موجودة . وفى الثانى يجب أن توجد ضرورة في أين لأن ما يأتي منها يجب أن يكون في أين ما بحيث إن هذا الجسم يكون فيه أيضا إما بنفسه أو بالواسطة . § ٥ - ولكن إذا فرض أن المادة هي في جعم وأنها انفصلت عنه بحيث إنها لا تؤلف البتة جزءا من هذا الجسم لا بذاتها ولا بالعرض فينتج من هذا الفرض طائفة من المستحيلات البينة . وتوضيحه : مثلا إذا تكون هواء آت من الماء فذلك ليس لأن الماء يتغير بل لأن مادة الهواء تكون محوية في الماء الذى يكونه كما لو كانت في آنية ما لأنه لا شيء يمنع من أن تكون المواد غير متناهية في العدد بحيث

ليس في النص إلا كلمة واحدة . — يحمل على معنى مزدوج — هذا التحليل ربما كان مجازا إلى حد أبعد مما يلزم ويظهر عليه أنه دقيق بعض الشيء . — منزلة ومنفصلة — ليس في النص إلا كلمة واحدة ومنع ذلك لا يرى كيف أن المادة يمكن أن تنزل وتفصل دون أن تؤلف جسما . — لفهم النمو — أضفت هذا لتكوين الفكرة . — أى جزء في الأين — أو "أى جزء" . — لا يمكن أن تكون موجودة — ليس النص على هذه الصراحة . — فى أين ما — ليس النص على هذه الصراحة . — ما يأتي منها — التعبير مبهم ولكن النص ليس أقل إبهاما . — بحيث إن هذا الجسم — أو بالأولى : « هذه المادة » المنزلة التي منها يجب أن يخرج الجسم الحقيق . — أو بالواسطة — عبارة النص بالضبط « أو بالعرض » ويلزم دائما أن يذكر أن المقصود ههنا هو مادة النمو لا المادة على العموم .

§ ٥ - فى جسم — عبارة النص غير معينة وهي « فى شيء ما » ومع ذلك فانه يجب تقدير أن المادة هي في جسم نحو كما يدل عليه المثل الآتى الذى فيه الهواء يتكون بخروجه من الماء . — لأن الماء يتغير — وهذا هو التفسير العام والطبيعى . — كما لو كانت في آنية ما — ليس عليها إلا أن تخرج منها جاهزة درن أن تعاني تأثيرا جديدا . — المواد — التي يمكنها أن تفعل النمو . — غير متناهية في العدد — أو فقط « غير

يمكنها أيضا أن تكون بالفعل وبالحقيقة . يلزم أن يضاف زيادة على هذا أنه ليس كذلك أن الهواء يظهر أنه يأتي من الماء كما لو أنه كان يخرج من جسم يبقى دائما على ما كان عليه .

يحسن حينئذ افتراض أن المادة هي غير قابلة للانفصال في جميع الأجسام وهي واحدة ومتماثلة عدديا ولو أنها ليست واحدة ولا متماثلة في نظر العقل .

٦٤ — وبالأسباب عينها لا ينبغي افتراض أن مادة الجسم ليست الا تقطعا أو خطوطا لأن المادة هي بالضبط ما تكون النقط والخطوط نهايات لها . فهي لا يمكنها أبدا أن تقوم بدون خاصية ما ولا بدون صورة . وعلى ذلك حينئذ فإن شيئا يأتي دائما من شيء آخر مطلقا كما سبق بيانه في غير هذا الموضع . وهو يأتي من شيء موجود بالفعل وبالكمال إما من جنسه أو من صورته . مثال ذلك النار هي تكون بالنار والرجل هو يكون بالرجل أعني بحقيقة ، بكال ، لأن الصلب لا يمكن أن يأتي من مجرد كيف الصلب . والمادة هي المادة لجوهر جسماني أعني مادة جسم خاص معين ما دام الجسم لا يمكن أبدا أن يكون شيئا مشتركا . وهي هي ذاتها سواء في العظم

منهاية « كهيئة النص » — بالفعل وبالحقيقة — ليس في النص الا كلمة واحدة . — أن الهواء يظهر أنه يأتي من الماء — يعني أنه يوجد تغير فعل يصير الماء هوا . وأن الهواء لا يخرج تماما من الماء . — أن المادة — أي مادة النور . — في جميع الاجسام — ربما يكون الأحسن قصر الفكرة والقول « في الجسمين المذكورين » . — عدديا ..... في نظر العقل — هذه من التمايز التي اخذها أرسطو .

٦٥ — ليست الا نقطا أو خطوطا — وهذا ما يؤيد به الى ألا يكون له حقيقة فعلية أكثر من حقيقة الموجودات الرياضية . — نهايات — لأن النقط نهايات للنقط والخطوط نهايات للسطوح . — بدون خاصية ما — تصيره مدركا بمحواسنا ونجعل منه جسما حقيقيا . — ولا بدون صورة — أميل للإدراك من مجرد خاصية . — شيئا — أو « كئنا » . — كما سبق بيانه في غير هذا الموضع — يحيل فلو بون على الكتاب الأول من الطبيعة حيث درس هذا الموضوع كما يقول . وفي الحق أنه يوجد في الطبيعة ك ا ب ه ف ٩ ص ٢٧٨ من ترجمتنا مناقشة مشابهة لهذه . — بالفعل وبالكال — ليس في النص الا كلمة واحدة . — من صورته — أو « من نوعه » . — من مجرد كيف الصلب — ليس النص هكذا صريحا . فان الصلابة مختص بجسم حقيقي ولا يمكنها بذاتها أن تنتج شيئا . — مشتركا — كالمثل التي قال بها أفلاطون فانها مشتركة

أو في كيف العظم قابلة للانفصال في نظر العقل ولكن غير قابلة للانفصال في الأين إلا أن يفترض أن الخواص يمكنها أن تنفصل عن الأجسام الحائرة لها .

§ ٧ - بين حينئذ على حسب هذه المناقشة أن النمو في الأشياء ليس تغيرا يأتي من عظم بالقوة المحضة دون أن يكون له امتداد ما بالفعل وبالكمال لأن كيف المشترك حينئذ يكون قابلا للانفصال . وقد سبق فيما تقدم في غير هذا الموضع أن هذا كان شيئا محالا . وفوق ذلك فإن تغيرا من هذا القبيل ينطبق على الخصوص لا على التحويل على الكون . لأن النمو ليس إلا ازديادا في عظم موجود من قبل كما أن الذبول ليس إلا انتقاصا له . فانظر لماذا يلزم أن يكون أولا للجسم الذي ينمو عظم ما . وبالنتيجة لا يمكن أن النمو الذي يترأى واقعية العظم يأتي من مادة مجردة من كل عظم لأن هذا أولى به أن يكون كونا لا أن يكون نموًا حقا .

§ ٨ - فالأفضل حينئذ أن نأخذ بهذا البحث من جديد كما لو كنا في البداية تماما وأن نبحث ثانيا عما يمكن أن تكون هي أسباب نمو الأشياء ونقصها بعد

بين جميع الكائنات التي تشترك فيها . — إلا أن يفترض — كما يزعم أرسطو أن أفلاطون افترض في نظريته في المثل . — الخواص — أو الكيف .

§ ٧ - من عظم بالقوة المحضة — ر . ما سبق في آخر الفقرة الثانية . — كيف المشترك — لاحظ فيلوپون أنه يوجد هاهنا رواية أخرى وأن في بعض النسخ الخطية تحريفا في حرف واحد به يكون اللفظ دالا على " انخلو " بدل " كيف المشترك " . وقد حاول فيلوپون أن يبرر استقامة التعبيرين جميعا . ولكن التعبير الذي اتخذته يظهر أنه الأفضل . و " كيف المشترك " هاهنا يجب أن يصرف إلى المثل . والتعبير الثاني يمكن أن يستند إلى آخر الفقرة الآتية . — في غير هذا الموضع — على رأى فيلوپون في الكتاب الرابع من الطبيعة . ولكن لم أجد في ذلك الكتاب الرابع هذا المعنى . بل يوجد في الكتاب الأول منها شيء من هذا القبيل ر . ب ه ف ١٢ ص ٤٦٠ من ترجمتنا . — تغيرا من هذا القبيل — معنى يترأى من القوة إلى الفعل ، من الامكان المحض إلى الوجود الحقيقي . وفي الحق أن هذا يكون كونا لا نموًا . فإن الشيء يولد لا أنه ينمو . — أولا — أضفت هذه الكلمة لتكميل الفكرة . — واقعية العظم — معنى الذي يدفع عظم الشيء إلى أبعد ما يمكن أن يبلغه في النظام الطبيعي للأشياء . — أولى به أن يكون كونا — تكرير لما قبل ألفا .

§ ٨ - فالأفضل حينئذ — يظهر أن المناقشة كانت إلى الآن من الجدل بحيث لا محل لإعادتها بل يكفي الاستمرار فيها . — بعد أن أثبتنا ماذا معنى — النص ليس على هذا القدر من الصراحة ولكن الترجمة



أن أثبتنا ماذا يعنى بنا أو نقص . فى شىء ينمو يظهر إذا أنت جميع الأجزاء بلا استثناء تنمو . كما أنه فى النقص جميع أجزاء الشىء يظهر أنها تصير أكثر فأكثر صغيرة . وفوق ذلك فإن النمو يظهر أنه يحصل بأن شيئاً ينضم الى الجسم والاضمحلال بأن شيئاً يخرج منه . ولكن النمو لا يمكن أن يحصل بالضرورة إلا بشىء ما لا جسمانى أو جسمانى فإذا كان باللاجسمانى فالجزء المشترك يكون قابلاً للانفصال ومن المحال أن توجد مادة منفصلة عن كل عظم كما قيل آنفاً . وإذا كان بشىء ما جسمانى حصل النمو فينتج منه أن هناك جسمين فى حيز واحد بعينه أى حيز الذى ينمو وحيز الذى يفعل النمو وذلك هو أيضاً محال . § ٩ — بل لا يمكن أن يقال إن نمو الأشياء ونقصها يمكن حصولها بالطريقة عينها التى بها يأتى الهواء من الماء مثلاً ما دامت حينئذ كتلة الهواء قد صارت أعظم مقدارا . إذا ليس فى هذا مجزؤ نمو لاء بل هذا هو كون لجسم جديد فيه تغير الجسم الأول وهذا هو فساد لفضته . وليس ذلك نمواً لا لأحدهما ولا للآخر . ولصكن إما أن ليس هذا نمواً لشيء وإما أنه نمو لهذا

الذى أحطها مستند الى شرح فلوپيون . — يظهر إذا — سبك العبارة يؤيد تفسير المفسر الاخرين للفقرة السابقة . — الجزء المشترك — ر . ما سبق فى الفقرة السابقة وما سبيل فى الفقرة التاسعة . فإن الجزء المشترك لا يمكن ما هنا أنت يدل إلا على الهوى المجردة عن كل صورة ومشارك بالنتيجة لجميع الأجسام . وهذا تجريد محض . وفى هذا الموضع أيضاً يوجد فى بعض النسخ الخطية تحريف فى حرف واحد بقراً "انخلو" بدلاً من "الجزء المشترك" وقد عولت على هذه العبارة الأخيرة كما سبق . ويحاول فلوپيون أن يزول العبارتين كليهما مع أن الأصل الذى تحت نظره يظهر أنه يوجد فيها لفظ "انخلو" لا "الجزء المشترك" . — كما قيل آنفاً — فى الفقرة السابقة . وهذا التفصيل يظهر أنه يؤيد التعبير الذى اخترته . — جسمين فى حيز واحد بعينه — مبدأ قرره أرسطو مراراً فى الطبيعة . وقد احتفظ به علم الطبيعة الجديد فى نظرية عدم قبول الأجسام للداخلية .

§ ٩ — التى بها يأتى الهواء من الماء — يعنى متى أخذ الماء لى سبب ما أن يتغير ويتغير الى هواء . ر . المجهور ولو جيا ك ١ ب ٩ ف ٢ ص ٥٥ من ترجمتنا . — كتلة الهواء — المشاهدة مضبوطة ولكن لا يظهر أن القدماء كان عندهم طريقة ما لتحقيقها . — لجسم جديد — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — لفضته — لأن الماء مفروض خدماً للهواء . — لهذا الذى هو مشترك — هذا يؤيد



الذى هو مشترك بين الشئيين الذى كان والذى فسد على السواء . وهذا الجزء المشترك هو جسم أيضا . فلا الماء ولا الهواء نما . فقط أحدهما باد وانعدم فى حين أن الآخر كان ويلزم أن يكون هناك جسم ما دام أنه وجد نمو .

§ ١٠ — ولكن هناك أيضا محال جديد لأنه يلزم عقلا حفظ الشروط الضرورية التى بدونها لا يمكن ادراك الجسم الذى ينمو أو الذى ينقص وهى ثلاثة أحدها هو أن كل جزء ما يصير أكبر فى عظم ينمو، مثلا إذا كان من اللحم فإن جزءا ما من اللحم ينمو . والشرط الثانى هو أن النمو يحصل بانضمام ما إلى الجسم . وثالثا وأخيرا يلزم أن الشئ ينمو وأن يبقى معا . وفى الواقع حينما شئ يكون أو يبدد مطلقا فهو لا يبقى البتة . ولكن حين يعانى استحالة أو نموا أو نقصا فإن هذا الشئ مع أنه ينمو أو يستحيل يمكنه ويبقى هو بعينه . فها هنا إنما هو كيف الشئ وحده هو الذى لا يبقى بعده هو . وهناك إنما هو العظم نفسه الذى لا يبقى هو بعينه . وحيل إذا كان النمو هو بحق ما قد زعم فإن الشئ النامى يمكن إذا أن ينمو بدون أن شيئا يأتى وينضم إليه وبدون أن هذا الشئ يبقى كما أنه قد يمكن أن يفنى بدون أن شيئا يخرج منه وبدون أن الشئ النامى يبقى . ولكن يلزم مطلقا حفظ هذه الشروط ما دام أنه افترض أن النمو هو فى الواقع كما قد ذكر .

ترجمنا الجزء المشترك فى الفقرتين ٧ و ٨ . — هذا الجزء المشترك — زدت قليلا على عبارة النص أيضا حاشا . — فلا الماء ... — لأنه فى الواقع قد باد ليتقلب إلى هواء . — يلزم أن يكون هناك جسم — وهو إذا "الجزء المشترك" أى الهيولى التى ليست مع ذلك جسما فعليا . § ١٠ — محال جديد — أضفت هذه الكلمة الأخيرة ما دام أنه قد نبه آتفا إلى محالات أخرى . — عقلا — عبارة النص بالضبط هى : "بالمقل فى نظر العقل" . — الشروط الضرورية — عبارة النص ليست بهذا الضبط تماما . — الجسم الذى ينمو — عبارة النص أدخل فى باب عدم التعمين لأنه يقول : "هذا الذى ينمو" . — وهى ثلاثة — وهذه الثلاثة الشروط هى حقيقة جدا ولا يكاد يمكن اليوم أن يقال أحسن من هذا . — وأن يبقى — معنى أنت يبقى هو ما هو كما كان من قبل إلا من حيث امتداداته فانها تكبر أو تنصغر . — يكون أو يبدد — تلك هى حركة الكون والفساد أى المورود من اللاوجود إلى الوجود أو من الوجود إلى اللاوجود . — يمكن ويبقى — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — حفظ هذه الشروط — التكرير ليس فى النص على هذا القدر من التمام .

§ ١١ — وقد يمكن أيضا أن يسأل ما هو بالضبط هذا الذي ينمو؟ هل هو الجسم الذي إليه يأتي وينضم شيء؟ مثلا متى فعل سبب بعينه نمو الفخذ في جسم إنسان فهل الفخذ نفسه هو الذي يصير أسمن؟ ولماذا هذا الذي يسمن الفخذ أسمى الغذاء لا ينمو هو أيضا؟ وفي الواقع لماذا أن الاثنين لا ينموان معا؟ لأن هذا الذي ينمو وهذا الذي ينمي يكونان أعظم كما هي الحال عند مزج الماء والنبيذ فان كمية كليهما تصير أعظم على السواء . أليس يمكن أن يقال إن هذا يرجع إلى أن الجوهر في حالة يمكث ويبقى في حين أنه في الحالة الأخرى الجوهر، وهو هاهنا، جوهر الغذاء يبيد؟ وهاهنا أيضا إنما العنصر الغالب هو الذي يعطى اسمه للمزيج كما هي الحال حين يقال على المزيج إنه من النبيذ لأن المزيج كله يفعل فعل النبيذ لا فعل الماء .

§ ١٢ — والأمر كذلك أيضا بالنسبة للاستحالة فإذا، مثلا، بقى اللحم ومكث دائما ما هو وإذا طرأ على اللحم كيف أصلى لم يكن من قبل فاللحم حينئذ بالبساطة قد استحال ولكن أحيانا هذا الذي يحيل الشيء إما أنه لا يعاني شيئا هو نفسه في جوهره

§ ١١ — ما هو بالضبط هذا الذي ينمو — يظهر هاهنا أنه لا محل للشك بأنه هو الجسم فيه الذي ينمو فقله هذا الذي يأتي وينضم إليه . — في جسم إنسان — أضفت هذه الكلمات . — لا ينمو هو أيضا — يمكن ألا يعطى هذا الجزء من القضية صورة الاستفهام فيقال : "في حين أن هذا الذي يسمن الفخذ لا ينمو" . — يكونان أعظم — العبارة مبهمة لأن المزيج من الاثنين هو في الحق أكبر من كليهما على حدة . ولكن كليهما على حدة لم يكبر إلا أن يكون المقصود هو ذلك المعنى المتأخر في المثال الآن . — كمية كليهما — هذا ليس صحيحا فان كمية النبيذ وكمية الماء يتقيان كما كانتا . ولكن مزيجيهما وحده هو الأعظم فإذا قيل إنه يوجد من الماء أكثر أو من النبيذ أكثر فليس ذلك إلا تجاوزا في القيد . — العنصر الغالب هو الذي يعطى اسمه للمزيج — وهذا أيضا ليس من الصحة بكان إذ لا يقال للمزيج إنه من الماء أو من النبيذ بل يقال إنه ماء محمر .

§ ١٢ — والأمر كذلك أيضا بالنسبة للاستحالة — يعني أن في ظاهرة الاستحالة توجد أيضا الشروط بعينها كما في ظاهرة النمو . — بالبساطة قد استحال — هذا هو المعنى الحق للاستحالة . فان الكيف وحده قد تغير ولكن الجسم بقى هو بعينه . — في جوهره الخالص الذي لم يستحل — هذه الجملة لا توجد في بعض النسخ الخطية . وأبست أيضا في شرح فلوهرن . ولكن يظهر لي أنه يمكن قبول المعنى الذي أعطيه في ترجمتي

الخاص الذي لم يستحل وإما أحيانا أنه يستحيل هو أيضا . ولكن هذا الذي يحيل شأنه كشأن مبدأ الحركة هو في الشيء النامي وفي الشيء المستحيل لأنه فيهما يوجد المبدأ المحرك . وقد يمكن أيضا أن هذا الذي يدخل في الجسم يصير فيه أعظم كالجسم الذي يقبله ويستفيد منه سواء بسواء مثلا إذا كان العنصر الذي يدخل يصير فيه هواء . ولكنه وهو يعاني هذا التغير يفسد والمبدأ المحرك لا يكون فيه بعد .

§ ١٣ — بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات يلزم محاولة استكشاف حل هذه النظرية مع التسليم بالشروط الآتية دائما :

أن النمو ليس ممكنا إلا بأن يمكت الجسم النامي ويبقى وأنه لا شيء يمكنه أن ينمو بدون أن شيئا ينضم اليه ولا أن ينقص بدون أن شيئا يخرج منه . وأنه فوق ذلك كل نقطة محسوسة حيثما اتفق من الجسم النامي أو الناقص تصيرا أكبر

هذه . — هذا الذي يحيل — أو بعبارة أخرى أكثر ضبطا "علة الاستعالة" . — شأنه كشأن مبدأ الحركة — الذي يفعل أن الشيء ينمو ويذبل . — في الشيء النامي وفي الشيء المستحيل — هذا يطابق أيضا بين النمو وبين الاستعالة . — المبدأ المحرك — هنا الحركة وهناك للاستعالة . ولم يقبل الشراح الإغريق هذه النظرية بتمامها فلم رأى فيلويون أن الإسكندر الأفروديزي كان يتنازع في أن مبدأ الاستعالة والنمو موجود دائما في الجسم الذي يستحيل أو الذي ينمو . وهذا المبدأ هو غالبا في الجسم الغريب الذي يجلب للأشياء أو الاستعالة . — يصير فيه هواء — هذا موجب أكثر مما يلزم ولا يزال غامضا . وكان يلزم أن يزداد عليه أن الماء بصيرورته هواء مثلا يتجدد وبما دام أنه صار أعظم فقد انقطع عما كان هو ما هو من قبل . — وهو يعاني هذا التغير — ليكون المعنى أبين من ذلك كان يلزم إيراد مثال خاص ما كان له ترك أقل شك . — والمبدأ المحرك لا يكون فيه بعد — فانه في ذلك الجسم الذي يسبب التغير الذي يعانيه .

§ ١٣ — بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات — يرى فيلويون أن أرسطو لم يسطر إلى الآن إلا الآراء العامة في ظل النمو والذبول وأنه يشرع منذ الآن في بسط مذهبه الخاص . — استكشاف حل هذه النظرية — هل ما يفهمها أرسطو . — بالشروط الآتية — ليست عبارة النص على هذا المقدار من الصراحة . ومع ذلك فإن هذه الشروط قد سبق عدها آنفا ١٠ . — محسوسة — يعني مادية . وقد ألح فيلويون في أهمية هذه الكلمة التي بدونها على رأيه لا يستقيم المعنى . — أن الجسم ليس خلوا — لا يظهر أن هاهنا روايات أخرى كما كان فيها سبق في الفقرة السابقة . — أن جسمين لا يمكن البتة أن يشغلا

أو أصغر . وأن الجسم ليس خلوا وأن جسمين لا يمكن البتة أن يشغلا حيزا واحدا بعينه . وأخيرا أن الجسم الذي يحصل فيه النمو لا يمكنه أن ينمو باللاجسماني .

١٤٥ — ومنصل الى الحل المطلوب بقبولنا بادئ بدء أن الأجسام ذوات الأجزاء غير المتشابهة يمكن أن تنمو لأنه إنما هي الأجسام ذوات الأجزاء المتشابهة هي التي تنمو لأن الأولى ليست إلا مركبة من الثانية . ويلزم بعد هذا التنبيه إلى أنه متى ذكر اللحم والعظم وأي جزء آخر مشابه لها من الأجسام فذلك يمكن أن يؤخذ بمعنى مزدوج كما هي الحال بالنسبة لجميع الأشياء الأخرى التي لها نوعها ولها صورتها في المادة، لأن المادة والصورة هما مسميان على السواء لها وعظما . فالتقول بأن كل جزء كيفما اتفق من جسم ينمو وبأن عنصرا جليدا يأتي وينضم إليه فذلك بيان ممكن باعتبار الصورة ولكنه ليس كذلك باعتبار المادة . ويجب أن يرى أن الحال هاهنا كالحال حينما يقاس الماء بمقياس يبقى هو بعينه

حيزا واحدا بهمه — ذلك ما نسبته الآن عدم مداخلة الأجسام . — باللاجسماني — قد حافظت على مفهوم اللفظ الأخرين وهو مفهوم .

١٤٦ — الأجسام ذوات الأجزاء غير المتشابهة — يمثلها الشراح الأخرين بالوجه واليد... الخ. التي تنمو باللحم والدم والعظم التي هي أجسام متشابهة الأجزاء لأنها تنمو بأن وجهها أو يداها تأتي فتتضم إليها ر. ما على ف ١٥ . — لأن الأولى ليست إلا مركبة من الثانية — معلوم أن هذا هو مذهب أتكساهوراس في "متشابهات الأجزاء" ويمكن الاطلاع أيضا على أول "تاريخ الحيوانات". فان الأجسام المتشابهة الأجزاء هي التي فيها الأجزاء دائما هي بينها والتي هي مشابهة لكل . على ذلك جزيئة من الدم هي دائما دم . وجزء من العظم هو عظم دائما . ولكن جزء اليد ليس يدا وجزء الوجه ليس وجهها . لذلك ترى لماذا أن هذه الأجسام مكونة من أجزاء غير متجانسة . — بمعنى مزدوج — سيوضح فيما بعد فانه يمكن أن يعني بها على السواء أن المادة هي التي تنمو أو أنها الصورة فقط . — نوعها وصورتها — ليس في النص الاكلمة واحدة . — المادة والصورة هما مسميان على السواء — يظهر أن المادة أولى بهذه التسمية من الصورة . — باعتبار الصورة — في الحق أن الصورة النوعية تبقى ولكن يلزم أيضا أن المادة تنمو . — باعتبار المادة — هذا يظهر عليه أثر الدقة أكثر من أثر الصحة . — بمقياس يبقى هو بهمه — فان الماء الذي يمر على التعاقب من هذا المقياس يمكن أن يختلف ولكن صورة



فإن الماء الذي يبقى بعد هو أثر ودائما آخر . كذلك بهذه المثابة تنمو مادة اللحم ولا يوجد ضم الى كل جزء كيفما اتفق . ولكن الجزء الفلاني يسيل والجزء الفلاني ينضم . فليس يوجد ضم ولا يحصل الضم إلا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل ومن النوع .

§ ١٥ - ولكن بالنسبة للأجسام المركبة من أجزاء غير متشابهة مثلا بالنسبة لليد فمن الأشد وضوحا أن كلها تنمو بحالة متناسبة لأنه في هذه الحالة ما دامت مادة النوع مختلفة فهي أسهل تميزا عما يكون بالنسبة للحم وبالنسبة للأجسام ذوات الأجزاء المتشابهة . من أجل ذلك حتى على ميت يظهر أنه لا يزال يعرف اللحم والعظم بأكثر سهولة من أن يميز فيه اليد والذراع وحينئذ فمن وجه يمكن أن يقال إن كل جزء كيفما اتفق من اللحم ينمو ومن وجه آخر لا يمكن أن يقال إن كل جزء ينمو . فبحسب الصورة قد انضم شيء ما لكل جزء كيفما اتفق ولكن لا بحسب المادة . ومع ذلك

المقياس لا تختلف وهذا حق ولكن المثل لم يوجد حسن اختياره لأن المقياس لا يمكن أن ينمو والقول وارد بصدده لإيضاح النمو . - الماء الذي يبقى . - عبارة النص « الذي يبقى » فقط . فأردت تحرير الفكرة برفع بعض الشيء من عموم العبارة . - تنمو مادة اللحم - يظهر أن هذا المقص ما أثبت سابقا وهو أن النمو لا يقع إلا باختيار الصورة لا باختيار المادة . - لا يوجد ضم الى كل جزء كيفما اتفق - على رغم ما يعتقد العامة . - الجزء الفلاني يسيل - والواقع أن الأجسام الحية هي في سيلان دائم للجزئيات التي تفقد منها والمناصر الجديدة التي تقبلها بلا انقطاع . - إلا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل - وضعت لفظ « شكل » لا لفظ « صورة » لأن تعبير النص يختلف أيضا .

§ ١٥ - المركبة من أجزاء غير متشابهة - المثل المطلق في النص كاف في البيان . فإن اليد لا تتركب من أيدي كما يتركب الدم من الجزيئات الدموية . - بحالة متناسبة - هذا ليس من الضبط على الغاية . - مادة النوع - أو مادة « الصورة » . مادة اليد متضاعفة التركيب . جلد وأوتار ودم وعظم وأربطة ومضلات الخ . - فهي أسهل تميزا - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - اليد والذراع - ( ر . عبارة متشابهة لهذه في كتاب النفس ك ٢ ب ١ ف ٩ ص ١٧٦ من ترجمتنا ) لأن اليد والذراع هما عضوا فعل في تعطلا عن العمل فكأنهما غير موجودين . - ولكن لا بحسب المادة - بنفس السبب الذي ذكرناه سبق في آخر الفقرة ١٤ . - الكل - مركب مما من صورة ومادة . - الضد - هذا التصير ليس واضحا جدا . والأولى أن تنمو الأجسام

فإن الكل صار أعظم لأن شيئا جاء وانضم إليه . وهذا الشيء يسمى الغذاء ويسمى أيضا الضد . ولكن هذا الشيء لا يزيد على أن يتغير في النوع بعينه كمثل ما يأتي الرطب ينضم إلى اليابس وبانضمامه إليه يتغير بأن يصير هو نفسه يابساً . وفي الواقع يمكن معاً أن الشبه ينمو بالشبه وبوجهة أخرى أن يكون ذلك باللاشبه .

§ ١٦ — وقد يمكن أيضاً أن يتساوى مما هو بالضبط ذلك الشيء الذي يحدث النمو . واضح أن هذا العنصر الحديد يجب أن يكون الجسم بالقوة . مثلاً إذا كان اللحم هو الذي ينبغي يجب أن يكون لحمًا بالقوة مع أنه بالفعل وبالكال شيء آخر . وهذا الشيء الآخر يجب أن يفسد ليصير لحمًا . على ذلك حينئذ ليس هو في ذاته ما يصير إليه . لأنه إذا حصل كون لا مجرد نمو . ولكن الشيء الذي ينمو هو بالضبط في ذلك الشيء فإذا لقي الجسم بهذا العنصر الحديد حتى إنه نَمَا هكذا ؟ أعطاني اختلاطاً كما يصب الماء في النبيذ بحيث إن المزيج كله يمكن أن يبقى نبيذاً ؟ أم

بالمشابه كما سيجيء . — يأتي الرطب ينضم إلى اليابس — مثال ذلك أن يسقط الماء على سطح جاف ويتبخر عليه . — أن الشبه ينمو بالشبه — تكاد هذه أن تكون قاعدة في الفلسفة القديمة . ولكن هذا الصوم بهم قليلاً . ومع أن الأجسام في الحق تنمو بمثل العناصر الجديدة فإن هذا الإيضاح ليس كافياً لتعريف ظاهرة النمو المتقدمة .

§ ١٦ — الشيء — تعبير النص هو أيضاً أقل تعييناً من ذلك . وإن ما نعى الجسم يجب أن يكون له صفة خاصة بها يمكن أن يتحول في الجسم وينقلب إلى جوهره . — هذا العنصر الحديد — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — الجسم بالقوة — يعنى بعبارة أخرى أنه يمكن أن يصير الجسم بمثله فيه . — إذا كان اللحم هو الذي ينبغي — كالأغذية التي نأخذها فتتحول إلى دم ولحم لتقوم حياتنا وإتمام جسمنا . — بالفعل وبالكال — ليس في النص الكلمة واحدة . — أن يفسد — أو « يفتن » . كذلك الخبز الذي نطعمه هو بالقوة دم ولحم . ولكنه في حقيقته الخاصة لم يكن بعد أحدهما ولا الآخر . — يحصل كون — أو « تولد » . — في ذلك الشيء . — هذه هي عبارة الأصل بنصها ويظهر أنها مبالغة لأنه لا يمكن أن يقال إن اللحم هو في الخبز ولو أن الخبز بعملية الهضم يتغير جوهرياً ويصير دماً . ومع ذلك زدت كلمة « بالضبط » . — بهذا العنصر الحديد — عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . — أعطاني اختلاطاً — اضطررت هنا إلى أن أزيد النص بياناً . — يمكن أن يبقى نبيذاً — ذلك يمكن في الواقع

كما أن النار تحرق متى تلامس شيئا قابلا للاحتراق ، كذلك الأمر في الجسم الذي ينمو والذي هو لحم بالفعل وبالكمال ، الجوهر الباطن الذي له قوة الإنماء هل يفعل لحما حقيقيا بالفعل وبالكمال من اللحم بالقوة الذي اقترب منه ؟ يلزم إذا أن يكون هذا العنصر الحديد مع الآخر ومقتربا به في الوجود لأنه لو كان منعزلا لحصل كون حقيقى . وعلى هذا النحو يمكن إيجاد نار من النار الموجودة من قبل بإلقاء الخشب فوقها . وهذا بهذه الطريقة ليس إلا نموًا في حين أنه متى كان الخشب نفسه يحترق فها هنا كون حقيقى .

§ ١٧ — لكن الكم مأخوذا على معناه الكلى لا يكون ها هنا إلا كما قد يمكن أن يكون الحيوان الذى لا هو إنسان ولا أى حيوان خاص . وبالفعل الحال ها هنا

إذا كانت كمية الماء المصروب قليلة بحيث لا تغير طبيعة المزيج كثيرا محسوسا . — أم — كلمة النص « و » . — كما أن النار تحرق — المقارنة غاية في الصحة على أكثر ما كان يستنده أرسطو . إن الفسيولوجيا في أيامنا هذه قد وجدت في تمثيل الأغذية نوعا من الاحتراق فان القوى الحيوية هي نوع من النار يحيل الأغذية التى تدخل في أجسامنا . — بالفعل وبالكمال . — ليس في النص الكلمة واحدة . — الجوهر الباطن الذى له قوة الإنماء — عبارة النص مبهمة جدا وقد اضطرت الى زيادة ضبطها في الترجمة . — بالفعل وبالكمال — هنا أيضا ليس في النص الكلمة واحدة . — هذا العنصر الحديد — ليس النص على هذا القدر من الضغط . — مع الآخر ومقتربا به — قد زدت على الأصل بل فصلت الجملة لأن النص هنا غاية في الإيجاز . ولكنى لا أرى المعنى جليا تماما . فان « الميع والافتران » قد يفهم بحسب المكان بل وبحسب الجوهر وعلى هذا المعنى الأخير يكون مجزء تمثل — كون حقيقى — أضفت هذه الكلمة الأخيرة . — من النار الموجودة من قبل . — ليس النص على هذا القدر من التوسع . — متى كان الخشب نفسه يحترق — ليس التعبير واضحا قدر الكفاية لأن الخشب لا يحترق بنفسه بل يلزم دائما تقريبه من النار . — فها هنا كون حقيقى — زدت أيضا هذه الكلمة الأخيرة . فان هذا الكون إنما هو كون ظاهرة جديدة .

§ ١٧٠ — مأخوذا على معناه الكلى — عبارة النص أقل تعيينا . ومن الصعب جدا تحصيل ذلك الفرق الدقيق ويمكن ترجعه أيضا هكذا ، « ولكن ليس الكلى هو الذى يصير هنا كمية ما » . — الحيوان — على طريق العموم لا الخصوص . فان الحيوان بوصف أنه مفهوم كلى لا يوجد ولكن

بالنسبة إلى الكم كالحال هنالك بالنسبة إلى الكلي . فحينئذ اللحم والعظم أو اليد أو الأعصاب والأجزاء المتشابهة من هذه الأعضاء تنمو لأن كمية ما من مادة تأتي فننضم إليها بلا شك ولكن بدون أن تكون هذه المادة كمية مقدرة من لحم . فمن جهة أن العنصر الحديد هو الواحد والآخر بالقوة ومثلا كمية معينة من لحم بهذا المعنى فهذا العنصر على هذا الوجه ينفي الجسم لأنه يلزم أن يصير من اللحم ، ومن اللحم بكمية معينة . ولكن فقط من جهة أن العنصر المضاف هو من اللحم أنه يمكنه تغذية الجسم . وبذلك كان الغذاء والنمو يختلفان أحدهما عن الآخر عقلا . من أجل ذلك أيضا الجسم هو مغذى كل الزمن الذي يعيشه ويمكنه بل الزمن الذي يفناه ولكنه لا ينمو بلا انقطاع . في الحق أن التغذية هي مماثلة للنمو وتشتبه به ولكن كونهما مختلف . على ذلك حينئذ بما أن العنصر الذي يأتي فننضم هو بالقوة فكمية ما من اللحم يمكنها أن تنمي اللحم . ولكن فقط من جهة أنه لحم بالقوة يمكنه أن يكون غذاء . § ١٨ — وهذه

الذي يوجد هو هذا الحيوان الفلاني الخامس أو ذاك الذي فيه يتحقق المعنى الكلي للحيوان . — إلى الكم — بالمعنى الكلي . — إلى الكلي — معنى "المثال" . فان الكم مفهوم ما على المعنى الكلي لا يوجد الا كما يوجد الحيوان بالمعنى المجرد . — الأجزاء المتشابهة — أى الأجزاء العنصرية التي لا تفرق بعضها عن بعض والتي هي جميعا متشابهة . — كمية ما من مادة — كل هذه التمايز يمكن أن تظهر دقيقة بل غاية في الدقة ولكنها صحيحة والظواهر نفسها من الدقة بحيث يلزم ألا يدعش من صعوبة وصفها وتقريرها . — كمية مقدرة — أضفت هذه الكلمة الأخيرة لبيان الفكرة . وبتطبيق هذا على الألفية التي ننتهى بها نجد في الحق أن العنصر هو كمية تأتي فنضاف إلى الحما . ولكن في الحق أيضا أنه لم يكن بعد من اللحم تماما . — العنصر الحديد — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — الواحد والآخر بالقوة — معنى ، أخذا بشرح فيلويون ، من اللحم بالفترة بطريقة عامة وأيضا كمية ما من اللحم بالقوة أيضا . أو بعبارة أخرى يلزم أن العنصر الحديد يمكن أن يصير مما لحما وكمية ما من اللحم بانضمامها إلى الجسم يمكنها أن تعطيه النمو الذي يأخذه . — العنصر المضاف — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — يمكنه تغذية الجسم — عبارة النص هي "أنه يغذى" . — عقلا — أوروبما "بمعدى ما" . — الذي يفناه — ويمكن ترجمته أيضا هكذا : "بل إلى أن يفسد" . — في الحق — أضفت هاتين الكلمتين . — ولكن كونهما مختلف — تمييز معروف وغالب الاستعمال في مذهب أرسطو . — على ذلك حينئذ — تلخص النظرية السابقة التي يظهر أنها دقيقة جدا وصحيحة جدا معا .



الصورة أو هذا النوع بلا مادة هو في المسألة كقوة لا مادية. ولكن إذا تجي. فننضم إلى الجسم مادة ما هي لا مادية بالقوة مع أن لها أيضا بالقوة الكم...، فهذه الأجسام اللامادية ستكون إذا أعظم. ولكن إذا كانت هذه المادة المضافة تصل إلى حد ألا تستطيع أن تكون شيئا وإذا كان الماء كذلك بامتزاجه أكثر فأكثر بالنبيذ يصل إلى أن يصير أكثر فأكثر مائيا وإلى أن يحيله أخيرا تماما إلى ماء غليظ يمكنه أن يمر إلى فساد الكمية ولكن الصورة والنوع يبقيان كما كانا.

١٨٩ — هذه الفقرة كلها خامضة جد القموض. ومن المحتمل أن النص فيها محرف فيما يظهر. على أنه وارد في النسخة التي شرحها فيلورين فيما يظهر على ما هي عندنا اليوم وأنه لم يجد فيها صعوبة ما غير أن شرحه لم يأتنا بيان خاص يحمل غوامضا. — بلا مادة... في المادة... لا مادية — كل هذه التكاثر موجودة في الأصل. — الكم... — هذه النقط التي وضعها هنا تقليدا لبعض الناصرين من شأنها أن تدل على احتمال وجود بياض في الأصل ولكن الواقع أنه ليس لدينا إلا مجرد ظن لم يتم عليه دليل ما. — فهذه الأجسام اللامادية — في النص اسم إشارة لجميع مذكر يظهر أنه لا يتعلق بشئ. مذكور ويشير في النفس الظن بوجود النقص الذي اشترت إليه. وقد افترض مفسرو جامعة كويمبر وجود رواية أخرى تنحصر في علامة على حرف متحرك. ولكن هذه الرواية الأخرى لا تكاد تحمل غموض النص. فلي رأيتهم أن القصد هنا هو التمثيل بالمرار حيث يمكن تمييز الصورة زيادة على المادة كما في كل آلة أخرى. وهذا الفرض لا يبرق هباب الظلام من هذه الجملة ويجب تركها كما هي مع الاعتراف بأنه لا يمكن تصحيحها. — هذه المادة المضافة — عبارة النص غاية في عدم التعيين وقد ظننت أن من الواجب أن أكون أكثر تعينا وضبطا في الترجمة. — تكون شيئا — هاهنا حافظت على عبارة النص في كل عمومها لأنني خفت أن أحرفها إذا حاولت أن أجعلها أقل عموما. فإن «لا تكون شيئا» تفيد من غير شك أن المادة المضافة لن يمكنها أن تثقل في جوهر الجسم الذي تضاف إليه. — فساد الكمية — يظهر أن الأول أن يقال «فساد الكيفية» ولكن ليس هنا رواية أخرى. — الصورة والنوع — ليس في النص إلا كلمة واحدة. — يبقيان كما كانا — يظهر على من ذلك تبعا لنقص المثل الذي أورده المصنف أن الصورة والنوع يبقيان مادام النبيذ ينقلب نهائيا إلى ماء بإضافة السائل الذي صب فيه.

## الباب السادس

الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض — في اختلاطها — رأى ديوجين الأبلوفى — لأجل إدراك أن العناصر تفعل أو تنفعل بعضها ببعض يلزم توضيح ما يعنى بتماثلها — المعاني المختلفة لهذه الكلمة — الفرق بين الحركة والفعل — المحرك غير المتحرك لا حاجة به ضرورة الى مس الشيء الذى يحركه — الشيء المحرك يمكن ألا يحرك شيئا هو أيضا في نوبته — آخر نظرية الناس .

١ § — لما أنه يلزم عند دراسة المادة وبالنتيجة العناصر أن يقال بادئ بدء ما إذا هي تكون أو لا تكون وإذا كان كل واحد منها أزليا أو إذا كانت مخلوقة بأى وجه ما . ومع أنها مخلوقة إذا كان يمكنها كلها أن تتكاثر بطريقة واحدة، أو إذا كان أحدها هو أسبق من الآخر فيتبع من ذلك أن من الضروري أن نعين جيدا بادئ الأمر الأشياء التى لم يتكلم عنها حتى هذه الساعة إلا بطريقة جد مبهمه وضمير كافية جدا .

٢ § — وفى الحق كل أولئك الذين يقبلون الخلق للعناصر أنفسهم كما يقبلونه بالنسبة للربكات التى تنتج عنها يقتصرون في إيضاح كل شيء على الاجتماع والافتراق وعلى الانفعالية وعلى الفعل . ولكن الاجتماع ليس إلا اختلاطا ولم يحد لنا جليا ما يجب علينا أن نعنى باختلاط الأجسام . ومن جهة أخرى ليس من الممكن كذلك أن نحصل استحالة ولا افتراق أو اجتماع بدون موضوع يفعل وينفعل . لأن أولئك

١ § — لما أنه يلزم — قد حافظت على أسلوب الجلة في النص الإغريق كما هي مع أنها طويلة في الترجمة فيما يظهر . — إذا كانت مخلوقة — أو "تكون" . — التى لم يتكلم عنها — يحتمل أن يكون المقصود بهذه العبارة فلاسفة من أمثالهم وأن أرسطو لم يقصد الكلام عن نظرياته الخاصة . — جد مبهمه وضمير كافية جدا — ليس في النص الكلمة واحدة .

٢ § — يقبلون الخلق — عبارة النص هي "الذين يخلفسون" الذين يولدون ، الذين يتكونون . — يقتصرون في إيضاح كل شيء — ليس النص صريحا بهذا القدر . — على الانفعالية — لكلام أفلو "الانفعال" . — ليس إلا اختلاطا — ربما لا يكون المعنى محكما . — لم يحد لنا جليا — عبارة النص أشد إبهاما قليلا . — بدون موضوع يفعل وينفعل — هذا الموضوع هو ذلك الذى من غير أن ينقطع كونه يمكنه على التعاقب أن يقبل الأضداد كما سيجى بيانه في الفقرة الثالثة .

الذين يقبلون تعدد العناصر يجعلونها تولد من الفعل والانفعال المتكافئين بين العناصر بعضها والبعض الآخر . § ٣ — ومع ذلك يلزم دائما الوصول الى القول بأن كل فعل يأتي من مبدأ واحد أحد . فانظر كيف أن ديوجين كان عنده الحق إذ يقرر أنه اذا كانت كل العناصر لم تكن تأتي من واحد فلا يمكنها أن يكون بينها لافعل ولا قابلية للفعل على طريق التكافؤ وأن الحار مثلا قد لا يمكن أن يبرد ولا البارد أن يسخن من جديد . وكان يقول ليست الحرارة ولا البرودة هي التي تتغير إحداها في الأخرى بل من اليقين بذاته أن الموضوع هو الذي يعاني التغير . وبالنتيجة كان يستنتج ديوجين أن في الأجسام التي فيها يمكن وجود فعل وانفعال يلزم بالضرورة أن يكون لها طبيعة واحدة هي موضوع هاتين الظاهرتين . ولا شك في أن تقرير أن جميع الأشياء هي في هذه الحالة قد لا يكون تقريراً صحيحاً فإن هذا لا يلاحظ في الواقع إلا في الأجسام التابعة بعضها لبعض .

§ ٤ — لكن إذا أريد استيضاح الفعل والانفعال والاختلاط بجلاء لزم بالضرورة أيضاً دراسة ما هو التماس بين الأشياء . إن الأشياء لا يمكنها حقيقة

§ ٣ — كل فعل — عبارة النص غير محددة ولكن اضطررت كما فعل المصنف الى أن أكرر الكلمة عنها التي استعملت آنفاً — ديوجين — على تقدير "الألوني" . — كل العناصر لم تكن تأتي من واحد — عبارة النص تستخدم بالبساطة ضيق جمع فالترمت زيادة البيان في الترجمة . — لا فعل ولا قابلية للفعل — يعني فعل بعضها في بعض بالتكافؤ هذه تحتل الفعل التي تفعله تلك . — وكان يقول — أضفت هذه الكلمات لأن أسلوب النص يسمح بإضافتها . — الموضوع — يعني الجسم بعينه الذي يكون بالتناوب بارداً أو حاراً والذي مع بقاءه يمكن أن تتغير حاله وكيفية وجوده . — كان يستنتج ديوجين — أضفت هذه الكلمات للسبب السابق . — موضوع هاتين الظاهرتين — ليس النص على هذا التوسع . — التابعة بعضها لبعض — يعني أنها يمكنها أن بفعل بعضها في بعض . وربما أمكن ترجمة العبارة هكذا : "في الأشياء التي يوجد فيها تكافؤ بين بعضها والبعض الآخر" .

§ ٤ — بجلاء — أضفت الكلمة المفهومة بالسهولة من السياق والتي تتم الفكرة . — بين الأشياء . — أضفت هاتين الكلمتين .

الفعل والانفعال أحدها بالآخر حين لا يمكنها التماس على التبادل . وإذا لم تكن قد تلامست سابقا بأى وجه ما فلا يمكنها أبدا أن تختلط أحدها بالآخر . فيلزم إذاً أولاً حد هذه الظواهر الثلاث التماس والاختلاط والفعل . § ٥ — فلنصدر عن هذا المبدأ : وهو أنه بالنسبة لجميع الأشياء التى فيها الاختلاط يلزم مطلقاً أنها يمكنها أن تتلامس بينها . وإذا كان الواحد يفعل والآخر ينفعل بالمعنى الخاص فيلزم أيضاً أن يكون هذا التماس محكماً . هذا هو سببنا فى الكلام بادئ بدء على التماس . § ٦ — لكن كما أن أكثر الكلمات الأخرى هى مأخوذة على عدة معان تارة بطريق التواطؤ وتارة بالاشتقاق من كلمات أخرى سابقة عليها كذلك يقع هذا التنوع فى الإطلاق اللفظى بالنسبة للفظ التماس . ومع ذلك فإن التماس بالمعنى الخاص لا يمكن أن ينطبق إلا على الأشياء التى لها وضع ولا وضع إلا للأشياء التى لها مكان لأنه يلزم أن يعنى بالتماس وبالمكان كما يعنى الرياضيون سواء أكانا أى المكان والتماس منفصلين عن الأشياء أم كانا يوجدان بأى وجه ما .

— هذه الظواهر الثلاث — قد يمكن ترجيحها هكذا : "هذه الكلمات الثلاث" . فإن عبارة النص غير محددة تماماً .

§ ٥ — بالمعنى الخاص — معنى هذا فى شرح فيلوربون أن المقصود هنا هو التماس المادى المحض وقد يقال إن نية تمس الذى وجهت إليه ولكن هذا التماس هو معنى محض . وليس هذا هو المعنى الذى يقصده أرسطو من التماس أو التماس إذ يطبقه على الأشياء . ر . ما سيجى . ف ١٠ — أن يكون هذا التماس محكماً — عبارة النص بالبساطة هى : "وبالنسبة لهذه الأشياء يلزم أن يكون الأمر كذلك" . فآثرت زيادة البيان .

§ ٦ — تارة بطريق التواطؤ — ر . أزل المقولات ب ١ ف ١ ص ٥٣ من ترجيحى . — بالاشتقاق — مذهب ما يسمى بالمشقة أسمائها . ر . المقولات ب ١ ف ١ ص ٥٤ . — سابقة عليها — معنى أبسط وأعم . وقد يمكن حمل هذا المعنى على مجرد التقدم بالزمان . فإن أصل الكلمة متقدم على المشتق الذى يخرج منه . — هذا التنوع فى الإطلاق اللفظى — ليس الأصل صريحاً هكذا . — كما يعنى الرياضيون — كان حق هذا أن يوضح وكان يلزم أن يقال بالضبط كيف يفهم الرياضيون التماس والمكان . — المكان التماس — أضفت هاتين الكلمتين ليكون البيان أجلى . — أكانا منفصلين عن الأشياء — يرى لوربون أن هذا كان مذهب فيثاغورث الذى اتخذ أطلالون مذهباً له إذا صدقت الانتقادات التى وجهها



وحينئذ إذا كان كما بين سابقا أن تماس هو أن تجتمع النهايات فيمكن أن يقال إن هذه الأشياء تتلامس على التي، وهي ذات أعظام وأوضاع معينة، نهاياتها مجتمعة معا.

٧٥ - ولكن لما كان الوضع خاصا بالأشياء التي لها أيضا أين وكان الفصل الأول للأين هو الفوق والتحت مع المقابلات الأخرى من هذا القبيل، ينتج منه أن جميع الأشياء التي تتلامس يجب أن يكون لها ثقل أو خفة أو هاتان الخاصتان معا أو على الأقل إحدى الاثنين. وهذه الأشياء من هذا النوع إنما هي القابلة للفعل وللانفعال فبين إذا بذاته أنه يجب استنتاج أن تلك الأشياء تتلامس بالطبع وأنها بما هي أعظام منفصلة ومتميزة فنهاياتها واقعة طرفا لطرف ويمكنها أحدها أن يحرك والآخر أن يتحرك على التكافؤ أحدهما بالآخر. ولكن لما أن المحرك لا يحرك بالطريقة عينها التي بها الشيء المحرك يحرك في دوره وأن هذا الأخير لا يمكن أن يحرك إلا بما هو واقع في الحركة هو نفسه في حين أن الآخر يمكنه أن يحرك مع بقائه

أرسطو إلى نظرية المثل. — أم كانا يوجدان بأي وجه ما — مثلا في الأشياء التي لا تكون منفصلة عنها جوهريا. — كما بين سابقا — ر. الطيبة ك ٥ ب ٥ ف ٤ ر ١٤ ص ٣٠٠ و ٣٠٤ من ترجعنا. — أن تجتمع النهايات — عبارة النص هي "معا" وهذه الكلمة تطلق على الاجتماع في المكان كما تطلق عليه في الزمان. — نهاياتها مجتمعة معا — الشأن في هذه الجملة كما هو في التنبيه السابق.

٧٦ - الفصل الأول — بين الفصل الأخير والذي يقرر الحواس بادي الأمر. ر. الطيبة ك ٣ ب ٧ ف ٢٨ ص ١١٤ من ترجعنا. — مع المقابلات الأخرى من هذا القبيل — يعني اليمين واليسار والأمام والخلف الخ. — ينتج منه — هذه النتيجة ليست حتمية فإما يظهر ولكن في نظريات أرسطو لما أن الحركة إلى الفوق تستدعي الخفة والحركة إلى التحت تستدعي الثقل فالجسم لا يمكن أن يكون له مكان إلا إذا كان ثقيلًا أو خفيفًا. — أو هاتان الخاصتان معا — هذا غير مفهوم إلا على طريق المقارنة، فإن جسمًا هو ثقيل بالنسبة لجسم معين وخفيف بالنسبة لآخر. — إحدى الاثنين — على هذا في نظريات أرسطو أن الأرض ليس لها إلا الثقل والتأريث لها إلا الخفة، وأما الهواء والماء فلهما في آن واحد الخفة والثقل تبعًا لمقارنتهما بهذين العنصرين الآخرين اللذين هما طرفان. — طرفا لطرف — عبارة النص هي "معا" كما سبق. — أحدها أن يحرك والآخر أن يحرك — عبارة

هو نفسه غير متحرك فمن البين أنه يمكننا تطبيق هذه التمايز عليها على الجسم الذي يفعل لأنه حتى في اللغة العامة يقال أيضا على السواء إن الذي يحرك يفعل وإن الذي يفعل يحرك .

§ ٨ — ومع ذلك يوجد هنا فصل ما . فينبغي التمييز : ذلك أن كل ما يحرك لا يمكنه دائما أن يفعل كما سنرى بالمقابلة بين ما يفعل وبين ما ينفعف فان جسما لا ينفعف إلا في الأحوال التي فيها تكون الحركة تأثرا أو شهوة . ولا توجد شهوة إلا في حالة ما يكون بالجسم مجرد استعالة ، مثلا في حالة ما يصير حارا أو يصير أبيض . ولكن معنى التحريك له من السعة أكثر مما لمعنى الفعل . وحيلئذ من البين أن المحركات أحيانا يجب أن تلامس الأشياء التي تحركها وأحيانا لا تلامسها .

النص على هذا الإيجاز وليست أكثر وضوحا . — مع بقائه هو نفسه غير متحرك — ر . ر . كل نظرية المحرك الأول غير المتحرك في الطبيعة ك ٨ ب ٧ و ٨ ص ٥٠٧ ، ١ بعدا من ترجعنا . ر . أيضا ما بعد الطبيعة ك ٧ ب ٨ ص ٢٠٣ ترجمة كوزان . — هذه التمايز عليها على الجسم الذي يفعل — ليس النص صريحا بهذا القدر . — وإن الذي يفعل يحرك — هذا الخلط بين الفعل وبين الحركة لا يفهم منه الفهم إلا إذا ذكرت أنواع الحركة الثلاثة التي قررناها أرسطو وهي النقلة والاستعالة والنمو . وبين أنه يوجد فصل في الثلاثة جميعا . ومع ذلك فان أرسطو في الفقرة التالية قد عين فرقا بين فعل وبين حرك .

§ ٨ — التمييز — أو أيضا « أن يكون الحد مع التمييز » هذا هو معنى التعبير الاضربى في قوة . — بالمقابلة — المعنى هاهنا ليس واضحا جدا . وما كذا أكثر تفصيلا وريانا : الفعل والتحريك ليسا حدين متساويين ومتكافئين فيلزم تمييزهما . ولأجل أن يفهم جيدا الفصل الذي يفصلهما يلزم مقارنة حدين آخرين : الفعل والاتعمال . — كما سنرى ... فان جسما لا ينفعف — عبارة النص غير محددة فلزم أن تكون الترجمة أكثر ضبطا . — تأثرا أو شهوة — ليس في النص الا كلمة واحدة . — مجرد استعالة — معنى بدون أن يكون هناك نقلة ولا تغير في العظم بالزيادة أو بالنقص . — في حالة ما يصير حارا — النص أقل صراحة . فان الجسم يكون في مجرد استعالة متى صار حارا بعد أن كان باردا أو أبيض بعد أن كان أسود . — له من السعة أكثر — فان الحركة يمكن أن تكون بالنقلة أو الاستعالة أو النمو وأما الفعل فلا ينطبق إلا على الاستعانة وحدها . — وحيلئذ من البين — هذه النتيجة ليست من البين على ما يظن المؤلف فيما يظهر ولا تنجح بوضوح ما تقدم .

§ ٩ — حد التماس مأخوذاً على أهم معناه ينطبق على الأجسام التي لها وضع بما أن أحد الجسمين في التماس يمكن أن يحرك وبما أن الآخر يمكن أن يتحرك وبما أن المحرك والمتحرك ليس بينهما نسبة إلا نسبة الفعل والانفعال . § ١٠ — في الأحوال الأكثر عادية الشيء الذي لمس يلمس الشيء الذي لمسه لأن كل الأشياء تقريباً التي يمكننا مشاهدتها هي واقعة في الحركة قبل أن تتحرك أيضاً في دورها . وفي كل الأحوال يظهر أن هناك ضرورة إلى أن الشيء الذي لمس يلمس الشيء الذي يلمسه . ولكننا نقول إنه قد يجوز أحياناً أيضاً أن المحرك وحده يلمس الشيء الذي يعطيه الحركة ، وأن الشيء الملموس لا يلمس الآخر الذي يلمسه . ولما أن الأجسام المتجانسة لا تتحرك إلا متى حركت هي أنفسها فيلزم فيما يظهر أن جسماً ملموساً يلمس هو أيضاً . وبالنسبة إذا كان محرك ما ، مع كونه هو نفسه غير متحرك ، يؤتى

§ ٩ — مأخوذاً على أهم معناه — وفي الوقت عينه على معناه الأخص . — ينطبق على الأجسام التي لها وضع — ر . ما سبق ف ٦ — أحد الجسمين في التماس — النص ليس صريحاً هكذا . — النسبة الفعل والانفعال — عبارة النص هي "في الأشياء التي بينها فعل وانفعال" .

§ ١٠ — في الأحوال الأكثر عادية — يظهر أن كل هذه الفقرة استطراد لا يتصل لزوماً بما تقدم . — التي يمكننا مشاهدتها — أر "التي هي أمامنا" . — قبل أن تتحرك أيضاً في دورها — ليس النص صريحاً هكذا ولكن المعنى لا ريب فيه . — لا يلمس الآخر — هذا ممكن معنويًا كما يشته المثل الوارد في آخر الفقرة ولكن من الجهة المادية يتلامس الشيطان بالتبادل . ومن المحال أن شيئاً يلمس آخر من غير أن يلمسه هذا الآخر . وإن الفعل قد يأتي من جهة واحدة دون أن يقابل بمثله ولكن التماس كما يدل عليه لفظه هو دائماً متكافئ . وإن مثل المحرك غير المتحرك ليس قاطعاً لأن لإصال الحركة يمكن أن يقع على مسافة ومن غير تماس حقيق . — الأجسام المتجانسة — هذا التعبير مبهم قليلاً . وقد فسر فيلاريون بأن فهم أن المقصود هو الأجسام المركبة من مادة واحدة يعنيها لأنها بذلك تستطيع أن ترد الفعل الذي تقبله ر . ما سيأتي في الباب السابع ف ٥ . — فيما يظهر — ربما كان الواجب أن يكون التعبير أكثر تأكيداً . — فيلزم أن يمس — إن نظرية المحرك غير المتحرك قد بسطت بإسهاب في الطبيعة ك ٨ وفي ما بعد الطبيعة ك ١٢ ب ٨ . فإن المحرك غير المتحرك يعني الله ينقل الحركة التي يخلقها بطريقة مفارقة لما تنقل به الحركة للأشياء التي تدركها مشاهدتنا في هذه الدنيا وليس من المحتمل بهذا المعنى أن الله

الحركة، فيلزم أن يمس الشيء الذي يحركه دون أن يمس هو نفسه شيء . وعلى ذلك في الواقع نقول أحيانا على الشخص الذي يؤذينا إنه يمسنا من غير أن نلمسه نحن أنفسنا .

§ ١١ — ذلك ما كنا نبنى أن نقول على التماس معتبرا في الأشياء الطبيعية .

يمس الكائنات كما تماس الكائنات بعضها بعضا . — يمسنا هذا التعبير الذي اضطررت إلى أن أستعمله لا يظهر أنه مناسب تماما في لغتنا وإن كان أكثر مناسبة في اللغة الاغريقية . ولكنه ليس الا على طريق المجاز فإن هذا المس المعنوي لا دخل له في التماس المادى الذى هو موضوع البحث في هذا الباب كله .

§ ١١ — ذلك ما كنا نبنى أن نقول — يمكن تقريب هذه النظرية كلها بالنظريات التى ذكرت ولكن باختصار في الطبعة ك ه ب ه ف ١٣ وك ٦ ب ١ ف ٢ فإن المذهب في الموضعين واحد . — في الأشياء الطبيعية — لا في الأشياء المجردة والرياضية .



## الباب السابع

نظرية الفعل والانفعال — آراء الفلاسفة — ديمقريطس هو الذى أجاد فهم هذا الموضوع — سبب خطأ الفلاسفة — الشبه لا يمكن أن يقبل أى فعل من الشبه — العلاقة الضرورية بين الفاعل والمفعول — الشبه والفرق بينهما — توافق رأيين متعارضين في تمييز لفظي — المشابهة بين الحركة وبين ظاهري الفعل والانفعال — المحرك الأول يمكن أن يكون غير متحرك — الفاعل الأول يمكن أن يكون كذلك لا مفعلا — ختام نظرية الفعل والانفعال .

١٤ — تعقبنا لما تقدم نوضح ماذا ينبغي أن يُفعل وانفعل . ولقد تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا نظريات متخالفات بينها في هذا الموضوع . ومع ذلك فانهم متفقون بإجماع على أن الشبه لا يمكن أن يقبل شيئا من الشبه لأن الواحد منهما ليس أشد فاعلية ولا انفعالية من الآخر . وأن الأشباه لها كيفياتها متمثلة مطلقا . ثم يزداد أن الأجسام غير المتشابهة والأجسام المختلفة إنما هي التي لها فعل وانفعال على طريق المكافؤ بعضها في بعض . مثال ذلك حينما تطفأ نار بنار أكبر منها يزعم فلاسفتنا أن النار التي هي أقل انفعالت في الواقع بمقتضى مقابلة الأضداد بما أن كثيرا هو ضد قليل .

١٥ — بفعل وانفعال — لم يمكن أن أجد في لغتنا عبارات تحصل كلمات النص أكثر وضوحا . وقد يمكن أن يترجم أيضا هكذا : " أن يكون فاعلا وقابلا " . يفعل وينفعل هما المقولتان الأخيرتان للقولات العشر . ر . المقولات ب ٤ ف ١ و ٢ من ترجمتنا . — تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا — يلاحظ فيلوبيون أن أرسطو يبين على عهد طريقته العادية من بسط النظريات السابقة قبل بسط نظريته الخاصة . — أن الشبه لا يمكن أن يقبل شيئا من الشبه — ذلك هو أحد المبادئ التي قد يوجد منها عدد عظيم في الفلسفة القديمة لا تستند إلى مشاهدات واقية وليست إلا نتائج سابقة لأوانها ومنطقية محضة . — غير المتشابهة والأجسام المختلفة — هذا التكرير هو في النص . — فعل وانفعال . وإنما هي الفاعلة والقابلة . — بنار أكبر — يظهر أنه ليس هنا اختلاف حقيقي . فان النار الأقل هي تماما مشابهة للنار الأقوى من جهة كونها نيرانا وفقط إحداهما التهمت الأخرى . ولكنه لا يخفى التشدد في طلب الضبط إلى علم ذلك الزمان . — بما أن كثيرا هو ضد قليل — هذا حق ولكنه لا ينتج منه أن نارا صغيرة تكون ضد نارا كبيرة . ومع ذلك هذا ما كان يجب أن يكون ليصير المثل صحيحا وحقيقا بالانطباق .

٢٤ — ديمقريطس هو الوحيد، خلافا لجميع الآخرين، الذي قدم في هذا رأيا خاصا . فهو يقرر أن هذا الذي يفعل وهذا الذي يقبل هو في الحقيقة مماثل ومشابه لأنه لا يوافق على أن أشياء مختلفة ومتغايرة تماما يمكنها أن تقبل أيا ما بعضها من بعض . وإذا كان بعض الأشياء، مع كونها متغايرة بينها ، لها بعضها على بعض فصل ما متكافئ فهذه الظاهرة ، على رأيه ، تقع فيها لا بما هي متخالفة بل بما هي على الضد من ذلك لها نقطة ما من المشابهة والمماثلة .

٢٥ — تلك هي إذا الآراء التي فُتِرت قبلنا . ولكن الفلاسفة الذين قرروها قد يظهر أنهم تناقضوا فيما بينهم . والسبب في اختلافهم في هذا الصدد هو أنه في مسألة يلزم فيها اعتبار مجموع الموضوع لم يعتبروا فيه هؤلاء وهؤلاء إلا جزءا واحدا .

٢٦ — وفي الحق أن ما هو شبيه تماما ولا يغير مطلقا بأي وجه ما لا يمكنه مطلقا أن يحتل شيئا ولا أن يقبل شيئا من قبل شبيهه . لذا ، في الحق ، أن أحد الشئيين يفعل دون الآخر . فإذا كان ممكنا أن الشيء يقبل بأي طريقة من شبيهه

٢٧ — ديمقريطس هو الوحيد — يظهر أن أرسطو في جميع مؤلفاته يحفل كثيرا بديمقريطس وينظر بانه وهنا يطلب الحق على الأقل بالجزء ضد جميع الفلاسفة السابقين . — رأيا خاصا — كلمة النص ليس لها معنى محدود بهذا المقدار . وربما أفادت أن ديمقريطس قرر رأيا صوابا من بعض الوجوه ومعارضات السابقة . — من المشابهة والمماثلة — ليس في النص إلا كلمة واحدة .

٢٨ — تلك هي إذا الآراء — قد يرى أن بسط الآراء السابقة موجب بعض الشيء ولكن يجب علينا في هذا الصدد أن نتق بصدق أرسطو الذي ما سعى البتة في الخط من أضرار أسلافه على رغم التهمة التي اتهم بها باكون . — مجموع الموضوع — ليس النص على هذا القدر من الضبط . ومع ذلك فإن الفكرة التي يبرهنها أرسطو هي حريقة في الصحة . وذلك يرجع الى القول بأن هذه المذاهب على العموم أولى بها أن تكون غير تامة من أن تكون باطلة .

٢٩ — أن يحتل شيئا ولا أن يقبل شيئا — ليس في النص إلا كلمة واحدة ، ولكن لما أنه يوجد له أداتا في أردت أن أوليه القوة بالعلمين ولأن المعنى واحد نظريا . — من قبل شبيهه — يعني عما هو على جهة الإطلاق والتماثل مشابه له . — أحد الشئيين — زدت هاتين الكلمتين . — يفعل — أو يفعل . — يمكنه أن يقبل أيضا من ذاته — يعني يحتل فعلا بمحدثه هو نفسه في نفسه ، وهذه النظرية دقيقة فيما يظهر . — مع التسليم بهذا — أو بهارة أخرى إذا الترض أن

إذا يمكنه أن يقبل أيضا من ذاته . وحينئذ مع التسليم بهذا فينتج منه أن لا شيء في الدنيا يكون غير قابل للفناء ولا غير متحرك إذا فرض أن الشبه بما هو شبيه يمكنه أن يفعل ما دام حينئذ كل موجود أيا كان يمكنه أن يعطى الحركة لنفسه ويعطيها أيضا على السواء للوجودات المغايرة تماما والذي ليس له به تماثل ما . وفي الواقع أن البياض لا يمكنه أن يقبل أى فعل من قبل خط ولا أن خطأ يفعل بشيء من قبل البياض إلا ما ربما يكون بالمرض والواسطة : مثلا في حالة ما إذا كان الخط بالمصادفة أبيض أو أسود . لأن الأشياء لا يمكنها أن تدير طبيعتها عفوا من تلقاء أنفسها متى لم تكن أضدادا بعضها لبعض أو غير آتية من أضداد .

§ ٥ - ولكن لما أن فعل وانفعل ليسا بالطبع خاصية أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة وأنهما لا يكونان إلا في الأشياء الأضداد بعضها لبعض أو التي بينهما تضاد ما فينتج من ذلك ضرورة أن الفاعل والقابل يجب أن يكونا شبيهين ومتحدتين مجلسهما بالأقل وأن يكونا غير متشابهين ومتضادين بنوعهما . على هذا تريد الطبيعة أن الجسم يقبل فعل الجسم والطعم يقبل فعل الطعم واللون فعل اللون ، وعلى جملة من

الشبه بفعل في الشبه وأن شيئا يفعل مباشرة في نفسه . — غير قابل للفناء ولا غير متحرك — قد قرر أرسطو دائما أنه يوجد في الدنيا أشياء غير قابلة للفناء وأنه بالأقل المحرك الأول هو غير متحرك . — يمكنه أن يعطى الحركة لنفسه — ليس النص على هذا الضبط ويمكن ترجمته أيضا هكذا : « لنفسه وإن ما هو مغاير له تماما وليس له معه أدنى تماثل يمكنه أن يعطيها لنفسه على السواء » . وقد ظهر أن المعنى الآخر أفضل من جهة النحو . — وفي الواقع — لا يظهر أن ارتباط المعاني هنا واضح . — البياض — الأمثلة لا يظهر أنها قد أحسن اختيارها . — من قبل خط — أو بالأولى سطح كما يفسره فيلاريون . — بالمرض والواسطة — ليس في النص الكلمة واحدة . — الخط — أو السطح . — عفوا من تلقاء أنفسها — ربما صحت ترجمتها أيضا « بالتبادل » .

§ ٥ - أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة — ليس في النص الكلمة واحدة . — تضاد ما — ليس النص على هذه الصراحة . — بينهما ... بنوعهما — هذا التمييز سيصلح فيما بعد لتوفيق بين

القول إن شيئا مجانسا يمكن أن يقبل فعلا من قبل الشيء المجانس . والسبب فيه أن جميع الأضداد هي في جنس واحد، وأن الأضداد تفعل بعضها في بعض وتقبل بعضها من قبل البعض الآخر. إذا يلزم ضرورة أن، من وجه، الفاعل والقابل يكونان متشابهين وفي الحين صينه يلزم أيضا أن يكونا غير متشابهين ومتغايرين بينهما .

٦ — ما دام إذا يلزم أن يكون الفاعل والقابل هما متعدين ومتشابهين في الجنس ولا متشابهين في النوع وأن هذه هي نسب الأضداد فينتج من هذا جليا أن الأضداد والأوساط تفعل وتقبل على طريق التكافؤ بعضها إزاء البعض الآخر. فان فيها مطلقا يحصل فساد الأشياء وكونها . لذلك فبسيط جدا أن النار تسخن وأن البرد يبرد وعلى جملة من القول أن الشيء الذي يفعل يحيل الى ذاته الشيء الذي يقبل فعله .

ما دام أن هذا الذي يفعل وهذا الذي يقبل هما ضدان، وأن الكون هو على التحقيق تحول الشيء الى ضده . ينتج منه أن بالضرورة الذي يتفعل يتغير بهذا الذي يفعل . وعلى هذا النحو فقط يحصل كون مفيض الى الضد .

الآراء المتعارضة للفلاسفة السابقين . — يقبل فعل — أو عبارة أخرى مماثلة لعبارة النص : " يقبل من الجسم " وهذا التعبير مع ذلك مهم وكان الأول لإيضاحه . — مجانسا — أو من الجنس بيمينه . ر .

ما سبق ب ٦ ف ١٠ . — إذا يلزم ضرورة — تكرير لما سبق آنفا بالحرف تقريبا .

٦ — ما دام إذا ... الفاعل والقابل — تكرير آخر مساعد مع ذلك على إيضاح الفكرة أكثر مع على أمثالها . — نسبة الأضداد — ر . المقولات ب ١١ ف ٦ ص ١٢٢ من ترجمتنا .

— مطلقا — أو على العموم . — أن النار تسخن — ربما كان التعبير عاما جدا وربما كان يلزم ذكر مفعول كائن يقال مثلا : " تسخن الجسم الذي تفعل فيه " . — وأن البرد يبرد — هذا التكرير غير المفيد موجود كذلك بالنص . — يحيل الى ذاته — هاهنا أيضا العبارة قليلة الضبط ولو أن المعنى صحيح جدا . — تحول الشيء الى ضده — النص غاية في الإيجاز فاضطرت الى بسطه . — الذي يتفعل يتغير بهذا الذي يفعل — قد يكون في العبارة بعض التجاوز لأن الشيء الذي يسخن لا يتقلب نارا . — مفيض الى الضد — النص يستخدم تعبيرا يشرح بنوع من الحركة . وهذا الذي حاولت تحصيله في ترجمتي .



٧ § — هذا هو الذى يوضح جيدا كيف أن فلاسفتنا من غير أن يذكروا صراحة الأقوال أعيانها يمكنهم مع ذلك على الوجهين أن يصلوا إلى استكشاف الطبع والحق . وعلى هذا نقول تارة إنه الموضوع نفسه هو الذى ينقل متى قلنا إن فلانا يبرا وإنه يدفأ وإنه يبرد وإنه يعانى انفعالات من هذا القبيل . وتارة أيضا نقول مثلا إن البرودة هى التى تصير ساخنة أو إن المرض هو الذى يصير الصحة وعلى الوجهين العبارة صادقة . ٨ § — والأمر كذلك أيضا فيما يخص الفاعل فإننا نقول أحيانا إنه هو فلان الذى يسخن الشيء الفلانى ومرة أيضا إن الحرارة هى التى تسخن . لأنه تارة هى المادة التى تقبل الفعل وتارة أيضا الضد هو الذى يقبل . على ذلك فانه ينظر الأشياء من هذه الجهة زعم بعضهم أن الموجود الذى يفعل والذى ينفعل يجب أن يكون بينهما شيء من التماثل . وأن الآخرين ينظرون الأشياء من جهة مخالفة زعموا أن الأمر على الضد من ذلك تماما .

٧ § — فلاسفتنا — عبارة النص أقل ضبطا . — الطبع والحق — ليس فى النص الاكثلة واحدة . — إنه الموضوع — يعنى الموجود الذى له الكيف الملم لأن يتغير بكيف مضاد . — البرودة — يعنى الكيف ذاته . وقد لا يكون التماثل أيضا فى النص ولأنه على هذا التماثل يمتد فى التماثل فكان الأثر أن يكون التفسير أظهر من هذا . وقد أجاد فلو يرون أيضا هذه الفقرة كلها ولو أنه أحوال فى الايضاح . — هى التى تصير ساخنة — فى هذا التعبير شئ من الغرابة فى النص وفى ترجمتى أيضا . — وعلى الوجهين العبارة صادقة — يعنى سواء قصد إلى الموضوع أو قصد إلى الكيفية نفسها التى تتغير . ٨ § — والأمر كذلك — يعنى أنه يمكن أن يجرى هذا التماثل بالنسبة للفاعل والقابل الملمين هما متعدان بالجنس ومختلفان بالنوع . — فلان الذى يسخن الشيء الفلانى — ليس النص على هذا القدر من البيان . — إن الحرارة هى التى تسخن — من جهة أنه هو الموضوع ومن جهة أخرى أنها هى الكيفية أو كما سيجى . بعد فى النص من جهة المادة ومن جهة أخرى الضد . — من هذه الجهة — يعنى بالنظر إلى المادة التى هى مقترنة بالاشتراك على الفاعل والقابل معا . — من جهة مخالفة — يعنى بالنظر إلى الكيفيات المتضادة التى أحدها يتغير إلى الأخرى . — أن الأمر على الضد من ذلك تماما — ر . ما سبق بيانه فى آخر الفقرة الثالثة حيث يجب أن نعلم على كلتا النظريتين أنها لم تعتبر إلا جزءا من الموضوع الذى كان يجب لخصه فى مجموعه .

§ ٩ — ولكن التدليل الذى يمكن عمله لإيضاح ما هو يفعل وينفعل هو نفسه الذى به يوضح ما هو يحرك ويتحرك . وعلى ذلك لفظ المحرك يحمل أيضا على معنيين . فأولا الشيء الذى فيه يوجد مبدأ الحركة يشبه أن يكون المحرك مادام المبدأ هو أول للعلل وثانيا إنما هو الحد الأخير بالإضافة الى الشيء الذى هو محرك وإلى كون الشيء . § ١٠ — وتنطبق الملاحظة نفسها على الفاعل ، وعلى هذا النحو نقول على السواء إن الطبيب هو الذى يبرى أو هو النبيذ الذى أمر به المريض . وحيث لا شيء يمنع من أن المحرك الأول فى الحركة التى يعطيها يبق هو نفسه غير متحرك . بل أحيانا قد تكون هناك ضرورة الى أن يكونه ولكن الحد الأخير يجب دائما لأجل أن يحرك أن يكون أولا قد حرك هو نفسه . — § ١١ — وفى الفعل

§ ٩ — التدليل الذى يمكن عمله — الجملة للغة بعض الشيء فى الترجمة كما هى كذلك فى النص . ولكن المعنى ين . فان يفعل وينفعل يستوضح معناه كما يستوضح معنى يحرك ويحرك . — لفظ المحرك يحمل أيضا على معنيين — تباعا إذا كان القصد المحرك الأول والمحرك الابتدائى أو المحرك الناتج الذى يمكن أن يكون الأخير والأقرب بالنسبة للمحرك أى الشيء المحرك . — الشيء — اخترت التعبير بهذا اللفظ المبهم مجازاة للنص . — يشبه أن يكون المحرك — أو "يشبه أن يحرك" . — المبدأ هو أول للعلل — بتعريف كلتى المبدأ والعللة يتبدى الكتاب الخامس من كتاب ما بعد الطبيعة . — الحد الأخير — يعنى المحرك الثانوى الذى هو الأقرب الى المتحرك . — الشيء — زدت هذا المضاف اليه ويمكن أن توضع بدله "الظاهرة" .

§ ١٠ — الملاحظة نفسها — النص أشد إبهاما . وبعبارة أخرى "أن لفظ الفاعل يمكن أن يحمل على معنى مزدوج مثل لفظ المحرك" . — الذى أمر به المريض — زدت هذه الكلمات التى ظهر لى أنها ضرورية تمام الفكرة . فان الطبيب هو المحرك الأول والعللة الأولى للشفاء والنبيذ الذى أمر به المريض هو المحرك الثانوى والعللة التبعية للصحة المستردة . — فى الحركة التى يعطيها — هنا رواية أخرى عديمة الأهمية استعجمها بعض الناشرين ولكنها لا تنسوى الرواية التى أثبتناها فى القصة . — تكون هناك ضرورة — راجع نظرية المحرك الأول غير المتحرك فى كتاب الطبيعة ك ٨ ب ٦ و ٧ و ١٥ من ترجمتنا . الحد الأخير — "المحرك الأخير" .

أيضا الحدة الأولى ليس متأثرا ولا قابلا ولكن يلزم أن الحدة الأخيرة، ليتمكن أن يفعل،  
 يفعل أيضا هو ذاته يفعل ما بادئ بدء . كل الأشياء التي ليست من مادة واحدة  
 بعينها تفعل دون أن تقبل هي أعيانها وأن تظل غير قابلة . مثال ذلك صناعة الطب  
 فانها مع فعلها الصحة لا تقبل أى فعل من قبل الجسم الذى تشفيه . ولكن الغذاء  
 مع فعله الصحة يقبل ويلقى هو نفسه أيضا تأثرا ما لأنه إما أن يسخن أو يبرد  
 أو يعانى انفعالا آخر كيفما اتفق فى حين أنه يفعل . ذلك لأنه من جهة الطب هو  
 ها هنا ، بخوما ، كالمبدأ فى حين أن الغذاء ، بنحو آخر ، هو الحدة الأخير الذى يمس  
 العضو الذى يفعل فيه . على ذلك حيث كل الأشياء الفاعلة التي ليس لها صورتها  
 فى المادة تبقى غير قابلة ، وكل التي لها صورتها فى المادة يمكن أن تقبل فعلا ،  
 ونقول أيضا إن المادة هى واحدة على السواء بعينها بالنسبة لأى واحد ما من الحدين  
 المتقابلين ونعتبرها أنها بالنسبة لها جنسهما المشترك . ولكن ما يمكنه أن يصير  
 ساخنا يجب ضرورة أن يسخن حينما الشيء الذى يسخن يكون حاضرا وقريبا منه .

§ ١١ — وفى الفعل أيضا — كما فى الحركة . — الحد الأول — عبارة النص غير محدودة أصلا .  
 ويمكن ترجمتها أيضا "علة الأول" . — ليس متأثرا ولا قابلا — ليس فى النص الا كلمة واحدة . — يمكنه  
 أن يفعل — زدت هذه الكلمات . — بادئ بدء — زدتهما أيضا . — التي ليست من مادة واحدة بعينها — هى  
 والأشياء التي تفعل فيها . — لا تقبل أى فعل — عبارة النص "لا تقبل شيئا" . — يقبل ويلقى —  
 ليس فى النص الا كلمة واحدة . — تأثرا ما — عبارة النص غير محدودة . — يسخن ... يبرد —  
 فى ظاهرة الهضم التي بها الجهاز الهضمي يتنقل . — كالمبدأ — أربو به ما المحرك الأول والمبدئ . — هو الحد  
 الأخير — هنا أيضا ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — التي ليس لها صورتها فى المادة —  
 يعنى التي هى والقابل التي تفعل فيه ليست من مادة واحدة . هذا الأسلوب كثير التكرار عند أرسطو ولكنه  
 هنا غير محل للشك بحسب شرح فيلر بون . فان القرينة تسوغ تفسير الشارح . — يمكن أن تقبل  
 فعلا — فى حين أنها تحدث فعلا فى الشيء الواقع تحت تأثيرها . — من الحدين المتقابلين — أو بعبارة  
 أخرى "بالنسبة للفاعل وبالنسبة للقابل" . — جنسهما المشترك — زدت الكلمة الأخيرة . ر .  
 ما سبق فى الفقرة الخامسة . — الشيء الذى يسخن — عبارة النص غير محدودة . — كالتأثرا —  
 فى أول الفقرة السابقة . — المحرك الأول — يعنى العلة أيا كانت التي هى أول ما يعين الحركة . وأظن

فانظر لماذا أنت بين الأشياء التي تفعل بعضها ، كما قلت آنفا ، هو غير قابل  
والآخر على ضد ذلك يمكن أن يقبل وكيف أن الأمر واحد بعينه بالنسبة للقواهل  
كما هو بالنسبة للحركة ، فإن هناك في الواقع المحرك الأول هو غير متحرك وهنا بين  
القواهل إنما الفاعل الأول هو غير القابل وبمعزل عن كل انفعال . § ١٢ - ولكن  
إذا كان الفاعل حلة كما هي حال المحرك سواء بسواء فمن أين يجرى أن مبدأ الحركة ،  
أي الغاية التي من أجلها يحدث كل الباقي ، لا يحدث هو نفسه فعلا ؟ مثال ذلك الصحة  
ليست فاعلا ولا يمكن تسميتها كذلك إلا بالمجاز المحض . ومنذ يوجد الفاعل ينتج  
منه أن القابل الذي يقبل الفعل يصير شيئا ما ، ولكن متى تكون الكيفيات حاصلة  
تماما وحاضرة فليس للفاعل أن يصير فانه قد كان كل ما يجب أن يكونه . إن  
صور الأشياء وذاياتها يمكن أن يقال إنها كيفيات وعادات في حين أن المادة إنما هي  
التي بما هي مادة قابلة تماما . على هذا حينئذ النار لها حرارتها في المادة وإذا

أنه يلزم أن يخص اسم المحرك الأول بمبدأ الحركة الكلية . فانه لا يراد هنا الحركة جزئية تقوم بها  
محركات عديدة بعضها توابع بعض . — هنا — زدت هذه الكلمة لتكون المقابلة أظهر . — غير  
القابل وبمعزل من كل انفعال — ليس في النص إلا كلمة واحدة .

§ ١٢ — الغاية التي من أجلها يحدث كل الباقي — أو : « اللهم » كما هي عبارة النص . — الصحة  
ليست فاعلا . — لأنها الغاية التي ينشدها الطبيب والمريض . فالطبيب هو المحرك الأول . والأدوية  
التي يأمر بها تفعل تحت أوامره لبلوغ الغاية التي هي الشفاء والصحة . — القابل الذي يقبل الفعل —  
ليس النص على هذه الصراحة . — يصير شيئا ما — يعني يكسب كينا جديدا يعطيه إياه الفعل الواقع  
عليه . — حاصلة تماما وحاضرة — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — كل ما يجب أن يكونه — أضفت  
هذه الكلمات إنما معنى . — صور — أو « أنواع » . فإن صور الأشياء هي طبيعتها الخاصة والنهاي . — كيفيات  
وعادات — في النص كلمة واحدة . — لأن الكيفيات والعادات لما أنها أشياء مكتسبة ودائمة فليست  
محملا للتغير . فإن الشيء هو ما هو . فليس يصير شيئا آخر بأن يكسب كيفية جديدة مخالفة . — قابلة تماما —  
من حيث إنها هي المادة التي تقبل على التعاقب الأضداد التي تتأرب عليها بالدور . — لها حرارتها  
في المادة — التعبير مطلق قليلا على رغم الايضاحات التي تقدمت . — عن مادة النار — أضفت هذه  
الكلمات تكميلا للمعنى . — أن تقبل شيئا ولا أن تنأثر — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — من النار



كانت الحرارة شيئاً ما قابلاً للانفصال عن مادة النار فلا يمكنها أن تقبل شيئاً ولا أن تتأثر . ولكنه محال من غير شك أن الحرارة تكون منفصلة عن النار التي تسخن وإذا كان ثم أشياء منفصلة بهذه المثابة فإن ما قلناه آنفاً لا يكون صادقاً إلا بالنسبة لتلك .

§ ١٣ — وعلى الجملة نقف عند حد الاعتبارات المتقدمة في إيضاح ماهية فعل وانفعل لبنين بأى الأشياء يتعلق أحدهما والآخر بأى طريقة يكون الفعل والانفعال وكيف يكونان .

التي تسخن — أضفت هذه الكلمات . — ما قلناه آنفاً — أو بعبارة أخرى « هذه الأشياء تكون غير قابلة البتة ولا يمكنها أن تخضع لفعل أى كان » . ر . هذه النظرية نظرية الجوهر والصورة في الطبيعة لك ١ ب ٨ ص ٤٧٣ وما بعدها من ترجعتنا .

§ ١٣ — وعلى الجملة — النص ليس صريحاً هكذا . ولكن هذه الفقرة هي في الواقع محصل كل ما سبق . — وبأى طريقة... وكيف — هذا الجزء انطوى من المسئلة سيهاج أيضاً في الباب الذي على طريقة أخمس وأوسع عما هنا .

## الباب الثامن

نقض النظرية التي تخرض أن الفعل والانفعال يحدثان في الجواهر المادية بالمسام — رأى الفلاسفة القدماء — استشهاده من أمبيدقل — لوكيس وديمقريطس هما أقرب إلى الحق — وحدة الوجود محال وكذلك ثباته — جراثيب ضلالات الفلاسفة القدماء — عرض نظرية لوكيس — عرض نظرية أمبيدقل — مواطن الاتفاق والاختلاف بينها وبين نظرية لوكيس — استشهاده من طهاوس أفلاطون — مقارنة بين أفلاطون ولوكيس — اعتراضات على نظرية أفلاطون وعلى نظرية الوحدة ونظرية الذرات — استحالة قبول وجود الذرات وفهم من أين جاءت الحركة — الرزية من خلال الأوساط تصير غير قابلة للإيضاح — خاتمة نقض النظرية التي تفسر بواسطة المسام الفعل والانفعال في الأشياء .

§ ١ — لنعرض مرة أخرى كيف أن ظاهرتي الفعل والانفعال ممكنتان . من الفلاسفة من يرى أنه حينما يعاني شيء أثرا ما على جهة الانفعال ، فذلك أن الفاعل الذي يفعل الأثر نهائيا وبطريق الأصلية ينفذ في ذلك الشيء بواسطة مسام أو قنوات ، يقولون إننا كذلك نرى وإننا نسمع وإننا ندرك جميع الإدراكات الأخرى للحواس . وفوق ذلك إذا أمكن أن ترى الأشياء من خلال الهواء والماء والأجسام الشفافة فذلك بأن هذه الأجسام لها مسام غير مدركة بالبصر لسبب صغرها ولكنها مع ذلك شديدة الانضمام مرصوفة بنظام وترتيب ، وكلما تكون الأجسام أكثر شفافية كان لها من هذه المسام عدد أكثر . § ٢ — وعلى هذا النحو استبان بعض الفلاسفة الأشياء كما فعل أمبيدقل مثلا . ولكن لم تُفصر هذه النظرية على

§ ١ ب ٨ ف ١ — مرة أخرى — ويمكن أيضا ترجمتها : "من جهة نظر أخرى" . — ظاهرتي الفعل والانفعال — ليس النص واضحا هكذا وقد أردت أن أجعله آيئنا خصوصا في ابتداء باب . — من الفلاسفة من — يقصد إلى أمبيدقل كما تدل عليه الفقرة التالية . — يعاني شيء أثرا ما على جهة الانفعال — النص أكثر إيجازا . — نهائيا — راجع ما سبق ب ٧ ف ١٠ و ١١ . — وبطريق الأصلية — لأنه يفعل بتأثير مباشر وبلا واسطة . — مسام أو قنوات — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ندرك ... الإدراكات — تكرار الكلمات هذا في النص . — هذه الأجسام — أو هذه العناصر لأن عبارة النص غير مانعة . — نظام وترتيب — ليس في النص إلا كلمة واحدة .

§ ٢ — كما فعل أمبيدقل مثلا . — وهو الذي يلزم أن ينسب إليه الرأي المروض في الفقرة السابقة دون أن يذكر صاحبه . — على الفعل وعلى الانفعال — عبارة النص بالضبط هي "القاملات

الفعل وعلى الانفعال بل زعم أن الأجسام لا تختلط إلا متى كانت مساهما متناسبة  
المقياس على طريق التكافؤ . وقد اختلط لوكيس وديمقريطس بأحسن من غيرهما  
الطريق الحق وأوضحا كلا بكلمة واحدة بأن صدرا عن نقطة الابتداء الحقيقية التي  
يعينها الطبع وفي الواقع أن بعض القدماء قد ظن أن الموجود هو بالضرورة واحد  
وغير متحرك فعلى رأيهم الخلو لا يوجد . وأنه لا يمكن أن توجد حركة في العالم مادام  
أنه لا يوجد خلو منفصل عن الأشياء . وكانوا يزيدون على ذلك أنه لا يمكن أيضا  
أن يوجد تعدد مادام أنه لا يوجد خلو يقسم الأشياء ويعزلها . على أن دعوى أن  
العالم ليس متصلا لكن الموجودات التي تولفه متماسة مهما كانت منفصلة فذلك  
يرجع إلى القول بأن الموجود متعدد وليس هو واحدا وأن الخلو موجود . وأنه إذا  
كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة في جميع الاتجاهات فمن ثم لا توجد بعد وحدة

والمفصلات " أي الأشياء التي تفصل والتي تقبل الفعل . — متناسبة المقياس على طريق التكافؤ —  
يعنى أن الجسيمين يمكن أن يدخل أحدهما في الآخر بحيث يحصل منهما مزيج حقيق . وقد مثل فيلو بون  
بالنبيذ والماء فإن مساهما متناسبة القياس في رأيه مادام أن هذين السائلين يمتزجان . وعلى ضد ذلك  
مسام النار ومسام الخشب فإنها لما كانت غير متناسبة القياس كانت النار تفسد الخشب ولا تختلط به .  
— بأحسن من غيرهما — استخلص هذا المعنى من شرح فيلو بون . — نقطة الابتداء الحقيقية التي يعينها  
الطبع — ليس النص على هذا الضبط تماما . — بعض القدماء . — يقصد برميند ومدرسة إيليا كما يقول  
فيلو بون . — قبل رأيهم — أضفت هذه العبارة التي مضمونها ممتش مع سياق النص وكل ما هو وارد  
إلى آخر هذه الفقرة خاص برأى برميند ومدرسة إيليا ذلك الرأي الذي هو مبسوط بطريقة قلقة وغامضة .  
راجع مناقشة مشابهة هذه وإطالا للمذهب برميند وميليسوس في الطبيعة ك ١ ب ٢ وما بعده ص ٤٣٣  
من ترجمتنا . — وأنه لا يمكن أن توجد حركة — هذه النظرية على علاقات الخلو والحركة هي منسوبة  
بالصراحة إلى ميليسوس في كتاب الطبيعة ك ٤ ب ٨ ف ٥ ص ١٨٩ من ترجمتنا . — منفصل عن  
الأشياء — أضفت الكلمتين الأخيرتين . — وكانوا يزيدون على ذلك — هذه الكلمات ليست  
صراحة في النص ولكن هذا المعنى يفهم من سياق الجملة . — أنه لا يوجد خلو — ليس النص على هذه  
الصراحة . — يقسم ... ويعزلها — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ليس متصلا —  
وراحدا كما كانت ترجمه مدرسة إيليا . — مهما كانت منفصلة — ليس النص على هذا الوضوح . — إذا

لاى ما كان بحيث إنه لا يوجد أيضا تعدد . وأن الكل هو خلوكه ، يقولون ، إنه إذا فرض أن العالم شطره على نحو وشطره على آخر فذلك إيضاح أشبه ما يكون بفرض مجازف فيه لأنه حينئذ إلى أى نقطة ولماذا الجزء الفلانى من العالم يكون كذلك ومليئا في حين أن الجزء الفلانى الآخر مقسوم ؟ وبهذه الطريقة يوصل أيضا على رأيهم إلى تأييد أنه بالضرورة لا يوجد حركة في العالم .

§ ٣ — بالصدور عن هذه النظريات وبمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها بحجة أنه ينبغي اتباع العقل فقط انتهى بعض الفلاسفة إلى التصديق بأن العالم واحد غير متحرك وغير متناه لأنه إن لم يكن كذلك فإن الحد بحسبهم لا يمكن إلا أن يحاذي الخلو .

§ ٤ — تلك هي إذا نظريات هؤلاء الفلاسفة وتلك هي الأسباب التي دفعتهم إلى فهم الحق على هذا النحو ، ولا شك في أنه إذا استمسك بالتداليل العقلية المفضة فذلك يشبه أن يكون مقبولا ولكن إذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية

كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة — وإذا يؤول أمره إلى لاشئ بالقسمة قسمها التي ذهب بها إلى اللانهاية . — فن ثم لا توجد بعد وحدة لأى ما كان — أو بعبارة أخرى وحدة الأشخاص تنعدم مع الأشخاص أعيانها ولما أنه لا يوجد بعد من ثم تعدد ممكن فالكل يكون خلو . — شطره على نحو . — معنى أن الاتصال يكون في شطر العالم والخلو في الشطر الآخر . — يقولون — أضفت هذه الكلمة للدلالة على أن ذلك بقية معارضات برميند وأصحابه . — على رأيهم — أضفتها لفرض المتقدم . — لا يوجد حركة في العالم — وهذا هو المبدأ الأساسى لمدرسة إيليا وهو أن الموجود واحد وغير متحرك . راجع فقص هذه النظرية في الطبعة ك ١ ب ٢ وما يليه ص ٤٣٣ من ترجمتنا .

§ ٣ — بمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها — يلزم الانتباه إلى هذه العبارات الشديدة التي توصي بقوة بالتخاذ نهج الملاحظة دون النظريات المنطقية المفضة . راجع أيضا الفقرة السابقة . — بعض الفلاسفة — برميند وعلى العموم مدرسة إيليا . — إن لم يكن كذلك... بحسبهم — أضفت هذه الكلمات التي ظهرت لي أنها ضرورية لبيان الفكرة . ومع ذلك فإن الفقرة لا تزال غامضة ولم أرفلوا بون يفسرها في ممرحه لأنه بلا شك لم يكن ليبدفها أدنى صعوبة .

§ ٤ — الحق — ربما كان أحسن أن يقال " الحقيقة " . — التداليل العقلية المفضة — ليس النص على هذا القدر من التأكيد . — فذلك يشبه أن يكون مقبولا — أو أيضا : " أن الأشياء تشبه أن تمضى على هذا الوجه " . — إذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية — راجع مقدمتى لكتاب المينور ولويجيا على نمط



فيوشك أن يكون من الجنون تأييد آراء كهذه . لأنه لا يوجد مجنون ذهب إلى هذه النقطة من الضلال أن يجد أن النار والتنج هما شيء واحد بعينه . ولكن خلط الأشياء الجميلة لذاتها بالتي لا تظهر لنا كذلك إلا بالاستعمال من غير أن يرى فيها مع ذلك أى فرق ما بينها، ذلك لا يمكن أن يكون إلا نتيجة لثبته حقيقى للعقل .

§ ٥ - فأما لوكيس فإنه كاتب يظنه محيطا علما بالنظريات التى ، مع كونها متفقة مع الحوادث الواقعية المدركة بالحواس ، لم تكن ، بحسب مذهبه ، لتعرض للكون ولا للفساد ولا للحركة ولا للتعدد في الموجودات . ولكن بعد هذا التسامح الذى أسداه إلى حقيقة الظواهر قد أسدى غيره إلى أولئك الذين يقبلون وحدة الموجود بحجة أنه لا يوجد حركة ممكنة بدون الخلو . ويقبل القول بأن الخلو هو اللاموجود وأن اللا موجود ليس هو شيئا مما هو موجود . وإذا ، على رأيه ، الموجود بالمعنى الخاص هو متعدد للغاية ، والموجود على هذا المعنى لا يمكن أن يكون

المشاهدة عند القدماء وعلى الأخص عند أرسطو ص ٤٦ وما بعدها . — يوشك أن يكون من الجنون . — من الصعب أن تعاب نظريات مدرسة إيليا العقلية المحضة بأكثر من هذه الشدة . — الأشياء الجميلة لذاتها . — هذه النقطة لم يشرحها أيضا فيلويون وفيها غفاء . فإن كلمة النص التى ترجمتها "الجميلة لذاتها" فيها إيهام وهى تدل على الأشياء الطيبة كما تدل على الجميلة . وقد يكون المعنى أن أرسطو يعيب على مدرسة إيليا أنها تفسد قاعدة الأخلاق بخلطها بين الخير والشر . وهذا المعنى هو الذى ارتأه بعض الشراح المتأخرين .

§ ٥ - فأما لوكيس — راجع عن آراء لوكيس وديمقريطس فى انظر كتاب الطبيعة ك ٤ ب ٨ ف ٣ وما بعدها ص ١٨٧ من ترجمتنا . ومع ذلك فإن أرسطو يبين عليه هنا شدة الاهتمام بلوكيس أكثر منه فى كتاب الطبيعة حيث يقول عنه من أساذة "إنهما لم يظنا حجة المصلحة" . — بحسب مذهبه — زدت هذه العبارة لإتمام الفكرة . — ولا للحركة ولا للتعدد — وبالجمل كل ما تشهد لنا الحواس بأنها حقائق بعين . — الذى أسداه إلى حقيقة الظواهر — ليس النص على هذه الصراحة . — اللاموجود ليس هو شيئا مما هو موجود — يظهر أن هذا هو تكرير محض ولكنه وارد فى النص . — على رأيه — أضفت هاتين الكلمتين . — متعدد للغاية — أظن أن هذا هو الرواية الحققة وهى متفقة مع سبك النص فى بعض

واحدًا . وعلى العكس أن هذه العناصر تكون غير متناهية في العدد وتكون فقط غير مرئية بسبب لطافة حجمها للغاية . ويزيد على ذلك لو كيبس أن هذه الجزئيات تتحرك في الخلو، لأنه يقبل الخلو، وأنها باجتماعها تسبب كون الأشياء وبانحلالها تسبب فسادها، وأن الأشياء تفعل أو تتفعل تبعاً لما أنها تنماس على طريق التكافؤ وأنها على ذلك ليست هي شيئاً واحداً بعينه ، وأنها بتزكيها واشتباكها بعضها ببعض تكون العالم كله . ويستنتج لو كيبس من هذا أن التعدد لم يكن ليخرج البتة من الوحدة الحقة كما أن الوحدة لا يمكن أن تأتي أيضاً من التعدد الحق وأن كل هذا هو محال على الإطلاق من جهة ومن أخرى . وأخيراً كما أن أمبيدقل وبعض الفلاسفة الآخرين يزعمون أن في الأشياء الفعل الذي قبله وتعانيه هو يحصل فيها بواسطة المسام فكذلك يرى لو كيبس أيضاً أن كل استحالة للأشياء وكل انفعال لها إنما يحصل على هذا النحو نفسه وأن الانحلال والفساد يكونان بواسطة الخلو، والنمو حاصل كذلك بواسطة الجزئيات الجامدة التي تدخل في الأشياء .

٦ ٥ . — وأما أمبيدقل فينبغي ضرورة أن يقول قول لو كيبس تقريباً لأنه يقول بأنه يجب أن يوجد جزئيات جامدة وغير قابلة للتجزئة إذا كانت المسام ليست متصلة مطلقاً . ولما أن هذا الاتصال للمسام محال لأنه حينئذ لا يمكن وجود شيء

النسخ "ملء للغاية . ملء بانتمام" وليس بين الروايتين إلا تغيير حرف واحد . — هذه العناصر — التزمت هنا أن أوضح التعبير الذي جعله النص غير محدد . — لطافة حجمها للغاية — تلك هي الذرات المقبولة أيضاً عند ديمقريطس استاذ لو كيبس . — ويزيد على ذلك لو كيبس — ليس النص على هذا الضبط . ولكن المعنى الذي أعطيه يستفاد من أسلوب الجملة الإغريقية نفسها . — شيئاً واحداً بعينه — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — العالم كله — أضفت هذه العبارة لكيلا أكرر ما قبل آنفاً . — ويستنتج لو كيبس من هذا — ليس النص على هذه الصراحة . — الذي قبله وتعانيه — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — بواسطة المسام — ر . ماسبق ف ١ . — بواسطة الخلو — تكرر لما قبل آنفاً في هذه الفقرة نفسها . — التي تدخل — أو التي "تخرج" .

٦ ٥ . — وأما أمبيدقل — ر . ماسبق ف ٢ حيث يظهر أن أمبيدقل أنزل من أجل هذه النظرية في منزلة أدنى من ديمقريطس ولو كيبس . — جزئيات جامدة . غير قابلة للتجزئة . وفي هذا المعنى يقرب أمبيدقل من مذهب الذرات . — ليست متصلة مطلقاً . يعني تلامس مباشرة بعضها بعضاً . ولكن فكرة المسام عليها تستلزم ضرورة

جامد، إلا أن يكون هو المسام، والكل بلا استثناء لا يكون بعد إلا خلوا، فيثبت  
يلزم على رأى أميدقل أن البلزيمات التي تتماس تكون غير قابلة للتجزئة وأن المسافات  
وحدها التي تفصلها تكون خلوات، وهذا هو ما يسميه المسام. وهذه الآراء  
هي أيضا آراء لوكيس في الفعل والافعال في الأشياء.

§ ٧ — تلك هي الايضاحات التي أعطوها عن الوجه الذي تكون به الأشياء  
تارة فاعلة وتارة منفعة. وحيث يرى مبلغ ما عليه في الحقيقة هؤلاء الفلاسفة  
وكيف يعبرون آراءهم في هذا الصدد مؤيدين مذاهب تكاد تكون مطابقة للحوادث.  
§ ٨ — ولكن في نظريات فلاسفة آخرين كأمدقل يلمح، بجلاء أقل،  
كيف يدرك صكون الأشياء وفسادها واستحالتها والطريقة التي بها تقع هذه  
الظواهر. فعلى رأى البعض أن العناصر الأولية للأجسام هي غير قابلة للتجزئة  
ولا تختلف بينها إلا بالصور، ومن هذه العناصر تتركب الأجسام في البداية وإليها  
تتحلل في النهاية. ولكن من جهة أميدقل فقد يرى على كفاية الوضوح أنه  
يبلغ بكون الأشياء وفسادها إلى العناصر أنفسها. على أنه كيف يمكن أن يكون  
وأن يفسد العظم المثلث لهذه العناصر؟ هذا هو ما ليس يتنا البتة في مذهبه. بل

حواجز جامدة تفصلها وتغزلها بعضها عن بعض. — هذا الاتصال للمسام — النص ليس على هذا القدر  
من الصراحة وعبارته غير محددة. ولكن المعنى مع ذلك لا يمكن أن يكون محلا للشك. — إلا أن يكون  
هو المسام — وربما كان أحسن «بجانب المسام». — على رأى أميدقل — زدت هذه الكلمات.  
— التي تتماس — وتكون بنوع ما حواجز للمسام. — وهذا — هذه الكلمة ليست في النص ولكن ظهرت  
لي مفيدة في اتمام الفكرة. — هي أيضا آراء لوكيس — نتيجة وتكرير لما قيل في أول هذه الفقرة.  
§ ٧ — تارة فاعلة وتارة منفعة — أو أيضا «تفعل وتنفعل». — هؤلاء الفلاسفة — هذا ينطبق  
بالأخص على لوكيس وديمقريطس. — تكاد تكون مطابقة للحوادث — ر. ما سبق ف ٤.  
§ ٨ — كأمدقل — هذا يشبه أنه يناقض لما قيل في ف ٦ حيث آراء أميدقل معتبرة لصيقة  
بآراء لوكيس التي ووفق عليها. — فعل رأى البعض — يعنى الفلاسفة الآخرون ما هذا أميدقل.  
— غير قابلة للتجزئة — هي الجواهر الفردة. — تتركب الأجسام في البداية — تكرير لما سبق.  
— العظم — مهما كان. يعنى غير متناهي الصغر ما دام الأمر خاصا بالذرات. — أن التار ذاتها



زيادة على ذلك أن هذا ما لا يستطيع تبيانه ما دام أنه ينكر أن النار ذاتها  
عنصر كما ينكر أيضا على السواء وجود جميع العناصر الأخرى . وقد أيد أفلاطون  
النظرية فيها في طيماوس لأنه فضلا على أن أفلاطون يعبر في هذه النقطة مثل  
لو كيبس فإن أحدهما يقبل أن التي لا تتجزأ هي جوامد والآخر أنها ليست إلا  
سطوحا ، وأن أحدهما يقرر أن جميع الجوامد التي لا تتجزأ هي محدودة بأشكال  
عددها غير متناه والآخر أن لها أشكالا متناهية ومضبوطة . والنقطة الواحدة التي  
فيها يتفق الاثنان جميعا أنهما يقبلان وجود التي لا تتجزأ وتحديدتها بأشكال .

٩٩ — إذا كان حقاً أن من ذلك في الواقع تأتي أكوان الأشياء وفساداتها فمن  
ثم يوجد عند لو كيبس لأدراكها طريقتان الخلو والتماس . وعلى هذا النحو ، على  
رأيه ، أن كل شيء قد يكون ممتيزاً ومنقسماً . ولكن عند أفلاطون الأمر على الضد  
ليس إلا التماس وحده مادام أنه يرفض وجود الخلو . وقد تكلمنا في بحوثنا السابقة  
على مذهب السطوح التي لا تتجزأ ، وأما الجوامد التي لا تتجزأ فليس ها هنا محل  
لفحص أطول من ذلك عن نتائج هذه النظرية التي ندعها الآن إلى جانب .

عنصر — ر . فيما سبقت ك ٢ ب ٣ ف ٩ رأى أسيدقل في النار التي هي على رأيه خليط وبالنتيجة ليست  
عنصراً حقيقياً . — وقد أيد أفلاطون النظرية فيها — النص أقل صراحة . — في طيماوس — ر .  
ترجمة كوزان ص ١٦١ و ١٦٧ وما بعدها . — إلا سطوحا — ربما لم يقل أفلاطون ذلك  
صراحة . ولكن هذا هو النتيجة الضرورية لنظريته . — متناهية ومضبوطة — ليس في النص إلا كلمة  
واحدة . — والنقطة الواحدة التي فيها يتفق الاثنان — ليس النص على هذه الصراحة . — وجود التي  
لا تتجزأ — لا يظهر أن أفلاطون يقبل مذهب الجواهر الفردة تماماً على النحو الذي يظهر أن أرسطو يقوله هنا .  
٩٩ — فساداتها — أو "انفصالاتها" وكلمة النص ليست أكثر من ذلك ضبطاً . — على رأيه — زدت  
هذه العبارة . — قد يكون ممتيزاً ومنقسماً — وضعت هاتين الكلمتين لأوفى قوة كلمة النص الواحدة .  
— إلا التماس وحده — يعني أن السطوح يتلامسها تنتهي بأن تركيب الأجسام . ولا أدري هل هذا  
هو في الحق معنى نظرية أفلاطون . — في بحوثنا السابقة — ر . كتاب السماء ك ٣ ب ١ ف ١٤ ونصوصها  
ب ٧ و ٨ حيث نظرية أفلاطون منقوضة بالتطويل . — السطوح التي لا تتجزأ — هذا هو مذهب  
أفلاطون . — أما الجوامد التي لا تتجزأ — هذا هو مذهب الجواهر الفردة الذي هو مذهب لو كيبس  
وديمقريطس . — نتائج هذه النظرية — ليس النص بهذا هكذا .



١٠ § — ولكن إذا نحن استطرنا بعض الشيء نقول إنه ضرورة في هذه المذاهب كل ما لا يقجزاً فهو يجب أن يكون غير منفصل لأنه لا يمكن أن يكون منفصلاً وقابلاً أي فعل ما إلا بالخلق الذي هو غير مقبول عندهم ، وهو كذلك لا يمكنه أن يحدث أي فعل ما في أي شيء اتفق ما دام أنه لا يمكن أن يكون لا صلباً ولا بارداً مثلاً ، وفي الخلق أنه من السخف الاقتصار على تخصيص الحرارة بالشكل الكرى وحده فقط لأنه من ثم يكون بالضرورة الكيف المضاد ، أعني البرودة ، يتعلق بشكل آخر غير الكرة . ولكن إذا كان هذان الكيفان يوجدان في الأشياء ، أعني الحرارة والبرودة ، فيكون من السخف الاعتقاد بأن الخفة والثقل والصلابة والرخاوة لا يمكن أن تكون فيها أيضاً . وإني أعترف بأن ديمقريطس يزعم أن كل ما لا يقجزاً يمكن أن يكون أكثر ثقلاً إذا كان أكبر حجماً بحيث إنه ، بالبين بذاته أيضاً ، يمكن أن يكون أكثر حرارة .

١١ § — ولكنه من المحال ، متى كان الأمر على ما يقال ، أن تلك التي لا تقجزاً لا تقبل تأثيراً ما بعضها من قبل البعض الآخر ، وأن ما هو متوسط الحرارة مثلاً لا يقبل تأثيراً من قبل ما له حرارة أكثر منه للغاية . ولكن إذا كان الصلب

١٠ § — في هذه المذاهب — . أضفت هذه الكلمات التي ظهرت لي ضرورة لاتمام الفكرة والتي يجهزها تفسير فيلوبون . — الذي هو غير مقبول عندهم — أضفتها للسبب المتقدم . — من السخف — هذا التعبير القاسي قد كرر عدة مرات في هذه الفقرة ولكنه وارد في النص كما هو في الترجمة . — الشكل الكرى وحده فقط . — ر . طيافوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٥٣ و ١٦٧ وما بعدها . وربما لا تكون عبارة طيافوس من التأكيد على ما يزعم أرسطو . — إذا كان أكبر حجماً — النص هنا بين الدقة لمساواة من الابهام . ويظهر مع ذلك أن كل الذرات قد يجب أن تكون متساوية بينها وأن إحداها لا ينبغي أن تكون أكثر ثقلاً من الأخرى .

١١ § — على ما يقال — النص أقل بيانا . — لا تقبل تأثيراً — أولاً تنفصل . — ما هو متوسط الحرارة — هذا هو الواقع المعلوم الذي هو توازن الحرارة . فان شيئين غير متساويين الحرارة يصيران متساويين بأن يفصل أحدهما في الآخر . — ولكن إذا كان الصلب يقبل — ليس النص على

يقبل تأثيرا فالرخو أيضا يجب أن يقبل تأثيرا لأنه لا يقال على شيء إنه رخو إلا مع الاستحضار الذهني لفعل يمكنه احتمال ما دام الجسم الرخو هو بالضبط هذا الذي يطاوع الضغط بسهولة .

§ ١٢ — ومع ذلك ليس أقل مخففا ألا يقبل في الأشياء مطلقا شيء إلا الصورة وإذا تقبل الصورة فمن السخف ألا يفترض فيها إلا واحدة إما مثلا البرودة وإما الحرارة لأنه لا يمكن أن يوجد طبع واحد بعينه لهاتين الظاهرتين المتقابلتين .

§ ١٣ — وفي الحق أن من المحال أيضا على سواء أن يفترض أن الموجود مع بقائه واحدا يمكن أن تكون له عدة صور لأنه بما هو لا يقجزأ قد يعاني تغيره المختلفة في النقطة حينها . وبالنسبة فعبثا ينفل ، فيبرد مثلا ، وبهذا عينه يحدث أيضا فعلا آخر أو بل يقبل أي تأثير آخر اتفاق .

§ ١٤ — يمكن استخدام هذه التنبيهات أنفسها بالنسبة لجميع التغيرات الأخرى لأنه سواء قبل القول بمواد لا تقجزأ أو قبل القول بسطوح لا تقجزأ فالنتائج تكون

هذه السعة . — يطاوع الضغط بسهولة — ر . المتوردين لوجيا ك ٤ ب ٤ ف ٦ وما بعدها ص ٢٩٨ من ترجمتي .

§ ١٢ — ومع ذلك ليس أقل مخففا — هذا الانتقاد موجه على الأصح بغير شك إلى أفلاطون . — الصورة — هذا التعبير يحول عنا على معنى مهم ما دامت القرينة تبين أن معنى الصورة أيضا الخاصة . وفي الواقع أن الحار والبارد خاصيتان وليستا صورتين بالمعنى الخاص . — لهاتين الظاهرتين المتقابلتين — أضفت الكلمة الأخيرة .

§ ١٣ — مع بقائه واحدا — ليس النص على هذه الصراحة . — تغيره المختلفة — زدت الكلمة الأخيرة . — في النقطة عينها — الكلمة التي استعملت في النص غير محددة فاضطرت إلى زيادة الضبط . — يحدث أيضا فعلا آخر — المعنى ليس جليا وكان ينبغي توسعا في التعبير . — أي تأثير آخر انفصل — هنا أيضا ترجمتي أكثر ضبطا من النص .

§ ١٤ — بمواد لا تقجزأ — هذا هو مذهب لوكيس وديمقريطس . — بسطوح لا تقجزأ — هذا هو مذهب أفلاطون . ر . ما سبق ف ٩ . — أن اللا متجزئة — عبارة النص ليست محدودة تماما — في اللا متجزئة — هذه هي عبارة النص حينها .

هي نفسها ما دام ليس ممكناً أن اللا متجزئة تكون تارة أكثر تفرعاً وتارة أكثر كثافة إذا لم يوجد خلو في اللا متجزئة .

§ ١٥ — وكذلك من السخف على السواء تماماً افتراض أن أجساماً صغاراً هي غير قابلة للتجزئة وأن أجساماً كباراً لا تكونه . ففي الحالة الحاضرة للأشياء يفهم العقل في الواقع أن الأجسام الكبرى يمكن أن تنقسمت بأهل جداً من الصغرى مادام أنها تظل بدون عناء لأنها كبيرة وأنها تلامس وتتصادم في كثير من النقط . ولكن لما إذا اللا متجزئة قد توجد مطلقاً في صغار الأجسام بالأولى من أن توجد في الكبار ؟ .

§ ١٦ — وفوق ذلك كل هذه الجوامد هل هي من طبع واحد بعينه أم هل هي تختلف بعضها عن بعض بما أن بعضها من النار والآخرون من الأرض بحسب كثافتها ؟ فإذا لم يكن إلا طبع واحد بعينه لجميعها فماذا عسى أن تكون العلة التي قسمتها ؟ بل لماذا يتماسكها لا يجتمع كلها بالتماس في كتلة واحدة بعينها كالماء حينما يلامس الماء ؟ فان الماء الأخير المضاعف لا يختلف في شيء عن الماء الذي كان يتقدمه .

§ ١٥ — أجساماً صغاراً — الجواهر الفردة مفروضة أنها على نهاية ما يمكن من الدقة بحيث تعزب عن مشاهدتنا . وقد استنتج أنها غير قابلة للقسم لأنها أصغر من أن تقسم . — ففي الحالة الحاضرة للأشياء — عبارة النص هي : « الآت » . — تظل — قد يكون أولى « قبيراً » . — وأنها تلامس وتتصادم في كثير من النقط — ليس في النص الكلمة واحدة . — مطلقاً — ليس في النص الإهريق هذه الكلمة وحدها والتعبير أوجز مما ينبغي وكان يلزم التوسع فيه لحل المعنى أين من ذلك . فإذا كانت الجواهر الفردة غير قابلة للتجزئة بطبيعتها فصغرها وكبرها لا دخل له فسواء كانت كبيرة أم صغيرة فإنها تظل غير قابلة للتجزئة وعلى ما جعلها الطبع .

§ ١٦ — وفوق ذلك — رد آخر بعد الردود السابقة . — كل هذه الجوامد — المنبئة أنها جواهر فردة أو ذرات غير قابلة للقسم . — بما أن بعضها من النار — على حسب ما يظهر أنه ينتج على الخصوص من النظريات المقررة في طيولس . — التي قسمتها — أو « فصلت بعضها عن بعض » . وهنا القصة أو الفصل يشبه أنها ترجع أيضاً إلى مجرد عدم المشابهة . — بتماسكها — أو « بعد أن تلامست على طريق التبادل » . — في كتلة واحدة بعينها — عبارة النص غير محددة . — كالماء — المائل على الأقل واضح جداً لأن الماء ينضم



ولكن إذا كانت هذه التي لا تجزأ يختلف بعضها عن بعض لحيث ما إذا تكون؟  
يقين بذاته أنه يلزم التسليم أن هذه هي مبادئ الفلواهر وعللها أولى من أن تكون  
مجرد أشكال لها . ومن جهة أخرى إذا قيل إنها مختلفة الطبع لحيث يمكنها  
بتلاسمها المتبادل أن تفعل أو تفعل بعضها بالآخر .

§ ١٧ — أكثر من ذلك ، ما إذا سيكون المحرك الذي يقعها في الحركة ؟ إذا كان  
هذا المحرك مخالفا لما لحيث يكون ما لا يجزأ قابلا . وإذا كان كل ما لا يجزأ  
يحرك نفسه فاما أن يصير قابلا للتجزئة بما هو محرك في جزء ومحرك في جزء آخر  
وأما أن يجتمع النقيضان في الشيء بعينه معا ، وحيث تكون المادة واحدة لا بالعدد  
فقط بل بالقوة أيضا .

إلى الماء بلا أدنى ماء . وإن الذرات يجب أن تجتمع بعضها مع بعض على هذا النحو بسبب تماثلها  
الطبيعي . — الماء الأخير — هذه هي عبارة النص بعينها . — المضاف — هذه الكلمة ليست في النص .  
— لحيث ما إذا تكون ؟ — هذا سؤال موجه إلى مذهب أفلاطون ومذهب لوكيس الذي يريد أرسطو  
بلا شك أن يعيب عليه أنه لم يلج في هذه النقطة كقدر الكفاية . — مجرد أشكال لها — المسلم بها في نظريات  
أفلاطون ونظريات لوكيس . — إذا قيل — ليس النص على هذه الصراحة . — تفعل أو تفعل —  
في حين أنه في المذاهب التي يطن فيها أرسطو تعتبر الجواهر الفردة غير قابلة للافعال . ر .  
ما سبق ف ١٠

§ ١٧§ — ما إذا سيكون المحرك الذي يقعها في الحركة ؟ — ليس النص على هذه السعة . — مخالفا لها —  
بني أجنبيا منها وخارجا عنها . — ما لا يجزأ قابلا — وهو في النص أيضا بصفة المفرد ولكن الجمع ربما  
كانت أولى ، أدام المقصود هو الجواهر الفردة . — فان ما لا يجزأ يصير قابلا بما هو قبل وبما في  
الحركة التي يوصلها إليه المحرك . — إذا كان كل ما لا يجزأ يحرك نفسه — من غير أن يخلق الحركة  
من الخارج . — محرك في جزء ومحرك في جزء آخر — قد وضع في "الطبيعة" أن المحرك الذي يخلق الحركة  
الذاتية لنفسه يجب أن يفهم على أن له جزأين أحدهما يخلق الحركة التي يعطيها له الآخر ، مع أنه يبقى بكنه  
غير متحرك . — الطبيعة ك ٨ ب ٦ ف ٥ ص ٦٠١ من ترجمتنا . — في الشيء بعينه — وهو محال لأن  
الضدين لا يجتمعان في آن واحد في شيء واحد بل يجب أن يتماثلا عليه . — بالعدد — أو بالشمس .  
— بل بالقوة أيضا — يعني أنها يمكن أن تفعل بالضدين معا . وكلمة بالقوة هنا ليس لها معناها المادي .



§ ١٨ — وحينئذ هؤلاء الذين يزعمون أن التغيرات التي تقبلها الأجسام تكون بحركة المسام يجب عليهم أن ينتبهوا، لأنهم إذا سلموا بأن الظاهرة تقع حتى لو كانت المسام مليئة لاستعاروا حينئذ للمسام وظيفة غير مفيدة قطعاً مادام أنه إذا انفصل الجسم في هذه الحالة بالطريقة عينها يمكن افتراض أنه ، بدون أن يكون له مسام وبما هو نفسه متصل ، قد يمكنه أيضاً أن يقبل بالتمام كل ما يقبل .

§ ١٩ — ولكن كيف يمكن أن يحصل النظر بالطريقة التي يفسرها في هذا المذهب؟ ليس أكثر إمكاناً في الواقع أن يمر بالتقاسات من خلال الأشياء الشفافة منه في خلال المسام إذا كانت المسام كلها مليئة . فإين يكون الفرق إذاً بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة ما دام أن الكل سيكون مليئاً على السواء ؟ بل إذا كانت هذه المسام ذواتها مفترضة خالية وإذا كان فيها أجسام فحينئذ تعود الصعوبات أنفسها . ولكن إذا افترض أن المسام ذوات امتدادات صغيرة بحيث لا تستطيع بعد أن تقبل أي جسم اتفق فإن من سفه الرأي أن يتصور أن الصغير

§ ١٨ — يجب عليهم أن ينتبهوا — ليس النص على هذا القدر من الضبط فظننت واجباً على أن أقدم الجملة والفكرة لأجعلها أكثر بَيَاناً . — حتى لو كانت المسام مليئة — أو "مملوءة" بالمعاد التي يمكن أن يجازها لتفعل في الأجسام وتغيرها بأية طريقة كانت . — أقبل... بالطريقة عينها — وبما في الفعل الذي قد يمانيه بدون أن يكون له مسام أو إذا كانت المسام خالية . — كل ما يقبل — أضفنا هذه الكلمات .

§ ١٩ — النظر — من خلال الأوساط كما قبل آخراً "من خلال الأجسام الشفافة" التي هي مفترضة ذرات دسام يمر منها الضوء . — بالاحتاجات — حفظت عبارة النص على حالها مع كونها غامضة . ولم يك فرج فيلويون ليزيل هذا الغموض . ولقد ينبغي أن يفهم أن الضوء إنما يلامس سطوح الأجسام الشفافة وينفذ فيها هكذا . — إذا كانت المسام كلها مليئة — بجسم يكون الضوء مضطراً لطرده أمامه لئلا يمكنه ويجتاز الجسم الشفاف . — بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة . — ليس في النص هذا التردد الذي ظهر لي ضرورياً لتبيين الفكرة . — مادام أن الكل سيكون مليئاً على السواء ؟ — إما باتصال الجسم نفسه وإما بامتلاء المسام . — هذه المسام — النص غير محدود تماماً . — الصعوبات أختصها — التي جئ على بيانها . ويقال في الجزئيات الموجودة في المسام ما كان يقال أولاً في المسام أنفسها . — أن الصغير خال — حفظت بناء جملة النص على ما هو عليه . والمراد بالصغير ههنا الجسم القليل الامتداد . — أن الخطر

خال وأن الكبير ليس كذلك مهما كانت سعته وأن يُمكننى بالاعتقاد إلى أن المخلو هو شيء آخر غير مكان الجسم بحيث إنه ، كما هو بين بذاته ، يلزم أن يكون المخلو دائماً على مقدار مساو للجسم نفسه .

٢٠ § — وعلى جملة من القول فانه غير مفيد افتراض مسام . فإذا كان جسم لا يفعل في آخر بمسسه فلن يفعل أيضاً بأن يخرق مسام . وإذا كان إنما يفعل بالمس فينبذ ، حتى بدون مسام ، تفعل الأجسام أو تقبل الفعل كلما وضعها الطبع أحدها تلقاء الآخر في علاقة من هذا القبيل .

٢١ § — والحاصل أنه يرى من كل ما تقدم أن تصور مسام على الوجه الذى فهمها به بعض الفلاسفة إنما هو خطأ كامل أو فرض باطل . فإما الأجسام بما هي قابلة للتجزئة مطلقاً في كل جهة فن السخرية افتراض مسام مادام أن الأجسام بما هي قابلة للتجزئة يمكنها دائماً أن تنفصل .

هو شيء آخر غير مكان الجسم — الفكرة غامضة قليلاً ولم أجده في شرح فيلويون شيئاً يوضحها على قدر الكفاية .

٢٠ § — وعلى جملة من القول — هذا هو محصل المناقشة السابقة . وقد استنتج أرسطو أن نظرية الفعل والاقبال لا حاجة بها إلى فرض المسام الذى تخيله بعض الفلاسفة . — في آخر — أضفت هاتين الكلمتين . — وإذا كان إنما يفعل بالمس — يعنى بأن يلمس مباشرة الشيء الذى يقع عليه فعله . — كلما وضعها الطبع — ليس النص على هذا القدر من الضبط .

٢١ § — إنما هو خطأ — ملخص كل هذه المناقشة . — قابلة للتجزئة مطلقاً في كل جهة — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — أن تنفصل — وتعمل لأنفسها مسام كما فسره فيلويون .

## الباب التاسع

تفاصيل جديدة على نظرية كون الأشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة — الأفعال التي تحصل عند التماس وعلى بعد — توضيح ديمقريطس غير الكافي — تحول أشكال الأجسام اذ تتغير بالحال دون أن تتغير بالمكان — خاتمة نظرية الفعل والاقعال .

§ ١ — أما نحن فانتا صاعدين الى المبدأ الذي طالما قررناه نعيد إيضاح الطريقة التي بها الكون والفعل والاقعال تقع في الأجسام . في الواقع إذا كان شيء له الخاصية الفلانية تارة بالقوة المحضة وتارة بالفعل وبالكال وإذا كان يمكنه بالطبع أن يتفعل في واحد معين من أجزائه ولا يتفعل في الآخر ولكن في مجموعته يتفعل بنسبة ما له من هذه الخاصية ، فمن البين أنه سيتفعل أكثر أو أقل تبعاً لما أن هذه الخاصية فيه أكثر شدة أو أقل . على هذا الوجه على الأخص قد يمكن بأكثر سهولة التسليم بوجود المسام ، وتكون حالها على ذلك في الأجسام كما هو الحال في المعادن تمتد أحيانا عروق متصلة من المادة القابلة لانفعال ما .

§ ٢ — على ذلك كلما كان الشيء متجانساً وكان واحداً كان غير قابل . ويجري هذا المجري أيضاً متى كانت الأشياء لا تتلامس بينها أو لا تلامس أجزائها يمكنها

§ ب ٩ ف ١ — المبدأ الذي طالما قررناه — وهو التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل كما سيرد في السطور الآتية . — بالقوة المحضة — أضفت كلمة « المحضة » . — بالفعل وبالكال — ليس في النص الا كلمة واحدة . فان التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل هو أحد المبادئ الأساسية للمذهب المشائين . ولكن قد يرى أن تطبيقه هنا ليس واضحاً جداً بل ولا تاماً جداً لا يوضح نظرية المسام . — وإذا كان يمكنه بالطبع ... — قد تركت الجملة اليونانية طولها كله ليجلاً غير تأليفها في النص . — قد يمكن بأكثر سهولة التسليم — عبارة النص ليست على هذا القدر من البيان ولو أن عبارتي في الترجمة ليست على ما كنت أريد أن تكون من البلاء . — وتكون حالها على ذلك في الأجسام — في الحق أنها لا تكون بعد مسام بل تكون فقط بعض أجزاء من مادة الجسم أكثر قابلية من غيرها لقبول الأثر الفلاني أو الفلاني . — كما هو الحال في المعادن — المشاهدة مع ذلك حقة . وليس ولا واحد الا شاهدها . — القابلة لانفعال ما — ليس النص على هذا القدر من البيان .

§ ٢ — كلما كان الشيء متجانساً وكان واحداً — أو بعبارة أخرى ألا يكون مشجعاً الشرائط المظلمة ليضعل أو يحدث فعلاً مادام أن الشيء لا يمكن أن يفعل في نفسه وكان الشيء لا يفعل في الشيء ولا يقبل



بطبيعتها أن تفعل أو تنفعل أعني مثلاً أنه ليس فقط النار تسخن بالتماس ولكنها تسخن أيضاً على مسافة لأن النار تسخن الهواء والهواء يسخن الجسم لأن الهواء بطبيعته يمكنه أن يفعل وينفعل معا .

٣٩ — ولكن متى يقال إن شيئاً يمكن أن ينفعل في واحد من أجزائه ويمكنه ألا ينفعل في آخر فينبغي إيضاح ما ذا يعنى بذلك بعد الحد المعطى في المبدأ ، فإذا كان في الواقع العظم ليس هو مطلقاً قابلاً للتجزئة في جميع الجهات لكن فيه شيئاً ما جسماً كان أو مسطحاً يكون غير قابل للتجزئة فيه فقد ينتج من ذلك أنه لا يوجد بعد من عظم يمكن أن يكون بأكمله قابلاً ، بل قد لا يكون بعد من شيء أمكن أن يكون متصلاً . وحينئذ إذا كان ذلك خطأ وكان كل جسم قابلاً للتجزئة دائماً فلا يبعد أن يكون الجسم مقسوماً فعلاً وهذه الصفة قابلاً للتماسات أو يكون

منه . — كان غير قابل — بعزل عن كل فعل وهل انفعال آت من ذاته . — لا تتلاصق بينهما — بلا واسطة . — أولاً تتلاصق أغواراً — تصلح إذا كوسطاء للوصول إلى الشيء الذي عليه يقع الفعل . — أن يفعل — بأن ينقل إلى الجسم الحرارة التي تلقاها . — وينفعل . — بأن يقبل مباشرة حرارة النار التي يجب أن ينقلها .

٣٩ — متى يقال — يمكن ترجيحها أيضاً "متى أقول" فان الفرق بينهما غير بين في النص . — بعد الحد المعطى في المبدأ — قربت الترجمة من النص بقدر ما استطعت ولكن الفكرة لا تزال غامضة ولم يفسر شرح فيلويون في جلائها شيئاً . — فقد ينتج من ذلك — عبارة النص ليست مضبوطة ولكن هذا المعنى يظهر أنه ينتج لزوماً مما على . — يمكن أن يكون بأكمله قابلاً . ر . الفقرة السابقة . — أمكن أن يكون متصلاً — لأن الذرات منزلة بعضها عن بعض وما دامت متصلة هكذا لا يمكن أن يكون لها الاتصال الذي هو ضروري لتأليف جسم . — وكان كل جسم قابلاً للتجزئة — هذه هي نظرية أرسطو المبسوطة مراراً في "الطبيعة" . — مقسوماً ... قابلاً للتجزئة — هذا هو ما بالفعل وما بالقرينة . — في فقط التماس — عبارة النص هي : "بحسب التماسات" . — لا شيء مما هو محال يكون أبداً — هذا المبدأ يذهب إلى الغاية ولكن لا يرى وجه اتصاله بما سبق . وقد أغضت جهدي في استجلاء هذه الفقرة فلم أجد ولم أجد الشراح بما فهمه من أن توماس قد نجحوا في ذلك أيضاً . وهناك تفسيراً يساعد بالأقل على تسلسل المعاني : "لكن تفسير ماهية الفعل والانفعال في الأشياء يلزم التسليم بأنه من المحال أن شيئاً يقبل فعلاً ما" "في واحد من أجزائه ولا يقبله في الجزء الآخر . فالتسليم إما أن يكون بأكمله قابلاً وإما أن يكون بأكمله فاعلاً ."



بالبساطة قابلا للتجزئة لأنه مادام يمكن أن يكون مقسوما في نقط التماس، كما هو المدعى، يمكن اعتباره كأنه مقسوم حتى قبل أن يكونه ويكون قابلا للقسمه مادام أنه لا شيء مما هو محال يكون أبدا .

§ ٤ - وإن ما يجعل ضعيفا تماما تقرير أن الفعل والانفعال يحصلان على هذا النحو بشق الأجسام هو أن هذه النظرية تمحو الاستعالة وتفسدها، وعلى هذا نحن نرى أن جسما بعينه دون أن ينقطع عن أن يكون متصلا هو تارة سائل وتارة متجمد دون أن يقبل هذا التحول لا بقسمه أجزائه ولا باتحادها ولا بنقلها ولا بتماسها كما يزعم ديمقريطس . لأن الجسم ما كان ليغير وضعه ولا ليغير مكانه ولا ليغير طبيعته ليصير متجمدا بعد أن كان سائلا . وليس يرى أيضا أن الأشياء المتصلة والمتجمدة تكون حالا غير قابلة للقسمه في مكلتها بل الجسم بأكمله يكون على السواء سائلا وأحيانا يصير بأكمله صلبا وتجمد .

”فإذا سلم بالذرات لحيث يمكن ألا يكون الشيء بعد قابلا بكميته ولكن بذلك أيضا ينقطع عن أن يكون متصلا . وإذا فذهب الذرات باطل . وكل عظم هو دائما وعلى الإطلاق قابل للقسمه دون أن يمكن الوصول إلى جزئيات لا تنجز . ويكاد لا يهم ما إذا كانت القسمه رافعة ماديا أو ممكنة امكانا بمجردا“  
”فل وجه ذهني صرف . ويمكن إمكان حصولها ليكون الجسم الخارج منها له دائما وحدته وأن يكون“  
”بالنتيجة في مجموعه إما فاعلا وإما قابلا“ .

§ ٤ - الفعل والانفعال - النص غير محدد تماما ولكن أحدد المعنى اعتمادا على تفسير فيلوپون . - على هذا النحو - معنى بواسطة المسام التي اقترضا بعض الفلاسفة . - بشق الأجسام - حفظت عبارة النص بينها ، فإن الأجسام هي مجموعا مشقة بالمسام التي تظلمها . - تمحو ... وتفسدها - ليس في النص الاكلة واحدة . - الاستعالة - معنى أن في هذا المذهب لا يمكن إدراك ظاهرة الاستعالة . - دون أن ينقطع عن أن يكون متصلا - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - تارة متجمد - يضرب فيلوپون مثلا لذلك اللين الذي هو تارة سائل وتارة متجمد . وقد يمكن الفطن كبعض الشراح أن المقصود أيضا هو المساء فانه تارة سائل وتارة جليد . - بتماسها - على تقدير بأجسام أخرى . - كما يزعم ديمقريطس - وفي الحق هذه هي كل ما ينسب ديمقريطس إلى الذرات من الخواص . - متجمدا - أو جليدا . - حالا - أي في النظام الحالي للطبع . - غير قابلة للقسمه في مكلتها - يفهم سان توماس من هذا أنه لا حاجة بأن تتحد الأشياء أو تتجبد إلى أن تدخلها ذرات غير قابلة للقسمه بل هي تكاد هذا التفسير في جوهرها الذاتي . - على السواء - أي في جميع أجزائه بدون أن بعضها يمان التغير الذي تقاومه الأخرى .

٥٤ — وأخيراً، في هذا المذهب قد لا يمكن بعد وجود نمو الأشياء ولا اضمحلالها لأنه لا جسم يمكن أن يصير أكبر إذا لم يكن هناك إلا مجرد إضافة وإذا لم يتغير بكماله على أثر اختلاط بشيء أجنبي أو على أثر تغير ما يحصل فيه .

٥٥ — ونحن تقتصر على ما أتينا به من القول فيما يتعلق بكون الأشياء وفعلها وتناسلها وتحولاتها المتكاثرة . وهذا يكفي على سواء ليفهم على أي النواحي هذه النظريات تكون ممكنة وكيف لا تكونه بحسب الإيضاحات التي أعطيت عنها أحياناً .

٥٦ — في هذا المذهب — أضفت هذه الكلمات لتبين الفكرة . — قد لا يمكن بعد وجود — يعني أنه لا يمكن توضيح ما هو نمو الأشياء أو اضمحلالها . — إلا مجرد إضافة — بأن تأتي الذرات فتضم إلى الجسم فتتم به وتزيد حجمه أو أنها تلتصق به لتتغير أو تهلكه . — بشيء أجنبي — أضفت الكلمة الأخيرة . — يحصل فيه — النص ليس على هذا القدر من الضبط .

٥٧ — تقتصر — هذا ملخص مضبوط لكل هذا الباب والأبواب السابقة من أول الباب السابع . وإن أرسطو بعد أن فسح مكاناً لتوضيح المذاهب الأخرى لم يكد يفسح لمذهب الخاص من الإيضاح ما كان يستدعيه من البيان والإطناظ .

## الباب العاشر

نظرية الاختلاط — من الفلاسفة من أنكروا أن الأشياء يمكنها أن تختلط فيما بينها — إبطال هذه النظرية — المعنى العام لشروط الاختلاط — الطبع المختلف للأجسام المختلطة — الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق — لكن يوجد اختلاط بين الأشياء يلزم أن يوجد بينها تجانس بل شيء من التناسب — النقطة من التبيد في كمية من الماء — سهولة الاختلاط أو صعوبة تبعا للتخالف في طبع الأشياء وصورتها — حاشية نظرية الاختلاط .

§ ١ — بقى علينا أن ندرس ما هو اختلاط الأشياء . وستتبع هاهنا النمط عينه كما فيما سبق لأن هذا هو ثالث الموضوعات التي تصدينا لفحصها في بداية هذه البحوث . يلزم إذاً أن نتظر ما هو الاختلاط وما هو الشيء القابل لأن يختلط وما هي الأشياء التي يمكن أن يقع الاختلاط بينها وكيف تتحقق هذه الظاهرة .

§ ٢ — ومن جهة أخرى يمكن أيضا أن يتسامل عما إذا كان يوجد حقيقة بالفعل اختلاط للأشياء أو أن هذا ليس إلا ضلالا . لأنه يمكن أن يظن أن شيئا لا ينبغي ألبيته أن يختلط بآخر كما يزعم بعض الفلاسفة . يقولون إنه في الواقع حينما الأشياء التي اختلطت تبقى بعد أيضا ولم تكن للاستحيل لا يمكن أن يقال إنها الآن أكثر اختلاطا مما كانت من قبل ، ولكنها دائما في الحال بعينها . فإذا أخذ أحد الشئيين أن يبيد في الاختلاط لا يمكن بعد أن يقال إنهما اختلطا ولكن فقط إن أحدهما

§ ب ١٠ ف ١ — ثالث الموضوعات — أي مع الكون والفساد ومع الفعل والافعال . — في بداية هذه البحوث — فيما سبق ب ١ ف ١ لم يتكلم أرسطو إلا على الكون والنقز والاستعالة . وكان يظهر أن هذه هي الثلاثة الموضوعات التي حوّل على الاشتغال بها . ولست أرى أنه نبه في أي موطن آخر على نظرية الاختلاط . — ما هو الاختلاط — الأسئلة الموضوعية هنا على الاختلاط هي بمائة للأسئلة التي وضعت فيما سبق على الكون ب ١ وعلى الفعل ب ٧ . ومن هذه الجهة فإن المؤلف معيب في قوله إنه يقع النمط الذي أتبعه من قبل .

§ ٢ — ومن جهة أخرى — من المذاهب ما ينكر أن اختلاط الأشياء يمكن البتة . وتلك المذاهب هي على ما يظهر تلك النظريات التي يلزم مناقشتها بادئ بدء لأنها تذهب إلى حد إنكار المسئلة والفضاء



يوجد وإن الآخر لا يوجد بعد، في حين أن الاختلاط لا يمكن في الحق أن يقع إلا بين شيئين يوجدان على السواء . ويزيدون ، أخيراً ، على ذلك أنه لا يوجد بعد اختلاط ، بهذا السبب عينه ، إذا كان الشيطان اللذان يجتمعان يفسدان كلاهما بالاختلاط لأنه من المحال قطعاً أن أشياء لم تكن بعد البتة يمكنها أن تختلط .

§ ٣ — هذه النظرية ، كما يرى ، الغرض منها أن يتعين فيماذا يختلف اختلاط الأشياء من كونها ومن فسادها . وأيضا في أي شيء يختلف الشيء المختلط عن الشيء الكائن وعن الشيء الفاسد ، لأنه من البين أنه ينبغي أن يكون الاختلاط مغايراً بافتراض أنه واقع بالفعل . ومتى وضعت هذه المسائل تحل المسائل التي وضعناها لأنفسنا من قبل .

§ ٤ — ذلك هو السبب في أنه لا يمكن أن يقال إن المادة اختلطت بالنار التي أحرقتها حتى ولا إنها تختلط بها وقت ما تحرقها ، كما أنه قد لا يمكن أن يقال إنها تختلط بنفسها في أجزاء النار كما لا تختلط بالنار نفسها . بل يقال ببساطة إن النار تكونت وإن المادة القابلة للاحتراق قد فسدت . كما أنه لا يمكن أيضا أن يقال

عليها . — بعض الفلاسفة — لا شيء . يبين في هذا الباب من هم هؤلاء الفلاسفة بالضبط . — يقولون — أضفت هذه الكلمة التي تفهم من السياق مادام أن الذي سيحدد فيما يلي إنما هي الأدلة على نفي إمكان الاختلاط . — يزيدون ... على ذلك — أضفت هذه الكلمات للسبب المتقدم .

§ ٣ — من كونها ومن فسادها — ر . ما سبق ب ١ وما يليه . — ومتى وضعت هذه المسائل — تلك هي أدلة الفلاسفة الذين ينكرون الاختلاط . — تحل المسائل التي وضعناها لأنفسنا من قبل — في بداية هذا الباب عينه .

§ ٤ — ذلك هو السبب — . هذا فرق بين الاختلاط وبين الكون أو الفساد . — المادة — حصلت كلمة النص بعينها ، ولكن المادة هنا معناها الجسم القابل للاحتراق : الخشب أو أية مادة أخرى تغذي النار . — إنها تختلط بنفسها — يعني أن الخشب يختلط بالخشب . — في أجزاء النار — أضفت الكلمة الأخيرة . — كما لا تختلط بالنار نفسها — قد أضفت بقدر ما استطعت التكرير الموجود في النص واعتدلت في إيضاح هذه الفقرة كلها على تفسير فيلويرون . — تكونت ... فسدت — حصل فيه كون لأحدهما وفساد للآخر ولكنه لم يحصل فيه اختلاط . — كما أنه لا يمكن أيضا أن يقال — هذا فرق بين الاختلاط وبين الزيادة .



لا عن الغذاء ولا عن صورة الخاتم إن الأولى باختلاطها بالجسم والثانية باختلاطها بالشمع قد أعطتا شكلا ما للكثرة بتمامها . ينبنى الاعتراف أيضا بأنه لا الجسم ولا البياض ولا ، بالاختصار ، كصفات الأجسام وتغايرها يمكنها أن تختلط بالأشياء ما دام أنه يرى على الضد من ذلك أن الاثنين يقيان . كذلك أيضا البياض والعلم في الواقع لا يمكنهما أن يركبا خليطا ولا أيضا أى واحد من الكيفيات أو الخواص التي ليست قابلة للانفصال .

§ ٥ — وأيضا يخدع نفسه من يقرر أن الأشياء جميعها كانت سابقا مندرجة وأن الكل قد وجد مختلطا لأن كلا لا يمكن البتة أن يختلط بكل على السواء . يلزم دائما أن كلا الشئيين اللذين يختلطان يمكن أن يبقى على حدة . وحينئذ فإن كصفات الأشياء لا يمكنها أن تكون منفصلة عنها أبدا . ولكن لما أن من بين الأشياء بعضها تكون بالقوة المحضة والآخر بالفعل المحض فينتج من ذلك أن الأشياء التي تختلط يمكنها من جهة أن تبقى بعد ومن جهة أخرى ألا تبقى . فإذا كان في الواقع الخلط الحاصل من الاختلاط هو شيئا مخالفا فانه يكون كذلك دائما بالقوة للشئيين اللذين كانا

— صورة الخاتم — أضفت الكلمة الأخيرة التي يدل عليها السياق فيما يل . وربما كان اختيار المثلين غير حسن لأن الغذاء يمكن أن يعتبر كأنه مختلط بالجسم الذي ينميه . ولكن بالبدئية طابع الخاتم لا يختلط به . — لا الجسم ولا البياض — حفظت عبارة النص على إيجازها ، فإن البياض والجسم الذي هو أبيض لا يختلطان ولكن البياض هو في الجسم . — كصفات الأجسام وتغايرها — التي هي في الأشياء ولكن بدون أن تختلط بها . — أن الاثنين يقيان — عبارة النص أكثر إيهاما ، ويجب أن يعنى بالثنين الجسم والكيفيات التي تكيفه . — البياض والعلم — يعنى كفتين عوضا عن جسم وكيف . — الكيفيات أو الخواص — النص غير محدد البتة . — التي ليست قابلة للانفصال — على تقدير « عن الموضوعات التي هي فيها » وكل هذه الفقرة مغلقة جدا بل ربما كانت دقيقة فيما يظهر .

§ ٥ — وأيضا يخدع نفسه — هذا نقد موجه الى أنكساغوراس الذي كان يرى أن جميع الأشياء في الأصل كانت مختلطة في العما . قبل أن يأتى العقل ويرتب العالم . ر . الطبيعية ك ١ ب ٥ ف : حيث تنقض نظرية أنكساغوراس ص ٤٥٥ من ترجمتنا . — كصفات الأشياء — ر . الفقرة السابقة . — بالقوة المحضة ... بالفعل المحض — أضفت الصفتين . — شيئا مخالفا — للشئيين اللذين يكوّنان

يوجدان قبل أن يختلطا وقبل أن ينعديا في الخليط . وهذا إنما هو على التحقيق الجواب على المسئلة التي أنارتها النظرية التي تكلمنا عليها آنفا . ويظهر أن الاختلاط يتألف من أشياء كانت من قبل منفصلة ويمكن أن تكونه أيضا من جديد . وعلى ذلك الأشياء المختلطة لا تبقى بالفعل كما يمكث ويبقى الجسم والبياض الذي يشخصه . وليست هي كذلك تكون فاسدة ، سيان أحد الاثنين على حياله والاثنان جميعا معا ما دامت قوتها محفوظة دائما .

٦٩ - ولكن لنعد هذا الى ناحية ولننتقل الى المسئلة الآتية التي تعبر في معرفة ما إذا كان الاختلاط هو شيئا يمكن حواسنا أن تدركه . مثال ذلك حينما الأشياء المختلطة تكون مقسومة الى أجزاء من الصغر بمكان وتكون موضوعة على قرب بعضها عند بعض حتى لا يعود أحدها متميزا من الآخر بوجه محسوس فهل يوجد فيها حينئذ اختلاط أولا يوجد؟ ولكن أليس ممكنا أيضا أن في الخلط الأشياء كيفما انفقت تكون موضوعة أجزاء أجزاء بعضها بجانب الأخرى ؟ لأن هذا يسمى أيضا اختلاطا وعلى هذا النحو يقال إن اللبن مختلط بالحلب حينما يكون موضوعا بجانب كل حبة تبنة .

الخليط . - في الخليط - أضفت هاتين الكلمتين . - الجواب على المسئلة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - التي تكلمنا عليها آنفا - في أول هذا الباب . - أيضا من جديد - بعد أن حصل الخلط . - الذي يشخصه - أضفت هاتين الكلمتين . - قوتها - يعني إمكان رجوعهما الى ما كانا عليه قبل الاختلاط .

٦٨ - المسئلة الآتية - يعني التي ترتبط بالمسائل التي تقدمتها والتي هي بقية لها . - يمكن حواسنا أن تدركه - ربما كانت المسئلة على هذا الوجه غير موضوعة وضعا حسنا فان الاختلاط هو دائما قابل لأن تدركه حواسنا ولكن حواسنا تارة تميز العناصر التي تتركب منها الخليط وتارة لا تميزها . - مثال ذلك - ليس النص واضحا هكذا . - بوجه محسوس - أو "بحواسنا" . - هل يوجد فيها حينئذ اختلاط أولا يوجد؟ - هذا هو أول أنواع الاختلاط فان الحواس لا يمكنها بعد أن تميز العناصر التي ركبته . - ولكن أليس ممكنا أيضا - أحييت أن أصوغ هذه الجملة في صيغة الاستفهام حتى تكون مقابلة للجملة التي سبقتها . وهذا هو التعبير الثاني للاختلاط فان الشئيين يبقيان باعتبار أن أجزاءهما إنما اجتمعت بعضها الى بعض . - اللبن مختلط بالحلب - المثل في غاية الوضوح وهذا المثل ليس البتة كمزج الماء والبنيد إذ أن فيه أحد السائلين لا يمكن مطلقا تمييزه من الآخر كما كان ذلك مفروضا في الإيضاح الأول .

٧٨ — اذا كان جسم هو قابلا للتجزئة واذا كان جسم متى كان مختلطا بجسم آخر يجب أن يكون مجانسا له فقد يلزم أن كل جزء اتفق من الخليط ينضم الى جزء آخر اتفق . ولكن بما أن الجسم لا يمكن البتة أن يكون مقسوما الى أجزائه الصغرى وبما أن الانضمام ليس هو البتة الاختلاط بل هو شيء آخر تماما فبالين لا يمكن أن يقال بعدد إن الأشياء اختلطت متى حفظت ذواتها على ما كانت في جزئيات صغرية . حينئذ يكون الضم ولكن لا يكون لا خلط ولا مزج ، وحد جزء من الخليط لا يمكن بعد أن يكون هو الحد الذي قد يعطى للخليط بتمامه . أما نحن فنقول إنه لكي يوجد اختلاط حقيق يلزم أن الشيء الخليط يكون مركبا من أجزاء متجانسة ، وكما أن جزءا من الماء هو ماء كذلك أيضا يجب أن يكون أى جزء اتفق من الخليط . ولكن اذا لم يكن الاختلاط إلا انضمام جزئيات الى جزئيات فلايس يوجد ولا واحد من الأحداث التي أتينا على تحليلها . وانما يكون فقط في نظر الأعين أن الشئين يظهر أنهما مختلطان . وكذلك الشيء عينه يظهر مخلوطا للرائى فلان الذي ليس له نظر نقاذ في حين أن "لبسية" يحد أن ليس هناك اختلاط .

٧٩ — اذا كان جسم هو قابلا للتجزئة — يظهر أن هذا مورد من أرسطو على النظريتين للسابقين . وعلى هذا الوجه فهم فليوربون وسان توماس هذه الفقرة . ولكن المعارضة ليست بجهة في النص الذي بنى قامضا على عدم جهدى في استجلاله ولم أستطع أن أجعل الترجمة أجمل من كثير . — الى أجزائه الصغرى — يعنى أن القسمة لا يمكن أن تصل الى جوامر فردة وأنها (أى القسمة) ممكنة دائما كما يقرره أرسطو بالأقل في الذهن ان لم تكن في الخارج . — الانضمام — يمكن ترجعها أيضا التأليف . — في جزئيات صغرية — كالحب والبن اللذين سبق الكلام عليهما . — لا خلط ولا مزج — كلتا النص هما من حيث الاشتقاق أكثر انفصالا من الكلمتين اللتين استعملتهما في الترجمة . — اختلاط حقيق — أضفت كلمة حقيق زيادة في بيان الفكرة . — الشيء الخليط — يعنى الناتج المتحصل من الاختلاط . — جزئيات الى جزئيات — ليس النص على هذه الصراحة . — ولا واحد من الأحداث التي أتينا على تحليلها — ليس النص على هذه الصراحة . — في نظر الأعين — لا في الواقع .

٨ ٩ — إن التجزئة لا تفسر الاختلاط كما لا يفسره اجتماع جزءه اتفاق مجزء آخر ما دامت التجزئة لا يستطيع حصولها بهذه الطريقة .

وحينئذ إما ألا يكون اختلاط ممكنا وإما أنه يلزم اتخاذ نحو آخر من النظر لكن يُسقط كيف يمكن أن تقع هذه الظاهرة . ولذا ذكر بدياً أن من بين الأشياء ، كما قلنا ، بعضها فاعلة والأخرى قابلة لفعل تلك ، بعضها له تأثير مكافئ وهي تلك التي مادتها واحدة بما هي مستطيلة أن تفعل بعضها في الأخرى أو تتفعل بعضها بالأخرى على السواء . وأخرى تفعل مع بقائها غير قابلة للانفعال وتلك هي التي مادتها ليست واحدة ، وهذه ليس فيها اختلاط ممكن . من هذا يرى كيف أن الطب لا يختلط بالأجسام ليفعل الصبغة ولماذا الصبغة لا تختلط به أيضا . ٩ ٩ — بل من بين الأشياء التي يمكنها أن تفعل وتتفعل على طريق التكافؤ كل تلك التي تكون سهلة التجزئة ، حينما يختلط منها عدد عظيم بعدد قليل من أشياء أخر وكية عظيمة بكية أقل عظاما لا تنجح على التحقيق اختلاطا بل نموا للعنصر الغالب . وحينئذ أحد الشيتين المختلطين يتغير في الذي هو غالب . على ذلك نقطة من النيز لا تتمرج بكية من الماء تكون حشرة آلاف ضعف . لأنه في هذه الحالة النوع يتحلل ويتغير بتلاشيهِ في كتلة الماء كلها . ولكن متى كانت الكيتان متساويتين تقريبا حينئذ

٨ ٩ — إن التجزئة لا تفسر الاختلاط — النص غير محدد ، وقد اخترت المعنى الذي فيه فيلويون . — كما لا يفسره اجتماع — الشأن هنا كما في الملاحظة السابقة . — مادامت التجزئة لا يستطيع حصولها — بمعنى أنها تخف عند حد الذرات والأجزاء التي لا تجزأ التي لم يقبلها أرسطو البتة . — اتخاذ نحو آخر من النظر — ليس في النص الا كلمة واحدة مهمة وقد ظننت أنه يجب على تحديد المعنى . — ولذا ذكر بديا — أضفت هذه الكلمات التي تدل القرينة على مفهومها . — كما قلنا — ر . ما سبق في الباب السابع . — الطب — يظهر أن في اختيار المثل شيئا من الغرابة وقد نه فيلويون مثل هذا التنبيه . ٩ ٩ — التي تكون سهلة التجزئة — كتقطة من الماء في كمية من النيز . — نموا — بهما كان ضعيفا مع ذلك بنسبة الأشياء المختلطة . — للعنصر الغالب — في المزيج النهائي .



كل عنصر يفقد من طبعه ليأخذ من طبع العنصر الذي هو أغلب . فالمزيج لا يصير واحدا منهما مطلقا بل بصير شيئا وسطا ومشاركاً .

§ ١٠ — فين إذا أنه لا يكون اختلاط إلا حينما تكون الأشياء التي تفعل لها مقابلة ما بينها لأنها إذا يمكن أن تقبل تأثيرا ما بعضها من بعض . ومن الأشياء الصغيرة ما يزيد اختلاطها بالأشياء الصغيرة باقترابها منها لأنها حينئذ تتدخل بأسرع وبأسهل بعضها في بعض . ولكن كمية كبيرة تحت فعل كمية كبيرة أيضا لا تنتج هذه النتيجة إلا مع الطولى .

§ ١١ — على ذلك بين الأشياء القابلة للتجزئة والمتفعلة الأشياء التي تتحدد بسهولة يمكنها أن تختلط . لأن هذه الأشياء تنقسم بلا عناء إلى أجزاء صغيرة . وهذا إنما هو بالتحقيق ما يعنى بقولنا تتحدد بسهولة . مثال ذلك السوائل من بين جميع الأجسام هي الأكثر قابلية للزج لأن السائل من بين الأشياء القابلة للتجزئة هو الذي يتعين ويتحدد بأسهل ما يكون بشرط ألا يكون دبقا . فان الأجسام الدبقة لا تزيد على أن تصير جملة الحجم أضخم وأعظم ولكن حينما يكون أحد الشيتين المختلطين هو وحده المتفعل أو أنه يكونه كثيرا وأن الآخر يكونه قليلا جدا فالتخليط

— فالمزيج لا يصير — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — مطلقا — أضفت هذه الكلمة .

§ ١٠ — مقابلة ما — عبارة النص هي : " تضاد " . — يمكن أن تقبل تأثيرا ما — في حين أنها تحدث فعلا ما . — يزيد — أعنى بأكثر سهولة وبأسرع ما يكون كما يدل عليه الكلام الآتى . — لا تنتج هذه النتيجة — أر " الاختلاط " .

§ ١١ — القابلة للتجزئة والمتفعلة — يعنى التي يمكن بسهولة أن تنقسم وأن تقبل فعلا ما بعضها من قبل البعض الآخر . وربما كان يلزم أن يقال " فاعلة " بدل " قابلة للتقسمة " . ولكن ليس ولا نسخة واحدة تعطى هذا التصحيح . — التي تتحدد بسهولة — مثل السائل الذي ضرب فيما يل يوضع تماما ماذا يعنى بهذا . — يتعين ويتحدد — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — الأجسام الدبقة — عبارة النص غير محددة ولكن المعنى الذي اتخذته هو الذي اتخذوه فلو يون . وهذا من الأجسام الدبقة قد يمكن أن يفهم أن المقصود هو السوائل على العموم التي بامتزاجها تصير الكمية الكلية أكثر عظما . — ولكن حينما يكون أحد الشيتين المختلطين — ليس النص على هذا القدر من البيان . — هو وحده المتفعل — على تقدير " في المزيج " . ولكن العبارة غير جلية ويجب أن يفهم أن أحد الجسمين الممزجين يفعل بشدة

الناجى من الاثنين إما ألا يكون أعظم البتة أو ألا يكاد يكونه . وهذا هو ما يقع بالنسبة للقصدير مختلطا بالنحاس لأنه يوجد بعض أجسام حائرة بعضها بالنسبة للبعض الآخر وهى تكون من طبع مشكل . فيمكن أن يلاحظ أن تلك الأجسام لا تختلط إلا اختلاطا ناقصا وإلى حد معين . فقد يقال إن أحدهما هو مجرد ماوى فى حين أن الآخر هو الصورة . وهذا على التحقيق هو ما يحصل بالنسبة لهذين الجسمين اللذين سميا آنفا . لأن القصدير الذى هو كمجرد تغير للنحاس بدون مادة يكاد يتلاشى بالتام وينعدم بالخليط الذى لا يعطيه إلا لونا ما . وتحصل الظاهرة عنها أيضا بالنسبة لأجسام أخرى .

١٢٥ - فیرى إذا بحسب جميع التفاصيل المتقدمة أن الاختلاط ممكن وأنه هو ما هو ويرى كيف يكون وما هى الأشياء التى بينها يمكن أن يحصل وهى تلك التى يمكنها أن تقبل فعلا بعضها من قبل البعض الآخر التى هى قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة . وإن الجواهر من هذا القبيل ليست تفسد ضرورة فى الاختلاط ولكنها لا تبقى فيه بعد مطلقا بأعيانها ، فإن اختلاطها ليس مجرد ضم

فى الآخر ويظهر بحيث يلاشه . — ألا يكون أعظم البتة — لأن أحدهما يتلاشى بالتام بوجه التقريب فى المزج . — حائرة — النص هنا يفرد عبارة مجازية محضة فانه يقول : ” رن ” ولم أجد ما يقابلها فى لغتنا . وذلك مجاز جرى . ويظهر أن فيلوربون دهش له أيضا ، على أن المثل المضروب لذلك يفهم معنى هذه القطعة . — الاختلاط ناقصا — وحينئذ لا يكون هذا اختلاطا حقيقيا ما دام أن أحد الجسمين يتلاشى بالكلية تقريبا . — هو الصورة — أو النوع . — اللذين سميا — زدت هاتين الكلمتين لاتمام المعنى . — كمجرد تغير ... بدون مادة — ببنى الصورة أو النوع التى تكيف الخليط من غير أن تغير مادته مطلقا . وهذا يظهر أنه غاية فى الدقة والخفاء . — لونا ما — الذى ليس هو لون القصدير والذى لا يحيل لون النحاس الا بعض الشيء .

١٢٦ - فیرى إذا — محصل مضبوط لكل نظرية الاختلاط . — أن الاختلاط ممكن — ر . ما سبق ف ٢ . — هو ما هو — بحسب النظريات الخصومية لأرسطو ، هذا هو موضوع كل هذا الباب . — قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة — كالمسائل . — ليست تفسد ضرورة — لأنها تبقى فيه بالقوة .

وإن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس . ولكن يقال على شيء إنه مختلط متى كان وهو مستطيع أن يتحدد بسهولة . يمكنه أن يفعل وينفعل معا وأنه يختلط بشيء له أيضا هذه الحواس أعيانها لأن الشيء المختلط لا يكونه البتة إلا بالإضافة إلى شيء يكون وإياء من المتفقة أسماؤها (هومونيم) . والحاصل أن الاختلاط هو اجتماع الأشياء المختلطة مع استحالة لها .

— وإن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس — ليس النص على هذا القدر من الضبط . ولكن المعنى الذي اتخذته ينتج مما قيل سابقا في الفقرة السابقة . فإن التبن والحب ليسا مختطين بالمعنى الخاص ولكنهما منضمان . — يقال على شيء إنه مختلط — هالك التعريف الحقيقي للاختلاط على رأى أرسطو . — يكون وإياء من المتفقة أسماؤها (هومونيم) — وبعض تافري الكتاب يقول "مجانسا له" (هومونيم) وهذا ربما كانت أحسن ويظهر أن سان توماس اختارها . — والحاصل — النص ليس على هذا القدر من الصراحة .

# الكتاب الثاني

## الباب الأول

نظرية عناصر الأجسام — عددها — شاهد من أميد قل — المادة ليست منفصلة عن الأجسام كما هو لي طيارس أفلاطون فما يظهر — تقضي هذه النظرية — إنها حقة بجزئها باطله بالجزء الآخر — شاهد من الملاحظات المختلفة السابقة — نظرية جديدة على المبادئ العنصرية للأجسام — طبعها وعددها .

§ ف ١ — سبق الكلام على الاختلاط وعلى التماس وعلى الفعل وعلى الانفعال ووضح كيف أن هذه الظواهر تقع في الأشياء التي تكابد تغيرات طبيعية ، وقد عوج زيادة على ذلك كون الأشياء وفسادها المطلقان وبين باى طريقة وفي أى الأحوال ولماذا هما يحدثان . وقد درست على السواء الاستحالة وحالة الوجود المستحيل . وفي النهاية قد بينت فصول كل واحدة من هذه الظواهر ، والآن يبقى علينا أن ندرس ما يسمى عناصر الأجسام لأن الكون والفساد في كل الجواهر التي تركيبها الطبيعية لا يمكن أن يظهرها بدون الأجسام التي تدركها حواسنا .

§ ك ٢ ب ١ ف ١ — سبق الكلام على الاختلاط — تلخيص لكل ما سبق في الكتاب الأول فان نظرية الاختلاط قد عرضت في الباب العاشر . — وعلى التماس — لم يكن ذكر التماس إلا عرضا لأنه لم يفرد للتماس نظرية خاصة . ر . ك ١ ب ٦ . — وعلى الفعل وعلى الانفعال — ر . ك ١ ب ٦ و ٧ وما يليهما — التي تكابد تمسرات طبيعية — بصرف النظر عن التغيرات التي تحدثها الصناعة أو إرادة الإنسان . ما سبق ك ١ ب ١ ف ١ . — كون الأشياء وفسادها المطلقان — ر . ك ١ ب ١ و ٣ وما بعدهما . — الاستحالة وحالة الوجود المستحيل — ر . ك ١ ب ٤ . — فصول كل واحدة من هذه الظواهر — في أثناء بيان كل واحدة من تلك النظريات الخاصة قد بينت الفصول التي تفصل كل واحدة من الظواهر التي كانت على التعاقب موضع الدرس .



٢٨ — من الفلاسفة من يزعمون أن جميع العناصر مكونة من مادة واحدة بالحقيقة والعدد ويفترضون أنها هي الهواء أو النار أو جسم ما وسط بينهما جاعلين هذه المادة جسما جوهريا متغيرا تماما ومنفصلا . وآخرين يرون أنه يوجد أكثر من عنصر واحد ويقبلون حينئذ على السواء : هؤلاء النار والأرض ، وأولئك الهواء ثالثا مع العنصرين المتقدمين . وآخرون مثل أمبيدقل يزيدون الماء كعنصر رابع . وفي هذه المذاهب المختلفة إنما هو باختراع هذه العناصر واقتراقها أو استحالتها يعلل كون الأشياء وفسادها .

٢٩ — فلنسلم بلا أدنى صعوبة أن هذه الأوليات للأشياء يمكن بغاية الموافقة أن تسمى مبادئ وعناصر وأنه إنما بتغيرها بتجزئة أو تركيب متكافئ أو أى نوع آخر من التغيير الذى تعانیه يأتى كون الأشياء وفسادها . ولكن يخدع المرء نفسه بالتسليم بأنه يوجد مادة واحدة بعينها خارج جميع العناصر وجعلها منفصلة وجسمانية . لأن من المحال أن هذا الجسم إذا كان مدركا بحواسنا يمكن أن يوجد من غير أن يتعرض أضعافا ما . ويلزم ضرورة أن هذا اللامتناهى الذى اتخذ بعض الفلاسفة مبدأ لهم يكون خفيفا أو ثقيلًا باردا أو حارا .

٢٨ — هو الهواء — كما كان يعتقد ديموقريطس والأينس — أو النار — كما كان يعتقد هيرقليطس الإفيزوسى وهيباس كاروى فيلوبون . — جسم ما وسط — كان هذا مذهب أنكسيميترورس الذى كان يفترض عنصرا خافيا أخذ من طبع الأربعة الأخرى وهو مع ذلك متغير عنها . — جاعلين هذه المادة — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — هؤلاء النار والأرض — كما هو مذهب بريميليد . — وأولئك الهواء ثالثا مع العنصرين — ذلك كان مذهب بون الشيوئى إذا صدق تخمين فيلوبون . — مثل أمبيدقل — إنما هو دائما أمبيدقل الذى يفسد اليه أرسلوا نظرية العناصر الأربعة . — أيضا الطبيعة لك ٣ ب ٧ ق ٩ وما بعدها من ترجعنا .

٢٩ — هذه الأوليات للأشياء — حفظت عبارة النص بذاتها . — أى نوع آخر من التغيير — مثلا لا يمكن إلا الاستحالة عند المذاهب التى لا تقبل إلا عنصرا واحدا لأنه غير هذا العنصر الوحيد إلى ما لا نهاية له تتكون جميع الفواهر الأخرى . — وجسمانية — هذه هي ترجمة الكلمة الواردة فى النص بالضبط . — إذا كان مدركا بحواسنا — ويجب أن يكونه مادام أنه جوهرى ومنفصل عن جميع الأخرى — من غير أن يتعرض أضعافا ما — عبارة النص هي "بلا تضاد" . — هذا اللامتناهى — أو "هذا غير المحدود" .

§ ٤ — ولكن الطريقة التي شرح بها هذا المبدأ في "طياوس" ليس فيها شيء من الضبط لأنه لم يقل هل وجهه جل ما إذا كانت هذا الأصل لجميع الأشياء متميزا ومنفصلا عن العناصر. والمحقق هو أن طياوس لم يرجع في واحد منها إلى هذا المبدأ ولو أنه قال مع ذلك إنه الموضوع السابق لكل ما يسمى بالعناصر كما أن الذهب هو على الأسبقية موضوع المصنوعات الذهبية. ومع ذلك فإن هذا الإيضاح ليس حسنا على الصورة التي أتى بها إلينا. فإنه يجوز تماما انطباقه على الحالات التي يوجد فيها استعالة بسيطة، ولكن بالنسبة للحالات التي فيها كون وفساد يكون محالا أن تسمى الأشياء بالتي منها تأتي. صدق طياوس إذ يقول إنه لأدخل في باب الحق أن يقرر أن كل مصنوع من الذهب هو ذهب لكن مع أن عناصر الأشياء تكون جامدة فإنه يحاور تحليلها إلى حد السطوح. ومحال أن سطوحا تكون المادة الأولية التي يكلموننا عنها. § ٥ — نحن أيضا نعترف أنه يوجد مادة ما للأجسام التي تدركها حواسنا ولكن هذه المادة التي منها يأتي ما يسمى

§ ٤ — هذا الأصل لجميع الأشياء — ر. ترجمة طياوس أفلاطون لكوزان ص ١٥٢. — متميزا ومنفصلا عن العناصر — النقد حق إن لم يكن مهما جدا. — هل الأسبقية — أضفت هاتين الكلمتين. — موضوع المصنوعات الذهبية — ر. طياوس ص ١٥٤ من ترجمة كوزان. — على الصورة التي أتى بها إلينا — وفي الواقع أن طياوس لا يتكلم إلا على التصاور المتعاقبة لسبكة الذهب ولا يتكلم البتة هل كونها الأصل. — أن تسمى الأشياء — التعبير ليس واضح اليان، وهو بعينه الذي استخدمه طياوس في هذا الموضع. فإنه يمكن أن يقال هل الشيء المصنوع من شبكة الذهب إنه ذهب ولكن بالنسبة للشيء الذي يتكون والذي يشوبه من لا شيء لا يمكن أن يسمى اسم الشيء الذي نخرج منه ما دام أنه لم يأت من شيء آخر. — التي منها تأتي — إذا كان الأمر بصدد الكون "والتي اليها تنعدم" إذا كان الأمر بصدد الفساد — صدق طياوس — ليس النص على هذه الصراحة. — لأدخل في باب الحق أن يقرر — ر. طياوس لأفلاطون ص ١٥٤. ترجمة كوزان. — إلى حد السطوح — ر. كتاب السماء ك ٢ ب ٧ وما بعده. — فإن أفلاطون لما حال الأجسام إلى سطوح قد نزع منها كل حقيقة. وإن التحليل البالغ إلى هذا الحد البعيد قد أضدها — يكلموننا عنها — أضفت هذه الكلمات. § ٥ — نحن أيضا نعترف — ليس النص على هذا القول من الضبط. — منها يأتي ما يسمى بالعناصر — هذه الفكرة لا يظهر أنها عريقة في الصحة. وإن المراد بالمادة هنا إنما هو حال منطقية للأجسام أكثر

بالعناصر ليست منعزلة البتة بل هي توجد دائماً مع أضداد . على أن هذا الموضوع قد دُرس في موطن آخر بأوسع من ذلك وأضبط § ٦ — على أنه لما أن الأجسام الأول يمكن أيضاً بهذه الطريقة أن تأتي من المادة فيلزم التكلم على هذه الأجسام مع التسليم بأن المادة هي المبدأ والمبدأ الأول للأشياء ولكنها غير منفصلة عنها وأنها موضوع الأضداد . فإن الحار مثلاً ليس هو مادة البارد كما أن البارد ليس مادة الحار . ولكن المادة هي موضوع الاثنين .

٧ § — حيثئذ بادئ بدء الجسم الذي هو مدرك بالقوة بإحساسنا هذا هو المبدأ ثم بعد ذلك تأتي الأضداد كالحار والبارد مثلاً . وفي المقام الثالث النار والماء والعناصر الأخرى المشابهة . هذه الأجسام كلها تتغير تغيراً بعضها إلى بعض ولكن لا بالطريقة التي يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون ، لأنه بحسب نظرياتهم

منه حالاً حقيقة . فقد يمكن حيثئذ أن هذه الجملة لم تكن الاتديلا أضافه إلى النص بعض المفسرين . ومع ذلك فإن هذه الجملة موجودة في نص فيلوبون . — ليست منعزلة البتة — رابطة على طريق الاستغلال عن الأجسام كالمادة التي أخطأ الملائكون ، على رأي أرسطو ، في قبولها . — مع أضداد — فإن المادة لها دائماً كيف يميزها لا انفكاك لها عنه — في موطن آخر — في الطبيعة ك ١ ب ٨ خصوصاً ف ٢٠ ص ٤٨٤ من ترجمتنا ، وفي كتاب السماء ك ٣ . — بأوسع من ذلك وأضبط — ليس في النص الكلمة واحدة .

٦ § — الأجسام الأول — حفظت لنص مباركة بتمامها ، ولكن المراد هنا هو العناصر . — موضوع الأضداد — ر . الطبيعة ك ١ ب ٨ ص ٤٧٢ من ترجمتنا . — مثلاً — أضفت هذه الكلمة . — ليس هو مادة — بل هو الضد وتحت الضدين الموضوع الذي يكيفانه على طريق التناوب . ٧ § — الجسم الذي هو مدرك — هو المادة المفهومة على المعنى المنطقي أي المخصوصة بالقوة ولكنها ليست مدركة إلا على شكل واحد من الضدين . — النار والماء — هني الأربعة العناصر مع جميع الأجسام الخاصة التي تركيبها على حسب نظريات أرسطو التي هي أيضاً نظريات الأقدمين . — الطريقة التي يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون — المعنى ليس يئنا وقد جعله الإيجاز في التعبير غامضاً . فإن أمبيدقل

قد لا يكون بعدُ حتى ولا الاستحالة، وإنما هي المقابلات بالأضداد هي التي لا تتغير بعضها إلى بعض، على أنه لما كانت تلك هي مبادئ الأجسام فلا بد مع ذلك من دراسة كيفياتها وعددها لأن الفلاسفة الآخرين استخدموا ذلك في مذاهبهم بعد أن قبلوها على طريق الفرض ولكنهم لا يقولون لماذا هذه الأضداد لها الطبع الفلاني وأنها في العدد الذي نراها عليه .

وفلاسفة آخرون يرون العناصر غير قابلة للتغير مطلقاً ومن ثم لا يمكن أن يفهم مع عدم قابلية التغير نظرية الاستحالة مهما كانت مسلماً بها . — وإنما هي المقابلات — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — في مذاهبهم — . أضفت هاتين الكلمتين .



## الباب الثاني

حد الجسم كما نعرفه لنا حاسة اللمس — تعدد الأضداد الأصلية التي يعرضها الجسم المحسوس باللمس —  
فصول هذه الأضداد — الفعل المتباين للبارد والحر والخالف والسائل — علاقة جميع الفصول الأخرى بهذه  
الفصول الأربعة الأصلية .

§ ١ — ما دمنا نبحث فيما هي مبادئ الجسم المدرك بحواسنا أعني الجسم الذي  
يستطيع اللمس أن يدركه وما دام أن جسما يعرفنا إياه اللمس هو الذي يكون حسه الخاص  
هو اللمس فينتج بالبداهة أن جميع المقابلات بالأضداد التي يمكن مشاهدتها في الجسم  
لا تؤلف أنواعه ومبادئه ولكنها إنما هي فقط أنواع ومبادئ الأضداد التي تخص  
حاسة اللمس . إن الأجسام تتمايز بأضدادها ، ولكن بأضدادها التي يمكن لللمس أن  
يبينها لنا . لذلك نرى لماذا أنه لا البياض ولا السواد ولا الحلاوة ولا المرارة  
ولا أى واحد من الأضداد المحسوسة ليس عنصرا للأجسام .

§ ٢ — وهذا لا يمنع أن يكون النظر حاسة أسمى من اللمس وبالنتيجة أن  
موضوع النظر هو أسمى أيضا . ولكن النظر ليس عرضا للجسم الملموس بما

§ ٢ ب ١ — الجسم المدرك بحواسنا — الجسم المادى والمحسوس . — أعني الجسم الذي  
يستطيع اللمس أن يدركه — يلاحظ فيلوبيون بحق أن أرسطو يشتغل أولا بحاسة اللمس لأن هذه الحاسة  
أكثر الحواس إدراكا ممكنا . فإن من الأجسام التي نخفى على نظرنا ما ندركه بحواسنا ، وذلك كالحشواء  
إذ بينما لا يمكننا أن نراه يؤثر في إحساسنا بأن يلامسنا . — يعرفنا إياه اللمس — عبارة النص هي :  
”جسم قابل لللمس“ . — التي يمكن مشاهدتها في الجسم — أضفت هذه العبارة لبيان الفكرة تماما .  
— لأنواع أنواعه ومبادئه — هذا التفوق الذي لحاسة اللمس يتقدم تمييز الكيفيات الأول والثالث للأجسام  
ويذكر به . تلك هي النظرية التي قبلتها بعد ذلك المدرسة الإريترية . — ليس عنصرا للأجسام —  
عبارة النص : ”لا تكون عناصر“ .

§ ٢ — أن يكون النظر حاسة أسمى — ر . كتاب النفس ك ٢ ب ٧ ص ٢٠٨ من ترجمتنا  
في نظرية الرؤية . — من اللمس — ر . كتاب النفس ب ١٣ ص ٢٢٧ . — أن موضوع النظر هو  
أسمى أيضا . — ر . أول ما بعد الطبيعة : ك ١ ب ١ ص ١٢١ من ترجمة كوزان الطبعة الثانية .  
فإن أرسطو يجعل فيها النظر أعلى مرتبة من جميع الحواس كما فعل هنا . — ليس عرضا — أو ”كيف“ .

هو ملموس بل هو يرجع الى شيء مغاير تماما يمكن مع ذلك أن يكون متقدما عليه بطبعه — ٣ — حيثئذ بالنسبة للموسسات أنفسها يلزم الفحص والتمييز بين الفصول الأولى لها ومقابلاتها الأولى بالأضداد . المقابلات والمضادات التي يبينها لنا النص هي الآتية : البارد والجار ، اليابس والرطب ، الثقيل والخفيف ، الصلب واللين ، الدقيق والغريك ، الأملس والخشن ، العكثيف والمتخلخل . من بين هذه الأضداد الثقيل والخفيف ليسا لافاعلين ولا متفعلين لأنه ليس لأتبعهما يفعلان أحدهما في الآخر أو لأنهما يتفعلان أحدهما من الآخر أعطيا الاسم الذي يحملانه . ومع ذلك يلزم أن العناصر يمكن أن تفعل وتتفعل بعضها من بعض على طريق التكافؤ ما دام أنها تختلط وتتغير على طريق التكافؤ بعضها الى بعض . § ٤ — ولكن الحار والبارد واليابس والرطب هي مسماة كذلك أولاها لأنها تفعل والآخرى لأنها تتفعل . فإن الحار هو الذي يجمع ما بين الجواهر المتجانسة لأن التفريق الذي يقال عن النار إنها تفعله إنما هو في حقيقة الأمر

— الى شيء مغاير تماما — حفظت عبارة النص على عدم تحديدها . — متقدما عليه بطبعه — أى للشئ .  
انقاص بحاسة النص .

§ ٣ — بالنسبة للموسسات أنفسها — حفظت كلمة النص بيننا التي لاخفاء في معناها بعد الايضاحات السابقة . فإن الموسسات هي الأجسام التي تعرفها لنا حاسة النص فقط . — الفحص والتمييز — ليس في النص الا كلمة واحدة . — ومقابلاتها الأولى بالأضداد — عبارة النص : "النضاد" . — لأنها يفعلان أحدهما في الآخر — عبارة النص ليست على هذا الوضع . — أعطيا الاسم الذي يحملانه — عبارة النص أكثر إيجازا .

§ ٤ — أولاها لأنها تفعل — يظهر أن فعل البارد وفعل الحار متكافئان تماما وأنهما يفعلان ويقبلان على السواء . ومعنى بأولاهما الحار والبارد وبأنراها اليابس والرطب . وقد عني فيلوبيون بأن يوضح في إطناب لما إذا يجعل أرسطو من البارد والحار عنصرين فاعلين ومن اليابس والرطب عنصرين متفعلين . ر . عن هذه النظرية كلها الكتاب الرابع من الميتافيزيقيا ب ١ وما بعده . ص ٢٧٣ من ترجمتنا — هو الذي يجمع — وبهذا المعنى أن الحار يفعل . — الجواهر المتجانسة — هذا يقال خصوصا على الجواهر التي تسبح وتذوب تحت فعل النار فيكون لواها إذا كالسوائل . — في حقيقة الأمر — زدت هذه الكلمات

تركيب الأشياء التي من نوع واحد ما دام أن الذي يحصل إذا هو أن النار تخرج  
الجواهر الغريبة وتنفيها . والبرد على ضد ذلك يجمع ويركب على السواء الأشياء  
التي من نوع واحد والتي ليست من نوع واحد . ويسمى سائلا ما ليس محدودا  
في صورته الخاصة ولكنه يمكن مع ذلك أن يقبل بسهولة صورة . واليابس على  
ضد ذلك هو ما كان بماله من صورة محددة تماما في حدودها الخاصة لا يقبل صورة  
جديدة إلا بعناء . § ٥ — من هذه الفصول الأول إنما يأتي المتخلخل والكثيف  
والدبق والفريك والصلب واللين والفصول الأخرى المشابهة . إذا فان جسمها له  
خاصة إمكان أن يملأ الأين بسهولة يتصل بالسائل لأنه غير محدد هو نفسه وأنه يخضع  
من غير أدنى عناء إلى فعل الشيء الذي يلمسه تاركا ذاته تأخذ صورة ذلك الشيء .  
كذلك المتخلخل يمكنه أن يملأ الأين على سواء لأنه لما لم يكن له إلا أجزاء خفيفة  
وصغيرة كان يحميد الملاء ويلامس تماما وهذه خاصية تميز على الخصوص الجسم المتخلخل .  
حينئذ بالبدئية المتخلخل يقارب السائل في حين أن الكثيف يقارب اليابس . ومن  
جهة أخرى الدبق يتعلق أيضا بالسائل لأن الدبق ليس إلا نوعا من السائل مع

— تخرج ... وتنفي — ليس في النص الكلمة واحدة . — البرد على ضد ذلك يجمع — وعلى هذا المقول  
فالبرد هو فاعل كالحرارة . — والتي ليست من نوع واحد — فان الثلج يجلد ويجمع غالبا الجواهر الأكثر  
تقاربا . — ما ليس محدودا في صورته الخاصة — فان السائل لم يكن له البنية الا صورة الحارى له . أما  
هو نفسه فليس له صورة في ذاته . — في حدودها الخاصة — أو " في سطحه الظاهر الخاص " .  
— صورة ... حدود — النص يستخدم لفظا واحدا للدلالة على صورة أو حدود .

§ ٥ — من هذه الفصول الأول — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — والفصول الأخرى  
المشابهة — التي قد لا تكون الا ثانوية بالنسبة للفصول الأول للبارد والحار واليابس والرطب . — له خاصية  
إمكان أن يملأ الأين — ليس في النص الكلمة واحدة . ويمكن أيضا أن يفهم من الأين « الأمكنة  
الفارغة أو التجاويف » كما فهم فولوبون . — يتصل بالسائل — عبارة النص بالضغط : « هو من  
السائل » أي جزء منه . — خفيفة وصغيرة — هذا غير صحيح تماما وإن السطح مهما يكن متخلخلا فإنه  
لا يحسن أن يملأ الأين بحسب الوضع الذي يسطى اياه . — يتعلق أيضا بالسائل — أو " من السائل " —  
كما ذكر في المتخلخل .



بعض كفيات كالزيت . ولكن الفريق يتعلق باليابس لأن الفريق إنما هو التام اليبس . ويمكن القول بأنه لم يتجعد إلا لخلوه من كل سائل . ويمكن أن يقال أيضا إن اللين جزء من السائل لأن اللين هو ما يطاوع عند التواءه على نفسه ودون أن ينتقل كما أن السائل يفعل هذا الفعل بالضغط أيضا . تلك هي العلة في أن السائل لم يسم لنا في حين أن اللين يتعلق بصنف السائل وأخيرا فالصلب يتعلق باليابس لأن الصلب هو شيء من المتجعد والمتجعد يابس .

٦٤ - على أن يابساً وسائلاً لفظان يحملان على معان شتى ، فإن السائل والمبتل يمكن أن يعتبرا كمقابلين لليابس كما أن اليابس والمتجعد هما مقابلان للسائل . وكل هذه الخواص المختلفة تتعلق بالسائل واليابس محمولين على المعنى الأولى لهاتين الكلمتين ، لأنه من حيث إن اليابس هو مقابل للمبتل وإن المبتل هو ما كان به على سطحه سائل غريب في حين أن المتقع هو ما به السائل إلى باطنه . ولما أن اليابس هو على ضفة ذلك ما كان خلواً من كل سائل غريب فينبئ بذاته أن المبتل يتصل بالسائل في حين أن اليابس المقابل له يتصل باليابس الأولى .

- كالزيت - كان يمكن لإيجاد مثل أكثر انطباقاً . - من كل سائل - أو "من كل رطوبة" . - ودون أن ينقل - كحال الماء الذي تنفصل جزيئاته في حين أن الجسم اللين تبقى جزيئاته متصلة مع مطاوعها لضغط الواقع عليها . - يتعلق بصنف السائل - "أو هو من السائل" . - من المتجعد - هذا هو لفظ النص به تركته على عمومه .

٦٥ - يابساً وسائلاً - أو "يابساً ورطباً" وقد آثرت كلمة سائل حتى تكون مقابلة أظهر للمبتل الذي سبأى ذكره . - اليابس والمتجعد - ربما يمكن أن يقال أيضاً "اليابس والمتجعد" . - هذه الخواص المختلفة - ليس النص على هذا القدر من الضغط . - على المعنى الأولى لهاتين الكلمتين - ر . الملاحظة في ف ٣ . - المتقع - أو "المصور" . - يتصل بالسائل - ر . ملاحظتنا على هذا التعبير في الفقرة السابقة .



٧٩ — ويُجرى هذا المجرى أيضا في السائل والمتجمد فان السائل لما كان ما به رطوبة خاصة والمتجمد ما هو خلو منها يجب أن يستتبع منه أن هذين الكيفين أحدهما يتعلق بصنف السائل والآخر بصنف اليابس .

٨٠ — فبين حينئذ أن كل الفصول الأخرى يمكن أن يرجع بها الى الأربعة الأولى وأن هذه لا يمكن أن ينزل عددها الى أقل من ذلك لأن الحار ليس هو والرطب أو اليابس شيئا واحدا كما أن الرطب ليس هو لا الحار ولا البارد . كذلك البارد واليابس ليسا تابعين أحدهما للآخر كما أنهما ليسا تابعين للحار ولا للرطب . والحاصل أنه لا يوجد ضرورة إلا هذه الأربعة الفصول الأصلية .

٧٩ — في السائل... بصنف السائل — يظهر أن هنا تكرارا في الكلمات لا فائدة منه وقد اضطررت أن أتبع الأصل . ولم يفسر فيلوبيون هذا العيب الذي ربما لم يفتن له .

٨٠ — كل الفصول الأخرى — التي ذكرت ووضعت بعد الفصول الأربعة الأولية والأصلية . — الى الأربعة الأولى — البارد والحار واليابس والرطب . — الى أقل — يعني الى اثنين بدل أربعة . — والرطب — أو "السائل" . — الأصلية — أضفت هذا الوصف . ر . الكتاب الرابع من الميتافيزيقيا ب ١

### الباب الثالث

تراكيب العناصر بين بعضها والبعض — ليس منها الا أربعة لان الأضداد خارجة عنها — نظريات سابقة على عدد العناصر — هرميند — أفلاطون — أميدقل — طبع العناصر المختلفة — الأمكنة المختلفة التي تشغلها في الآن .

١ § — لما أنه يوجد أربعة عناصر وأن التراكيب الممكنة لحدود أربعة هي ستة ، ولكن أيضا لما أن الأضداد لا يمكن أن تزدوج بينها مادام البسارد والحار واليابس والرطب لا يمكن البتة أن تندمج في شيء واحد بعينه ، فبين أنه لا يبقى إلا أربعة تراكيب للعناصر . فمن جهة ، حار ويابس ، حار ورطب ، ومن جهة أخرى بارد ويابس ، بارد ورطب . ٢ § — تلك هي نتيجة طبيعية لوجود الأجسام التي تظهر بأنها بسيطة : النار والهواء والماء والأرض ، فالنار حارة ويابسة والهواء حار ورطب مادام أن الهواء نوع من البخار ، والماء بارد وسائل وأخيرا الأرض باردة ويابسة . يتبع منه أن توزيع هذه الفصول بين الأجسام الأول يفهم جد الفهم وأن عدد هؤلاء وهؤلاء هو على تمام التناسب .

٣ § — وفي الحق أن كل الفلاسفة باصترافهم للأجسام البسيطة بأنها عناصر قبلوا منها تارة واحدا وتارة اثنين وتارة ثلاثة وتارة أربعة ، ٤ § — فأما الذين لم يقبلوا

١ § — لما أنه يوجد أربعة عناصر — هذه هي عبارة النص ولكن المباد والبارد ، واليابس والرطب أولها أن تكون خواص للعناصر من أن تكون عناصر بالمعنى الخاص . — أن تزدوج بينها — لأنها تنفاسد . — أنه لا يبقى إلا أربعة تراكيب — ليس النص على هذه الصراحة . — رطب — أخذت اللفظ الأكثر استعمالا عادة ولكن اللفظ الإفرنجي يفيد شيئا لا كما يفيد رطباً . ٢ § — التي تظهر بأنها بسيطة — أسلوب هذه العبارة لا يدع محلا لأقل شك في بساطة العناصر بالإطلاق على حسب نظريات أرسطو . وقوله تظهر بأنها بسيطة يفيد أن بساطة العناصر يمكن أن تحقق بالمعاني . — والماء بارد وسائل — اخترت هنا لفظ سائل بدله رطب لأنه أنسب للماء .

٣ § — للأجسام البسيطة بأنها عناصر — الظاهر أنه يتبع من هذه الفقرة أنه ولا واحد من الفلاسفة قد قبل أكثر من أربعة عناصر . ومع ذلك فإن أرسطو نفسه في المينورولوجيا قبل فيها يظهر خامسا وهو الإثير . ر . المينورولوجيا ك ١ ب ٣ ق ٤ ص ٩ من ترجمتنا .

منها إلا واحدا فمضطرون الى توليد كل الأخرى من تكثيف هذا العنصر أو تخفيفه .  
وبالتبع يقبلون مبدأين المتخلخل والكثيف أو الحار والبارد لأنها في هذا المذهب  
هي الفواعل المؤلفة والعنصر الوحيد يكون خاضعا لفعلاهما بما هو مادة § ٥ - وأما  
الفلاسفة الذين هم كبرمينيدي يقبلون عنصرين النار والأرض ، فيعتبرون العناصر  
الوسيطية الهواء والماء مزيجاً من ذينك العنصرين . كذلك الحال عند الذين  
يقبلون عناصر ثلاثة كما فعل أفلاطون في تقاسيمه لأن عنده العنصر الوسط ليس  
إلا مزيجاً . وحيث أن الذين يقبلون عنصرين والذين يقبلون ثلاثة يوشك أن  
يكونوا على اتفاق تام لولا أن بعضهم يقسم العنصر الوسط الى اثنين وأن الآخرين  
يتركون له وحدته . § ٦ - ومنهم كأمبيدقل من يعترفون جلياً بأربعة عناصر غير أنه  
هو أيضاً يقرها الى اثنين لأنه يقابل بالنار كل العناصر الأخرى مجتمعة .  
فعلى رأى أمبيدقل يكون لا النار ولا الهواء ولا أى واحد من العناصر الأخرى

§ ٤ - تكثيف... أو تخفيف - ر . الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ ص ٤٦١ من ترجمتنا . - هذا  
العنصر - أضفت هاتين الكلمتين لتتام الفكرة . - الفواعل المؤلفة - أو "العائنة" - - خاضعا لفعلاهما -  
- ليس النص على هذه الصراحة . - بما هو مادة - أهل لأن تقبل الأضداد على التعاقب .  
§ ٥ - كبرمينيدي - في الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ أن المبدأين المنسوبين الى برمينيدي هما المتخلخل والكثيف  
أو الحار والبارد وليس هما النار والأرض مع أن النار يمكن أن تشخص بالحار والأرض بالبارد . - في تقاسيمه -  
قد يظهر أن هذا يدل على عنوان خاص مؤلف لأفلاطون ولكن فلبرون بناء على قول مفسرين سابقين  
يؤكد أن المؤلف المنسوب الى أفلاطون تحت هذا الاسم كان متحلاً . ويرى الاسكندر الأفروديزي أن  
المقصود هنا هو تلك الآراء غير المكتوبة لأفلاطون التي يرويها أرسطو بالصراحة في الطبيعة ك ٤ ب ٤  
ف ٤ ص ١٥٠ من ترجمتنا . وقد ظن شراح آخرون أن المقصود هو التقاسيم المبيحة في محاوره أفلاطون  
المعترنة "السفسطائي" . ويظهر أن تفسير الاسكندر هو الأقرب للاحتمال . - ليس إلا مزيجاً -  
كما يرى برمينيدي . - يوشك أن يكونوا على اتفاق تام - ما دام أنه مزيج في عرف الطرفين .  
- العنصر الوسط الى اثنين - قد لا يكون هذا مطابقاً تماماً لما قيل آنفاً فان برمينيدي يظهر أنه يقبل  
عنصرين وسطين لا واحداً ولا يمكنه أن يدمج الهواء والماء . § ٦ - كأمبيدقل - ر . سبق  
ب ١ ف ٢ - كل العناصر الأخرى مجتمعة - ليس النص على هذا الضبط . - على رأى أمبيدقل -  
أضفت هذه العبارة لأنه يظهر لي أن كل ما سياتي لا يمكن إسناده الا الى أمبيدقل . وهذا تفسير بان توماس

بسيطاً بل ممزوجاً. فإن الأجسام البسيطة هي جميعها بسيطة بلا شك، ولكنها ليست مع ذلك متماثلة. مثلاً الجسم المشابه للنار هو من نوع النار ولكنه مع ذلك ليس بالضبط ناراً. والجسم المشابه للهواء هو من نوع الهواء دون أن يكون هواءً. وكذلك الحال في بقية العناصر. ولكن النار هي إفراط في الحرارة كما أن الثلج إفراط في البرودة لأن التجلد والغليان هما إفراطان من جنس ما أحدهما للبارد والثاني للحر. فإذا كان إذا الثلج هو تجسد السائل والبارد، فالتار تكون أيضاً غليان الحار واليابس. فانظر لمساذا لا يمكن أن يتولد شيء لا من الثلج ولا من النار.

٧٤ — الأجسام البسيطة بما هي في عدد الأربعة تتعلق اثنين اثنين بكل واحد من مكاني الأين. فالهواء والنار هما من المكان المسائل نحو الحد الأقصى. والأرض والماء بالمكان الذي هو نحو المركز. وإن العناصر الطرفية والخالصة أكثر

رجاحة كويميرا. ويظهر أن فيلويون يظن أن هذه هي فكرة أرسطو الخاصة. — بل ممزوجاً — من الصورة والهيولى كما يقول فيلويون. — الأجسام البسيطة — عبارة النص غير محددة وهي "البساط". ومن الجائز أن يكون المراد هنا الأربعة العناصر الخاصة الحار والبارد واليابس والرطب، وعلى الرغم من الجهد الذي بذلته لا تزال هذه الفقرة قلقة غامضة. — الجسم المشابه للنار — هو المركب من الحار واليابس. ر. ما سبق ف ٢. — ولكنه مع ذلك — ليس النص على هذه الصراحة. — الجسم المشابه للهواء — وهو المركب من الحار والرطب. ر. ما سبق ف ٢. — التجلد والغليان — من الغريب أن ترى هاتان الظاهرتان متقابلتين في نظريات القدماء. وقد لزم أن تمر قرون عديدة حتى ينتج هذا التقابل نتيجة العملية فيؤسس عليه ميزان الحرارة (الترمومتر) هذه الآلة المعجبة التي تصلح لتعيين درجة حرارة الأجسام. — فانظر لمساذا لا يمكن أن يتولد شيء. — لا يظهر أن المعاني مرتبطة جداً بالارتباط بعضها ببعض وقد يمكن أن تكون هذه الجملة ليست إلا تذيلاً.

٧٥ — الأجسام البسيطة — هذه هي عبارة النص بعينها ويظهر أن أرسطو هنا يرجع إلى الكلام على مذهبه الخاص وأن ليس المراد هنا الكلام على المذاهب الخاصة لأسميدقل. — بكل واحد من مكاني — الفوق وال تحت. — الأين — أضفت هذه الكلمة. — من المكان المسائل نحو الحد الأقصى — عبارة النص غير محددة قليلاً ومع أني حددتها نوعاً ما فلم أبلغ جعلها أجلى بياناً. — الذي هو نحو المركز — نلاحظ هنا الملاحظة السابقة. — العناصر الطرفية — معنى التي هي في النقط الأكثر مقابلة من الأين للمركز وللعبط الأقصى. — والخالصة أكثر من غيرها — هذا يجب أن يعني به حركة هذه العناصر أولى من أن



من غيرها هي النار والأرض . والعناصر الوسطى والأكثر ممازجة هي الماء والهواء .  
وفي كل طائفة أحد الاثنين هو ضد للآخر لأن الماء ضد النار والأرض ضد الهواء  
ما دام أن لها في تركيبها كيفيات متضادة ٨٨ — ومع ذلك فصل القول بالاطلاق  
الأربعة الأجسام البسيطة لا يتعلق كل واحد منها إلا بكيف واحد . على ذلك  
الأرض هي من اليابس أكثر من أن تكون من البارد والماء هو من البارد أكثر من  
أن يكون من السائل . والهواء هو من السائل أكثر من أن يكون من الحار والنار  
هي من الحار أكثر من أن تكون من اليابس .

يعنى به تركيبها . وقد يمكن أن يقال « الأظهر » في انجذابها . — والأكثر ممازجة — هذه هي عبارة  
النص بعينها ولكنه يلزم أن يفهم أن هذا ينطبق خصوصا على الحركة . — هو ضد للآخر — في الطائفة  
الأخرى . — الأرض ضد الهواء . — التقابل ليس بين الظهور . — كيفيات متضادة — انظر ما على .  
٨٩ — فصل القول بالاطلاق — زدت فظ « القول » . — الا بكيف واحد — عبارة النص غير  
محددة . — أكثر من أن تكون — هذا مناهض قليلا لمفهوم قوله « على الاطلاق » في أول الجملة .  
— من البارد أكثر من أن يكون من السائل — يظهر أن الأمر على ضد ذلك أن الماء سائل أكثر من  
باردا . فهو سائل قبل كل شيء . ولكن المذهب الذي وضع هنا يقتضى هذا الناظر في الوضع . فقد تركت  
السهولة للهواء . وربما قد يمكن أن يقال أيضا بدل السهولة السائلة .

## الباب الرابع

نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض — فصول العناصر فيها يمكن أن تكون أكثر أو أقل عدداً —  
سهولة التبدل وصعوبته — أمثلة مختلفة بحسب تجاور العناصر أو البعد بينها في النظام الذي هي مرتبة به  
وبحسب تماثل كميات العناصر أو تقابلها — خاتمة الجزء الأول لنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر .

١ § — بعد أن بينا فيما سبق أن الأجسام البسيطة يكون بعضها بعضاً على  
طريق التكافؤ وأن المعاينة الحسية تدلنا على أنها تتكون بهذه الطريقة لأنه إن لم  
يكن كذلك فقد لا توجد استعالة، ما دامت الاستعالة لا تنطبق إلا على كميات  
الأشياء التي يمكن لمسها، فيلزمنا أن نقول بأي طريقة يحصل تغير العناصر بعضها إلى  
بعض وما إذا كان ممكناً أن كل عنصر يتولد من كل عنصر أو إذا كان هذا ممكناً  
فقط بالنسبة للبعض ومحالاً بالنسبة للبعض الآخر .

٢ § — فإذا كان تم أمر بديهي فذلك هو أن كلها يمكن بالطبع أن تتغير بعضها  
إلى بعض لأن كون الأشياء يروح إلى الأضداد ويحيى من الأضداد . وكل العناصر  
لها تقابل بعضها بالنسبة إلى البعض الآخر لأن فصولها أضداد وحيلت في بعض

١ § — بعد أن بينا فيما سبق — ر . كتاب السماء ك ٢ ب ٧ ف ١ ص ٢٦٥ من ترجمتنا .  
ويظهر بناءً على هذه الفقرة أن كتاب السماء كان في فكرة المؤلف مرتبطاً بهذا الكتاب كما يعتقد المفسرون  
إذ وضعا الكتابين أحدهما تلو الآخر . — المعاينة الحسية — عبارة النص « الحس » . — لأنه إن لم يكن  
كذلك فقد لا توجد استعالة — الدليل ليس جيد اليان إذ أن الاستعالة مختلفة عن الكون وأنها تقتضيه .  
فانه يلزم أن يوجد الشيء قبل أن يستحيل ولكن وجود العنصر الشيء لا يخرج منه أن هذا العنصر يأتي من  
عنصر آخر . — التي يمكن لمسها — ر . ما سبق ب ٢ ف ١ . — تغير العناصر بعضها إلى بعض — يمكن  
مراجعة كتاب السماء و آداب المتنولوجيا أيضاً ك ١ ب ٢ ر ٣ من ترجمتنا .

٢ § — أمر بديهي — بالتدليل أكثر منه بالمشاهدة . — يروح إلى الأضداد — حفظت عبارة  
النص على فرط إيجازها . ومع ذلك فهي مفهومة بسهولة بعد التفاصيل التي تقدمت . فإن الشيء يتكونه يذهب  
من الوجود إلى الوجود وعلى ضد ذلك ضاده يذهب من الوجود إلى الوجود فهو يجاوز ضدًا لذهب  
إلى الضد الآخر . — لها تقابل — اتخذت لفظاً أهم من لفظ النص الذي هو « تضاد » . — فصولها أضداد —  
ر . ما سبق ب ٢ ف ٢ .

العناصر الفصلان هما ضدان ومثال ذلك في الماء والنار فان أحدهما يابس وحرار في حين أن الآخر سائل وبارد . وبعض العناصر الأخرى ليس لها إلا واحد من الفصلين كالهواء والماء فان أحدهما هو سائل وحرار والثاني بارد وسائل .

§ ٣ - - وحينئذ فن البين أنه على العموم كل عنصر يمكن بالطبع أن يأتي من كل عنصر . وابس من الصعب الاقتناع بهذا بأن يشاهد كيف تحصل الظاهرة بالنسبة لكل عنصر على حدته . لأنه سيري أن كلها تأتي من كلها . والفرق الوحيد إنما هو أن التغير يتكون بكثير أو قليل من السرعة وبكثير أو قليل من السهولة . وكلما كان بين العناصر نقط ارتباط تحولت بعضها الى بعض سراعاً جداً . وما ليس بينها نقط ارتباط لتغير بسيط . وعلّة ذلك أن شيئاً واحداً بمفرده يتغير بأسرع من عدة . وعلى ذلك فالهواء يأتي من النار بتغير أحد الكيفين ليس الا ، ما دام أن أحدهما يابس وحرار والثاني حار وسائل . وينتج منه أنه اذا كان اليابس مغلوباً بالسائل فيتكون الهواء ثم إنه من الهواء يتكون الماء اذا كان الحار هو المغلوب بالبارد لأن أحدهما كان سائلاً وحراراً والثاني كان بارداً وسائلاً فيكفي إذا أن الحرارة وحدها تتغير لأجل أن يتكون الماء .

§ ٤ - - وبهذه الطريقة عينها أيضاً أن الأرض تأتي من الماء وأن النار تأتي من الأرض لأن هذين العنصرين أيضاً هما أحدهما قبل الآخر نقطة جمع ووصل

— فان أحدهما هو سائل - قد اضطررت للاحتفاظ بلفظ " سائل " المطبق على الهواء كما هو أيضاً في النص .

§ ٣ - - بأن يشاهد - وصية جديدة بنط الملاحظة . - نقط ارتباط - ربما كان أصعب أن يقال « تركيب » يمكن . فان الحد المستعمل في النص فيه تفاوت لم أستطع تحصيله مباشرة . ر . الفقرة الآتية . - تحولت - أو « مرت من واحد الى الآخر » . - أحد الكيفين - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - كان - قد حافظت على أسلوب النص وهذا يتعلق بالنظريات التي بسطت آفا . - يابس وحرار ... حار وسائل - أي أن كفي الحار يجمعان ماداماً متساويين . فلا يسحق للتغير الا اليابس والسائل . - كان سائلاً - حفظت صيغة الماضي الناقص كما هي في الأصل .

§ ٤ - - نقطة جمع ووصل - ترجمت هنا بوضوح معنى الكلمة الإغريقية التي هي خاصة بالأشياء التي يمكن جمع أجزائها لتولف كلا بعد أن فصلت .

فان الماء سائل وبارد والأرض هي باردة ويابسـة بحيث إنه اذا كان السائل هو المقلوب تتكون الأرض . ومن جهة أخرى بما أن النار يابسـة وحارة والأرض يابسـة وباردة فاذا فسد البارد فن الأرض تتكون النار . فيرى حينئذ أن كون الأجسام البسيطة يحصل بالدور وطريقة التغير هذه هي أسهل الطرق لأن العناصر التي تتعاقب لها دائماً بينها نقط جمع ووصل .

§ ٥ — والماء يمكن أيضاً أن يأتي من النار والأرض من الهواء وبالعكس يمكن أن يأتي أيضاً الهواء والنار من الماء ومن الأرض . ولكن هذا التحول هو أصعب لأن موضوع التغير أشياء أكثر مدداً . وفي الواقع لأجل أن تأتي النار من الماء يلزم أن يفسد أولاً البارد والسائل . وكذلك لأجل أن يأتي الهواء من الأرض يلزم أن البارد واليابس يفسدان . وهذا اللزوم واجب أيضاً لأجل أن الماء والأرض يأتیان من النار ومن الهواء لأنه يلزم حينئذ أن يكابد الكيفان التغير .

§ ٦ — وأيضاً الكون الذي يحصل بهذه الطريقة هو أبطأ . ولكن اذا فسد أحد كفي كل واحد من الاثنين فيكون التحول أسهل غير أن هذا التحول لا يحصل بعد حينئذ

— هو المقلوب — بالكيف الآخر الذي هو أقوى منه . فان السائل المقلوب يتلاشى ولا يبقى من الكيفين الا البرودة التي هي الكيف المشخص للأرض . — فن الأرض تتكون النار — كل هذه النظريات تظهر لنا غريبة في هذه الأيام ولكن يجب الرجوع الى زمن أرسطو . وقد كانت هذه النظريات مقبولة بلا نزاع الى القرن السادس عشر . — العناصر التي تتعاقب — ليس في النص الا كلمة واحدة غاية في عدم التحديد ، فان العناصر المتعاقبة هي التي لها كليات مشتركة . — جمع ووصل — ر . ما سبق في أول هذه الفقرة .

§ ٥ — والماء يمكن أيضاً أن يأتي من النار — ليس بين الماء والنار نقطة مشتركة ما فلاجـل أن يتغير أحدهما الى الآخر لابد من الوسطاء . وهاتنا الهواء هو الذي له نقط مشتركة بينه وبين الماء من جهة و بين النار من جهة أخرى . — هذا التحول — عبارة النص أشد إبهاماً . — البارد والسائل — اللذان هما كيفا الماء . — البارد واليابس — كيفا الأرض الخالصان . — الكيفان — لفظ النص غير محدد .

§ ٦ — الكون — كون العنصر الجديد الناتج من تحول العناصر الأخرى . — لا يحصل بعد حينئذ من الواحد الى الآخر — وحينئذ يوجد جسم ثالث مكون من الكيفين الباقية . يتنازع فلاويون في صحة هذه النظرية التي هي مع ذلك كما يقول هو كانت مقبولة عند الإسكندر الأفروديزي .



من الواحد الى الآخر على طريق التكافؤ . غير أنه من النار ومن الماء تأتي الأرض والهواء ، ومن الهواء ومن الأرض تأتي النار والماء . وفي الواقع اذا فسد بارد الماء ويابس النار يتكون الهواء لأنه لا يبقى بعدد إلا حار أحدهما وسائل الآخر . ولكن إذا فسد حار النار وسائل الماء لتكون الأرض لأنه لا يبقى حينئذ إلا يابس أحدهما وبارد الآخر .

٧ § — وكما هو الأمر في الهواء والأرض يكون في تكون النار والماء لأنه إذا فسد حار الهواء مع يابس الأرض يتكون الماء ما دام أنه مسبق سائل أحدهما وبارد الآخر . ولكن حينما يكون المنعدم هو سائل الماء وبارد الأرض تتكون النار لأنه يبقى حار أحدهما ويابس الآخر وهما الكيفان الخاصان بالنار .

٨ § — وهذا الإيضاح لكون النار يتفق جدا مع الحوادث التي يشهد بها الحس لأنه إنما هو اللهب الذي هو على الأخص نار واللهب ليس إلا الدخان المحترق والدخان يتركب من هواء وأرض .

٩ § — في العناصر التي تتوالى وتتعاقب ليس ممكنا متى كان أحد الكيفين قد فسد في واحد أو في الآخر أن يحصل مرور وتحول للعناصر إلى أي جسم آخر

— غير أنه من النار ومن الماء — لا يظهر التماثل في متعاقبة تمامها . — يتكون الهواء — عنصر مخالف للنار والماء اللذين أنجاء . — تتكون الأرض — الملاحظة فيها . — يابس... وبارد — اللذان هما كيفا الأرض .  
٧ § — سائل أحدهما — السائل يظهر أن استعماله خاص بالماء دون سواه . ولكن في هذه النظريات يلزم قبوله أيضا بالنسبة للهواء . لأن لفظ رطب يظهر أنه أحسن استعمالا في بعض الأحوال . ويمكن أيضا أن تستعمل كلمة "لطيف" للهواء . ولكن هذه الكلمة لا توافق تماما كلمة النص . — وهما الكيفان الخاصان بالنار — ر . ما سبق ص ٣ وق ٢ .

٨ § — وهذا الإيضاح لكون النار ليس النص على هذه الصراحة . — يتفق جدا مع الحوادث — لا يظهر أن هذا الاتفاق تام كما يظن المؤلف . ولكن هذا لا يمنع من أن اللفظ الذي يرمي باتباعه طيب وحسن ولو أنه لم يحسن تطبيقه . — الدخان يتركب من هواء وأرض — لأن الدخان على رأى أرسطو هو تجزئ الخشب . ر . الميتورولوجيا ك ٤ ص ٩ وق ٤٢ ص ٣٣٩ من ترجمتنا .

٩ § — التي تتوالى وتتعاقب — مثال ذلك الهواء بعد النار والماء بعد الهواء والأرض بعد الماء ما دامت العناصر الأربعة مرتبة على هذا النظم . — مرور وتحول — ليس في النص الا كلمة واحدة .

لأن البواقي التي تبقى في الاثنين هي إما متماثلة أو متضادة . وحينئذ لا من بعضها ولا من الآخر يمكن أن يتحصل جسم . مثال ذلك إذا فسد يابس النار وإذا فسد ما يضا سائل الهواء لا توجد نتيجة ممكنة مادامت الحرارة هي التي تبقى من طرف ومن آخر . وكذلك الحال فيما إذا كانت هي الحرارة التي تنعدم من الاثنين فإنه لا يبقى بعد إلا ضدان وهما اليابس والسائل، ويُجرى هذا المجرى في جميع الأحوال الأخرى ما دام أنه في الأحوال التي من هذا القيل يبقى دائما تارة الكيف المتماثل وتارة الكيف المضاد، وعلى هذا فن البين حينئذ أنه لأجل تكوين العناصر مارة ومتغيرة من واحد إلى واحد يكفي أن كيفا واحدا يفسد. ولكن بالنسبة للعناصر التي تمر من اثنين إلى واحد فقط . هنالك يحتاج إلى فساد عدة كيفيات .

§ ١٠ - وعلى جملة من القول فإنه قد وضع أن كل عنصر يتولد من كل عنصر وقد بين بآية طريقة يحصل تحول بعضها إلى بعض .

— البواقي التي تبقى في الاثنين — ليس النص على هذه الصراحة . — نتيجة ممكنة — يعني جسمها ثالثا مخالفا للجسمين اللذين أنتجا . — الحرارة هي التي تبقى — وفي هذه الحالة هي النار . — ضدان — يترافعان ولا يمكنهما أن يجتمعا ما دام أنهما يتفاسدان على التكافؤ . — مارة ومتغيرة — ليس في النص الا كلمة واحدة . — من واحد الى واحد — التصير ليس بينا جدا ولم أزد على أن حصلته بعينه . — كيفا واحدا — الكيف المضاد . والنص ليس على هذا القدر من الضبط . — عدة كيفيات — كلمة النص في غاية الإبهام .

§ ١٠ - وعلى جملة من القول — عبارة النص هي بالبساطة : "حينئذ" .

## الباب الخامس

بقية نظرية تبدل العناصر — من المحال ألا يوجد إلا عنصر واحد منه فاق كل العناصر الأخرى —  
في هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيق للعناصر المختلفة —  
شاهد من طلموس لأفلاطون — عرض جديد للطريقة التي بها تتغير العناصر بعضها إلى بعض — يحصل التبدل  
بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك — نسبة العناصر الأطراف بعضها إلى بعض ونسبة العناصر الأوساط —  
الحدود الضرورية لهذا التحول — لا يمكن التثني إلى الإلتهائية في أي واحدة من الجهتين — البيان الحرفي  
لهذا المبدأ .

١ § — التفاصيل السابقة لا تمنعنا تقدير هذه المسائل على ضوء آخر . فإذا كانت  
مادة الأجسام الطبيعية هي ، كما يرى بعض الفلاسفة ، الماء والهواء أو عناصر  
من هذا القبيل فيلزم أن تكون واحدا أو اثنين أو عدة من هذه العناصر .  
وفي الحق لا يمكن ألا تكون جميع الأشياء إلا عنصرا واحدا أحدا . مثلا أن  
الكل لا يكون إلا هواء أو ماء أو نارا أو أرضا ما دام التغير يحصل في الأضداد .  
وفي الواقع لنفرض أن الكل هو من الهواء وأن الهواء يسبق في جميع التغيرات  
فسيحصل من ثم مجرد استحالة ولن يحصل بعد كون .

٢ § — ولكن في هذا الافتراض عينه ليس ممكنا ، فيما يظهر ، أن يكون الماء في آن  
واحد هواء أو أي عنصر آخر مشابه . فسيوجد دائما بين الكيفيات تقابل وخلاف

١ § — التفاصيل السابقة — ليس النص على هذه الصراحة . — على ضوء آخر — عبارة النص  
بالضبط هي : « هكذا » يعني « بالطريقة الآتية » . — فإذا كانت مادة الأجسام الطبيعية — يجب أن  
يعني ها هنا بالأجسام الطبيعية أولا بعض العناصر ثم بعد ذلك جميع الأجسام التي تولفها العناصر الأولية  
بتركيبها . — كما يرى بعض الفلاسفة — وعلى الأخص فلاسفة مدرسة يونيا . — عنصرا واحدا  
أحدا — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ما دام التغير يحصل في الأضداد — وأن تقبل واقعية  
التغير المدرك بحواسنا . — في جميع التغيرات — أضفت هذه الكلمات لبيان الفكرة .

٢ § — أن يكون الماء — بعض النشئين ثبت النار بدل الماء ، وأظن أن هذه هي الرواية الحقة لأنها  
هي وحدها التي تتفق مع كل ما يل . ويظهر أن قولهم أيضا على ذلك . ولكنني لم أجسر على تغيير النص  
لأن هذا التغيير لا يستند إلى أية نسخة مخطوطة . — بين الكيفيات — أضفت هاتين الكلمتين لتمام المعنى .

حيث لا يكون للنار إلا واحد من الطرفين الحرارة مثلا . ولكن النار لن يمكنها البتة أن تكون بالهساسة هواء حارا لأن هذا إنما هو استحالة . ولا يظهر أن الأمور تقع على هذا النحو . ومن جهة أخرى إذا فرض على العكس أن الهواء يأتي من النار فهذا التغير لا يمكن حصوله إلا بالتغير من الحرارة إلى ضدها فهذه الكيفية المضادة ستكون إذا في الهواء . وحينئذ سيكون الهواء شيئا باردا وبالنتيجة من المحال أن تكون النار هواء حارا لأنه قد ينتج منه أن العنصر الواحد قد يكون حارا وباردا في آن واحد . وسيوجد حينئذ خلاف هذين العنصرين شيء ما آخر سيقى بمائلا وهو أية مادة أخرى عامة للآتين .

§ ٣ - قد يكون التذليل عينه منطبقا في حق كل عنصر آخر غير الهواء . ولا يمكن أن يوجد منها واحد قد يكون المنبع الوحيد الذي منه تكون قد خرجت الأخرى كلها . وليس يوجد خلاف هذه العناصر عنصر آخر وسيط ، كأن يكون مثلا عنصرا وسطا بين الهواء والماء أو بين الهواء والنار ، أثقل من الهواء والنار وأخف من كل الأخر . لأن هذا الوسيط حينئذ يكون بمقابلة الأضداد هواء ونارا معا . ولكن ثانی الضدين هو العدم وبالتالي لا يمكن أن يثبت هذا العنصر الوسيط وحده ، كما يقوله بعض

— واحد من الطرفين — هذه هي كلمة النص بعينها أثبتها وربما قد لا تكون الكلمة المختارة . — الحرارة — بافتراض أن الهواء حار وسائل كما سبق في ف ٢ ر ٣ . — الأمور تقع على هذا النحو — ليست عبارة النص على هذه الصراحة . — أن الهواء يأتي من النار — كما افترض آفا من أن النار هي التي كانت تأتي من الهواء فيلزم أن الهواء يمكن أن يأتي من النار أيضا ما دام أنه لم يفترض إلا عنصر واحد أحد . — من الحرارة — التي هي في النار بالبداهة . — إلى ضدها — الذي هو البرودة . — هذه الكيفية المضادة — ليس في النص إلا اسم إشارة غير محدد . — وسيوجد حينئذ — هذه هي النظرية التي سيقف عندها أرسطو فيأى . — أية مادة أخرى عامة للآتين — هي المادة بالقوة المحضة لا بالفعل والتي يمكنها أن تقبل على التناوب صورة كل واحد من الأضداد ونوعه . ر . طوماس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٢٢

§ ٣ - في حق كل عنصر آخر غير الهواء — النص مبهم جدا . — قد يكون المنبع الوحيد — النص مبهم جدا أيضا . — عنصر آخر وسيط — كما كان يرى أنكسيمندروس على رواية فيلو بون . — هو العدم — ر . الطيعة ك ١ ب ٨ ف ١٠ ص ٤٨٠ من ترجمتنا . فان العدم هو ثانی الضدين بمعنى أن هذا الضد



الفلاسفة ، عن الامتناهى وعن الحاوى . فيلزم إذاً إما أن كل واحد من العناصر المعروفة يمكن أن يكون على السواء هو ذلك الوسيط وإما ألا يمكن ولا واحد منها أن يكونه .

§ ٤ — ولكنه إذا لم يكن أجسام محسوسة سابقة على تلك العناصر التي نعرفها هي كل هذه الموجودة ، فيلزم حينئذ إما أن تثبت العناصر الى الأبد كما هي دون أن يتغير بعضها الى بعض وإما أن تتغير على الدوام . يمكن أن يسلم أيضاً بإمكان تغيرها جميعاً أو أن بعضها يمكن أن يتغير وأن الأخرى لا يمكنها ذلك كما قال أفلاطون في طيماوس . ولقد وُضِعَ فيما سبق أن العناصر تتغير بالضرورة بعضها الى بعض ولكنه قد يُنَّ أيضاً أنها لا تتغير بسرعة على السواء تحت هذا التأثير المتبادل وأن التغير يحصل أسرع بالنسبة للتي بينها نقطة صلة أعنى كيفاً مشتركاً ، وأبطأ بالنسبة لتلك التي ليس لها من ذلك . فإذا لم يكن إذاً إلا مقابلة واحدة بالأضداد على حسبها تتغير الأجسام فيلزم بالضرورة حينئذ أن يوجد جسمان لأن الهوى إنما هي التي تصلح وسطاً للضدين غير مدرك وغير منفصل ولكن لما أنه يوجد بالمعانية عناصر أكثر فإن أقل ما يمكن أن يوجد من المقابلات إنما هو اثنان ومتى وجد

الثاني لا يوجد الا متى انقطع وجود الآخر . — وعن الحاوى — حفظت لفظ النص على إيهامه . ر . على الامتناهى الطيبة لك ٣ ب ٦ ف ٤ ص ٩٧ من ترجمتنا . الفلاسفة الذين يشير إليهم هنا أرسطو بلائك هم أتياع فيثاغورث . ر . كذلك أيضاً الطيبة ف ١٢ ص ١٠٠ . — يمكن أن يكون على السواء هو ذلك الوسيط — ليس النص على هذا القدر من البيان . ولكن المعنى الذي وفيناه ظاهر من شرح فيلوپون .

§ ٤ — أجسام محسوسة — عبارة النص غير محددة . — فالعناصر التي نعرفها — زدت " التي نعرفها " . — كما هي — زدت أيضاً . — كما قال أفلاطون في طيماوس — ر . طيماوس ترجمة كوزان ص ١٦٦ وما بعدها . — فيما سبق — ر . ما سبق ب ٣ و ٤ . — أعنى كيفاً مشتركاً — زدت هذه العبارة على جهة التذييل . — مقابلة واحدة بالأضداد — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — للضدين — أضفت هذا الجار والمجرور لإتمام الفكرة . ر . الطيبة لك ١ ب ٨ من ترجمتنا . — عناصر أكثر — ليس النص على هذه الصراحة .

اثنان فلا يمكن أن يوجد ثلاثة حدود فقط بل يلزم مطلقاً أربعة كما قد تدل عليه  
المشاهدة . وهذا إنما هو عدد التراكيب اثنين اثنين لأنه ولو أنها ستة في المجموع  
إلا أن منها اثنين لا يمكن البتة أن يكونا لأنهما ضدان أحدهما للآخر . ومع ذلك  
فقد عولجت هذه المسائل فيما سبق .

§ ٥ — مع أن العناصر تتغير بعضها إلى بعض فإن من المحال أن يوجد مبدأ  
التحول لا في أحد الطرفين ولا في الوسط . وإليك ما يثبت : فاما الطرفان فإنه ليس  
ممكناً أن تكون كل الأشياء من النار كما أنها لا تكون كلها من الأرض ، لأن هذا يرجع  
إلى القول بأن الكل يتولد من النار أو أن الكل يتولد من الأرض . ولكن لا يمكن  
أن يقال أيضاً ، كما يريد بعض الفلاسفة ، إن الوسط هو المبدأ وإن الهواء ينقلب  
إلى نار وإلى ماء ولا إن الماء ينقلب إلى هواء وإلى أرض . لأنني أكرر أن  
الأطراف لا يمكن البتة أن يتغير بعضها إلى بعض .

§ ٦ — على ذلك يلزم إيجاد نقطة وقوف ولا يمكن من جهة ولا من أخرى  
السير إلى اللانهاية على خط مستقيم لأنه يترتب عليه وجود مقابلات وأضداد غير  
متناهية العدد لعنصر واحد أحد . فلنرمز للأرض بحرف  $\alpha$  وللماء بحرف  $\mu$  وللحرف  $\nu$

— فيما سبق — ر . ما سبق ب ٣ ف ١

§ ٥ — مبدأ التحول — عبارة النص هي بالبساطة "مبدأ" . — من النار ... من الأرض — بأن  
النار والأرض هما العنصران الطرفان . — الهواء ينقلب إلى نار — بما أن الهواء عنصر وسيط .  
— الماء ينقلب إلى هواء — الملاحظة عليها . — أكرر — أضفت هذه الكلمة . — أن يتغير  
بعضها إلى بعض — لأن الأطراف هي أضداد تتفاسد ولكنها لا تتبدل على طريق التكافؤ .

§ ٦ — يلزم إيجاد نقطة وقوف — التي هي أحد الطرفين . — إلى اللانهاية على خط مستقيم —  
يعني من غير أن يرتد على عقبيه ليهرب من جديد من الطرف الثاني إلى الطرف الأول كما ذهب أولاً من  
الطرف الأول إلى الطرف الثاني ومع ذلك فإن هذه الفكرة ليست بيّنة بما ناكافياً . — مقابلات وأضداد —  
ليس في النص إلا كلمة واحدة . — فلنرمز للأرض بحرف  $\alpha$  — [بالفرنساوية وقد وضع بدلها في النص العربي

بحرف ه والنار بحرف ن . فإذا تغير ه إلى ن وإلى م فالتقابل يكون بين ه ، ن .  
ولنفرض أن هذين الضدين هما البياض والسود . ومن جهة أخرى إذا تغير ه إلى م  
فسيكون تقابل آخر لأن م ، ن ليسا متقابلين ولكن مقابلة السيولة واليبوسة  
مرموزا لليبوسة بحرف ي وللسيولة بحرف س فإذا كان حينئذ الأبيض هو الذى  
يمكث ويبقى فيكون الماء سائلا وأبيض ، فإذا لم يكن أبيض فيكون أسود ما دام  
أن التغير لا يحصل إلا إلى الأضداد . فيلزم حينئذ بالضرورة أن يكون الماء  
إما أبيض وإما أسود ويمكن افتراض أنه فى الحالة الأولى . وبالطريقة عينها أيضا  
ي . اليبوسة يكون لحرف ن وحينئذ ن أعنى النار تتغير كذلك إلى ماء لأنهما  
الضدان ، والنار كانت سوداء أولا ثم يابسة بعد ذلك كما كان الماء سائلا أولا ثم  
أبيض .

§ ٧ - فبين إذا أن كل العناصر يمكن أن يتغير بعضها إلى بعض .  
والكيوف الباقية ستوجد فى ( ١ ) الأرض كما يوجد فيها نقطتنا الاجتماع والارتباط  
الأسود والسائل ما دام أن هذين الكيفين لم يتركما معا بعد بأية طريقة كانت .

حرف [ ١ ] فى النص أخذت حروف الرمز من أوائل أسماء العناصر كما نبه إليه فلوهرتون كما فعلت فى الترجمة .  
ومع ذلك فإن هذا المثل الحرف لم يأت بما يوضح كثير - البياض والسود - نيه سان توماس بحق  
الى أن هذه الأمثلة ليست مختارة وأن هذه ليست هى الكيفيات العادية للعناصر . - م ، ن ليسا متقابلين -  
بل هما ضدان بالحرف العام ما دام أنهما الماء والنار . - السيولة - يمكن أن نترجم أيضا "الرطوبة" .  
- أعنى النار تتغير كذلك إلى ماء - كل هذه التناوير هى نظرية محضة ولا تطابق حقيقة الواقع فى شئ .  
والمؤلف هاهنا ليس متمسكا بنهج الملاحظة الذى طالعنا أوصى به .

§ ٧ - أن كل العناصر - قد يكون من الممكن تخصيص هذه القضية التى هى أعم مما ينبغي بعض  
الشيء وقصرها على عنصرى الأرض والنار . - الكيوف الباقية - يعنى التى لم يتألف أحدها مع الآخر  
بعد . - نقطتنا الاجتماع والارتباط - يعنى الكيفيات المشتركة للعنصرين والتى بها يمكن أن يتغير  
ويتركما بحيث إن أحدهما يتغير إلى الآخر .

٨٤ — وهالك البرهان على أنه لا يمكن هاهنا أن يتمشى إلى اللاتهاية ، مبدأ  
اعتمدنا عليه من قبل أن نقدر الإيضاح الذى سبق ، وذلك هو أنه إذا فرض  
أن النار المرموز لها بحرف ن تتغير إلى عنصر آخر ولا ترجع إلى الورا وأنها مثلا  
تتغير إلى ر فن ثم يكون بين النار وبين ر مقابلة بالأضداد مختلفة عن المقابلات  
المذكورة آنفا ما دام أن ر لا يمكن أن تكون مماثلة لأى واحد من العناصر المرموز  
لها بالحروف ا ، م ، ه ، ن ولنفرض أن الكيف ك هو كيف ن وأن الكيف ي  
هو كيف ر فتكون ك حيثئذ لكل العناصر ا ، م ، ه ، ن لأن كل هذه العناصر  
يتغير بعضها إلى بعض . ولكن مع التسليم بأن هذا لم يوضع بعد فإن من البين على الأقل  
أنه إذا تغير ر من جديد إلى عنصر آخر فن ثم يكون تقابل آخر بالأضداد ويكون  
بين ر وبين النار . وتكون الحال كذلك دائما بالنسبة للحد المزيد وأنه يوقع دائما  
مقابلة مع الحدود السابقة بحيث إنه إذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد فتكون  
كذلك مقابلات غير متناهية بالعدد لعنصر واحد أحد . وإذا كان هذا ممكنا فن  
ثم يكون من المحال أن يعطى أى قول شارح وأن يوضع كون أى عنصرتا ما دام أنه  
يلزم ، إذا كان واحد يأتى من الآخر ، أن يختار من المقابلات عدد ما ذكرنا بل وأزيد

٨٤ — مبدأ اعتمدنا عليه — ر . ما سبق ف ٦ . — الإيضاح الذى سبق — ليس النص على هذا  
القدر من الصراحة . — ولا ترجع إلى الورا . — معنى إذا نوالى التغير على سطح مستقيم وإذا لم يتغير النار على  
التعاقب إلى هواء وماء وأرض لتتغير الأرض بعد ذلك إلى ماء وهواء ونار . — المذكورة آنفا —  
ر . ب ٥ ر ٦ . — لا يمكن أن تكون مماثلة — معنى أن « ر » تكون مفروضة عنصرا خاصا خارجا عن  
النار والهواء والماء والأرض . — الكيف « ك » — عبارة النص هي فقط « ك » . — فتكون « ك »  
حيثئذ لكل العناصر — ما دام أنه للعنصر « ن » بواسطة « ر » وللسائر الأخرى بواسطة « ن » . — للحد  
المزيد — كما زيدت « ر » على أربعة العناصر الأخرى . — إذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد —  
يجب أن معنى بالحدود العناصر الجديدة التى قد تفترض نلوا العنصر الخامس كما افترض الخامس نلوا للاربعة  
الأول . — لعنصر واحد أحد — ما دام أن جميع العناصر يمكن أن يتغير بعضها إلى بعض على التعاقب .  
— أى عنصرتا — عبارة النص غير محددة . — ما ذكرنا — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .  
— بل وأزيد منه — هذا غير مفهوم تماما ما دام قد افترض أن عدد الأوساط غير متناه .



منه . وينتج من ذلك أنه بالنسبة لبعض العناصر لا يكون تغير ممكن البتة ، مثال ذلك إذا كانت الأوساط غير متناهية بالعدد وهذا لا زم إذا كانت العناصر غير متناهية بالعدد هي أنفسها ، وعلى ذلك مثلا لا يكون تغير من هواء الى نار إذا كانت المقابلات التي تُجتاز هي غير متناهية بالعدد . § ٩ — وأخيرا كل العناصر أيضا تنتهي الى عنصر واحد لأنه يلزم أن تكون كل هذه المقابلات متعلقة إما بالمقابلات من أعلى بالعناصر التي هي أسفل من ن وإما بالمقابلات من أسفل بهذه العناصر نفسها بحيث إن الكل ينتهي الى واحد .

— لبعض العناصر — عبارة النص غير محددة ، ويظهر ل أن هذا يرجع بالضرورة الى العناصر : — إذا كانت الأوساط غير متناهية بالعدد — كما افترض سابقا ، فإن الهواء والنار هما مع ذلك عنصران متجاوران كلاهما فاذا لم يمكن تغير أحدهما الى الآخر على طريق التكاثر فن باب أول العناصر المتباعدة كالنار والأرض . § ٩ — وأخيرا — أضفت هذه الكلمة لبيان أن هذا هو تمام كل ما سبق . ومع ذلك فلا يرى قوة هذا البرهان المبني على فرض عنصر خامس وسلسلة متناهية من العناصر . حتى لو فرض أنه لا يوجد إلا أربعة عناصر فإدام أنها يمكن أن يتغير بعضها الى بعض كما يقرره أرسطو فإنه يظهر أيضا أنه يمكن أيضا أن تنتهي الى واحد . ومع ذلك فاني لست واقفا بأن يكون المراد هنا هو العناصر ما دام أن عبارة النص غير معينة كما في بعض الفقرات الأخرى . ومن الممكن أن تكون جميع الأوساط هي التي تنتهي الى واحد . — كل العناصر أيضا تنتهي الى عنصر واحد — حفظت عدم التحديد الموجود في النص . وما زالت هذه الفقرة متعلقة على الرغم من توضيحات فيلوبيون الذي يستند مع ذلك الى الإسكندر الأفروديزي . والظاهر أن هذا الأخير كان لديه نص أرسطو كما وصل اليه ، ومن المحتمل أنه لا محل لافتراض أي تحريف هاهنا . وإن الفكرة العامة لهذا التدليل هي مع ذلك جلية وإن كانت التفاصيل ليست دائما كذلك . فعلى رأي أرسطو أن أربعة العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض . ولكن هذا التغير لا يصح أن يكون غير متناه . ويلزم الاستفسار بالأربعة العناصر التي تدركها حواسنا وبالأربع الكيفيات التي تشخصها وتميزها . وقد فسرسان توماس هذه الفقرة بالاختصار الذي ليس من عادته . ولم يكن هذا الإيجاز لمساعد على جلاء المعنى .

## الباب السادس

إبطال نظرية أميدقل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة إلى الكم أم بالنسبة إلى الأثر والتناسب —  
في مذهب أميدقل نحو الأشياء يرجع إلى مجرد جمع — إنه لا يفسر أيضا كون الأشياء، بل أخضعه لسلطان  
المصادقة، ولا ملة الحركة الأصلية ولا طبع النفس الحقيق — شواهد مختلفة من شعر أميدقل .

§ ١ — حينما يرى أن فلاسفة يقبلون تعدد عناصر الأجسام وينكرون في آن واحد  
أن العناصر تتغير بعضها إلى بعض، كما يفعل أميدقل، قد يمكن أن يسألوا في شيء  
من الدهش كيف يستطيعون إذا أن يقرروا أن العناصر هي قابلة للمقارنة بعضها  
ببعض . هذا مع ذلك هو ما يزعمه أميدقل إذ يقول :  
” لأن العناصر كلها كانت متساوية فيما بينها “

فإذا كانت المساواة في الكم لزم أن يوجد بين الأشياء المقارنة شيء مشترك  
يصلح لقياسها، مثال ذلك إذا كان من كوتيل [ ريج لتر ] واحد من الماء يمكن لإيجاد  
عشرة كوتيلات من الهواء فذلك بأن العنصرين كانا من بعض الوجوه شيئا واحدا  
ما دام أن قياسهما واحد . § ٢ — فإذا كانت الأشياء ليست قابلة للمقارنة هكذا  
بالنسبة إلى الكم أي أن الكمية الفلانية مضاربة الكمية الفلانية فيلزم على الأقل أن تكونه

§ ب ٦ ف ١ — حينما يرى — ليس النص على هذه الصراحة . — في آن واحد — أضفت  
هذه الكلمات حتى تكون المقابلة بين المعاني أظهر . — كما يفعل أميدقل — ر. م سبق ب ٣ ف ٦ .  
— قابلة للمقارنة — التعبير مهم ولم أعلم أن أزيد عليه ما يعينه . وإن الأمثلة التي منذ كرها بعد استقلال  
من إيهام شيئا . — كانت متساوية — هاهنا أيضا قد حصلت صابة النص على ما فيها من عدم التعيين .  
— فإذا كانت المساواة في الكم — على تقدير المساوى ليقابل بكم القوة الذي سيجيء الكلام عليه فيما يلي .  
— يمكن لإيجاد عشرة كوتيلات من الهواء — أو « إذا كان كوتيل من الماء يقابل عشرة كوتيلات  
من الهواء » وهذا ليس إلا مجرد فرض وليس معناه أن أرسطو يظن أن هذه هي في الواقع النسبة بين  
الهواء والماء .

§ ٢ — الأشياء — أو « العناصر » . — مضاربة — أو « آتية من » .

بعلاقة الأثر الذي يمكن أن تحدثه . مثال ذلك : إذا كان كوتيل من الماء يمكن أن يحدث من البرودة ما تحدثه عشرة كوتيلات من الهواء فينشذ تكون العناصر قابلة أيضا للمقارنة بينها بعلاقة الكمية لا من حيث هي بالضبط كمية مادية ولكن من حيث إنه يمكنها أن تحدث فعلا ما .

٣٤ - قد يمكن أيضا مقارنة القوى أو الطاقات ليس فقط بمقياس الكمية مباشرة بل أيضا بالتناسب والتشبيه . على ذلك يمكن أن يقال إن الشيء الفلاني حازكا أن الشيء الآخر أبيض . فكاف التشبيه تبين علاقة المشابهة إذا كان المعنى هو الكيف ، فإن كان المقصود الكم فهي تفيده المساواة . ولكن من السخف ، فيما يظهر ، أن الأجسام التي لا يمكن أن تتبدل بعضها ببعض لا تكون قابلة للمقارنة فيما بينها بعلاقة المشابهة وأن تكون فقط بمقياس قوتها ولأن الكمية الفلانية من النار مثلا يمكن أن تكون أيضا حارة وتحدث الحرارة التي تحدثها الكمية الفلانية من الهواء التي هي أعظم منها . وفي الواقع أن جوهرنا من هذا الطبع إذا كانت كميته أعظم يمكنه أن يصير بالتناسب مكافئا لأنه سيكون والآخر من جنس واحد .

— الأثر الذي يمكن أن تحدثه — ليس النص على هذا الوضوح . — يمكن أن يحدث من البرودة — كان من حق هذه العبارة أن تكون أوسع عما هي . — مادية — أضفت هذا الوصف . — أن تحدث فعلا ما — عبارة النص بالضبط هي : « بما هي مستطاعة شيئا ما » .

٣٥ - القوى أو الطاقات — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — مباشرة — أضفت هذه الكلمة لبيان الفكرة . — بالتناسب والتشبيه — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — فكاف التشبيه — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — ولكن من السخف فيما يظهر — الرأي الذي يتقده أرسطو هنا يجب أن يكون مستندا أيضا إلى أميدقل على رغم أن هذا التبيين لم يذكر في النص صراحة . — قابلة للمقارنة فيما بينها — لم يذكر فيما سبق أن هذا الرأي هو رأي أميدقل . — المشابهة — أو «التنسب» . — مثلا — أضفت هذه الكلمة . — الكمية الفلانية من الهواء التي هي أعظم منها — في نسبة حرارة الهواء إلى حرارة النار . أما القاعدة فهي مع ذلك صحيحة . فإن جسمين مكيفين بكيف واحد يمكن أن يوازن بينهما بالزيادة على أضعف الاثنين .

§ ٤ — أزيد على ذلك أنه على حسب مذهب أميدقل لا يوجد نمو ممكن إلا النمو الذى يحصل بالجمع وهكذا هو يفترض أن النار تنمو بالنار حين يقول :  
 « الأرض تنمى الأرض والهواء ذاته ينمى الهواء »  
 حيثئذ ليس هذا إذاً إلا مجرد إضافة ولا يظهر أن الأشياء التى تنمو يمكن أن تنمو هكذا .

§ ٥ — ولكنه أصراً أيضاً على أميدقل أن يوضع كون الموجودات فى الطبع لأن كل الموجودات التى تولد وتتكون بحسب القوانين الطبيعية أو تولد دائماً بطريقة منتظمة أو بالأقل على الغالب بهذه الطريقة ، والموجودات التى تتكون على ضد هذا النظام الثابت أزلاً أو بالأقل الأكثر فى العادة هى ثمرة صلة انفاقية وثمره المصادفة . فـ هو الفاصل إذاً فى أن من إنسان يولد إنسان إما دائماً وعلى حسب قاعلة أزلية وإما بالأقل بحكم العادة الغالبة ، كما أن من القمح يأتى دائماً قمح لا شجرة زيتون ؟ أم هل العظام لا تتكون أيضاً بالطريقة عينها ؟ كلا إن الأشياء لا تكون بالمصادفة وبالاتفاق كما يقول أميدقل بل هى تتكون بنوع ما من العقل .

§ ٤ — أزيد على ذلك... هو يفترض — ليس النص على هذا القدر من الظهور . — حين يقول — أضفت هاتين الكلمتين . — تنمى الأرض — عبارة النص بالضبط : « تنمى نوعها الخاص » وقد بين أرسطو فيما سبق أن نمو الأشياء لا يمكن أن يحصل بمجرد الإضافة كـ ١ ب ٥ ف ٨ . — ولا يظهر — يحال على المرجع السابق .

§ ٥ — على أميدقل — أضفت هاتين الكلمتين اللتين تفهمان من صوغ النص . — فى الطبع — بصرف النظر عن الأشياء التى توجد لها صناعة الإنسان . — صلة انفاقية وثمره المصادفة — إن إبطال نظرية المصادفة هذا هو مطابق تمام المطابقة ، حتى فى لفظه أحياناً ، للنظرية الواردة فى الطبيعة كـ ٢ ب ٤ ف ٨ ص ٣٢٥٣١ من ترجمتى وأيضاً فى الباب الخامس وما يليه . — أم هل العظام لا تتكون أيضاً — لا يرى جيداً لماذا مثل بالعظام هنا . وإن كان أميدقل فى الحق يستعمل هذا المثل غالباً . — كما يقول أميدقل — ر . الطبيعة كـ ٢ ب ٨ ف ٣ ص ٤٤ وما يفسدها من ترجمتنا . — يشرح ما من العظم — أو « يشرح ما من الفطة » .



٦٩ — فما هي إذا العلة في كل هذه الظواهر؟ إنها ليست في الحق لا الأرض ولا النار، وليست كذلك العشق والتنافر لأن أحدهما ليس صلة إلا لتأليف الأشياء والآثر لتفريقها. تلك العلة إنما هي أصل لكل شيء. وليست فقط كما يقول أمبيدقل:

« اختلاط وتنافر للأشياء المختلطة »

فهى ليست إذا ما يسمى بالمصادفة وليست هذه بعلّة. لأنه ممكن تماما أن يوجد أحيانا اختلاط اتفاق ومشوش. ٦ — ٧ — إذا ما هو علة لكل واحد من الموجودات الطبيعية إنما هو تركيبها، إنما هو الطبع الخاص لكل واحد منها مما لا يقول عنه أمبيدقل كلمة واحدة. بل يمكن التأكيد بأنه لم يدرس الطبع حقيقة ولو أن الطبع هو بالضبط النظام والخير لجميع الأشياء. ولكن أمبيدقل لا يشيد مطلقا إلا بذكر الامتزاج والاختلاط ومع ذلك فليس هو التنافر بل هو العشق الذى فصل العناصر وهما على رأيه متقدمان على الله ذاته لأن عناصر أمبيدقل هي أيضا آلهة.

٦٩ — إنها ليست في الحق لا الأرض ولا النار. هذه الجملة الواردة على صيغة تهكمية. — العشق والتنافر — المبدأ أن العقلان عند أمبيدقل. ز. الطبيعة ك ٧ ب ١ ف ٤ ص ٢٥٥ من ترجمتنا. — إنما هي أصل لكل شيء. — بنى صورته الجوهرية. — وكان يمكن أرسطو أن يترق أيضا إلى أصل من ذلك ويتساءل إلام يجب أن يرجع في أصل كل شيء. — وليست هذه بعلّة — أو نوعا من التناسب والنظام. — وإن اللفظ المستعمل في النص هو في غاية السعة. — لأنه ممكن تماما — يظهر أن فيلون لم يفهم هذه الجملة الصغيرة لأنه لم يفسرها. — اتفاق ومشوش — ليس في النص إلا كلمة واحدة.

٧ — إنما هو تركيبها — والترجمة الحرفية هي: « كونها على ما هي عليه ». — ومع ذلك فإن هذا غير صحيح جدا فإنه لا يمكن أن يقال إن تركيب الموجودات هو أصلها الحقيقية. — النظام والخير لجميع الأشياء. — على هذا المعنى يمكن القول بأن هذا هو أصلها الغائية. — الامتزاج والاختلاط — ليس في النص إلا كلمة واحدة. — العشق الذى فصل — لا يظهر أن هذا مطابق تماما لأراء أمبيدقل. وفي الحق أنه لأجل الجمع يلزم ألا التفريق ولكن أمبيدقل إنما يستند التفريق إلى التنافر. — على رأيه — أضفت هاتين الكلمتين لبيان الفكرة. — الله ذاته — إله أمبيدقل هو « الفورورس » الذى يحيط بكل شيء فارة ببسطة بالتنافر ونارة بتفويض بالعشق. ر. الطبيعة ك ١ ب ٥ ف ١ في التعليقات ص ٢٥٥ من ترجمتنا.

٨٤ - إنه لا يتكلم كذلك على الحركة إلا بطريقة غاية في العموم لأنه لا يمكن أن يقال إن التنافر والعشق هما اللذان يخطبان الحركة إذا لم يبين أن العشق ينحصر في أن يسبب للنوع الفلاني من الحركة والتنافر في أن يسبب النوع الفلاني منها .  
 وحيثئذ كان يجب على أميديل هاتنا إما أن يحدد الأشياء بالضبط ، أو أن يتصور فرضا ما ، أو أن يوضح توضيحا قويا أو ضعيفا مع ذلك ، أو أن يخلص منه بآية طريقة أخرى . ٨٥ - رد آخر . إن الأجسام هي تارة متحركة بالقسر وضد الطبع وتارة هي ذات حركة طبيعية . مثال ذلك النار تنجبه إلى فوق من غير أن يكون ذلك بالقسر ولا تنجبه إلى تحت إلا بالقسر فالحركة الطبيعية هي ضد الحركة القسرية فبالنتيجة كما أنه يوجد حركة قسرية يوجد أيضا حركة طبيعية .  
 فهل هو إذاً العشق أو ليس هو العشق الذي يكون هذه الحركة الأخيرة ؟ متى كان للأرض حركة تحملها إلى تحت فإنما هي حركة مضادة للائتلاف وتشبه الانفصال . إذاً يكون التنافر هو أولى من العشق في أن يكون حلة الحركة الطبيعية وبالنتيجة يكون

٨ - غاية في العموم - ويمكن أن يترجم أيضا : « أبسط مما ينبغي » فإن عبارة النص تؤدي المعنيين . - إذا لم يبين - ليس النص على هذه الصراحة . - بالضبط - زدت هذا القيد لتمام المعنى . - يخلص منه بآية طريقة أخرى - عبارة النص فيها من طابع المألوف العرفي نحو ما في العبارة التي ترجحناها بها .

٨٥ - رد آخر - ليس النص على هذا القدر من التعيين . - بالقسر وضد الطبع - ر . الطبيعة لك ٨ ب ٤ ف ٢ ص ٤٨١ من ترجحنا وما بعدها . - كما أنه يوجد حركة قسرية - على تقدير « بحسب ظهريات أميديل » . - هذه الحركة الأخيرة - زدت وصف « الأخيرة » ليعين المعنى . - تحملها إلى تحت - وفي نسخ أخرى ربما كانت هي الأكثر عددا « إلى فوق » بدلا من « إلى تحت » . ولكن هذا لا يتفق مع تقارن النص . فإن أرسطو يرد بأنه حتى لو كانت الأرض محمولة إلى تحت بحركتها الطبيعية فإن الحركة أشبه بالفريق منها بالجمع . ما دامت الأرض أو بعضاً . نأشأ على الأقل نلجئ إلى المركز حيث النار يجب أن تلقاها بحركة قسرية لتنضم إليها . - فإنما هي حركة مضادة - ليس النص مثل الترجمة في الوطوح . وفي كل هذه الفقرة شيء من الخلف . - للائتلاف - زدت هذه الكلمة . - الحركة الطبيعية - التي تفرق بين الأشياء بدلا من

العشق أولى من التنافر في أنه مضاد للطبع . فإذا لم يكن لا التنافر ولا العشق يكونان الحركة فلا يكون للأجسام أعيانها لا حركة ولا سكون . ولكن هذا إنما هو نتيجة باطلة .

§ ١٠ — يسترف أميدقل أن الأجسام بالبدئية في حال حركة لأن التنافر هو الذي فصلها . والإيشير قد ارتفع في الملاء الأعلى لا بواسطة التنافر ولكن كما يقول أحيانا أميدقل بضرب من المصادفة :

«الهواء حينئذ يطير هكذا ولكن في الغالب على خلاف ذلك»  
وأحيانا يقول أميدقل أيضا إن النار اضطرت أن تتبعه بالطبع إلى فوق وأن الإيشير قد جاء .

« يتكئ بقوة على قواعد الأرض »

وأخيرا يعلمنا أميدقل أن العالم هو مسير الآن بالتنافر كما كان سابقا مسيرا بالعشق سواء بسواء .

١١ — لماذا هو إذا على رأيه المحرك الأول والعلة الأولى للحركة ؟ حقا ليس هو العشق والتنافر ولو أن كليهما مع ذلك يسبب نوما من الحركة . وإذا كانا هما المحرك الأول الذي يوجد فيكونان المبدأ الحقيقي للأشياء .

أن نجعلها والتي توجه النار إلى فوق في حين أنها توجه الأرض إلى تحت . — لا التنافر ولا العشق — في مذهب أميدقل . — نتيجة باطلة — قبل أرسطو كقاعدة لا يحتمل الجدل أن الحركة موجودة . ر . الطبعة ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ٤٣٦ من ترجمتنا .

§ ١٠ — يسترف أميدقل — النص لا يذكر هنا أميدقل وعبارته هي : « الأجسام يظهر أنها في حركة » . ولكن هذا بالبدئية يرجع إلى مذهب أميدقل كما تبعه الفريضة . — الهواء حينئذ يطير هكذا — هذا البيت بمرته قد استشهد به في الطبعة ك ٢ ب ٤ ف ٦ ص ٣٢ من ترجمتنا . — وأخيرا يعلمنا أميدقل — هذا الأسلوب التكملي موجود في النص .

§ ١١ — على رأيه — زدت هاتين الكلمتين لأنه يظهر لي أن الكلام لا يزال مسوقا إلى إبطال مذهب أميدقل . — نوما ما من الحركة — فإن العشق يجمع العناصر والتنافر يفرقها وفي هذا نوع مزدوج من الحركة . — وإذا كانا هما المحرك الأول — النص ملتبس ويمكن أن يفهم على عدة معان . فأما فيلورون فلم يرضه وأما سان توماس فإنه أعطى المعنى الذي اخترته تقريرا .

١٢٤ — وأخيرا فليس أقل سخفا أن يفترض أن النفس تأتي من العناصر أو أنها واحد من العناصر لأنه كيف تتكون إذا الاستحالات الخاصة للنفس ! . مثال ذلك كيف يفهم أن يكون لها أو لا يكون لها صنعة الموسيقى ! كيف يفهم الذكر والسيان ! من البين أنه إذا كانت النفس من النار يكون لها بما هي نار جميع الكيفيات التي تتعلق بالنار . وإذا كانت النفس مزيجا من العناصر كان لها كيفيات الأجسام وليس ولا واحد من كيفيات النفس يحسماني . هل أن هذه المناقشة تتعلق بدراسة غير هذه قطعا .

١٢٥ — وأخيرا — أضفت هذه الكلمة لأبين في آن واحد أن هذا هو آخر الانتقادات الموجهة إلى نظرية أميدغل ولأبين أن هذا الدليل الأخير مغاير للأدلة السابقة . — الاستحالات — أو «الكيفيات» ولكن حصلت فقط النص بذاته . — الخاصة للنفس — يعني كل التأثيرات الأخلاقية أو العقلية . — من النار... بما هي نار... بالنار — هذا التكرير هو في النص . فالفرض الأول إنما هو أن النفس هي عنصر النار مثلا . والفرض الثاني إنما هو أنها مزيج من العناصر . — بدراسة غير هذه قطعا — وفي الحق أن هذه المناقشة موجودة في كتاب النفس لك ١ ب ٢ ف ٦ ص ١١٢ من ترجمتنا . حيث يعيب أرسطو كما يعيب هنا نظرية أميدغل التي استشهد لها بعدة آيات من الشعر تشمل عليها .



## الباب السابع

بقية إبطال مذهب أميدقل — متى أنكر أن العناصر يمكن أن تتغير بعضها إلى بعض فلا يمكن توضيح  
تكون الجواهر الضوئية المختلفة — شاهد من أميدقل — صعوبة توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست  
أقل عظام من سلم بأحدية المادة — تعيين نظرية جديدة فيها تكون الأعداد هي التي جعلها المتكافئ تكون  
جميع جواهر الطبيعة .

§ ١ — تأتي إلى ما يختص بالعناصر التي منها الأجسام مركبة . جميع  
الفلاسفة الذين يقبلون عنصراً مشتركاً أو الذين يقبلون أن العناصر تتغير بعضها إلى  
بعض يجب عليهم بالضرورة أن يعترفوا أيضاً بأنه إذا تحقق أحد هذين الفرضين  
تحقق الثاني على السواء . ولكن هؤلاء الذين لا يريدون أن العناصر يمكن أن يتوالد  
بعضها من بعض ولا أن يأتي كل واحد من كل واحد إلا أن يكون كما يحى اللبن  
من حائط ، هؤلاء إنما يقتررون نظرية باطلة لأنه حينئذ كيف يُجعل من هذه  
العناصر العظام أو الخوم أو أى جواهر آخر مشابه .

§ ٢ — في الحق أن هذه الصعوبة تبقى . وإلى هؤلاء الذين يقبلون أن العناصر  
تتوالد يمكن أن توجه اليهم مشكلة كيف تبلغ هذه العناصر أن تكون شيئاً مغايراً لها

§ ب ٧ ف ١ — التي منها الأجسام مركبة — ليس المقصود هنا بعد كون العناصر بعضها من بعض بل  
تركيبا لتؤلف جميع الأجسام الموجودة في الطبيعة . — عنصراً مشتركاً — يعنى المادة التي بالقوة هي العنصر  
المشترك لجميع الأجسام . — أحد هذين الفرضين — يعنى أن العناصر لها مادة مشتركة إذا تغير بعضها إلى  
بعض ، وأنها إذا تغيرت هكذا فذلك أن لها مادة مشتركة . — يحى اللبن من حائط — فإن اللبن يكون  
الحائط بما هي مضاف بعضها إلى بعض وليست مركبة ومتعددة بعضها مع بعض . كذلك العناصر تكون  
بجموعة ولا تفقد لتكون الأجسام التي تدخل في تركيبها . إن المقارنة صحيحة ولكن العبارة ليست من السعة  
على ما ينبغي . وهذا المثل انقش المضروب لا يخلو من بعض الشذوذ . — أو أى جواهر آخر مشابه .  
— يعنى متجانس تماماً . وفي المذهب الذي ينقذه أرسطو لا تكون العناصر الا بجموعة بعضها مع بعض  
وليست مركبة حقيقة .

§ ٢ — أن العناصر تتوالد — هذه هي النظرية المضادة لنظرية أميدقل الذي كان يعتقد أن العناصر  
غير قابلة للتغير . — شيئاً مغايراً لها أنفسهم — باقتراض أن أربعة العناصر هي أصل جميع الأجسام التي

أنفسها ؟ . مثال ذلك إذا كان من النار يأتي الماء وإذا كان من الماء تأتي النار  
فذلك لأن بينهما موضوعا مشتركا . ولكن من العناصر يخرج في الحق أيضا اللحم  
والنخاع فكيف تتكون هذه الجواهر ؟ .

§ ٣ — بأي وجه يمكنها أن تتكون على حسب نظريات هؤلاء الذين  
يتبعون مذهب أميدقل ؟ بالضرورة ليس بين هذه العناصر إلا جمع كما تجمع مواد  
حائط يتكون من آجر وأحجار . في خليط من هذا القليل تبقى العناصر هي ما هي  
وتوضع أجزاء أجزاء بعضها إلى جانب البعض الآخر . وحينئذ على هذا المنوال ، بناء  
على هذه النظريات ، إنما يتكون اللحم وسائر الأشياء المشابهة له .

§ ٤ — ولكنه ينتج منه أن النار والماء لا يخرجان البتة من جزء كيفما اتفق  
من أجزاء اللحم ، كما في تصاوير الشمع من هذا الجزء يمكن أن تخرج كرة ومن ذلك  
يخرج هرم . فكل ما يرى هو أن الواحد والآخر من هذين الشكلين يمكن أن يأتي  
أيضا على السواء من كل واحد من جزأى الشمع . وعلى هذا النحو حينئذ أن من اللحم

فتأهدها وأن الأجسام هي شديدة التميز عن العناصر التي تكونها . وإنها مشكلة أن يصرف كيف يمكنها  
أن تأتي منها . — إذا كان من النار يأتي الماء — ر . ما سبق ب ٥ ف ٦ . — من العناصر — عبارة  
النص غير مبينة .

§ ٣ — الذين يتبعون مذهب أميدقل — والذين يعتقدون أن العناصر غير قابلة للتغير دون أن يمكن  
أن تتغير بعضها إلى بعض . — كما تجمع مواد حائط — النص أقل صراحة . — من آجر وأحجار —  
فإن المراد بجموع بعضها إلى بعض مجرد جمع وليست متحدة بها . — بناء على هذه النظريات — زودت  
هذه الكلمات لإتمام الفكرة . — وسائر الأشياء المشابهة له — يعني كل الأشياء التي تتجانسها المطلق لا يمكن  
أن تميز بها العناصر التي دخلت في تأليفها . ويمكن أن تصاغ هذه القضية في مبينة الاستفهام .

§ ٤ — ولكنه ينتج منه — حافظت على لفظ الأصل على ترجمته . — لا يخرجان البتة — على  
تقدير "سأ" . — يعني أن النار والماء ، مجتمعين مجرد اجتماع ، ليسا البتة مطلقا منعدين في التراكيب التي  
يركبانها . — من جزء كيفما اتفق من أجزاء اللحم — حيث تكون مثالة تمام المثال . — في تصاوير الشمع — ليس  
النص على هذا القدر من الصراحة . — من كل واحد من جزأى الشمع — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

يخرج عنصرا النار والماء وأنه قد يكونان معا من أى جزء اتفق ولكن مع مبادئ أميدقل لا يكون تعبير هذا ممكنا ويلزم أن كل عنصر يأتي من مكان آخر أو من جزء آخر كما في الحائط فانه من مكان مختلف تأتي الآجرة والجمر .

§ ٥ — كذلك الحال أيضا بالنسبة للفلاسفة الذين لا يقبلون إلا مادة وحيدة لجميع العناصر فإن شأنهم لا يخلو من الحيرة في إيضاح كيف أن جوهرها يمكن أن يتألف من عنصرين مثلا من الحار والبارد أو من النار والأرض . فإذا كان اللحم يتكون من الاثنين وهو ليس مع ذلك لا أحدهما ولا الآخر ولا بمزج جمع هذين العنصرين حافظا لطبيعهما الخاص فماذا يبقى إذا لُقبِل إلا أن يكون المركب الذي تكون منهما بهذه الطريقة هو المادة المحضة ؟ لأن فساد أحد العنصرين يكون إما العنصر الآخر وإما المادة . § ٦ — ولكن من حيث إن الحار والبارد يمكن أن يكونا أقوى أو أضعف فيجب أن يقال إنه متى كان أحدهما بالفعل مطلقا وبالكمال فلا يكون الثاني بعد إلا بالقوة . ومتى كان الموضوع ليس له مطلقا أحد الكيفين وكان البارد مثلا هو نصف حار والحار نصف بارد ، لأن الإفراطيين إلى جهة أو إلى أخرى

— أميدقل — زدت هذا الاسم الذي تعبره القرينة . — تعبير هذا ممكنا — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — من مكان آخر — التعبير بالمكان معناه هنا الجزء ، والمثل الآتي يفهم المعنى تماما ، فإن الآجرة موضوعة بجانب الجمر ، وذلك إنما هو في موضع آخر أي في محل آخر من الحائط .

§ ٥ — الذين لا يقبلون إلا مادة وحيدة — يظهر أن هذه هي نظرية أرسطو الخاصة ، لأنه قبل أن جميع العناصر يمكن أن تتغير بعضها إلى بعض ولكنه لا يعتقد أن هذه النظرية نفسها بمنزلة عن كل انتقاد . — جوهر — عبارة النص هي "شيئا ما" . — المادة المحضة — أضفت كلمة "المحضة" مع أنها ليست في النص ولكن القرينة كلها تعين هذا المعنى ، فإن المادة المحضة هي هنا المبول أي المادة بالقوة . — أحد العنصرين — النص أهل صراحة . — وإما المادة — على تقدير "بالقوة المحضة" فإن العنصرين يتاحيان في المركب الذي يؤلفانه ولا يبقى إلا مادة الاثنين في حالة الوجود .

§ ٦ — فيجب أن يقال — من الممكن أن تكون الجملة استثنائية أو تقريرية على السواء . — بالفعل ... وبالكمال — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — مثلا — زدت هذه الكلمة . — إلى جهة أو إلى أخرى — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .



يتاحيان على طريق التكافؤ بالمزج ، فحينئذ لا يوجد بالضبط لا مادة محضة ولا واحد أو الآخر من هذين الضدين الموجودين مطلقا بالفعل وبالكمال ولا يوجد إلا وسيط . ولكن على حسب ما أن أحد الاثنين يمكن أن يكون بالقوة حارا أكثر منه باردا أو العكس يكون الجسم في هذه النسبة عينها بالقوة أكثر حرارة أو برودة مرتين أو ثلاث مرات أو على أية نسبة أخرى .

٧ § — على ذلك كل الأشياء الأخرى تأتي من مزج الأضداد أو العناصر . والعناصر أنفسها تأتي من هذه الأضداد التي هي بوجه مما العناصر بالقوة لا كما تكونه المادة بل بالطريقة التي ذكرت آنفا . وبهذه الطريقة تكون النتيجة التي نتحصل مزيجا في حين أنها بالطريقة الأخرى إنما هي المادة المحضة .

٨ § — ومع ذلك فالأضداد أيضا هي قابلة على معنى الحد الذي أعطى في بحثنا الأولى . مثال ذلك الحار بالفعل هو بارد بالقوة والبارد بالفعل هو حار بالقوة

— مادة محضة — زدت الصفة كما في الفقرة السابقة . — إلا وسيط — ومع ذلك فالتعريف  
هذا الوسيط صعب لأنه يتعلق بحساسية كل مشاهد . — أحد الاثنين — ليس البصر أكثر تمينا  
في العبارة .

٧ § — كل الأشياء الأخرى — يعني كل الأجسام المركبة والمختلطة كما نشاهدنا في الطبيعة كلها .  
— بوجه مما العناصر — زدت كلمة "العناصر" أخذا بشرح فيلويون . — كما تكونه المادة — التي هي ليست  
شيئا إلا بالقوة وليس لها حقيقة فعلية في حين أن الأضداد لها تلك الحقيقة الفعلية . — التي ذكرت  
آنفا — في الفقرة السابقة . — مزيجا — من جوهرين بالفعل يؤلفان جوهرًا جديدًا بامتزاجهما .  
— المادة المحضة — زدت كلمة "المحضة" .

٨ § — في بحثنا الأولى — ر . ١٠ ، سبق ف ٦ . ويظن فيلويون أن المقصود هنا نظرية الفعل  
والإفعال المبسطة في الكتاب الأول . ر . ما سبق ك ١ ب ٧ ف ٥ . — الحار بالفعل —  
يمكن ترجمتها أيضا : "الجسم الذي هو حار بالفعل ... الخ" — البارد بالفعل — أو "الجسم الذي هو  
بالفعل وبالحال بارد" .



أيضاً بحيث إنهما لولا موازنة تامة لتغير أحدهما إلى الآخر . ويُجرى هذا المجرى في جميع الأضداد الأخرى التي يراد ذكرها . وعلى هذا النحو أن العناصر بدنياً تتغير ثم إن منها بعد ذلك تأتي اللحوم والعظام وسائر الجواهر المشابهة فيصير الحار بارداً والبارد حاراً بمقدار ما تقترب من الحد الوسط . فهناك لا يوجد بعد لا أحد الضدين ولا الآخر . فالوسط متعدد وليس قابلاً للتجزئة . كذلك الأمر أيضاً في السائل واليابس ، وإن العناصر الأخرى من هذا القبيل حينها تكون قد وصلت إلى الوسط . تكون اللحم والعظام والجواهر المشار إليها .

— لولا موازنة تامة — عبارة النص هي "إن لم يكونا متساويين" . — لتغير أحدهما إلى الآخر — يعني أن أحدهما يمكن أن يحل محل الآخر على التعاقب بما أن أحد الضدين قد صار كائناً وأحال الآخر إلى ألا يكون إلا بالقوة . — التي يراد ذكرها — زدت هذه الكلمات . — تتغير — بعضها إلى بعض . — تأتي اللحوم والعظام — في هذه الأيام تعرف الكيمياء العضوية كذلك بأن المركبات تأتي من اتحاد الأجسام البسيطة . غير أن الأجسام البسيطة ليست هي التي كان يقبلها القدماء . والعلم يمكنه أن يبين بالتعاقب المضبوطة كيف تتألف التراكيب . — بمقدار — لفظ النص هو « حينها » الخ . — الضدين — أضفت هذا اللفظ . — الوسط متعدد — ر . في هذه النظرية الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ف ٩ ص ٥٣٢ من ترجمتنا وأيضاً ك ٥ ب ١ ف ١٢ ص ٥٢٨٠ . — وليس قابلاً للتجزئة — وذلك ما لا يسمع له بأن يتكيف مع التعاقب بكميات متضادة . — كذلك الأمر أيضاً في السائل واليابس — يظهر أن هذا تكرير لما سبق بيانه آنفاً على جميع الأضداد الأخرى .

## الباب الثامن

التركيب العام للأجسام المختلطة - يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان - وفيها أيضا من الهواء ومن النار وهما ضدتا العنصرين الأولين - ظاهرة التغذية التي يستشهد بها متدا هذه النظرية - كيف أن النار هي العنصر الوحيد من العناصر البسيطة ، الذي يندى نفسه .

١٩ - كل العناصر المختلطة المنتشرة حول المكان المركزي هي مركبة من جميع العناصر البسيطة . وعلى هذا فإن جميعها من الأرض لأن كل واحد من هذه الأجسام هو الأحسن ، وعلى الغالب ، في المكان الخاص به . ويوجد أيضا من الماء في كل المختلطة لأنه يلزم أن تكون المركبة مختلطة وأن الماء من بين الأجسام البسيطة هو الوحيد الذي يعتمد بسهولة . ومن جهة أخرى فإن الأرض لا يمكنها البقاء بدون للرطب الذي يسكنها مجتمعة وإذا خلت تماما من الرطب سقطت ترابا .  
٢٠ - تلك هي العلل في وجود الماء والأرض في جميع الأجسام المختلطة . ولكنه يوجد فيها أيضا هواء ونار ، لأن هذين العنصرين هما ضدان للأرض وللماء فإن الأرض ضد للهواء والماء ضد للنار بمقدار ما يكون جوهر ضدًا لجوهر آخر .

٢١ ب ٨ ف ١ - حول المكان المركزي - يعني حول الأرض التي هي في نظريات أرسطو مركز العالم وتحورها تحية للأجسام ذات الثقل . - فإن فيها جميعها من الأرض - لأن كل الأجسام المختلطة التي تذكر هنا هي ذات ثقل . - هو الأحسن وعلى الغالب - حفظت عبارة النص على ما هي عليه من عدم التحين ومعنى ذلك أن ذرات الثقل تحب البحر للأرض وتقف بها على سقوطها . - الخاص به - هذا يمكن أن يعني به "الأرض" أي إلى واحد من الأجسام المختلطة . كان توماس وأهل جامعة كويمبرا يفهمون أن المقصود هو الأرض . - أو ما خيلوه . فانه يفهم على الضد أن المقصود هي المختلطة التي يحد مكانها الخاص بمكان الأرض التي هي المركز على السواء . - متعددة - أو "أن يكون لها شكل محدد تماما" . - الرطب الذي يسكنها مجتمعة - وهذا إنما هو ما يسيبه العلم الآن بقوة التماسك . - سقطت ترابا - زدت الكلمة الأخيرة لتمام الفكرة .  
٢٢ - الماء والأرض في جميع الأجسام المختلطة - ليس النص على هذه الصراحة تماما .  
- الأرض ضد للهواء - بوزنها وبكيفيةها الخاصة بها . - بمقدار ما يكون جوهر - ر . المقولات  
ب ٢ ف ١٨ ص ٢٨ من ترجمتنا .

§ ٣ - على هذا حيثما ما دامت أكوان الأشياء تأتي من الأضداد فيلزم ضرورة أنه متى وجد طرفا الضدين في الأشياء فإن الآخر من الضدين يوجد فيها على السواء . وبالنتيجة في كل مركب تُلَفَّى جميع الأجسام البسيطة .

§ ٤ - يظهر أن ظاهرة التغذية معتبرة في كل واحد من الموجودات تشهد بصحة هذه النظرية . فان كل الموجودات تقتضى بعناصر مماثلة للعناصر التي تركيبها فكلها تقتضى من عدة عناصر بل إن تلك التي يظهر عليها أنها تقتضى من عنصر وحيد كالتبائنات التي تقتضى بالماء هي تقتضى في الواقع بعناصر عديدة على السواء . ذلك بأن الأرض هي دائما ممتزجة بالماء فترى كيف أن الزراع في ريهم الزراعى لا يزيدون على أن يمزجوا الماء بالأرض .

§ ٥ - ولكن من حيث إن التغذية تتعلق بالمادة ومن حيث إن الموجود المقتضى على هذا النحو مع أنه مشمول ومظروف في المادة هو الصورة والنوع

§ ٣ - أكوان الأشياء تأتي من الأضداد - ر . ما سبق لك ١ ب ٣ وما يليه . - طرفا الضدين - أو بعبارة أظهر "الضدان المتطرفان يعنى الأرض والماء" . - الآخر من الضدين - الهواء بما أنه ضد الأرض والتاربما أنها ضد الماء . ومع ذلك فتلك فروض مطلقة محضة . ولكن في الفقرة التالية سيستشهد أرسطو بما هو واقع . - وبالنتيجة - لا يبين على النتيجة أنها مضبوطة الى حد التحرج . - جميع الأجسام البسيطة - يعنى العناصر الأربعة الأرض والماء والهواء والنار مع أربعة الكيفيات الباردة والرطب واليابس والحر .

§ ٤ - ظاهرة التغذية - عبارة النص هي بالبساطة : " التغذية " . - تشهد بصحة هذه النظرية - النص أوجز من ذلك . - تقتضى بعناصر مماثلة - القضية عامة ولكنها مع ذلك غير كاذبة . - تقتضى ... تقتضى ... كل هذا التكرار هو في الأصل . - في ريهم الزراعى - أضفت هذه الكلمة الأخيرة التي تدل عليها القرينة . - أن يمزجوا الماء بالأرض - عبارة النص ليست على هذه الصراحة .

§ ٥ - تتعلق بالمادة - حفظت نظم النص ولكنه كان أوضح أن يقال إن التغذية هي مادة الموجود المقتضى . - الموجود المقتضى ... هو الصورة والنوع - أو بعبارة أخرى " الذات " في حين أن الغذاء الذي يقوم به " ليس إلا المادة " . - مشمول ومظروف - ليس في النص الكلمة واحدة .

فطبيعى أن يظن أنه من بين الأجسام البسيطة النار هي وحدها التي تمتدى .  
 أما سائر الأنحرى فهي لا تريد على أن يكون بعضها بعضا على طريق التكافؤ كما زعم  
 القدماء وذلك بأن النار وحدها هي على الأخص التي تمثل الصورة ما دام أنها دائما  
 بطبيعتها الخاصة متجهة نحو الحد . وكل شيء هو بالطبع مسوق نحو المكان الخاص  
 به . ولكن صورة كل الأشياء ونوعها توجد دائما في الحدود التي تعينها .

٦٨ — فيرى إذا بما تقدم أن جميع الأجسام تتركب من جميع العناصر البسيطة .

— فطبيعى — أو " مطابق للعقل " . — من بين الأجسام البسيطة — بمعنى العناصر الأربعة .  
 — وحدها التي تمتدى — به فيلزيرون هل أن هذا على الأخص إنما هو تعبير شعري . — لا تزيد على أن  
 — النص ليس هل هذا القدر من الصراحة . — القدماء — وهذا هو أيضا رأى أرسطو . — التي  
 تمثل الصورة — أو : " التي تتعلق بالصورة " . — نحو الحد — بمعنى نحو طرف الجهة العليا . ومن حيث  
 إن الحد يعين نوع الأشياء وصورتها فعل ذلك النار ، فيما يظهر ، تتعلق بالصورة أكثر ، ومع ذلك يمكن  
 أن يقال إن كل هذه النظريات هل جانب عظيم من الدقة . — التي تعينها — زدت هذه العبارة .

٦٩ — فيرى إذا — ملخص الباب . — بما تقدم — زدت هذه العبارة . — جميع الأجسام —  
 على تقدير " المختلطة " . — من جميع العناصر البسيطة — بمعنى الأرض والماء والهواء والنار . ولا حاجة  
 للإلحاح في بيان الفرق بين هذه النظريات وبين النظريات التي قبلها العلم في الوقت الحاضر وأقرها .



## الباب التاسع

الهيول والصورة — المبادئ الأولى للأشياء — ضرورة مبدأ ثالث وهو العلة المحركة — إبطال نظرية  
المثل على نحو ما عرضها أفلاطون في الفيثون — إن المثل لا يمكن أن تفسر كون الأشياء — إنها لا تكون —  
يرى أن طائفة من الأشياء تتكون تحت أعيننا بطل أخرى — إبطال النظرية التي تفسر كون الأشياء بحركة  
المادة — المادة قابلة لأفاعلة — أمثلة مختلفة مستخرجة من طرائق الفن .

§ ١ — لما أنه توجد أشياء كائنة وقابلة للدثور وأن كل ما يتولد ويكون  
يوجد في المكان الذي يحيط بالمركز فيلزم بدياً الكلام على كون الأشياء مأخوذاً في كل  
عمومه وبيان عدد مبادئه ومن أي طبع هي . وبهذه الطريقة ندرس بطريقة أسهل  
الحوادث الجزئية بعد أن نكون قد حصلنا على معرفة الحوادث العامة . § ٢ — وتلك  
المبادئ هي هاهنا من حيث العدد والجنس على ما هي عليه المبادئ التي تكتشف  
في الموجودات الأزلية والأول . وأحد هذه المبادئ هو كهيول والآخر هو كصورة  
ولكنه يلزم منها زيادة على ذلك ثالث ينضم إلى هذين الاثنين الآخرين . لأن هذين

§ ب ٩ ف ١ — كل ما يتولد ويكون — النص يقول بعبارة أكثر عموماً أيضاً : "التولد" .  
— يوجد في المكان الذي يحيط بالمركز — هذا التعبير على جانب من الغرابة . فانه يدل فقط على أن الأجسام  
المختلطة التي يمكن مشاهدتها توجد على سطح الأرض المنتشرة مركز العالم . ومع ذلك فإن هذه العبارة  
لم تظهر لفيثون على شيء من الصعوبة فلم يشأ أن يفسرها . — على كون الأشياء — الملاحظات السابقة .  
— الحوادث الجزئية ... الحوادث العامة — هذا ليس هو النقط العادي لأرسطو وإنه لينتسب من الحوادث  
الجزئية إلى الحوادث العامة لا من هذه إلى تلك . وليس النص من الضبط بقدر ما عليه ترجحت لمناه .

§ ٢ — في الموجودات الأزلية والأول — إنما الأجسام السماوية هي المنتهية أزلية وغير قابلة  
للتغير وأنها أوائل كل الأجسام . — هو كهيول — حفظت نظم النص ولكن يمكن ترجمته هكذا :  
"يقوم مقام الهيول ... مقام الصورة" . — ينضم إلى هذين الاثنين — زادت هذه الكلمات لأحصل كل  
قوة العبارة الإغريقية . وهذا المبدأ الثالث إنما هو العلة المحركة أو بالأول العلة الفاعلة . — ولزم أن يقارن  
بهذه النظريات نظريات الكتاب الأول من الطبيعة ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتنا .

الاشياء ليسه اقدر على تكوين شيء طاعتها . منها في الاول . ٣٤ — وعلى هذا  
 لذا إنما هي الهوى التي فيما يتعلق بالموجودات الكثنة هي العلة في أنها يمكن أن  
 توجد وألا توجد . فمن بين الأشياء ما توجد بالواجب ، مثل ذلك الجواهر  
 الأزلية ، ومنها ما يجب ألا توجد ، فبالنسبة للأولى من المحال ألا توجد ، وبالنسبة  
 للآخرى من المحال أن توجد . لأنه لا يمكن أن شيئاً يكون على خلاف ما يقضى  
 به الواجب . ولكن هنالك أشياء أخرى يمكن أن توجد وألا توجد على السواء .  
 وهذه هي على التحقيق كل ما هو كائن ومالك . لأن هذه الأشياء تارة توجد وتارة  
 لا توجد . فينتز الكون والفساد لا يتعلقان إلا بما يمكن أن يوجد وألا يوجد .  
 ٣٥ — . وفلك بما هو هوى إنما هو علة الأشياء الكثنة . ولكن بما هو  
 عرض فائق فالعلة إنما هي الصورة والنوع . وهذا هو حد الماهية لكل  
 شيء . ٣٦ — ولكنه يجب أن يضاف الى هذين المبدأين مبدأ ثالث . هذا  
 المبدأ لا يظهر على الفلاسفة أنهم لموه إلا كما في الحلم ولم يتكلم عنه ولا واحد  
 منهم بنوع من الضبط فقد ظن بعضهم كسقراط في « الفيدون » أن طبع المثل

— ليس اقدر — الهوى والصورة كلاهما عظيم بدرجة المبدأ الثالث الذي يحى . فيطبعها القطية بأن  
 يحسها . ٣٧ — هي العلة في أنها يمكن أن توجد وألا توجد — وقد يمكن عكس القضية فيقال : « إن  
 إمكان الوجود وعدم الوجود هو من حيث المصادقة الموجودات الكثنة » . — فمن بين الأشياء — أو « من  
 بين الجواهر » أو « من بين الموجودات » . — الجواهر الأزلية — ينى « الأبرام السامرية » .  
 — يمكن أنه توجد وألا توجد على السواء — أو عبارة أخرى كل الموجودات الكثنت . — كل ما هو  
 كثر — أو « ما هو مخلوق » . — وطلك — كما هو أكثر الموجودات الخاضعة لمشاهدتنا .  
 ٣٨ — الأشياء الكثنة — والمالك . — بما هو عرض فائق — عبارة النص هي بالضبط  
 من حيث هو « لماذا » . — إنما هي الصورة والنوع — النوع يحدد مع « المثل » كما سيرى بعد .  
 — حد الماهية — أو « علة الماهية » .

٣٩ — أن يضاف ... مبدأ ثالث — هو العلة الفاعلة . — إلا كما في الحلم — الانتقاد  
 على جنب من التذم والامتنان . ر . الكتاب الأول ما بعد الطيبة ترجمة كوزان . ب ٤ ر ه  
 — « الفيدون » — ر . فيدون أفلاطون ترجمة كوزان ص ٢٨٣ — طبع المثل — أو « الأنواع » لأن



قد يكفى لتعبير كون الأشياء . لأن سقراط وهو يعيب على الآخرين أنهم لم يقولوا شيئا في هذا الصدد يفترض أن من الأشياء التي توجد بعضها هي المثل والآخرى تلتقي هذه المثل التي تشاركها ، وأن كون كل شيء هو مسمى بحسب مثاله ، وأن الأشياء تتكون متى تلتقي هذا المثال وأنها تفسد متى تعدمه . وبالنتيجة إذا كان كل هذا حقا فيكون سقراط يرى أن المثل هي بالضرورة علّة كون الأشياء وفسادها ، وآخرون على الضد قد ظنوا أنهم يرون هذه العلّة في المادة نفسها لأنه منها على رأيهم تصدر الحركة .

٦٤ — ولكن ليس الأولون ولا الآخرون على حق ، لأنه إذا كانت المثل هي في الحق عللا فلماذا لا تكون دائما بطريقة مستمرة ؟ ولماذا هي تكون تارة ولا تكون تارة أخرى مع أن المثل تبقى دائما هي والأشياء التي يمكن أن تشاركها ؟ زد على هذا أنه يوجد أشياء يرى جليا أن العلّة فيها إنما هي شيء آخر غير المثال . فأنما الطبيب هو الذي يعمل الصحة ، وأنما العالم هو الذي يعمل العلم مع أن الصحة ذاتها والعلم ذاته موجودان هما والكائنات التي يقومان بها . كذلك الحال أيضا في جميع الأشياء المصنوعة بحسب الفن الذي يمكن أن يتمها .

الكلمة هي بعينها . — أنهم لم يقولوا شيئا — هذه العبارة قد تدل على السواء . إما على أن الفلاسفة الذين يظن طبيع سقراط قد لزموا الصمت أو أنهم لم يقولوا شيئا بعينه . — بعضها هي المثل... الخ — تلخص صحيح للقيود . — كون كل شيء ، — هذا هو نظم النص بعينه . — إذا كان كل هذا حقا — في هذا القيد نوع من التقييد ومن الانتقاد . — وآخرون — لم يخل فلبون من هم هؤلاء الفلاسفة الآخرون ولكن من المحتمل أن يكون المقصود ديمقريطس ومدرسته . — على رأيهم — زدت هاتين الكلمتين .

٦٤ — ليس الأولون ولا الآخرون — يعني أن اللاتلون ولا الماديين . — عللا — كذلك عبارة النص مهمة أيضا . — غير المثال — زدت هاتين الكلمتين . — الذي يعمل الصحة . — ربما كان يلزم أن يزداد "في الجسم" لتوضيح قوة العبارة الإغريقية . — الصحة ذاتها — يعني مثال الصحة . — العلم ذاته — يعني مثال العلم . — هما والكائنات التي يقومان بها — على ذلك يلزم خلاف مثال الصحة ومثال المريض وجود الطبيب وخلاف مثال العلم والتقليد يلزم المعلم الكفء لتلقين ما يعلم . — بحسب الفن الذي يمكن أن يتمها — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٧ — ومن جهة أخرى حينما يدعى أن المادة هي التي تكون الأشياء بالحركة التي تعطى لها فلا شك في أن هذا الرأي هو أكثر موافقة للطبع من نظرية المثل لأن ما يحيل الأشياء ويفرأشكالها يمكن أن يظهر أكثر من غيره بمظهر الصلة في كونها . وعلى العموم في كل كائنات الطبيعة كما في كل كائنات الفن ينظر عادة إلى كل ما يعطى بالحركة كأنه هو الفاعل لها .

§ ٨ — ومع ذلك فإن هؤلاء الفلاسفة الآخرين، ليسوا على حق لأن الانفعال والتحرك إنما هما الخاصتان اللتان تتعلقان بالمادة في حين التحريك والفعل يختصان بقوة مغايرة تمام المغايرة . وهذا هو ما يمكن مشاهدته أيضا في كل ما يعمل به الفن كما في كل ما يعمل به الطبع . إذا فليس الماء نفسه هو الذي يوجد الحيوان الذي يخرج من باطنه (بل هو الطبع) . كذلك ليس الخشب هو الذي يصنع السرير بل هي الصنعة . ومن ثم يمكن استنتاج أن هؤلاء الفلاسفة لم يحسنوا هم أيضا التعبير . وخطئهم آت من أنهم أغفلوا العلة الأهم من جميع العلل بمحذوفهم الماهية والصورة .

§ ٩ — وينتج منه فوق ذلك أنهم ينسبون إلى الأجسام قوى يجعلونها بها تتوالد بحالة ميكانيكية أكثر مما ينبغي بتركهم إلى ناحية العلة التي ترجع إلى النوع .

§ ٧ — ومن جهة أخرى — إلى أنصار المادة يوجه أرسطو القول هنا بعد أن أجاب على أفلاطون . — من نظرية المثل — ليس النص على هذا القدر من التعيين — ما يحيل الأشياء — ربما يلزم أن يحمل هذا التعبير على معنى أوسع قليلا من المعنى الذي يعبر به أرسطو عادة .

§ ٨ — الاقوال — أو "القبول" . — بقوة مغايرة تمام المغايرة — هذه هي ألفاظ النص بعينها . ويمكن ترجيحها أيضا "بقدر مغايرة" . — الذي يخرج من باطنه — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — (بل هو الطبع) — وضعت هذه العبارة بين قوسين لأنها لا توجد إلا في بعض المخطوطات وليست ضرورية . وشرح فيلو بون يدل عليها بالافضاء . — الماهية والصورة — قد يكون لازما أن يقال "الماهية الدائمة" .

§ ٩ — ميكانيكية أكثر مما ينبغي — هذه عبارة الأصل بحروفها وليست غاية في البيان . ر .

الفقرة الثالثة . ويظهر أن هذا الرد يكاد يدخل بتمامه في غضون الرد المتقدم كما نبه إليه أهل جامعة



ولما أنه تبعاً لقوانين الطبيعة كما يقولون الحار يفترق والبارد يجمد ولما أنف كل واحد من العناصر الأخرى يفعل وينفعل على طريقته فإن ذلك كافٍ عندهم في التقرير بأنه أيضاً من هذا أو بهذا يكون سائر الأشياء ويفسد . ويظهر لهم أن النار نفسها تقبل الحركة وتتفعل § ١٠ - يوشك أن يكون هذا الخطأ هو جنة خطأ من يذهب إلى اعتبار المنشار وما أشبهه من الآلات الأخرى العلة الحقة لكل ما تصنع ويرجمه إليها بحجة أنه يعود ما يفرض يلزم ضرورة أن يقطع الخشب ويجمد ما يصفى بالقارة فهناك ضرورة أيضاً أن ينصقل اللوح وهم ج . وبالنسبة مع أن النار هي أفضل العناصر وأنها توصل الحركة الأخرى فانهم لا يرون كيف أنها تفعل وأنها تفعل أردأ من الآلات العادية .

§ ١١ - أما نحن فليعلم أننا تكلمنا فيما سبق على العطل على العموم لم نتصد هاهنا إلا لدرس الهيولى والصورة .

كوبرا . أما فيليبون فانه بناء على رأى ابيكندر الافوديزي يظن أن هذا الانتقاد موجه على المنصرين إلى برينيد . - الحار يفترق - مثلاً حينما يصهر بعض الجواهر . - والبارد يجمد - هذا حق في بعض الأحوال ولكنه ليس حقاً في جميعها . - من العناصر الأخرى - ليس النص على هذا القدر من التعيين - النار نفسها - التي تعتبر أفضل العناصر تعبير مضطرب في هذا المذهب . - تقبل الحركة - أو "تفرك" .

§ ١٠ - يذهب إلى اعتبار المنشار - ر . ما سبق في أوله الفقرة التاسعة . فذلك هي المبادئ الميكانيكية التي إليها ينسب الفلاسفة كون الأشياء . - ويرجمه إليها - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - فهناك ضرورة أيضاً - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - أردأ - أي بنظام أقل . - العادية - زدت هذه الكلمة . § ١١ - فما سبق - يظن فيليبون أن المراد هنا تجلب الطبيعة ولكن الأولى بالمراد هو الكتاب الأول من مابعد الطبيعة الذي فيه أرسطو قد درس العطل . - لم نتصد هاهنا إلا لدرس - ليست عبارة النص على هذا القدر من الصراحة .

## الباب العاشر

كون الأشياء وفسادها هما متصلان كالحركة ويتعلقان بالثقل الدائرية للعالم — ضرورة حركتين —  
الثقل الدائرية المائلة تسد هذه الضرورة — انتظام الكون والفساد الطبيعيين — المهلة الدورية  
الكائنات — فعل الله — القوانين الثابتة التي وضعها في أبدية الأشياء — النظام المعجب للعالم —  
غير الأجسام إنما هو الذي يحفظ مدتها — المحرك الأول غير المتحرك هو المبدأ الموحد للحركة العالمية —  
اتصال الحركة يتعلق باتصال المتحرك .

١٩ — يلزم أن يزداد على ذلك اعتبار آخر وهو أنه بما أن حركة الثقل أزلية  
كما سبق بيانه فينتج منه بالضرورة أنه بهذه المثابة يجب أن يكون كون الأشياء  
متصلاً أيضاً على السواء . لأن هذه الحركة تسبب إلى ما لا نهاية كون الأشياء  
بأن تأتي بالعلة التي يمكنها أن تكون الأشياء ثم تأتي بها ثانية . وهذا يبرهن لنا  
في آن واحد على أن ما قدمناه صحيح وعلى أنه كان لنا الحق في أن نجعل الثقل  
لا الكون هي أول التغاير . وفي الحق أنه أدخل في باب المعقول أن يجعل ما هو  
موجود علة لتكوين ما لم يوجد من أن نجعل ما لم يوجد العلة الفاعلة لتكوين ما هو  
موجود . وإن ما هو خاضع للثقل موجود في حين أن الشيء الذي يكون ويصير  
هو غير موجود . وذلك ما يجعل أن الثقل متقدمة على الكون .

١٩ — يلزم أن يزداد على ذلك اعتبار آخر — قد اضطررت إلى التوسع في عبارة النص حتى يتبدأ  
هذا الباب على وجه أليق . — كما سبق بيانه — في الكتاب الثامن من الطبيعة ب ١٠ ص ٥١٨ وما يليها  
من ترجيح . — كون الأشياء — عبارة النص « التولد » . — هذه الحركة تسبب إلى ما لا نهاية —  
تلك هي فكرة عظمى في ربط كون الأشياء وفسادها بالعلة العامة التي تحرك العالم . — تأتي ... ثم تأتي بها  
ثانية — هذه المقابلة هي في النص . — ما قدمناه — ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٠ ص ٥١٨ وما بعدها .  
حيث أدرست قد فصل الكلام تفصيلاً لإثبات أن الحركة الدائرية هي الأولى والأصلية لجميع الحركات .  
— ما هو موجود ... ما لم يوجد — عبارة النص : « الموجود ... واللاموجود » . — يكون ويصير  
— ليس في النص الكلمة واحدة . — متقدمة — أو أسمى .

٢٤ — بعد أن فرضنا و بينا أن في الأشياء كونا وفسادا متصلين وأن حركة  
الثقلة هي علة تولد الأشياء يجب أن يكون من البين لدينا أنه ما دامت حركة الثقلة  
وحيدة فمن المحال أن الكون والفساد يوجدان جميعا في آن واحد ما دام أنهما  
ضدان لأن علة موجودة وبقية هي بينهما وفي الظروف بينهما لا يمكن البتة  
أن تعمل إلا المعلول بعينه على حسب نظام الطبيعة . وبالنتيجة فإما أن الكون هو  
الأزلي وإما أن الفساد هو الأزلي ٢٤ — وعلى ذلك يلزم أن يوجد عدة حركات  
وحركات متضادات إما باتجاهها وإما بتفاوتها لأن علل الأضداد هي أضداد  
كذلك . وليست الثقلة الأولى إذا على التحقيق هي التي يمكن أن تكون علة كون  
الأشياء وفسادها . بل الثقلة على حسب الدائرة المسألة . فان في هذه الثقلة  
حقا يوجد في آن واحد اتصال لحركة واحدة وإمكان لحركتين ، لأنه يلزم بالضرورة  
من أجل أن الكون والفساد يمكن أن يكونا متصلين أن تكون الحركة سرمدية حتى  
لا تختلف هذه التغيرات نفسها أبدا . ومن جهة أخرى يلزم أن يكون عدد الحركات  
اثنين حتى لا تكون إحدى هاتين الظاهرتين هي التي تبقى وحدها على الدوام .

٢٤ — فرضنا و بينا — واقع الكون والفساد المتصلين للأشياء تشهد لنا به الحواس ، ولا محل  
لفرضه ولا لثبانه . ولكن فلاسفة معاصرين لأرسطو كانوا يذهبون إلى حد إنكار الحركة . ر . الكتاب  
الأول من الطبيعة ب ٢ وما يليه . — في آن واحد — أضفت هذا القيد لأحصل كل قوة حيازة  
النص . — فإما أن الكون هو الأزلي وإما أن الفساد هو الأزلي — أو بعبارة أخرى : أحد الاثنين  
لا الاثنان جميعا .

٢٤ — حركات متضادات — ر . حد الحركة المضادة في الطبيعة ك ه ب ٧ ص ٢٢٠  
وما بعدها من ترجتنا . — على حسب الدائرة المسألة — بناء على ما سيأتي وبناء على شرح فيلويون  
يلزم أن يمتنى بالدائرة المسألة دائرة فلك البروج أو دائرة سمت الشمس . وبحسب ما نكون الشمس  
أقرب منا أو أبعد يحصل كون الأشياء أفسادها . قد لا تكون نظرية أرسطو صحيحة ولكنها في الحق  
كبيرة للغاية . ان الحركة اللامتغيرة المسألة منذ الأزل تبقى منطبقة على السماء . ولكن الحركة المتغيرة  
الخاضعة لها العالم الأرضي هي في الشمس والسيارات التي قسرها . — اتصال لحركة واحدة وإمكان  
لحركتين — من هنا ملنا الكون والفساد المتعاقبين الأبديين للأشياء . — إحدى هاتين الظاهرتين —  
ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٤ — وعلى ذلك إذا إنما نقلة العالم هي حلة الأبدية وأن ميل الدائرة إنما هو الذي ينتج التقريب أو التباعد لأنه قد يمكن أن تكون العلة نارة بعيدة ونارة قريبة. وبما أن المسافة غير متساوية فالحركة تكون غير متساوية كذلك. وعلى ذلك إذا كانت الحركة بشهادتها وقربها تسبب كون الأشياء فإن هذه الحركة نفسها بقياسها وابتعادها تسبب فساد الأشياء. وفوق ذلك فإنها إذا كثرت باقترابها عدة مرات فإنها تُفسد بابتعادها عدة مرات أيضا لأن طل الأضداد هي أضداد بعضها لبعض.

§ ٥ — يلزم أن يزداد على هذا أن الفساد والكون الطبيعيين يتحققان في زمان متساو. وهذا هو الفاعل في أن زمن مدة كل كائن وزمن حياته يمكن أن تعبر بالعدد وتعين بهذه الطريقة. وفي هذا ترتيب ينتظم جميع الكائنات فإن المكث والحياة هما دائما مقيسان بمدة ما تمضي. غير أن هذه المدة ليست واحدة بالنسبة للجميع على السواء. بل هي أقصر بالنسبة للبعض وأطول بالنسبة للبعض الآخر. وأن المدة التي يقاس بها وجود الكائنات هي بالنسبة لهؤلاء سنة وبالنسبة لهؤلاء هي أكثر في حين أنه بالنسبة لموجودات أخرى المقدار هو أقل. § ٦ — إن الظواهر المحسوسة

§ ٤ — نقلة العالم — بمعنى حركة النقطة الأتلية التي تسيطر على السماء والكواكب الثابتة على مذهب أرسطو. — ميل الدائرة — زدت المضاف إليه. — أن تكون العلة — عبارة النص غير معبىة بالمرء فاضطرت إلى تعيينها. — بشهادتها وقربها — هذا يمكن أن يخلق على الشمس التي هي ليست فقط أكثر أو أقل بعدا من الأرض بحسب الفصول بل إن نورها هو نارة شاحدة ونارة غائب بحسب النهار والليل. — باقترابها عدة مرات — حفظت عبارة النص على ما بها من تردد. ومعنى ذلك أنه يلزم أن تقرب الشمس أو تبتعد عدة مرات متوالية لتحدث بعض الآثار. — علل الأضداد — أو "الأضداد هي علل للأضداد".

§ ٥ — يتحققان في زمان متساو — لا يلزم أن يؤخذ هذا بل يخرج أكثر مما ينبغي. — فإن أرسطو يريد أن يقول إن الزمان الذي فيه يمكن للشمس أن تفسد هو مساو للزمان الذي فيه يمكن أن تكون. — فإن دورية الفصول متساوية دائما. — وزمن حياته — لأن مدة الحياة لكل كائن متغيرة بحسب الأوضاع التي وضعها فيه الطبيعة كما سيقال بعد. — ترتيب ينتظم جميع الكائنات — معلوم أن أرسطو كان يهدم دائما مذهب المصادفة والاتفاق. — ما سبق ب ٦ ف ٥ والطبيعة ك ٢ ب ٤ ر ١ بعده.

§ ٦ — الظواهر المحسوسة — كذلك يوصي أرسطو هنا كما في كل موطن آخر بخط الملاحظة.



لشاهدة بصلق ما نقوله هنا . متى تطلع الشمس يحصل كون . ومتى تغرب يحصل فساد . وهاتان الظاهرتان تحققان في أزمان متساوية لأن زمن الفساد الطبيعي هو مساو لزمن الكون . ولكنه يقع غالباً أن الفساد أسرع بصفة تفاعل العناصر بينها . وفي الحق متى كانت المادة غير منظمة ولا واحدة بينها في كل مكان لزم أيضاً أن الأكون التي تخرج منها تكون غير منظمة مثلها وأن يكون بعضها أسرع والآخر أبطأ . وحيث يمكن أن يصير كون البعض فساداً للبعض الآخر .

٧٩ — على أن الكون والفساد كما قلنا يجب أن يكونا دائماً متصلين ولا ينبغي البتة أن يضلعا للأسباب التي ذكرناها . ومع ذلك فإن هذا مفهوم جداً لأن الطبيعة كما نقرر تبحث دائماً عن الأحسن في كل الأشياء . والوجود هو أحسن من العدم ، وقد عُدنا في موضع آخر المعاني المختلفة للفظ "وجود" . ولكنه لا يمكن أن الوجود يبقى في كل الأشياء ما دام أن بعضها هي أكثر ابتعاداً جداً عن المبدأ . وأخذنا بالطريق الوحيد الذي بقي نقول إن الله قد كمل الكل

— متى تطلع الشمس — هذا ليس حفاً إلا بمقدارنا . وإنما لمبالغة في فعل الشمس أن يستد لها كون جميع الأشياء . — في أزمان متساوية — يعني أنه في آخر العام يكون الزمن الذي فيه غابت الشمس مساوياً للزمن الذي فيه طلعت . — الفساد الطبيعي — الرابح إلى شهادة الشمس أو غيبتها . — الفساد أسرع — العلة فيها يمكن أن تفعل في الكون أيضاً . — العناصر — النص أقل صراحة وقد اضطررت إلى جعل الترجمة أضبط .

٧٩ — كما قلنا — سواء في هذا الباب ف ٣ أولى الطبيعة ك ٣ ب ٥ ف ٤ ص ٩٤ من ترجمتي . — كما نقرر — هذا هو أحد المبادئ التي أحسن أرسطو في تفريدها وحسن استعمالها . — الطبيعة ك ٨ ب ٧ ف ٦ ص ١٠١ من ترجمتي . — في موضع آخر — خصوصاً في المقولات ب ٢ ف ٢ ص ٥٤ من ترجمتي . وفي الطبيعة ك ١ ب ٣ ف ١ ص ٣٨ من ترجمتي . وفيها بعد الطبيعة ك ٤ ب ٧ ص ١٠١٧ طبعة برلين . — الوجود يبقى في كل الأشياء — على تقدير الوجود «الأزل» ولكن اضطررت لاستيفاء التردد الواقع في النص . — عن المبدأ — الذي كونها والذي يحفظها . — أخذنا بالطريق الوحيد الذي بقي — ربما كان في ذلك تضيق لفكرة الله . — الله قد كما "١٢" — هذه الفقرة تذكر بعض الشيء نظريات علماء من

بأن جعل التولد متصلا وأبديا . فالوجود هو إذا ملئت ومتصل بقدر ما يمكن لأن  
كونا أبديا وصيرورة مستمرة هما أقرب ما يمكن من الوجود ذاته . وحيث أنه فعله  
هذا الكون، كما طالما قد قيل، إنما هي القوة الدائرية لأنها هي وحدها التي تكون  
متصلة . ٨ § — فانظر كيف أن جميع الأشياء التي تتغير بعضها إلى بعض، بحسب  
خواصها القابلة والفاعلة، كالأجسام البسيطة مثلا، لا تريد أيضا على أن تقلد هذه  
القوة الدائرية التي هذه الأشياء تكررها . وفي الحق أنه متى كان الهواء يحىء من  
الماء والنار يحىء من الهواء ثم الماء يحىء في دوره من النار فيمكن القول بأن  
الكون قد حصل دوريا ما دام أنه يرجع على نفسه . وعلى هذا إذا فإن حركة هذه  
الظواهر بامتدادها على خط مستقيم تقلد الحركة الدائرية وتصير متصلة .

٩ § — وهذا يسمح لنا في آن واحد باستجلاء مشكلة يثار تأثيرها أحيانا وهي كيف  
يمكن، مع أن كل جسم متمكن في المحل الخاص به، ألا تكون الأجسام المركبة منفصلة

التي ربما كانت هي التي أوجتها . — متصلا وأبديا — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ملئت  
ومتصل ... كونا أبديا وصيرورة مستمرة — التنبيه السابق فيه . — من الوجود ذاته — على تقدير  
«الأزلي» . — كما طالما قد قيل — في هذا الباب ذاته وفي الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ف ٤٦ و ب ١٣  
ف ٥ ص ٥٥٠ و ٥٥٢ من ترجعني .

٨ § — كالأجسام البسيطة — يعني العناصر العادية الأرض والماء والهواء والنار . — لا تريد أيضا  
على أن تقلد — ليس النص على هذه الصراحة . — هذه الأشياء تكررها — أضفت هذه الكلمات .  
ومع ذلك يمكن أن يرى أن هذه المشابهة بين التغير المتكافئ للعناصر وبين الحركة الأزلية التي تحرك السماء هي  
مشابهة نسبية . ولكنه يلزم تذكر ذلك المركز العظيم المسند إلى أربعة العناصر في نظريات أرسطو . ر . على  
الأخص المتورطون فيها ك ١ ب ٢ و ٣ ص ٤ وما بعدها من ترجعتنا . — وفي الحق أنه متى كان  
الهواء يحىء من الماء — على رأى أرسطو أن الماء يتغير بصير هواء . — ثم النار يحىء في دوره من  
النار — لأن النار تتغير إلى هواء والهواء في دوره إلى ماء . — تقلد — هذا التكرير موجود في الأصل .

٩ § — يثار تأثيرها أحيانا — أو «ينيرها بعض الفلاسفة» . — منفصلة ومنشقة — ليس في النص  
إلا كلمة واحدة ويلزم أن يفهم أن المراد هو محلل الأجسام المخططة حيث كل واحد من العناصر التي  
تتلفها ينسب إلى المكان الخاص به فالأرض إلى تحت والنار إلى فوق والهواء والماء إلى الأماكن

ومنعلة أثناء المدة غير المنتهية للأزمان . والسبب في ذلك بسيط وهو أنها  
تتغير وتتحول بعضها إلى بعض . فإذا كانت كل واحد منها يبقى في محله الخاص  
ولم يمتدله جاره فتكون من زمان طويل قد انفصلت وانعزلت . فهذه الأجسام  
تتغير إذا على أثر حركة ثقلة مزدوجة ومن أجل أنها تتغير لا يوجد ولا واحد منها  
يمكن أن يبقى البتة في مكان ثابت ومعين .

§ ١٠ — فيمكن أن يرى إذا بناء على ما تقدم أنه يوجد على الحقيقة كون  
للأشياء وفساد وما هي العلة فيهما كما أنه يرى ما هو المخلوق والقابل للفساد . ولكن  
ما دام أنه يوجد حركة فيلزم أن يوجد محرك كما بين ذلك في مؤلفات أخرى .  
وإذا كانت الحركة أزلية يلزم أن يكون موجودا شيء ما أزلي أيضا . ولما أن  
الحركة متصلة فهذا الشيء الذي هو أحد يجب أن يكون هو عينه أبداً غير متحرك  
ولا مخلوق ولا قابل للاستحالة . حتى مع افتراض أن الحركات الدائرية أمكن أن  
تكون كثيرة بالعدد فقد يمكن أن تكون عديدة ولكنها جميعها ما دامت فإنها يجب

المتوسطة . — أثناء المدة غير المنتهية للأزمان — لأن هذه النفاير بطيئة للغاية وتستدعي أزمانا طويلا  
جدا . — وهو أنها تتغير وتتحول — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — قد انفصلت وانعزلت —  
التنبيه السابق فيه .

— حركة ثقلة مزدوجة — ر . ما سبق ف . هـ . وهذه الحركة المزدوجة هي التي يحدثها ميل الدائرة  
الذي هو ثورة يبعد الشمس عن دائرة يقربها منا . وبحسب شرح فيلويون إنما هي الحركة التي تذهب  
من الشرق إلى الغرب والتي ترجع من الغرب إلى الشرق . — ومن أجل أنها تتغير — وتختلط بعضها  
ببعض .

§ ١٠ — المخلوق والقابل للفساد — حفظت تصدا عبارة النص على قلة تعيينها . — في مؤلفات  
أخرى — هي الطبيعة ك ٨ ب ١٥ ص ٥٥٨ وما بعدها من ترجيح ، وما بعد الطبيعة ك ٧ ب ٦  
وما بعده ص ١٩٢ من ترجمة كوزان الطبيعة الثانية . — أن يكون موجودا شيء ما — قد يكون أكثر  
بينا أن يقال : محرك ما أزلي . — كثيرة بالعدد ... عديدة — هذا التكرار موجود في النص .

بالضرورة أن تكون خاضعة لمبدأ واحد أحد. ومن جهة أخرى مادام الزمان متصلا  
وجب أن تكون الحركة متصلة مثله لأنه من الحال أن يوجد زمان بدون حركة .  
فإن الزمان هو إذا العدد لشيء ما متصل أخصى للثقل الدائرية كما قلنا ذلك بديا .  
١١٩ — ولكن هل الحركة متصلة لأن المتحرك الذي يقبلها هو متصل أيضا ؟  
أم هل هي كذلك بعللة اتصال المكان الذي تقع فيه ، أريد أن أقول الآن ، أو بعللة  
اتصال الكيف الذي يكيف الشيء ؟ من البين أن الحركة هي متصلة بسبب أن  
المتحرك متصل لأنه كيف يمكن أن يكون كيف شيء متصلا إلا إذا كان ذلك  
باتصال الشيء نفسه الذي فيه يظهر هذا الكيف ؟ إذا كانت الحركة ليست متصلة  
إلا بسبب المكان الذي هي فيه فهذا لا يمكن حينئذ إلا بالآن الذي له وحده خاصية  
الاحاطة بها لأن له عقلا ما . ولا يوجد عظم متصل إلا عظم الدائرة لأن هذا العظم  
هو دائما متصل بنفسه . وعلى ذلك فالعامل في اتصال الحركة إنما هو الجسم الذي  
له الثقل الدائرية وإنما الحركة في نوبتها هي العاملة في أن الزمان يكون متصلا .

— مادام الزمان متصلا — ر . على ملاقات الزمان بالحركة الكتاب الرابع من الطبيعة ب ١٤ وما بعده  
ص ٢٢٤ من ترجحي . — بديا — يرى فيلوبيون أنت المقصود بهذا الكتاب الطبيعة الذي هو يتقدم  
في ترتيب الدراسة كتاب السماء وهذا الكتاب ويلزم الرجوع الى الكتاب الرابع والكتاب السابع من الطبيعة .  
١١٩ — ولكن هل الحركة متصلة — هذه المسئلة المهمة قد طرحت على البحث وحلت في الكتاب  
الثامن من الطبيعة ب ١٥ وما يليه ، وفي الكتاب الثاني عشر من ما بعد الطبيعة ب ٦ وما يليه على وجه فيه  
بعض المغايرة لما قرره . — اتصال المكان ... اتصال الكيف — ليس النص على هذا القدر من  
الصراحة . — الذي يكيف الشيء ؟ — زدت هذه الكلمات لتكون الفكرة أكثر بياقا . — المتحرك  
متصل — هذا غير مفهوم تماما . فان الاتصال يمكن أن يكون إما اتصال الزمان أو اتصال المادة .  
— إلا بالمكان — عبارة النص أقل ضبطا . — الذي له وحده خاصية الاحاطة بها — وسعت عبارة  
النص لجعلها آيين . — الا عظم الدائرة — ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ف ٤١ ص ٥٤٧ من ترجحي  
وب ١٤ ف ١ ص ٥٥٣ . — دائما متصل بنفسه — لأن المحيط يرجع على ذاته . — الجسم الذي له  
الثقل الدائرية — والأذلية ، يعني السماء .



## الباب الحادى عشر

نظرية تعاقب الأشياء الأبدى المنتظم — على أى مقدار يكون تدخل الوجوب — الأشياء الواجبة  
والأشياء الممكنة — الوجوب المطلق — الوجوب الإضافى — علاقة الواجب والأزلى — كون الأشياء  
لا يمكن أن يكون أبديا الا اذا كان دائريا — ترتيب الأشياء المعجيب — الحركة الدائرية لفلك الأهل  
تنظم كل الحركات السفلى ، حركة الشمس ، وحركة الفصول وكل الحركات الأخرى — أبدية الأنواع —  
فناء الأشخاص المتعاقب — أزلية بعض الجواهر — خاتمة الكتاب .

§ ١ — لما أننا ، فى جميع الأشياء التى تتحرك بحركة متصلة إما لتكون وإما  
لتستحيل وإما بالاختصار للتغير، نرى دائما حادثا يوجد بعد آخر وظاهرة نتكون  
على أثر أخرى بحيث لا يقع لا خلو ولا تحلف فيلزمنا أن نفحص ما إذا كان يوجد  
شئ ما بالواجب أو أنه ممكن فى حق جميع الأشياء ألا تكون إذا لم يكن شئ موجودا  
بالواجب . وبديهي أن بعض الأشياء هى واجبة وهذا هو الحامل على أن القول  
على شئ بالتعيين إنه سيوجد هو مغاير تماما للقول بأنه يجب أن يوجد . لأنه  
ما دام قد حق القول على شئ بأنه سيوجد فيلزم أيضا أن يحق القول ذات يوم على  
شئ إنه موجود فى حين أنه متى صدق القول بالبساطة على شئ إنه يجب أن  
يوجد فلا شئ يمنع من ألا يوجد : مثال ذلك قد يمكن جدا أن إنسانا كان يجب  
أن يتنزه ألا يتنزه .

§ ١ — لا خلو ولا تحلف — ليس فى النص الكلمة واحدة . — إذا كان يوجد شئ ما واجب — على  
نظرية الوجوب . ر . الطبعة لـ ٢ ب ٩ ص ٦١ من ترجيحى .  
— بعض الأشياء هى واجبة — تلك هى النتائج الضرورية لفرض ما ولكن الفرض نفسه ليس  
واجبا . — بالتعيين — زدت هذه الكلمة زيادة فى تحديد الفكرة . — بأنه يجب أن يكون —  
يوجد فى عبارة النص نحو من الاحتمال ليس موجودا فى التعبير الفرنساوى . — بالبساطة — زدت هذه  
الكلمة أيضا . وربما كان من الأحسن أن يستأخذ فى الترجمة عن عبارة "يجب أن يكون" بعبارة "يمكن  
أن يكون" فان هذه الصور الدقيقة من الصعب نقلها من لغة الى لغة أخرى .

٢٤ - ولكن لما أن من بين الأشياء التي هي موجودة ما يمكن أيضا ألا توجد فبدى أن يكون الأمر كذلك أيضا بالنسبة للأشياء التي تصير وتكون وأنه ليس هناك أيضا وجوب . فهل جميع الأشياء التي تكون هي في هذه الحالة أم هل هي ليست فيها ؟ أو ليس يوجد منها ما يجب بالضرورة أن يكون ؟ أو لا يكون الأمر بالنسبة إلى الصيرورة كما هو الحال بالنسبة للوجود ؟ أو ليس يوجد أيضا أشياء لا يمكن ألا تكون في حين أن أخرى يمكن أن تكون ؟ مثال ذلك وجوب أن توجد المتطلبات الدورية وليس ممكنا أنها لم تكن أصلا .

٣٤ - والحق هو أنه إنما يلزم بالضرورة أن المتقدم يكون لأجل أن المتأخر يكون أيضا في دوره . مثال ذلك لكي يوجد بيت يلزم بدئا أن يوجد أساس . ولأجل أن يوجد أساس البيت يلزم ملاط . ولكن هل لأن الأساس قد عمل يكون واجبا أن البيت يقام أيضا ؟ أم هل ليس هذا واجبا إلا إذا كان البيت نفسه واجبا على الإطلاق ؟ وعلى هذا الوجه إذا من الضروري في الواقع أنه مادام الأساس قد عمل فالبيت يكون أيضا لأن هذا هو في الحقيقة صلاقة المتقدم بالتأخر أنه إذا كان المتأخر يجب أن يكون فيلزم وجوبا أيضا أن يكون المتقدم قد كان من قبله .

٢٤ - التي تصير وتكون - ليس في النص إلا كلمة واحدة ويلزم الالتفات إلى التمييز بين الوجود وبين الصيرورة . فإن أحدهما أزل أو عمل الأقل باقي في حين أن الآخر حادث ومؤقت . - بالنسبة إلى الصيرورة - بحثت بهذا التعبير الذي هو أول ما يؤول عبارة النص . - لا يمكن ألا تكون - يعني أنها واجبة . - المتطلبات الدورية - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

٣٤ - المتقدم... المتأخر - الأمثلة التالية تبين معنى هاتين الكلمتين . - بيت ... أساس - يكاد يكون هذا المثل هو عين المثل الذي ضرب في الطبيعة ك ٢ ب ٩ ف ٢ ص ٦٢ من ترجع لتبيان الفكرة فيها . - ملاط - عبارة النص بالضبط " الحما " . - إلا إذا كان البيت نفسه - ليس النص على هذه الصراحة . - قالبت يكون أيضا - ولكن فقط لأنه هو نفسه واجب وليس البيت لأنه يجب ضرورة أن يكون النتيجة للأساس . - المتأخر - إنما هو هنا البيت . - المتقدم - إنما هو الأساس الموضوع لجعل البناء . الأساس ضروري للبيت ولكن البيت ليس ضروريا للأساس .

§ ٤ — وإذا كان حينئذ المتأخر واجبا لزم أن يكون المتقدم واجبا كذلك . وإذا كان المتقدم واجبا وكان المتأخر واجبا مثله فذلك ليس بسببه بأية طريقة ما بل فقط لأنه كان المفترض وجوب المتأخر نفسه . وعلى هذا إذا فانه حينما كان المتأخر واجبا كان التكافؤ . ودائما حينئذ متى كان المتقدم فواجب أن المتأخر يكون في دوره .

§ ٥ — إذا سار التعاقب إلى اللانهاية نازلا من درجة إلى درجة فن ثم لا يكون واجبا أن المتأخر يكون مطلقا . ولكن حتى هذا لا يكون واجبا بحسب الفرض الموضوع آنفا لأنه سيوجد دائما شئ آخر يتقدم بالضرورة على المتأخر . وهذا الشئ الآخر يجب أن يكون بالضرورة أيضا . وبالنتيجة كما أنه لا يوجد مبدأ ممكن للانهاية فن يوجد كذلك حد أول عامل على أن الأخير يجب أن يكون بالضرورة . § ٦ — ولكن حتى في الأشياء التي لها حد متته لا يصدق القول بأنه يوجد وجوب لأن تكون الكائنات على الإطلاق . مثال ذلك أن البيت قد كان

§ ٤ — مثله — زدت هذا اللفظ . — بسببه — فالبيت ليس واجبا أصلا بالنظر إلى الأساس في حين أن الأساس واجب بالنظر إلى البيت . — كان المفترض — إنما هو بالفرض الصرف أن البيت واجب ولكنه ليس كذلك بالنظر إلى المواد التي تأسس عليها . — كان التكافؤ — يعني أن الأول ضروري للثاني بقدر ما يكون الثاني للأول .

§ ٥ — التعاقب — العبارة الإغريقية غير محددة . — إلى اللانهاية — يفترض الشراح أن المقصود التنازل على خط مستقيم متاهيا أو غير متناه موحدا عن تنازل دائري راجع على نفسه كتولد العناصر . — نازلا من — درجة إلى درجة — عبارة النص هي بالبساطة : " نحو التحت " . — بحسب الفرض الموضوع آنفا — ليس النص على هذا القدر من التحديد . ويمكن ترجمته هكذا : " هذا لا يكون واجبا حتى على طريق القرض " . — لأنه سيوجد دائما — يعني قبل الحد الأخير المفروض أنه واجب توجد سلسلة حدود متقدمة وهي لأنها غير متناهية لا يمكنها أن تنفذ . ومع ذلك فان كل هذه الفقرة غامضة قليلا ويظهر أن فيلويون يشكو من غموضها . — عامل هل أن الأخير — النص ليس على هذا القدر من الضبط ، ففي اللانهاية لا يوجد حد أول ولا حد أخير إذ لا أول لها كما لا آخر لها .

§ ٦ — التي لها حد متته — أو " آخر " . — لأن . . . الكائنات — عبارة النص غير محددة .



لأن الأساس قد كان . لأنه إذا البيت كان من غير وجوب وجود دائم بالضرورة فينتج منه أن ما يمكن ألا يكون دائما يكون دائما . ولكن شيئا لا يمكن أن يكون دائما من حيث كونه إلا إذا كان هذا الكون واجبا لأن الواجب والأزلي يتشيان معا . لما يكون وجوبا لا يمكن ألا يكون . وعلى هذا إذا كان وجوبا فهو بذلك نفسه أزلي . وإذا كان أزليا فهو واجب الوجود وكذلك الحال أيضا إذا كان كون الشيء واجبا فهذا الكون هو أزلي أيضا وما دام أزليا فهو واجب الوجود على سواء .

٧٩ - وإذا كان إذا الكون المطلق لشيء هو واجبا لزم ضرورة أن يكون هذا الكون دائريا ويرجع على نفسه لأنه يلزم مطلقا إما أن للكون حدا أو أن ليس له حد . فإن لم يكن له لزم أن يقع على خط مستقيم أو على دائرة . ولكنه ليكون أزليا محال أن يكون على خط مستقيم لأنه حينئذ لا يكون له ابتداء لا من تحت كما نرى أخذا بالأشياء التي ستكون ولا من فوق إذا أخذنا بالأشياء التي قد كانت . ولكنه يلزم ضرورة ابتداء للكون من غير أن يكون محدودا وأنه يجب أن يكون أزليا .

- لأنه إذا البيت كان - تأملت بالضبط أسلوب النص . ولكن ليس بجديان وفيه معان وسطاء مخدوفة سييت النعوض . واليك شرحا يملأ غامض هذه الفقرة : "حق في الأشياء التي لها آخر معين ليس من الضروري دائما أن ينبع المتأخر المتقدم مثال ذلك أساس البيت يمكن أن يصل دون أن يصل البيت ضرورة بعده مع أن الأساس ضروري للبيت . لأنه إذا كثر البيت من غير أن يكون مع ذلك واجبا فينتج منه أن شيئا ممكنا انقطع من أن يكون ممكنا ليصير واجبا" . - ما يمكن ألا يكون دائما - يعني ما هو ممكن . - الواجب والأزلي يتشيان معا - أو "الواجب هو في آن واحد أزلي أيضا" .

٧٩ - دائريا ويرجع على نفسه - هذا أحد المبادئ المهمة المقررة في كتاب الطيبة ك ٨ ب ١٣ و ١٤ ص ٥٥١ وما بعدها . فإن الحركة الدائرية هي الوحيدة التي يمكن أن تكون أزلية . - للكون - أو التناسل . - لا من تحت . . . ولا من فوق . - ر . ما سبق ف ه "من تحت" يدل على السلسلة النازلة فانه يسار مما هو كائن لأجل اقتراض كل تعاقب الكائنات . "من فوق" يدل على السلسلة الصاعدة ما دام أنه يسار مما هو كائن للصعود إلى ما قد كان . فلا يوجد إذا ابتداء لا من إحدى الجهتين ولا من الأخرى والسلسلة غير متناهية في الجهتين لأن الخط المستقيم يمتد على امتداد غير متناه . - يلزم ضرورة ابتداء - هذا يظهر أنه يناقض آراء أرسطو المعروفة على أزلية العالم وزد على ذلك أنه ليس للدائرة ابتداء بالمعنى الخاص . - للكون . . . الكون - النص ليس على هذا القدر من الضبط .



فيوجد إذا ضرورة لأن يكون الكون دائريا . وعلى هذا النحو أن التكافؤ أو الرجوع يكون واجبا . ومثلا لو أن شيئا كائن بالواجب لكان المتقدم على هذا الشيء هو واجبا أيضا وإذا كان هذا المتقدم واجبا يلزم وجوبا أيضا أن المتأخر يكون . وهاك إذا اتصالا أزليا حقيقيا لأنه لا يهيم أن يقع الاتصال بين وسيطين أو عدة وسطاء . على هذا فالوجوب المطلق لا يوجد إلا في الحركة وفي الكون الدائري . ومتى وجدت الدائرة فكل شيء يكون أو كان بالواجب . وكذلك إذا وجد وجوب فالكون يقع دائريا .

٨٨ — كل هذا الترتيب هو غاية في المعقول . ومادام قد بين أيضا في موطن آخر أن الحركة الدائرية هي أزلية كما هي الحال في حركة السماء فبديهي أن كل ذلك يقع وسيقع بالواجب وأن كل الحركات التي تتصل بتلك والتي تنتجها هي واجبة مثلها . لأنه إذا كان الجسم الذي يقبل أزليا الحركة الدائرية يوصلها إلى جسم آخر فينتج منه أن حركة هذه الأجسام الأخرى يجب أن تكون دائرية أيضا . ومثلا لما أن النقلة تحصل بطريقة ما في الأفلاك العليا فيلزم أن الشمس تتحرك بالطريقة عينها . ومتى كان هذا هكذا بالنسبة إلى الشمس فالفصول بهذه العلة مجرى دائري وترجع دوريا . ومادامت كل هذه الظواهر العظمى تقع بهذه الطريقة فكل الظواهر السفلى تحصل بالانتظام عينه .

— التكافؤ أو الرجوع — ليس في الأصل إلا كلمة واحدة . — اتصالا أزليا حقيقيا — ليس في الأصل إلا وصف واحد . — وسطاء — التعبير الإغريقي غير محدد بالمرّة لذلك لم أكن أكثر منه ضبطا .

٨٩ — هو غاية في المعقول — اعترف دائما أرسطو بنظام الطبيعة العجيب من غير أن يجعل مع ذلك لمشيئة الله وحايته الإلهية دخلا مباشرا . — قد بين أيضا في موطن آخر — في التجاب الثامن من الطبيعة كما يقول فيلوجون . — الجسم الذي يقبل أزليا الحركة الدائرية — هذا هو المتحرك الأول من السماء أو جزء العالم الأبعد عن الأرض . — بطريقة ما — زدت هذه العبارة لغام الفكرة . — هذه الظواهر العظمى — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — بالانتظام عينه — ليس النص على هذا القدر من الضبط .

٩٥ - ولكن حينما توجد أشياء لتحقيق بالفعل على هذا النحو ومثلاً حينما المساء والهواء يكون لها هذه الحركة الدائرية ما دام أنه لأجل تكوين السحاب يلزم أن تكون قد أمطرت ولأجل أن تمطر يجب أن يوجد السحاب فكيف يحصل أن الناس والحيوانات لا تعود هي أيضاً على نفسها بحيث إن الشخص نفسه يظهر مرة أخرى ؟ لأنه من أن أباك قد كان ، لا ينتج ضرورة أنك كان يجب أن تكون . والذي هو ضروري فقط إنما هو أنه إذا كنت فيلزم أن أباك قد كان . والعلة في ذلك هي أنه إنما هذا تناسل يقع على خط مستقيم .

١٠٥ - غير أن مبدأ البحث الذي تنصدي إليه ها هنا سيكون أيضاً أن نتعامل عما إذا كانت كل الأشياء تعود أيضاً إلى أعيانها أو لا تعود وعما إذا كان حقاً أن بعضها يعود بالعدد وبالشخص في حين أن الأخر لا تعود إلا بالنوع . بالنسبة لجميع الأشياء التي يحكى جوهرها غير قابل للفساد في الحركة التي يلقاها من البين أنها تبقى دائماً عددياً متعاقلة ما دام أن الحركة تطابق جيلتد المتحرك . ولكن كل الأشياء التي على ضد ذلك جوهرها قابل للفساد فانها يجب ضرورة أن تم هذه

٩٥ - لها هذه الحركة الدائرية - والمتكافئة بحيث إن أحدهما تولد الأخرى . - لأجل تكوين السحاب يلزم أن تكون قد أمطرت - ر . المتهور ولوحياً ك ١ ب ٦ ص ٥٤ وما بعدها من ترجيح . - والعلة في ذلك هي - ليس النص على هذا القدر من التحديد . - تناسل - أو كون .

١٠٥ - مبدأ - يظهر أن هذا أول به أن يكون الملخص والشم ما دام أن هذه المناقشة هي آخر هذا الكتاب . - بالعدد وبالشخص - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - لا تعود إلا بالنوع - يعني أن الشخص يتغير لكن الأب إلى الابن وأن النوع يبقى هو فيه في الكائنين اللذين يختلف أحدهما الآخر . - بالنسبة لجميع الأشياء - جواب على السؤال الموضوع آنفاً . - عددياً متعاقلة - وعلى ذلك فالشمس هي دائماً حينها كما نرى إلى قبله يون . فان جوهرها غير قابل للفساد ولا تتغير في الحركات القائمة بها . - الحركة تطابق - عبارة النص بالضبط هي : " الحركة تتبع المتحرك " : وهذه العبارة ليست جلية وفيله يون لم يفسرها . وأظن أنه يريد أن يقول إن الحركة هي أزلية وغير قابلة للفساد كالجسم الذي يحمل به .

الرَّجَى لا عدديا بل فقط بالنوع وعلى هذا النحو أن الماء يأتي من الهواء وأن الهواء يأتي من الماء، يأتي هوى نومه لكن لا هو ذاته عدديا . غير أنه إذا كان من الأشياء ما ترجع عدديا أيضا بأعيانها فليست البتة هي التي جوهرها هو بحيث إنه يمكن ألا يكون .

### تم كتاب كون الأشياء وفسادها

— لا عدديا — يعنى لأن الشخص يبق هو ما هو . — بالنوع — كما يرى هذا من الأب إلى الابن . فان الأب يهلك ولكن النوع يبق مقولا أنه إلى الكائن الذى ولده . — ذاته عدديا — وشخصها فان الهواء بالنوع مشابه للهواء المتقدم الذى ذكر . ولكنه ليس هو هو عينه . — هو بحيث إنه يمكن ألا يكون — يعنى أنه يمكن وليس واجبا . ويلاحظ أن نظرية الأبد الأزل لبعض الأجسام واللاتنوع ارتفاع وعظمة جدرة بالكتاب السابع من ما وراء الطبيعة والكتاب الثامن من الطبيعة . وهذا إنما هو أيضا نقض جديد للمذهب المصادقة والاتفاق الذى طعن فيه أرسطو دائما . ر . مقدمتنا للطبيعة لأرسطو ص ٩٣ و ١٠٣ وما بعدها من المجلد الأول . ومقدمة كتاب السماء ص ٩٤ وما بعدها .

## تحقيق

على

## الكتاب الموسوم

"في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرغياس"

ترجمة هذا الكتاب الصغير اعتمدت على طبعة ف. ج. ١٠. مللاخ المنشورة سنة ١٨٤٦ والمنقولة في مجموعة فيرمين ديديو الإغريقية<sup>(١)</sup>. وهذه الطبعة جيدة قد أعادت إلى سيرته الأولى بطريقة توشك أن تكون نهائية كتابا مهما جدا على ما فيه من نقص. وقد استعان مللاخ لإصلاح النص فوق أعمال من تقدمه نسخة مخطوطة من مكتبة ليزيج العمومية يظهر أنها أضبط النسخ التي وصلت إلينا. وهذه المخطوطة كان قد استعانها بعض الشيء أرباريوس وهو يعمل لمجموعة فيريسيوس الإغريقية (طبعة هارلس ج ٣ ص ٢٨٤). ولم يتبدى البحوث الأدخل في باب الجذ والتفع إلا على يد فلبورن الذي نشر سنة ١٧٨٩ شرحه المسمى :

"Liber de Xenophane, Zenone et Gorgia, Aristoteli vulgu tributus, passim illustratus".

(١) Aristotelis de Melisso, Xenophane et Gorgia disputationes, cum Eleaticorum philosophorum Fragmentis et Ocelli Lucani qui fertur de universi naturâ libello, conjunctim edidit, recensuit, interpretatus est Frid. Guil. Aug. Müllach, Berolini, 1846, XXX - 210. Bibliothèque grecque de Firmu Didot. Fragmenta philosophorum Graecorum. pages 270 et suiv.



وبعد أربع سنين هذا ج . ل . إسبلديج حذو فلبورن في بحثه مدرسة  
ميجار فابرز الجزء الأول من الكتاب " في اكسينوفان وزينون وخر غياس <sup>(١)</sup> " .  
وكان بين يدي إسبلديج مخطوطة ليزج استخرج منها عدة إصلاحات وهذه  
المساعدة تسنى له أن بشر نصا محسنا جدا وقرن به تعليقات ممتعة على الفقرات الأشد  
غموضا، ولكنه لم يقرن به ترجمة . وإنما كاتب الحديد في هذا التحقيق هو أن  
إسبلديج كان يجعل الجزء الأول من الكتاب مخصوصا بمذاهب ميليسوس وكان  
يثبت يرايين قاطعة أن اسم ميليسوس كان يجب أن يستبدل باسم زينون . وقد قبل  
من يومئذ رأى إسبلديج هذا وإني لذا كر الآن السبب الذي يوجب قبوله .

ولم يستطيع إسبلديج مع نفسه مخطوطة ليزج مقابلتها بطريقة مضبوطة تماما  
واعتمد على الأخص على الإصلاح الخفيف الذي عمله فيها أوليار يوس . غير  
أن ك . دان . بك مغير جامعة ليزج الشهير الذي كان قد يتر بحوث إسبلديج  
قد أخذ على عاتقه إتمام تلك البحوث فنشر في السنة عينها كل الروايات المختلفة  
في تلك المخطوطة الثمينة على هذا الكتاب وعلى بعض مؤلفات أخرى لأرسطو <sup>(٢)</sup> .  
وهذه النسخة المطبوعة التي اعتد بها ملالاخ فضل اعتداد لم تكن ، فيما يظهر ، لتقدر  
بل لم تكن لتعرف عند علماء اللغة الذين اشتغلوا بعد ذلك إما بأمر مدرسة إيليا  
على العموم وإما على الخصوص بالكتاب الخاص الذي فيه فحصت مذاهب

(1) \*Commentarius in primam partem libelli de Xenophane,  
Zenone et Gorgia, praemissis Vindiciis philosophorum Megaricorum,  
Berolini, 1793, 8°. XIV - 83.

وكان إسبلديج يبيع طبعة اسبلورج في أكثر كتابه .

(2) Solemnia Doctorum philosophiae et magistrorum artium  
a. d. XIV febr. M D CCXCIII antiquo ritu creandorum indicit Chr.  
Dan. Beckius. Praemissa est varietas lectionis libellorum Aristoteli-  
corum e codice Lipsiensi diligenter enotata.

وإن دانيال بك من الرجال الذين قد أصلوا في الثلث الأول من هذا القرن ( التاسع عشر ) في الدراسات  
الفلسفية في ألمانيا نهضتها القوية .

إكسينوفان وميليسوس . فالمجمع العلمي ببرلين مثلاً لم ينتفع بها في طبعته حق الانتفاع حتى إن ملاح قد أظهر الأسف لهذا الإهمال الذي كان انقاؤه ميسوراً<sup>(١)</sup> .

في سنة ١٨٤٢ أى بعد اثنتي عشرة سنة قد سدد تيودور برج بعض هذا النقص فاعتمد على روايات بك ووضع شرحاً أمتع من كل ما تقدمه من الشروح<sup>(٢)</sup> . ومع أن هذا العمل قد كان موضع المدح والاستحسان فإنه لم يثن ملاح عن إعادة النظر من جديد فنشر ، بعد عمل برج بثلاث سنين ، الطبعة والشرح اللذين ذكرتهما آنفاً . غير أن ملاح وإسبلدنج لم يترجما الكتاب مع أن ترجمة كتاب مثل هذا محروم أشد ضرورة من ترجمة غيره . فظلت خير ترجمة لاتينية هي ترجمة جان برناردان فيليشيانو المعلم في البندقية سنة ١٥٥٢ ولكن مع أن هذه المخطوطة التي ترجمت قليلة التحريف فإنه كان من الممكن أيضاً بل من النافع تصحيحها وضبطها وقد نقلت في طبعة المجمع العلمي في برلين .

تلك هي الأعمال التي تناولت الكتاب على ميليسوس وإكسينوفان وخرغياس حتى الآن . وإنه لينبغي أن يضم إليها تحقيق "م. هنري إدوارد فوس" على خرغياس الليونتيومي إذ أنه نشر فيه<sup>(٣)</sup> ، من غير ترجمة النص ، الجزء الذي يتعلق على الأخص بخرغياس ، أى الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب الذي ترجمه ، وذيله بتفسير . وبعد هذه التفاصيل اللغوية يلزمنا الكلام على الكتاب ذاته : في أية حال وصل إلينا ؟ ومن هو مؤلفه على المشهور ؟ وما هي قيمته الذاتية ؟ .

(١) ظهرت طبعة أرسطو العامة التي أنجزها بكر برانديس تحت رعاية المجمع العلمي ببرلين سنة ١٨٣١ .

(2) Regiae universitati litterarum Frederico - Alexandrinae D. XXIII mensis Augusti MDCCCXLIII sacra saecularia prima agent gratulatur academia Marburgensis. Praemissa est Theodori Bergkii commentatio de Aristotelis libello Xenophane, Zenone, et Gorgia, Marburgi, 1843.

(3) De Gorgia leontino commentatio, interpositus est Aristotelis de Gorgia liber emendatus editus ab. H. Ed. Foss, Hallis Saxonum, 1828, 8°, IV - 186. Le traité sur Gorgias et le commentaire sont pages 110 et suivantes.

فأولا ما هو العنوان الذي يجب أن يعنون به هذا الكتاب الصغير ؟ عند القدماء جميعا تقريبا وعند المتأخرين إلى بحوث إسبلنج كان عنوانه المجمع عليه على العموم هو : " في إكسينوفان وفي زينون وفي غريغياس " . أو بحسب مخطوطة ليزج " في زينون وفي إكسينوفان وفي غريغياس " فإن إسبلنج بتقريبه شواهد " ميليسوس " العديدة من تحاليل هذا الكتاب أبان بطريقة لا تحتمل النقص أن المقصود في الجزء الأول هو ميليسوس لا إكسينوفان فإنه في شرحه المتع على كتاب الطبيعة لأرسطو قد نقل فقرات تامة من ميليسوس على الموجود أو الطبيعة . وهي مشابهة حتى في ألفاظها في بعض المواطن كل المشابهة للتفاصيل المسطورة في هذا الكتاب الذي ترجمه . فلما وضع إسبلنج هذه الموافقات بعضها قبالة البعض الآخر وقارن بينها وجها لوجه لم يعد بعد في الإمكان إنكار أن ميليسوس هو الفيلسوف المتكلم عنه في الباب الأولين .

إلى هذا الدليل الذي يكفى وحده في إثبات المطلوب ينضم دليل آخر وهو أنه في فهرس " ديوجين اللايرتي " ( ك ٥ و ١ وف ٢٥ طبعة فرمين ديدو ص ١١٦ ) ذكر صريح لكتاب أرسطو على مذاهب ميليسوس . وهذا الذي ليس مفردا بل يؤكد ديوجين أن أرسطو قد نقد أيضا آراء زينون وكذلك قد بحث بحثا خاصا في مذاهب أتباع فيثاغورث وأرخيتاس وسبوسيب وإكرينوفراط ... الخ .

وفهرس ميناس المجهول واضعه يؤيد شهادة ديوجين اللايرتي وإنه ليدكر أيضا بحوث أرسطو في مذهبي ميليسوس وغريغياس . وما من شيء أقرب إلى الاحتمال من أن يكون أرسطو قد اشتغل بمذاهب ميليسوس إذ أن ما بين أيدينا من كتبه يدلنا على شدة اضطلاعه بجميع الفانفسات المتقدمة على فلسفته . وهو يذكر ميليسوس غالبا . وإتنا ذاكرون أكثر من مرة ما ذا قاله عنه وعن إكسينوفان سواء في علم الطبيعة أو في علم ما بعد الطبيعة أو في غيرها .

وصل هذا فالحق في جانب " إسبلنج " في أن الجزء الأول من هذا الكتاب يتعلق بميليسوس .

ربما نتساءل كيف كان لهذا الشك سبيل الى هذه النسبة . إذا كان أرسطو ينقد ميليسوس أو فيلسوفا آخر بعينه فيكون واجبا عليه فيما يظهر أن يسميه باسمه إذ لا مسوغ لهذا الاتهام الذي لا يفسر . ولكنه لسوء الطالع لم يفعل ، بل قنع في هذه الكتب بأن يقول دائما : " هو " دون أن يعين اسما مرجعا لهذا الضمير . ولا سبيل الى معرفة من هو المعنى بالنقد إلا تعزف صاحب المذهب المنقود من مذهبه نفسه . وعلى ذلك فإن هذا الكتاب إنما كتب بغير عناية في شكله الظاهر على الأقل وإن مؤلفه أيا كان قد أخطأ في أنه لم يكن مينا حتى لقد احتيج الى فطنة الفلاسفة المتأخرين لسد هذا النقص الذي ربما لا يكون منشؤه إلا خطأ ناسخ .

وإن ما أقوله هنا عن ميليسوس يوشك أن يكون منطبقا على إكسينوفان أيضا . فانه ليس مسمى كذلك في الجزء الثاني من الكتاب ولكنه مع ذلك لا سبيل الى الشك في أمره لأن مذاهبه معروفة أكثر من مذاهب ميليسوس . فنسبة ما يقال هنا اليه لا يتطرق اليها الخطأ .

إن هذا اليقين ينسحب من باب أولى على غريغياس الذي هو غير مسمى أيضا في أول الجزء الثالث ( ب ٥ و ٦ ) الذي يخصه ولكن براهينه قد نقلت إلينا على يد سكستوس أمبيريكوس ( adversus mathematicos evlogicos ) ك ٧ ج ٢ ص ٢٨٥ طبعة سنة ١٨٤٢ ج ١ ص ١٣٤ ) ولإنها تماثل على الإطلاق البراهين التي تراها في هذا الكتاب .

من هذا أستنتج أن العنوان النهائي الذي يجب أن يحمله هذا الكتاب هو " في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غريغياس " فان هذا العنوان يتفق تماما وما يحويه الكتاب ، وقد أحسن ملاح في اتخاذه . ومنذ الآن لا يمكن إلا اتخاذ هذه الصيغة عنوانا لهذا الكتاب كما فعل ملاح . أما أنا فاني لم أتزدد لحظة في اتخاذه . وفي الحق إنه ليقى أن نعين " زينون " في عنايات النسخ المخطوطة لا مسوغ له . غير أني سأحاول فيما يلي مقتضيا أثر ملاح اكتشاف المصدر الذي يمكن أن



يكون صدر عنه هذا التعين . والآن أسوق القول الى ما كنا بصددده من حيث العنوان لتفرغ منه .

قد راجع بيكر مخطوطتين معنوتين بعنوانين يخالفان العنوان العادى مغفلا فيهما ذكر الأسماء الأعلام . فالعنوان فيهما بالبساطة هو : " كتاب أرسطو على المذاهب " أو : " كتاب أرسطو على مذاهب الفلاسفة " فالعنوان الأول هو لمخطوطة في مكتبة سانت مرك في البندقية q . والثاني لمخطوطة في الفاتيكان B<sup>a</sup> بحسب تعريف بيكر . واختلاف هاتين الروايتين مهم من حيث افتراض أن الشكوك كانت متسلسلة حتى في الأزمان القديمة الى صحة العنوان المشهور . ومن المحتمل أنهم لم يكونوا ليتعرفوا إكسينوفان وزينوث في الجزء الأول والثاني ( ب ١ و ٢ و ٣ و ٤ ) . وتلقاء هذا الغموض استحبوا عدم التعين . فقد كان وسمهم الكتاب بأنه " على المذاهب الفلسفية " لا مسئولية فيه لأنه هو مع ذلك على سمته صحيح إن لم يكن مضبوطا . وما كنت لأتخذ هذا الوسم دون غيره ولكنه يلزم أن يقام له وزن ولذلك ذكرته .

أما وقد تحدد العنوان ويثن على هذه الصورة فمن هو مؤلف الكتاب ؟ أرسطو هو أم هو آخر ؟ .

مخطوطة في الفاتيكان مرقومة R<sup>a</sup> طبعة برلين تنسب هذا الكتاب الى تيوفراسط أو على الأقل هي تدرجه ضمن كتب أخرى كلها لتلميذ أرسطو وخليفته . وإن ما يجعل لهذا الفرض محلا من الشبه بالحق والثقة هو أن سمبليسيوس في شرحه على كتاب الدايحة ( الورقة 6A ) يستشهد بفقرة من تيوفراسط فيها ينقل هذا المؤلف عن إكسينوفان آراء مطابقة تمام المطابقة لما نقرؤه في هذا الكتاب . ولا شك في أن هذين السبيين هما الحاملان م . برنديس في " تاريخه للفلسفة الإغريقية واللاتينية " ( جزء ١ ص ٣٥٨ ) على أن يسحب هذا الكتاب من أرسطو ليرده الى تيوفراسط . ولكن هذا التغيير لم يحل محل القبول من ذوق علماء اللغة ولو أنه صادر

عن حكم لا يقل عنهم في العلم ولا في الخلق ، فقد صرح م . تيودور بـرج أن هذا الكتاب على رأيه ليس أحق بتوفراسط منه بأستاذه .

والى هنا على رأى مـلاخ وأرى كما يرى أن ذلك تجاوز أبعاد جدا مما ينبغي . وقد نهيت الساعة أن هذا الكتاب لم يكن ليكتب بالعناية المطلوبة مادام الفلاسفة الذين تتقدمه مذاهبهم ليسوا معينين بأسمائهم ولكن في مجموع تأليف أرسطو كما نقلته الينا القرون كم من غلطات من هذا النوع ، وكم من إهمال في التحرير ، وكم من قطع لم تم ، وكم من مصحف مشوشة حتى في أبجل كتبه مثل " ما بعد الطبيعة " مثلا ! على أن الأسباب التي حملت أرسطو على أن يترك كل مخطوطاته في حالة نقص معروفة . فانه لم يكده ينشر شيئا مدة حياته . ولم يكن إلا حين تاهزت سنده للخمسين عول على إظهار شيء من تعاليمه . فلما فوجئ بالحركة الموجهة ضد المقدونيين بعد وفاة الإسكندر واضطر الى هجرة آتينا على عجل مشترفا متفيا لم يسكن الى محل طمانينة أن عاجلته المنون لا تعرف كيف كانت ولكن المعروف أنها كانت ميتة عيفة في سن الثانية والستين . بجمع تيوفراسط كل ما كان تركه أستاذه من الأعمال والأوراق ، ولم ينشر منها شيئا هو نفسه أيضا فيما يظهر . وبقية الحكاية معروفة فإن العالم الغربي لم يكده يعرف مؤلفات أرسطو إلا حينما جىء بها من آتينا بعناية « يسلا » فترتبت بطريقة حسنت أو ساءت بعناية « أندرونيكوس الرودسى » . وقد يكون من الغريب أن مخطوطات أهلها المؤلف بحكم الضرورة وأهلها خليفته الأول هي أحسن نظاما في الترتيب من غيرها . فإن التشويش أو بالأولى النقص في كتيبنا هذا لا يطمئن فيه . بل الى فائل إن هذا الكتاب على ما وجدناه عليه ليس فيه من عدم النظام والحريم مثل ما في مؤلفات أرسطو التي لا شك في صحة نسبتها اليه . بل قد يكون هذا الكتاب أبعد عن سوء التأليف فإن الأجزاء الثلاثة التي يتألف منها متميز بعضها عن بعض ومتابعة من غير خلط ، وعرض المذاهب المتقدمة فيه هو من الوضوح والتسليق بمكان . وإذا كان لم يتقبل على العموم بقبول حسن فذلك لأن طابعه الأولين قد شوهوه بأغلاط شتى تلافتها من بعد ذلك عناء المتأخرين

وحذفهم حتى لم يبق منها شيء . وإني ألفت إلى هذا نظر القارئ الفطن الذي يريد فحص هذا الكتاب الصغير لأن يأخذ بالطبعة التي أصلحها ملاح و ترجمتي هذه . ومهما يكن هذا الكتاب " في ميليسوس وإكسينوفان وغريغياس " ظنينا في نسبته إلى أرسطو فإنه لا شيء فيه يبعده عن مدرسة المشائين الملاصقة بهذا أرسطو . وإني لألتي القيادة إلى رأي ملاح الذي يميل إلى اعتبار هذا الكتاب خلاصة من مؤلفات أرسطو التي ذكرها ديوجين اللايرتي كما ذكرناه آنفا . وقد تكون هذه الخلاصة من وضع بعض المشائين ، كما يحتمل أن يكون تيوفراسط قد اقتبس كذلك من مؤلفات أرسطو ما رواه عن إكسينوفان كما يذكره لنا سمبليسيوس . وإن في مؤلفات أرسطو لخلاصات من هذا القيل . والشاهد على ذلك أسلوب " علم الأخلاق الكبير " وأسلوب " علم الأخلاق إلى أوديم " فانهما ليسا إلا تحاليل ممتعة كثيرا أو قليلا لكتابه " علم الأخلاق إلى نيقوماخوس " . ولقد أستطيع أن أستنتج أنه إن كان هذا الكتاب ليس من عمل أرسطو ولا من عمل تيوفراسط فهو على أقل ما يكون من زمان لا يبعد كثيرا عن زمانهما . وهذا وحده يكفي في أن يجعل له أهمية إنكارها محال .

ولقد تأخذ بي القيمة العالية لما يحويه هذا الكتاب بالنظر إلى تحريره فضلا عن أن ميليسوس وإكسينوفان وغريغياس رجال ثلاثة كبار لا يمكن لتاريخ الفلسفة أن يهمل تذكرهم . ولو أنهم هنا لم يرتبوا على مقتضى الترتيب الزمني فإن هذا لا ينقص قيمة القول فيهم . ولن تجد في أي كتاب آخر قولاً على ثلاثة الفلاسفة المذكورين مستفيضا كما في هذا الكتاب ولا شك في أنه يرغب في أزيد من ذلك ، ولكن هذه المقاطيع هي كل ما لدينا عن مجموع مذاهبهم ، والشكر علينا واجب لمن حفظ الكتاب على هذه الصورة . فإن مدرسة إيليا على رغم أغلاطها باللغة غاية المجد وإنه إلى جانب آرائها الدقيقة الخافية في وحدة الوجود ولا تحركه فن المشوق الاستماع إلى نظرياتها السامية العميقة على وجود الله وقدرته الكلية . وبهذه المثابة فإن إكسينوفان الذي يعتبر مؤسس مدرسة إيليا رجل كبير المقام وإنه قد تنبأ قبل

سقراط وأفلاطون بلبوءات خليقة بهما . وميليسوس وان لم يكن في مستوى إكسينوفان يستحق على الأقل ألا ينسى . وأما غريغياس فهما كان سفسطائيا فهو لا يحط مطلقا قدر الطائفة التي يضمونه فيها، وفي الحق حسينا أن نذكر أن أفلاطون وضع تحت هذا الاسم الشهير واحدة من أجمل محاوراته .

ولكن كيف في النقد الموجه لمدرسة إيليا ومذاهب أهلها ينفل المؤلف أمر زينون؟ كان اسم زينون في عنوان الكتاب في أكثر النسخ المخطوطة فلماذا لم يكن له وجود في صلب الكتاب؟ من أين هذا الإغفال وهذا النقص؟ يرى ملاح بحق أن هذا الكتاب الذي ليس له الآن إلا ثلاثة أجزاء كان يجب أن يكون فيما سبق مؤلفا من أربعة أجزاء، وأن نقد زينون كان يجب أن يتلو نقد إكسينوفان . وهذا الفرض مقبول وقد يستنتج طبعاً من أن أرسطو قد فحص مذاهب زينون كما فحص مذاهب الفلاسفة الثلاثة الآخرين . ويؤيد ملاح هذه القرينة بفقرة في هذا الكتاب (ب ٥ ف ٣) حيث ذكر فيها اسم زينون عقب اسم ميليسوس بالصراحة . وإلى هذه الفقرة يمكن أن يضاف أيضاً فقرتان تكادان تكونان في المعنى عينه (ب ٦ ف ٦ و ٩) . وهكذا دون أن نخرج من هذا الكتاب الصغير يمكننا أن نجد براهين تكفي للقول بأنه كان لهذا الكتاب جزء رابع أفرد القول فيه على زينون ولكنه غير موجود الآن . وهذا الجزء كان يأتي في الترتيب عقب الجزء الخاص بإكسينوفان .

وفوق ذلك فإن في الفقرة الأولى من الباب الثاني يرى أن ميليسوس مسمى ومقرباً من إكسينوفان الذي لا يجهل شخص مذهبه إلا بعد فحص مذهب ميليسوس . فيظهر من التحقيق إذاً أن غرض مؤلف هذا الكتاب الصغير أن يدرس ميليسوس قبل إكسينوفان . كذلك يوجد هذا الترتيب في فهرس ديوجين اللايرتي ، فإن كتاب أرسطو على ميليسوس مقدم على كتبه على غريغياس وإكسينوفان وزينون . ولكنه لو روعي الترتيب الزمني كما كان يجب أن يعمل لكان إكسينوفان هو الأول وزينون الثاني وميليسوس الثالث وغريغياس الأخير . لا ينبغي أن يعلق على هذه المسائل من حيث الترتيب الزمني أهمية كبرى . ولكن تعاقب المذاهب لا يجوز فهمه إذا



خلطت المصور من غير ترتيب وإنما ينفع الفلسفة ذاتها أن يخرج في ترتيب  
صورها بالتسلسل على قدر الامكان .

يوشك ألا يكون من الأهمية بمكان ذكر أن يكون أرسطو هو الذى أخطأ  
في الترتيب اذا كان هو مؤلف الكتاب أو أن مختصره هو الذى ارتكب هذا الخطأ  
فلما تارك الى جانب مسألة الترتيب التى هى مادية محضة لأقول بعض كلمات على  
الفلاسفة الثلاثة المذكورين فى كتابنا هذا .

اشتهر إكسينوفان بأنه كان رئيساً لمدرسة إيليا وهذا هو المجد الذى يسند عادة  
إليه وإن كان أفلاطون فى الفقرة الوحيدة التى ذكر فيها إكسينوفان يشير ، فيما  
يظهر ، إلى أن مدرسة إيليا أقدم منه (السفسطائي ص ٢٤١ من ترجمة كوزان -  
وص ١١٩ ب ٤٤ من الطبعة الإغريقية فى طورينو سنة ١٨٣٩) . لما نرى  
إكسينوفان من وطنه كولوفون إلى يونيا آسيا الصغرى يظهر أنه هاجر إلى صقلية  
واحتمى فيها بمدينة زنكل ثم بقطننة ، ثم ذهب إلى إيليا التى كان قد أسسها حديثاً  
الفوكيون سنة ٥٣٦ قبل الميلاد على شواطئ إغريقيا الكبرى وعلى بحر طرهيليا ،  
وأنشأ فيها هو نفسه هذه المدرسة التى اشتهرت بها تلك المدينة الجديدة . ولا يدري  
أما تها أم رجع إلى كولوفون . والظاهر أنه عمر طويلاً حتى سلم بصحة  
مانقل اليها من بعض أبيات يقول فيها<sup>(١)</sup> : إن سنة أربت على الثانية والتسعين .  
وفى الحق أن هذه الأبيات يمكن أن تفسر بمعنى آخر تدل به على أن إكسينوفان  
كانت سنة وقتئذ سبعة وستين عاماً وأن الحوادث التى قيل فيها الشعر حصلت  
حين لم يبلغ عمره إلا خمسة وعشرين ، فانه يقول : " اذا صح أنى أستطيع الكلام  
على هذه الأشياء بصورة مضبوطة " . يقول ديوجين اللايرتى : إنه ظهرت آثاره  
نحو السادسة والستين أولية بمعنى نحو السنة ٥٤ . وبفرض أنه كانت سنة فى هذا  
الحين ٤٥ أو ٥٠ سنة فيكون ميلاده متأخراً قليلاً عما يفترض له إذ يقال : إنه  
ولد سنة ٦١٧ قبل الميلاد .

(١) ديوجين اللايرتى ك ٩ ب ٢ ص ٢٣٤ طبعة فيرمين ديدرو .

وإن ما يجعل على الظن بأن ميلاد إكسينوفان يجب أن يكون أقرب من ذلك هو أنه استشهد بفيتاغورث<sup>(١)</sup> الذي ربما قبل آراءه في التناسخ . ولقد نعلم بشهادة شيشيرون الصريحة (الجمهورية ك ٢ ب ١٥) أن فيتاغورث لم يأت سباريس وقروطون إلا في سنة ٦٢ أولمبية أى السنة الرابعة من محكم طرخان العظيم أضى سنة ٥٣٠هـ أفىكون من المحتمل أن إكسينوفان تكلم عن فيتاغورث وهو حي بما تكلم به . وحيث أن يلزم عليه أن يتزل بالعصر الذى عاش فيه وبميلاده الى أنزل من ذلك . واليك هذه الأبيات :

« لما رأى ذات يوم كلبا يضربه بالسوط صاحبه »

« أخذته الشفقة بهذا الكائن الشقي »

« فقال : لا تضرب تلك هى روح صديق »

« تعزفته بسماع صراخه »

وقد زاد ديوجين اللايرثى الذى روى هذه الأبيات في ترجمة فيتاغورث - في موضع آخر<sup>(٢)</sup> أن إكسينوفان كان يحارب مذهب حكيم ساموس ومذاهب طاليس وإبيمينيد كما أنه كان يتقد بمحنة ما كان يصور به هيزود وهوميروس الآلهة وشهواتهم ونقائصهم . وقد كان إكسينوفان يودع أفكاره القصائد والحماسيات التى كان يقرضها . بل قد يكون محتملا أنه كان يرتقى على دأب "رهيسود" بإنشاد قصائده ليطرب السامعين ويستجدى نظامهم .

وإذا كان إكسينوفان قد طعن في آراء طاليس وفيتاغورث وإبيمينيد فيجب أن يكون متأخرا عنهم وليس محالا أن يكون قد عاش الى زمن الحرب الأولى الميدية (سنة ٤٩٠ قبل المسيح) .

(١) ديوجين اللايرثى ك ٨ ب ٨ ص ٢١٢ طبعة ديدر .

(٢) ديوجين اللايرثى ك ١١ ب ٢ ص ٢٣١ طبعة ديدر .

وهناك واقعة قد لا يستطيع الشك فيها ما دام أرسطو يشهد لها ( الميتافيزيقا ك ١ ص ١٤٦ ترجمة كوزان ) . وهي أن پرميليد كان تلميذ إكسينوفان . وعلى هذه النقطة كل القدماء على وفاق . غير أننا نعلم يقينا من أفلاطون ( تيتيتس ص ١٥٤ ... والسفسطائي ص ١٦٤ ترجمة كوزان ) أنه حينما جاء پرمينيد آتينا مع زينون كانت سنة ٦٥ سنة (الپرمينيد ص ٦ ترجمة كوزان و ص ٧٥١ طبعة طورينو ١٨٣٩) . وبفرض أن سقراط كان حديث السن عند حوار پرمينيد المنقول لنا في المحاورات المشهورة بهذا الاسم ولم يكن عمره إلا عشرين سنة ، فإن هذا ينقلنا الى سنة ٤٥٠ قبل الميلاد . وعلى هذا الفرض يكون پرميليد قد ولد في سنة ٥١٥ ولبتلى العلم على إكسينوفان يلزم أن يكون هذا الأخير قد مات في نحو العهد الذي ذكرناه آنفا .

غير أنى تارك مرة أخرى هذه المجلدات التاريخية لأقف برهة عند آراء إكسينوفان الفلسفية التي لها في نظري أهمية أخرى . ولئن كان فيما يتعلق به نقطة جمع عليها فإنما هي أن أفكاره في الآلهة ، بل يمكن أن يقال أفكاره في الله ، كانت أصح وأرقى من أفكار معاصريه . وهذا الكتاب الذي ترجمه يكفى وحده في إثبات هذه الدعوى ، غير أن الشواهد على ذلك متواترة أكثرها جوهرية شاهد إكسينوفان نفسه . ولم تغدع المسيحية في أمره فان كليمان السكندري ( استروماتس ك ٥ ص ٦٠١ ) يثنى على فيلسوف كولوفون بأنه نزه الله تعالى عن التجسد وبأنه قال " واحد قد ير على كل شيء ملك الأشدين قوة فالله لا يشبهنا لا بالعقل " " ولا بالجسم وإن الناس بتصويرهم الآلهة على صورتهم يسندون إليهم أفكارهم " " وأصواتهم ووجوههم " .

ويروى كليمان السكندري فوق ذلك أبياتا أخرى تكرر هذه الفكرة عينها في قالب آخر ، وفيها يقول إكسينوفان :

(١) ر . التحقيق الخاص لفكتور كوزان في الجزء الأول من القطع الفلسفية .

”إذا كان للثيران والأسود أيدي تصور كما يصور الناس لأعطت الآلهة التي“  
 ”تصورها أجساما أشبه بأجسامها، ولكانت الخيل تصورهم بصور خيل والثيران“  
 تصورهم بصورة ثيران“ .

منذ إكسينوفان قلدت هذه الأبيات التي هي غاية في الحق ألف مرة، ولكيلا  
 يصور الناس الله على صورتهم حين يحاولون تصويره اضطروا أن يكفوا على  
 الإطلاق عن تمثيله كما يهدى إليه بعض الديانات المتشددة إلى الغاية .

بعد أبيات إكسينوفان يمكن الاستظهار بشهادة أرسطو في مؤلفاته الأخرى  
 غير هذا الكتاب الذي ترجمه مثل ما في الخطابة : (ك ٢ ب ٢٣) حيث ينقل  
 أنه على رأي إكسينوفان أن ”من الإلحاد الاعتقاد بولادة الآلهة وبموتهم لأنه على  
 كل واحد من الوجهين تقع برهة لا يكون للآلهة وجود“ . وفي موضع آخر بعد  
 هذا بقليل يروي أرسطو جواب إكسينوفان على أهل إيليا الذين كانوا يسألونه :  
 ”أينهم أن يقتربوا قربانا إلى ”لوقوتوا“ ويحاروا بالنواح عليها؟ فقال لهم :  
 ”إذا سمع في نظركم أنها آلهة فلا ينبغي أن تبكوها . فإن لم تكن إلا هالككة فلا ينبغي  
 أن تقترب لها القرايين“ . يسند بلوطرخس أيضا إلى إكسينوفان فكرة مماثلة  
 لهذه فيها أن المخاطبين هم المضرئون عوضا عن أهل إيليا ، وأوزيريس عوضا  
 عن عذراء لوقوتوا ص ٤٦٣ وأما طريوس ص ٩٣٣ طبعة فرمين ديدو  
 ”إيزيد وأوزيريد“ .

من هذه الأفكار السامية الحققة في حق الله تفهم حلة حنق إكسينوفان على  
 الشعراء الذين كانوا يحطون من الجلالة القدسية والذين هم كهوميروس وهيزيود  
 لا يعجبون عن أن يسندوا إلى الآلهة كل ما يحط من الشرف في نظر الناس  
 كالسرفة والزنا والكذب والفساد (سكتوس أمبيريكوس يرون هيبوتيب .  
 ك ١ ب ٣٣ ص ٩٩ طبعة ١٨٤٢) (Adversus Mathem. Physicos) ك ٩  
 ص ٦١٢ (Grammaticos) ك ١ ص ١١٢) .



وفي موضع آخر تكلم أرسطو أيضا على آراء إكسينوفان هذه. وفي كتابه "الشعر"  
ذكر أن الفيلسوف كان يظن في المعاني التي يتصورها العامة في حق الآلهة  
( ر . الشعر ٢٥ ف ١١ ص ١٤٢ من ترجمتي ) .

وأخيرا ذكر أرسطو إكسينوفان أيضا فيما بعد الطبيعة ( ك ١ ب ٤ ص ١٤٦  
ترجمة كوزان سنة ١٨٣٨ ) .

وفي هذا الموضع الأخير لم يحفل أرسطو بنظريات إكسينوفان على الوحدة التي  
خالطها بالله فلم يرفى هذه النظريات ما ينبغي من الضبط من حيث إن هذه الوحدة  
ليست عقلية كوحدة برميلد ولا مادية كوحدة ميليسوس . بل يزيد على ذلك  
أيضا أن أفكار إكسينوفان في هذه النقطة أفكار جافية كأفكار ميليسوس الذي  
لا يفرق بينه وبينه .

ها نحن أولاء قد أتينا على كل ما وجد في أرسطو تقريبا على إكسينوفان .  
ولكن تلك الفقرة المذكورة في " ما بعد الطبيعة " عظيمة الأهمية من حيث  
إنها ترينا رأي أرسطو في أن مذاهب ميليسوس ليست بعيدة عن مذاهب إكسينوفان .  
وذلك يدلنا على حكمة الجمع بينهما في كتاب واحد إذا كان أرسطو هو مؤلف هذا  
الكتاب وإن لم يكن فكيف تسفى لمؤلف آخر أن يجمع بينهما دون أن يقرب بينهما  
فسرا . غير أنه كان يلزم مراعاة للترتيب الزماني أن يتكلم على ميليسوس بعد  
إكسينوفان . ولكن ربما كان هذا مجرد خطأ مادي في الوضع سببه إهمال نساخ .  
ولما أنه ليس بين الجزأين الخاصين بإكسينوفان وميليسوس ارتباط ضروري ،  
فليس في التشويش مستنكر ولا مستعصى عن الفهم .

أما ميليسوس الذي نضعه في الصف الثاني سواء في الأهمية والترتيب الزماني  
فانه رجل يسترعى الاهتمام وإن كان أقل رفعة من سابقه . قد ولد في ساموس  
كفيثاغورث وتبوا فيها مركزا عظيما ودافع عن وطنه بمهارة وشجاعة عند ما حاصره  
الأتيليون قبل حرب بيلوبونيز بخمس عشرة سنة . ولقد نجح ميليسوس في كسر  
الحصار واتخذ لقومه منه مخرجاً قادهم به حتى أتلغ أعمال الحصار ووصل الى

أسطول الأعداء وخربه كله تقريبا . كل ذلك في غيبة بيريكليس الذي كان قد غادر الحصار لملاقاة السفن الفينيقية الآتية لنصرة مدينة ساموس . فأمكن المدينة أن تحصل على ما نقصها بالحصار من التموين وذلك بفضل النصر الذي أحرزه ميليسوس . ولكن الدائرة قد دارت على أهل ساموس حين رجع بيريكليس من غيبته فانهزم ميليسوس في حرب برية واضطرت المدينة الى التسليم على شروط أقسى ما تكون . لم يذكر طوسيديد الذي روى هذه الوقائع (ك ١ ب ١١٦) ميليسوس ، غير أن بلوطرخس ذكره في ترجمة بيريكليس (ب ٢٦ ف ٣ ص ١٩٩ من طبعة فيرمين ديدو) على صورة لا تحتمل الشك ، لأنه يقول بالصراحة : إن ميليسوس بن إيتاجين كان فيلسوفا . وزاد على ذلك بلوطرخس نقلا عن أرسطو من غير أن يبين موضع النقل : أن ميليسوس كان قد هزم قبل ذلك بيريكليس في واقعة بحرية أخرى . وذلك إنما يعطى من مقدرة ميليسوس الحربية فكرة أسمى .

ومهما يكن من الأمر فإن من المحقق أن ميليسوس كان به تحت ثياب الفيلسوف وطني وسياسي وقائد بحري ورجل حرب . وذلك من النبرة في تاريخ الفلسفة بحيث يجب علينا التنبيه اليه كما فعل بلوطرخس (باب ٣٢ ص ١٣٧٧ طبعة فيرمين ديدو Adversus Coloten) . ولما أن ساموس قد ساءها الآتييون صنوف القسوة فن المظنون أن ميليسوس ذلك الوطني الغيور والذي كان له حظ عظيم في مقاومة الفاتحين لم يشأ أن يبقى تحت الحكم الآتيني وأنه هاجر في هذا الظرف العسير . وكان ذلك في الأولوية الرابعة والثمانين أى السنة ٤٤١ قبل الميلاد ، وهذا التاريخ مضبوط ومتفق تماما مع شهادة أبلودور التي نقلها إلينا ديوجين اللايرتي (ك ٩ ب ٤ ص ٢٣٣ طبعة فيرمين ديدو) .

كذلك لا يرى لما إذا لم يمكن أن يكون ميليسوس تلميذا لبرمينيد كما يقوله أيضا ديوجين اللايرتي . فإن التواريخ لا تقف دون ذلك . ولما أن ميليسوس هو من أتباع مدرسة إيليا فيمكن بسهولة أن يكون تلقى مذهب من خليفة إكسينوفان . ولقد قرن أرسطو مرات عديدة ذكر برمينيد بذكر ميليسوس في كتاب الطبيعة (ك ٩)



ب ٢ ف ١ و ٥ ص ٤٣٣ و ٤٣٦ من ترجمتي) ليفندهما جميعا في نظرية وحدة الوجود ولا تحركه . كذلك فعل أفلاطون في كتابه "تيمنت" (ترجمة كوزان ص ١٤٤) . وإن هذا على التأكيد لا يكفي لإثبات أنه كان بين الفيلسوفين علاقة أستاذ وتلميذ، غير أن هذه التقارب لا تنفي هذا الظن الكثير الاحتمال في شيء (ر . أيضا الطبيعة ك ١ ب ٣ ف ٩ و ب ٤ ف ١) . وفي ما بعد الطبيعة في الفقرة التي استشهدنا بها آنفا اسم ميليسوس مقترن باسم برميليد . وكذلك في كتاب السماء (ك ٣ ب ١ ف ٢ ص ٢٢٣ من ترجمتي) . ومن ذلك أستنتج أن دعوى ديوجين اللايرثي مهما كانت فريدة لا ترفض بهذا الازدراء الذي لاقت من بعض مؤرخي الفلسفة . فان ميليسوس لما هاجر إلى إيليا في أغريقا الكبرى يمكن جيدا أنه قد سمع دروس برمينيد الذي استمر يلقى دروس أكسينوفان .

وعلى جملة من القول لا يعرف شيء عن حياته ، ولكن من العدل أن يفترض أن نهايتها كانت مطابقة لبدايتها .

كان كتاب ميليسوس موسوما "في الوجود" بل ربما كان موسوما "في الطبيعة" عنوان شائع جد الشيوع عند أكثر فلاسفة تلك الأزمان القديمة وإذا الطبيعة في مجموعها هي موضوع درسيهم حتى يتبأ لهم تحليل مفصل ما كان ليؤسس إلا على مشاهدات أكثر عددا . نحن نعرف مؤلف ميليسوس هذا بالاختصار الموجود في هذا الكتاب الذي ترجمه وبالشواهد التي نقلها سيميليسيوس في شرحه على الطبيعة لأرسطو إما لأنه كان بين يديه النسخة الأصلية لكتاب ميليسوس وإما ، وهو الأرجح ، لأنه لم يكن لديه إلا ملخصات تيوفراست الذي يستشهد به . لا أريد أن أختصر أنا أيضا تلك المختصرات المختلفة ولكن أفتح بأن أحيل على قطع ميليسوس التي سوف نذكرها بعد أخذنا عن إسبلنج وملاخ . وفيها يرى مذهب الفيلسوف السموثي ، على ما وصل إلينا بالأقل . وزيادة على ذلك يرى لماذا كان كتابنا الصغير أمينا على المؤلف الذي يمزقه للناس في حين أنه ينقض مذهبه ! .

بعد إكسينوفان وميليسوس لا أقول شيئا عن زينون ما دام كتابنا لا يتكلم عنه وإن ذكره الوارد في عناوين بعض المخطوطات يجب أن يعتبر كسهو . فيبقى غريغياس الذي يجب أن يكون كلامنا عليه موجزا جدا لأنه معروف أكثر ولأنه لا يكاد يكون إلا سفسطائيا .

ولد غريغياس في ليونتيوم بصقلية نحو الواحدة والسبعين أولمبية وبلغ من الكبر مبلغا عظيما حتى لقد بلغ على ما يظهر الثامنة والتسعين أولمبية أعنى أنه لم يمض إلا في سن الثامنة أو التاسعة بعد المائة كما يقول كل كتاب الزمن القديم بالإجماع . ولا يعرف من حياته العملية تفاصيل طويلة . أما عائلته فالظاهر أنها كانت ، فيما يظهر ، عائلة ممتازة وكان أخوه "هيروديكوس" ، الذي لا ينبغي أن يلتبس بهيروديكوس السامري ، طبيبا حاذقا ( ر . غريغياس لأفلاطون ص ١٨٥ و ٢٠٩ ترجمة كوزان ) . وهذا يدل فيما يظهر على أنه كان في سعة من العيش وعلى جانب عظيم من الثقافة العقلية . وأما غريغياس فانه اجتهد على الأخص في الخطابة وكانت فنا محترفا حديثا وقتئذ حصل منه على اسم كبير في صقلية وأفاد من تعليمه إياه فوائد أكبر . ولا شك في أن قدرته الخطابية هي التي أكسبته ثقة مواطنيه إذ استنجدوا آتينا ضمت سيراقوزة والمدائن الأخرى الدورية . فبعثوا غريغياس يطلب مساعدة الجمهورية ويظهر أن التاريخ المضبوط لسفارته هذه هو السنة الثانية للأولمبياد الثامنة والثمانين أى سنة ٤٢٧ قبل الميلاد . ويظهر أن سقراط الذي رآه بلا شك لم يكن ليستين بفصاحته التي كثرت اللفظ بشأنها في آتينا وصارت مصدرا ثروة لهذا المعلم الحسن البيان ( ر . هيباس لأفلاطون ص ١٠٠ ترجمة كوزان ) . ولقد ظن أن أرسطوفان في روايته المضحكة عن الطيور كان يريد أن يستهزئ بغريغياس لأنه كان يرى أسلوبه متفخا وغير طبيعي .



منذ هذه السفارة المشهورة التى ربما أتبعها غريغاس بالعودة ثانية إلى آتيننا بل بالاقامة فيها لم يعرف لحياته العملية أثر آخر . وكل ما يعلم عنه أنه فى آخر حياته أقام فى تساليا حيث استمع إليه "إيزوقراط" وأنه عاش زمنا طويلا فى لاريسا أترى مدن تلك الجهة بسبب نفوذ عائلة الألويين . ولئن رجعنا إلى كلمة طيبة رواها أرسطو ( السياسة ك ٣ ب ٩ ص ١٢٧ من ترجمة طبعه الثانية ) لوجدنا أن غريغاس لم يكن عظيم الاحترام لوطنية اللارسيين ولا يعلم أن هذا السفسطائى الشهير قد مات بين ظهراني هؤلاء . ومع أنه صار من الثروة على جانب عظيم ومن الزهو بحيث إنه وضع لنفسه تمثالا من الذهب فى معبد دلفوس فإنه كما يقال كان على بقية من قناعة تضرب بها الأمثال . ويقال : إن تقشفه المتناهى هو الذى أطال عمره إلى ذلك الحد . ويؤمن لوسييان خبثا منه بلا شك أن غريغاس لما ملّ الحياة ترك نفسه يموت جوعا ( Macrobioi ب ٢٣ ص ٦٤٣ طبعه فيرمين ديدو ) .

ولم يكن مشرفا مركز غريغاس فى المحاورة التى وضعها أفلاطون وسماها بأسمه . ففيها يبين له سقراط أن فن الخطابة الذى يزعمه ليس فنا كما يزعم وضيق عليه فى المناقشة حتى بهت بأن جعله يقع فى التناقض المبين وأجلاه إلى تبرير الظلم والفسوة . وساء دفاع غريغاس عن دعواه الخاسرة غير أنه كان يسبح عليه من القصد وحسن الذوق ما لم يكن لبولوس وعلى الأخص قليقليس اللذين يسوقان المعانى التى لا يجيدان فهمها سوقا إلى النهاية . وينصبان نفسيهما أشياطا عميا للقوة على الحق وللشر على الخير وللضلال على الهدى . ولقد يتعرف من دهاء غريغاس خلقه العام الذى يستند إليه بل ربما كان إلى هذا الدهاء أيضا ينسب تأثير مركزه السياسى أيضا فإنه لم يكن فى بلده ويحبب عليه أن يدارى الآتينيين الذين كان ينتظر منهم نصرة وطنه ، يداريهم حتى فى المناقشات النظرية البحتة .

وأما كتاب غريغاس فكان عنوانه "فى الوجود أو فى الطبيعة" ولا يعلم ماذا كان يحوى على العموم ولعلكته يرى على قدر الكفاية من كتبنا هذا ماذا كانت

فكره الخلقية . في الواقع إنما هي لا أدوية مطلقة . وفي هذه النقطة لا محل للتردد في الحكم فان سكستوس أميريكوس الذي يظهر أنه كان بين يديه نسخة غريغياس نفسها قد نقل إلينا كما بناء أنفا تحليليا مطابقا تمام المطابقة لما سجدناه هنا (ك ٧ ص ٢٨٥ - ٢٩٠ طبعة ١٨٤٢ Adversus Mathematicos, Logicos).

وإنه ليضع غريغياس في صف الفلاسفة الذين يأبون على الإنسان أية ملكة للحكم على حقيقة الأشياء ويتكرونها إمكان الاحتماء لذلك . وما ذلك إلا مذهب فقير يحوى في نفسه كما في كل لا أدوية مطلقة تناقضا ليس منه محيص . ولما تعرض غريغياس بالمتعلق بزعزع الأخلاق على السواء فلا عجب أن يكون سقراط قد أقام حجة عوانا على السقراطيين الذين يفسدون العقول والأخلاق .

يظهر أن كتاب غريغياس الذي في عنوانه وحده ازدهاء بالذوق العام قد ألف أو ظهر في الأولوية الرابعة والتسعين أعنى سنة ٤٠٣ قبل الميلاد . وكان ذلك في آخر حرب يلو يونيو وكان الطرف بينا للتنازع في حقيقة الأشياء إذ كانت إغريقا كلها تعاني من الشكوك ما لا شبهة فيه . ومتى يمكن أن تكون اللا أدوية في وقت مناسب ؟ لقد كان ذلك لأربع سنين قبل الحكم على سقراط إذ نشأت ضلالة أخرى كان يمكن للأدوية أن يسخر منها كما يسخر من هزيمة آتينا في نزاعها مع هذا الحكم جزاء له على ما كلفه لها من صنوف التهم . ومع ذلك فان غريغياس في شيخوخته الطويلة قد طاش به سقراط وهجر أيضا آتينا إلى بلاد أقل منها قرى فيها لم تكن لا أدوية لتعزبه بعض الشيء عن نفسه .

ولكن تفتقر فكرة غريغياس تقديرا تاما قد أثبت قطعة سكستوس أميريكوس .

لكن السهل مقاومتها بكتينا هذا الذي لها به ارتباط بين .

يجب أن يرى بناء على كل ما تقدم أن كلنا الصغير مهما كان فيه من النقص والعيوب والغموض حتى بعد البحوث التي تناولته لا يزال على جانب من الأهمية . وسين كان النص مملوا بالاضطراب كان يمكن إهماله واعتباره غير مقبول تقريبا فأما

منذ ملاحق فقد أصبح هذا الازدراء لا محل له وأنا من جهتي دون أن أكون مرتاحا تماما لا أجد أن هذا الكتاب أكثر غموضا من كثير من الكتب الأخرى في مؤلفات أرسطو . مع الإصلاحات التي تناولته والتي هي مقبولة جد القبول لأن أكثرها قام الدليل على صحته من المخطوطات التي درست خير دراسة ، مع هذه الإصلاحات يقف القارئ جيدا على ما أراده المؤلف وإن أسلوبه لمن البيان على قدر المطلوب . فإن لم تكن هذه الرسالة التي ليست بعد كل شيء إلا مجموع مذكرات إن لم تكن من قلم أرسطو فإنها ليست غير خليقة بأن تنسب إليه كما قد ظن ذلك زمانا طويلا . وعلى الأخص فليست قليلة الفائدة من حيث تاريخ الفلسفة . وبهذا العنوان وعلى هذا الاعتبار يستوصى بها كل أصدقاء الفلسفة القديمة .

أما فيما يتعلق بموضوع المذاهب وبمركز مدرسة إيليا فقد قلت بعض كلمات في مقدمتي على هذا المجلد . وتصديت لأن أبين في هذا البحث أن الفلسفة الإغريقية جذتنا المحترمة كانت نشأت باجتماع ظروف سعيدة قبل الميلاد بستة قرون في المستعمرات التي أسست على شواطئ آسيا الصغرى . وقد أطلت هذا الحادث كواحد من أعظم نواحي العقل البشري . وعينت الحوادث السياسية الكبرى التي في وسطها نجمت هذه النتيجة . واستخلصت من هذه اللوحة مهما كان موضعها من قلة الكمال نتائج قد تكون أوسع من إطارها . ألا إنما في تلك البيئة يجب أن نحل فلاسفتنا لنفهمهم جد الفهم ولتقدر حق قدرها تلك القيمة السامية لمؤلاها الأساتذة معلمى الحكمة القديمة والذين مهدوا لنا فلاسفتنا الحالية والذين لا يزالون يشجعوننا حتى على هذا البعد الشاسع .

# في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غريغياس

## مذاهب ميليسوس

### الباب الأول

الموجود هو أزلي غير متناه واحد ولا متحرك — أركان الوحدة وثلاثتها — الاختلاط — ظاهر الأشياء هو ضد الوحدة — الحد الذي يبنى أخذه من عبادة الحراس — ردود على نظرية الوحدة وعلى اللادورية — الآراء المضادة لهذا المذهب — شواهد من هيرودوت وبعض فلاسفة آخرين .

§ ١ — هو يقرر أنه إن يكن من شيء فذلك الشيء يجب أن يكون أزلياً مادام أنه — على رأيه — من المحال أبداً أن يتولد شيء من لا شيء . وسواء أكان في الواقع أن الكل قد خلق أم أن الكل لم يكن يخلق فيلزم على ذلك في الفرضين أن الأشياء التي خلقت تكون أخرجت من لا شيء مادام أنه ما من واحد من جميع

ب ١ — مذاهب ميليسوس — زدت هذا العنوان الذي ليس في الأصل الإغريقي . ر . ما سبق في التحقيق الذي أجريناه من هذا العنوان وعلى نسبة المذاهب التي يشملها البابان الأولان إلى ميليسوس .  
§ ١ — هو يقرر — حفظت عبارة النص على إبهامها . وقد كان يحسن أن يسمى الفيلسوف بالصریح . ومع العنوان الذي سمعنا لنعني بوضعه لهذا الباب يذهب الشك في الشخص المقصود . ولكن لم أسمح لنفسي بأن أدخل هذه الزيادة على النص نفسه في أول جملة وفي بدء هذه الرسالة . وأما في غضون الأبواب فقد زدت اسم ميليسوس مرات عدة كما فعلت بالنسبة لإكسينوفان وغريغياس ، وفيما يتعلق بالإسناد إلى ميليسوس ر . ما سبقت ب ٤ ف ١ . — إن يكن من شيء . ر . ما سوف يلى من قطع ميليسوس القطعة الأولى . — على رأيه — زدت هذه العبارة لأؤيد قوة النص الإغريقي . — أم أن الكل لم يكن يخلق — وأنه لم يكن الا مدد ما من الأشياء كان قد خلق . — في الفرضين — النص ليس على هذا القدر من الصراحة .



الأشياء التي تكونت على هذا النحو كان يوجد من قبل . ٢ ٤ — وأنه إذا قيل إن من الأشياء ما كان موجودا من قبل ومنها ما جاء بعد ذلك لينضم إليه تتج من ذلك أن الكل الذي هو واحد قد زاد بالعدد وبالكَم . وهذا نفسه الذي به يصير أكثر عددا وأكبر يجب أن يأتي أقل من لا شيء . لأن الأكثر لا يمكن أن يكون في الأقل ولا الأكبر في الأصغر .

٣ ٤ — متى كان الكل أزليا يجب أن يكون بهذا منه لا متناها لأنه لا يكون هناك مبدأ يأتي منه كما أنه لا يكون له آخر متى بلغه انتهى . وكل لا متناه يجب ضرورة أن يكون واحدا لأنه إذا وجد عدة لا متناهيات بل لا متناهيات اثنان حدد بعضها بعضا على التكافؤ . ٤ ٤ — ولما كان واحدا وجب أن يكون متشابهها في جميع أجزائه لأنه إذا كان غير متشابه فيها وحده لا يكون بعدا واحدا . ولما لم يكن واحدا كان كثرة . ولما كان الواحد أزليا لا قابلا لأن يقاس متشابهها في جميع أجزائه وجب أن يكون غير متحرك لأنه لا يمكن أن يتحرك إلا في شيء ينطلق أمامه ولكن الإطلاق لا يمكن أن يكون إلا للذهاب في الملاء أو في الخلو . فمن جهة الملاء لا يمكن بعد أن يقبل شيئا ومن جهة أخرى الخلو نفسه ليس شيئا .

— التي تكونت على هذا النحو — والتي هي بالنتيجة ليست أزلية .

٢ ٤ — أن الكل الذي هو واحد — عبارة النص هي بالبساطة "الواحد" — بالعدد وبالكَم — عبارة النص : "يصير عددا وأعظم" .

٣ ٤ — كان الكل أزليا — ر . ما سوف يجرى في قطع ميليسوس القطعتين ٢ و ٣ . — بهذا جبه لا متناها — يكاد يكون ذلك تكرارا لأن الأول ليس إلا الانشائي في المادة . — حدد بعضها بعضا على التكافؤ — تلك هي العبارات فيها التي نقلها ميليسوس . ر . ما سوف يجرى من قطع ميليسوس القطعتين ٣ و ٤ .

٤ ٤ — وجب أن يكون متشابهها في جميع أجزائه — رابع قطع ميليسوس القطعة ٤ : — وجب أن يكون غير متحرك — رابع القطعة ٤ . — في شيء ينطلق أمامه — رابع القطعة ٥ من قطع ميليسوس . — الخلو نفسه ليس شيئا — رابع القطعة الأخيرة المذكورة .

§ ٥ — لما كان الواحد هو ما قلنا آنفا ينبع من ذلك أنه لا يمكن أن يلحقه تب ولا ألم ويجب أن يكون سليما وبغير مرض . كما أنه لا يمكن أن يغير وضعه ليتخذ أحسن منه ولا أن يتحول ليأخذ نوما آخر ولا أن يختلط بشيء آخر . وفي كل هذه الأوضاع الواحد يصير كثرة وإذا يكون الالاموجود هو المتولد . والموجود يكون هو الذي قد فسد بالضرورة . § ٦ — وكل هذا محال مطلقا . وفي الحق إذا كان الواحد مقولا على الخلط لأنه تألف من عدة أشياء فيلزم حينئذ أن يكون مسبقا بوجود عدة أشياء وأن هذه الأشياء تكون قد تحركت بعضها نحو الأخرى . وليس الاختلاط في الواقع بالتركيب عدة أشياء في شيء واحد أو إنما هو تجمع بين الأشياء المختلطة من طريق التصنيف . وعلى هذا النحو قد تختلط الأشياء لأنها تنفصل بعضها عن الأخرى . ولما أنت هذا الجمع يحصل في معنى الأشياء فقد يجب أن يوجد جليا كل واحد منها برفع الأشياء الأولى التي اختلطت بغيرها بعضها من بعض . وليس توجد واحدة من هاتين الحالتين .

§ ٦ — وهكذا على هذه الطريقة تكون الأشياء ، على رأى ميليسوس ، متكررة ولا تظهر لنا البتة بوحدة ، وبالنتيجة لما أنه ليس ممكنا أن يكون الحال هكذا على هذا الوجه وأنه لا يمكن أن تكون الأشياء متكررة فيلزم القول بأن هذا ليس إلا ظاهرا

§ ٥ — لا يمكن أن يلحقه تب ولا ألم — يمكن أن نحمل هذه العبارة على المادى أو على المعنى على السواء . القطعة ٤ من قطع ميليسوس . — سليما وبغير مرض — ربما كانت هذه العبارة أضيق مما ينبغي وفيها يعتبر الواحد كالوكان جسا إنسانيا . القطعة ١١ . — هو المتولد — هذه هي عبارة النص الإغريق بالخطب .

§ ٦ — إذا كان الواحد مقولا على الخلط — ر . على نظرية الاختلاط ما سبق في كتاب الكون والفساد ك ب ١٠ . — التصنيف — يظهر أن الكلمة التي يستخدمها النص هنا كانت خاصة بلهجة الإيدرياتيين . ر . تفسير ميليسوس على كتاب المياه الورقة ١٥١ . — لأنها تنفصل — أو يمكن أن تنفصل . ومن المحتمل أن يكون لفظ فصل هاهنا مأخوذا على معنى تميز . — في معنى الأشياء . — هذه هي عبارة النص وإن لم تكن مضبوطة تماما .

§ ٧ — على رأى ميليسوس — زدت هذه العبارة لأحصل النص في كل قوله . — ليس إلا ظاهرا خذاما — تلك هي لا أدريه مدرسة إيليا التي يلائمها العقل أكثر مما ينبغي لم تنق للمراس ما يتناسب

خذاً كما أنه مع ذلك يوجد كثير من الأشياء تخضع حواسنا وتفترها ولكن العقل يؤكد لنا أن تلك الأشياء ليست موجودة، بل هو يؤكد لنا أن الموجود لا يمكن أن يكون كثرة وأنه واحد أزلي لا متناه متشابه في جميع أجزائه .

٨٤ — وحيلته هل تكون عنايتنا الأولى بعدم قبول كل ظاهري وألا تثق منه إلا بما هو الأحق ؟ ولكن إذا كان كل ما يظهر لنا أنه حق ليس صحيحاً ولا يستحق على ذلك تصديقنا فقد نحسن صنعا بعدم قبول هذه القاعدة أيضاً؛ أنه لا شيء البتة يمكن أن يأتي من لا شيء لأنه ربما كان هذا أيضاً واحداً من تلك الآراء القليلة المصدق والكثيرة العدد التي نحن جميعاً قد تصورناها بواسطة إدراكات قليلة المصدق أو كثيرته .

٩٤ — ولكن إذا كانت كل إدراكاتنا ليست فاسدة وإذا كان بعض آحادها صحيحاً فيلزم أن يختار إما الرأي الذي قام الدليل على صحته وإما الآراء التي تظهر أنها

مهما ر . فما سوف يجيء شيئاً من هذه المعاني في القطعة ١٧ من قطع ميليسوس . — العقل يؤكد لنا — إذا طبق هذا في حق الله فالنظرية لا جدال فيها فوحدانيته بديهية في حكم العقل كلاً نهائياً وكامل قدرته . ولكن ذلك لا يمنع تكثر الكائنات بأشخاصها ويلزم العقل التسليم به من غير أن يستطيع مع ذلك أن يفسره .

٨٤ — هل تكون عنايتنا — صيغة الإثبات هنا أول ما يظهر ولكن اضطررت إلى اتباع النص . وهذا المر هو أتم ما تركه لنا الأقدمون على نمط مدرسة إيليا ومعلقاتها . — كل ظاهر — أو كل ما يظهر لعقلنا لأن المراد هنا ليس هو الظاهر الحسي . — ليس صحيحاً ولا يستحق على ذلك تصديقنا — ليس النص على هذا القدر من السعة . — بعدم قبول هذه القاعدة أيضاً — الأمر على الضد من ذلك فإن مدرسة إيليا قد قبلت هذه القاعدة كل القبول واتخذتها أساساً لنظرياتها على الأزلية ووحدة الموجود . — قليلة المصدق — ليس النص على هذا القدر من التعيين ، ولكنه على التحقيق يشمل هذا المعنى .

٩٤ — كل إدراكاتنا ليست فاسدة — في هذا التحفظ شرف عظيم لمدرسة إيليا ويجب اعتباره والاعتماد به . فإن السفطائيين وعلى الخصوص فروطاغوراس قد ذهبوا بعيداً في المعنى المضاد بأنهم فرروا أن الإنسان هو معيار الكل وقد جرمهم هذا الانحراف إلى لا أدريّة غريغياس المطلقة . ر . فما يلي الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب وتحليل مذهب غريغياس الذي قام به سكستوس أمبيريكوس . — إما الرأي الذي قام الدليل على صحته — مبدأ جميل قد كرره فيما بعد أفلاطون وديكارت بصورة أخرى ليست أشدّ جزمًا . — التي تظهر أنها أحق — والتي هي غير قابلة للايضاح وصالحة ، من ثم ، لإيضاح سائر البقية . هذا هو المذهب العظيم لأرسطوطاليس في الأناطوطيقا الثانية . وهذا هو الأساس الذي إليه يستند كل برهان سواء أكان هذا الأساس مكتشفاً أم مخفياً . ر . ترجعنا لأناطوطيقا الثانية ، منطق أرسطوطيخ ٣ ك ١ ب ٢ ص ٩ .



أحق . لأن هذه الأخيرة تكون دائماً أمتن من الآراء التي يجب أن يدل عليها من بعد بمساعدة تلك المبادئ الأولى .

١٠٨ — فلنسلم ، إذا شئت ، بأن هذين الرأيين مضادان أحدهما للآخر كما يفترض ميليسوس : بادئ بدء أنه عند تأييد الكثرة يُضطر إلى استمخارجها من الوجود . ثم لما كان هذا محالاً وجب أن يُستتج من ذلك أن الموجودات ليست متكثرة والموجود بما هو موجود فقط هو لا متناه وبما هو لا متناه هو واحد . ١١٨ — نزم أن هذين الرأيين لا يثبتان لأحدهما ولا الآخر أن الموجود هو واحد أو أنه كثرة . ولكن إذا كان أحد الاثنين أحق وأمتن فتكون النتائج التي تستتج منه هي أيضاً أجلي وضوحاً . فإن كان لنا هذان الاعتقادان معاً أن لا شيء يمكن أن يأتي من لا شيء وأن الموجودات هي متكثرة ومتحركة فلما أن هذا الأخير يظهر لنا حقيقة بالثقة فهو أولى من الآخر بتصديق الناس . وبالنتيجة إذا كان هذان الرأيان هما متضادان في الواقع وإذا كان من المحال أن شيئاً يأتي من لا شيء وأن الموجودات متعددة فإن هاتين النظريتين تنبأطلان ويتفاسدان على التكافل .

— بمساعدة تلك المبادئ الأولى — التي هي في ذاتها غير قابلة للبرهان لأنها بديهية .

١٠٩ — كما يفترض ميليسوس — عبارة النص هي فقط « كما يفترضه » ر . بما سبق ف ١ والتحقيق . وهذه الجملة كلها قلقة في ترجمتنا كما هي كذلك في النص الإغريقي . — يضطر إلى استمخارجها من الوجود — ر . ما سبق آخاف ١ .

١١٩ — نزم — قد لا تكون عبارة النص على هذه الصراحة . — فتكون النتائج التي تستتج — أو النتائج التي تستخرج منها . على أن من البين أن المبدأ الذي يسارمه بما أنه هو ذاته أمتن فالبرهان الذي ينتج منه هو أمتن أيضاً . — هذان الاعتقادان — عبارة الإغريقية تدل مباشرة على " فرضيين وهيين " . — لا شيء يمكن أن يأتي من لا شيء . — هذا حق متى طبق على موجودات الطبيعة ولكنه ليس حقاً بهذا المقدار متى طبق في حق الله . وحينئذ يكون الأمر متعلقاً بالله فيلزم أن يوصل إلى خلق حقيقي . — الموجودات هي متكثرة ومتحركة — كما تشهد لنا به حواسنا شهادة غير مجزئة . — هاتين النظريتين تنبأطلان — وحينئذ يمكن أن شيئاً ما يأتي من العدم وأن الموجودات هي متحركة .



§ ١٢ — لكن لماذا إذا يكون رأى ميليسوس أحق ! إنه يمكن أيضا تأييد  
الرأى المضاد ما دام أن ميليسوس قد وضع استدلاله من غير أن يكون قد دلتل على  
أن الرأى الذى يصدر عنه هو الحق أو على الأقل أنه أمتن من الرأى الذى يقصد  
الى أن يبرهن على فساده . وهذا من جانبه ليس إلا فرضا محضا أن يرى أن  
جميع الأشياء من لا شيء أشبه بالحق من أن تكون متعقدة . § ١٣ —  
ولقد أصاب من قال على ضد ذلك ما هنا إن أشياء لم تكن قد كانت وإن كثيرا  
من الأشياء أخرج من العدم . وليس هؤلاء الذين افترضوا هذه الأفكار من أناس  
كيفما اتفق . بل هم مشهورون بأنهم أعقل الناس . مثال ذلك قال هيزيود :

”كان العالم موجودا قبل كل الأشياء

”ثم ظهرت الأرض ذات الصدر الفسيح

”وهى الأساس الأزلى لكل ما تحمل

”

”ثم بعد ذلك العشق الذى هو أقدر الآلهة“.

§ ١٢ — رأى ميليسوس — عبارة النص غير معينة ولا تسمى ميليسوس ر . ما سبق ف ١ .  
— مادام أن ميليسوس — التيه السابق — الذى يقصد الى أن يبرهن على فساده — عبارة النص يسلطه  
”التي عليه يبرهن“ . — ليس إلا فرضا محضا — الحد الذى يستعمله النص ما هنا هو بعبارة من جهة  
الاشتقاق الذى فى الفقرة السابقة . — أشبه بالحق — أو بعبارة أخرى أن الخلق من العدم أكثر احتمالا  
من وحدانية الموجود . فانه يمكن أن يفهم على وجه أحسن أن الأشياء أتت بها من لا شيء . من أن يفهم أنها  
متعددة . والسبب فى ذلك أن التعدد بدىس فيما يظهر فى حين أن الخلقة عختفى فى ظلمات الماضى والبداية .  
§ ١٣ — قد كانت — هذه الجملة فى المخطوطات واردة على صيغة التثنية لا على صيغة الإثبات  
كأنه إليه م . ملاحظ . وقد اقترح إسبلدنج صحتها . وإلى رأى كما يرى م : ملاحظ أنها ضرورية  
لتأج المعانى . — من أناس كيفما اتفق — من العوام . — هيزيود . — راجع التبرجوتى البيت  
١١٦ وما بعده ص ٣ من طبعة فيرمين ديكر . وإن هذه الأبيات التي لم يستشهد بها ما هنا بالنص  
موجودة فى الطبعة لأرسطو . ك ١ ب ٢ ف ٧ ص ١٤٢ من ترجمتنا وفى ما بعد الطبعة ك ١ ب ٣  
ص ١٣٨ من ترجمة كوزان .

فصل في رأي هيرودس من أن الأشياء تولد من هذا ولكن للمبادئ الأول لم تولد من شيء . — ٢٤٩ — وبين الفلاسفة من يقولون بأن لا شيء يكون وأن الكل يصير وهم فيكون كذلك أن كل الأشياء التي تصير تولد من أشياء غير موجودة . وبالنتيجة يمكن أن يقال إن عند بعض الفلاسفة الصيرورة يمكن أن تخرج حتى من اللا موجود .

— لم تولد من شيء — أهل هذا أن يكون نتيجة مستخرجة من أفكار هيرودس لأفكاره الخاصة .  
 ٢٥٠ — وبين الفلاسفة — كان من الحسن أن يسمى هؤلاء الفلاسفة الآخرين . — بأن لا شيء يكون — أو يوجد . — وأن الكل يصير — قد يكون هذا هو رأي هيرقليطس إذ يظن أن كل الأشياء هي في سبب أبدى . — تولد من أشياء غير موجودة — للنتيجة بطلانها لها يظهر وأن ما يصير لم يكن قبل أن يصير . — الصيرورة يمكن أن تخرج حتى من اللا موجود . — أو أن الأشياء التي تولد تخرج من أشياء ليست موجودة .

## الباب الثاني

ثمة تفنيد لميليسوس — زردد على مبدأ أنه ليس شيء يأتي من لا شيء — تولد الأشياء وكونها بعضها من بعض على التكافؤ — نظريات أميدقل وأنكساغوراس وديموقريطس وبرمينيد وزينون — شواهد من شعر أميدقل وهيزيود — الموجود ليس ضرورة واجدا أزليا ولا متناهيا .

§ ١ — نحن لا نستغل يبحث ما إذا كان ما يقوله ممكنا أو مممتنا . لكن هنا نقطة يجب علينا أن نغيرها بعض الالتفات وهي ما إذا كانت مثل تلك النتائج تنبع بلا تخلف من فروضه أو إذا كانت الأشياء يمكن أن تكون ضد ما يعتقد لأنه يمكن في الحق أن يكون الواقع مخالفا تمام المخالفة . § ٢ — فهو يقرر بادئ بدء أن ليس شيء يمكن أن يأتي مما هو ليس موجودا . ولكن يرد عليه هذا السؤال : أمن الضروري إذا أن تكون جميع الأشياء بلا استثناء غير مخلوقة ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تأتي الأشياء بعضها من بعض وأن هذه السلسلة يمكن أن تمتد إلى ما لا نهاية ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تكون رجعي دائرية بحيث إن الواحد يأتي من الآخر وأنه على ذلك يوجد دائما موجودا وأن كل واحد قد أمكن أن يخرج على هذا النحو من جميع الآخر على التكافؤ في عدد غير متناه من المرات ؟ على هذا المعنى لا شيء .

§ ١ — ما إذا كان ما يقوله — ميليسوس وقد حفظت النص على ما فيه من عدم التبعين الشخصي . — بعض الالتفات — وربما يمكن أن يقال "لذا تجد يا" . — من فروضه — أو "المبادئ التي يسلم بها" . § ٢ — فهو يقرر بادئ بدء . — ليس النص على هذا القدر من الضبط وعبارته عامة وهي ما دام قد تقرر ... الخ . — بلا استثناء — زدت هذا القيد لأحصل كل قوة العبارة الإضرابية . — غير مخلوقة — ر . — ما سبق في الفقرة الأولى حيث هذا التحفظ . بعض الأشياء هي أزلية وغير مخلوقة والبعض الآخر ليس كذلك . — أن تأتي الأشياء بعضها من بعض — هذا يمكن بلا شك ولكن لابد بادئ بدء من افتراض وجود بعض أشياء تكون أزلية بالنتيجة . ولذا الاعتراض لا يرد مباشرة على نظرية ميليسوس . — رجعي دائرية — هذا هو ما ذكر آخا بعبارة أخرى . ولكن الكون ليكون على التكافؤ يلزم ضرورة أن يكون مسبقا بوجود ثمة قد لا يكون أزليا وباقيا . — يوجد دائما موجودا — مؤقت ومسيط ولكن التعاقب مع ذلك هو أزلي إذا لم تكن الموجودات أزلية .

يمنع أن الكل قد خلق وأصير حتى مع التسليم بذلك الفرض أنه ليس شيء يمكن البتة أن يأتي من لا شيء . وبما أن الموجودات على ذلك غير متناهية فيمكن إذا ، كما يشاؤه ، أن تسمى بجميع الأسماء التي لا تناسب إلا الوحدة لأنه يطبق هو أيضا على اللامتناهي كيفية أنه كل وأنه يسمى كلا .

§ ٣ — حتى من غير أن يفرض أن عدد الموجودات غير متناه يمكن أن يفهم أن كونها دائري . فإذا كان كل يصير وأن لا شيء يوجد كما يزعم بعضهم فكيف يوجد إذا أشياء أزلية ؟ ولكن ميليسوس يتكلم عن الموجود كأنه كائن وكأنه مسلم به على الإطلاق . فإنه يقول : " إذا الموجود لم يصرو إذا هو يكون فيلزم أن يكون أزليا " . وهذا إنما هو تسليم بأن الوجود يتعلق ضرورة بالأشياء . § ٤ — وأكثر من ذلك أنه مع الافتراض ، بقدر ما يراد من الافتراض ، بأن الوجود لا يمكن أن يصير وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم البتة فما الذي يمنع أيضا أن من الأشياء ما تولد ومنها ما تكون أزلية ؟ تلك إنما هي نظرية أمبيدقل نفسه . فإنه مع أنه مسلم وفقا لرأي ميليسوس بأن من الممتنع أن أي شيء انفق يخرج مما لم يكن وأنه

— أن الكل قد خلق — في التعاقب لا في البدء . — أنه كل وأنه يسمى كلا — وبعبارة أخرى اللامتناهي هو كل وهذا هو ما يسمى بالكل .

§ ٤ — كونها — بعضها بواسطة البعض الآخر . — دائري — وبالنسبة إلى التكافؤ ، فإن الثاني يكون الأول كما أن الأول قد كثر الثاني . — كما يزعم بعضهم — هيرقليطس وفروطاغوراس مثلاً . — ولكن ميليسوس — عبارة النص " ولكنه " . — ما سوف يجيء القطعة الأولى وما يلها من قطع ميليسوس . — فانه يقول — هذه العبارة تدل على أن القول المروي هو من كلام ميليسوس .

§ ٤ — بأن الوجود لا يمكن أن يصير — يعني أن ما لم يكن لا يمكن أن يكون أبدا . — وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم — وأنه أزلي . — من الأشياء — التي هي موجودة أو التي وجدت فيما سبق . — نظرية أمبيدقل — لم يذكر أبداً أمبيدقل بنصها ولكن المعنى قد حصل بالضبط . ر . قطع أمبيدقل للهيكلين ١٠٢ و ١٠٣ طبعة فيرمين ديدرو من ١٧٥٢ . — وفقا لرأي ميليسوس — ليس الاسم في النص



لا سبيل مطلقا لأن شيئا وجد مرة يمكن أن ينعدم البتة " ما دام أن الوجود يبقى دائما حيث أمكن وضعه " مع كل هذا لا يزال هذا الفيلسوف يؤيد أن من الأشياء ما هو أزلي كالنار والماء والأرض والهواء وأنه إنما من هذه الأشياء أتت وتأتى جميع الأخر . وعلى رأيه ليس للوجودات كون آخر غير هذا . وأن الكون ليس في الحقيقة إلا اختلاطا وتحللا . وهذا ما يسمى عاقيا كون الأشياء وطبعها .

§ ٥ — ومع ذلك فإن أمييدقل يزعم أن الصيرورة لا تنطبق على الأشياء الأزلية وأن ما هو موجود لا يصير . فتلك في نظره محالات وانحطه لاذ يقول : " كيف يمكن في الحق أن يقال : إن شيئا يزيد الكل ؟ ومن أين يأتي ذلك الشيء ؟ " " إنما هو من اختلاط النار وتركبها ومن جميع العناصر التي تصبحها أن تخرج بكثر " " الأشياء . وبانفصال هذه العناصر وتباعده بعضها عن بعض تنعدم الأشياء من " " جديد . والتكثر يأتي من الاختلاط والتفريق ولو أنه بالطبع لا يوجد إلا أربعة " " عناصر بصرف النظر عن العلل بل عنصر واحد أحد " .

الإغريق ولكم يستنتج من العبارة نفسها التي استعملها الخلف . — ما دام أن الوجود يبقى دائما — هذا الشاهد بيت من أبيات أمييدقل روى بمعناه بالضبط دون لفظه . ر . البيت ١٠٤ في المرجع السابق . — كالنار والماء ... الخ — الأربعة العناصر التي يسل بها أمييدقل أيضا . — إلا اختلاطا وتحللا — تلك هي عبارة أمييدقل بالنص . ر . قطع أمييدقل البيتين ١٠٠ و ١٠١ في المرجع السابق . وإن أرسطو يذكر أيضا هذا البيت في كتاب الكون والفساد ٢ ب ٦ ف ٦ . — مايا — عبارة للنص : عند الناس . ر . قطع أمييدقل البيت ١٠١

§ ٥ — ومع ذلك فإن أمييدقل — النص لا يسمى هاهنا أمييدقل . ولكن كل ما على بيت عاما أن القول إنما هو بعده . — الصيرورة — أو التولد . — كيف يمكن في الحق — ليست هذه تعابير أمييدقل بالضبط ولكن المعنى هو معناه . ر . قطع البيتين ٩٤ و ٩٥ في المرجع السابق ذكره . ور . أيضا الطبيعة لأرسطو ٨ ب ١ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . — بصرف الظن من العلل — عبارة للنص : دون العلل ، ومن المحتمل أن أمييدقل يعني هاهنا بالعلل العشق والتفريق اللذين يجهان أرسطو من الأشياء بأن يكونا ريخسا دوريا السقروس . ر . الطبيعة لأرسطو ٢ ب ٤ ف ١٣ ص ٩٢ من ترجمتنا .

٦٤ - حتى مع افتراض أن العناصر لا متناهية منذ الأصل لتتكون الأشياء بتركيبها وتفسدها بافتراقها كما يدعى أحيانا أنه كذلك كان يفكر أنكساغورس الذي كان يعتبر هذه العناصر الأولية غير المتناهية كمصدر لجميع الأشياء التي تتكون . وقد لا ينتج من هذا أيضا أن الكل هو أزلي بلا استثناء . بل يوجد دائما بعض أشياء قد تبقى وتكون أنت من موجودات متقدمة وتبقى في جواهر أخرى .

٧٤ - بل يمكن أيضا ألا يكون إلا صورة واحدة للكل كما كانت يؤكد أنكسيمندروس وأنكسيمين إذ يؤيدان أحدهما أن الكل هو من الماء والآخر وهو أنكسيمين أن الكل إنما هو من الهواء . ٨ - وإنما هذه هي أيضا نظرية جميع من يهتمون على هذا النحو "الكل" كوحدة . وذلك إنما هو تبعاً لأن "الواحد" يتغير بالصورة أو يحدد أكبر أو أصغر تبعاً لأنه رقيق قليلاً أو كثيراً أو لأنه سميك أن الأشياء مهما كانت متعددة ولا متناهية لتوالد . وحيث "الواحد" مع بقائه هو هو يكون بقية الأشياء وبشكلها .

٦٤ - بتركيبها ... بافتراقها - طرحت نظريات أميدل - أنكساغوراس - ر . الطبيعة لأرسطو ك ٢ ب ٢ ف ٨ ص ٩ من ترجعنا . - بلا استثناء - أضفت هذه الكلمات - جواهر أخرى - هذا التصريح يؤكد لا يكون أرسطوطالياً . وليس من عادة أن يستعمل لفظ الجواهر في مثل هذا المعنى .

٧٤ - ألا يكون إلا صورة واحدة - هذه الجملة هي الترجمة المضبوطة للنص الإفرنجي والعسكن ما ظهر يثبت أن المعنى باللفظ "الصورة" هو "العنصر" وإن آراء أنكسيمندروس وأنكسيمين هي معروفة ستاقرقة فحين أحدهما يريد أن يستخرج كل العالم من الماء كما كان يزعم طاليس والآخر يريد أن يستخرج العالم من الهواء .

٨٤ - كوحدة - أو كواحد - ولقد حفظت أسلوب النص وربما كان أجلى من ذلك أن ينظم على القواعد السابعة وحيث يرجع إلى مذهب اللذرات كما بينت فيما بعد بمناسبة ديمقريطس . - تبعاً لأن الواحد يتم بالصور - الجملة طرقة بعض الشيء ولكنها كذلك أيضاً في النص الإفرنجي فوجب علينا الاستفاظ بأصولها . - يكون ... وبشكلها - ليس في النص إلا فعل واحد .

§ ٩ — أما ديمقريطس فإنه من ناحيته يقول على السواء إن الماء والهواء وكل واحد من الأشياء المختلفة هكذا هي متحدة وإنه لا فرق بينها إلا في المجرى والتماس والاتجاه . وما المانع أيضا ، في هذا الفرض ، من أن الأشياء المتكثرة تتولد وتنعدم ما دام "الواحد" يتغير أبدا من الموجود إلى الموجود بالفروق التي ذكرت من غير أن "الكل" في مجموعه يصير بذلك أبدا لا أصغر ولا أكبر ؟ § ١٠ — وفوق هذا ما ذا يمنع أن أجساما متعددة كما يشاء تتولد من أجسام أخرى وتتحلل إلى أجسام أخرى أيضا بحيث تكون دائما على كمية متساوية في تحملها وبحيث إنها تنعدم من جديد .

§ ١١ — لكن حتى مع التسليم بهذا والتسليم بأنه يوجد شيء غير مخلوق فإذا يزيد هذا في إثبات أن الموجود هو لا متناه ؟ على رأى ميليسوس الموجود لا متناه إذا هو يوجد وألا يكون قد ولد البتة . لأن الحدود على رأيه هي هنا

§ ٩ — ديمقريطس — هو في طريقه أيضا نصير للوحدة لأن ذراته هي على الإطلاق متماثلة ولا تختلف إلا بالعدد وبالصورة وبالتماس وبالحركة . — الأشياء المختلفة هكذا — كان الأحسن أن يقول يظهر لنا أنها مختلفة بهذا القدر لأنها في الواقع هي بعينها على حسب ديمقريطس . — في المجرى والتماس والاتجاه — هذه الكلمات الثلاثة مستعارة من ديمقريطس والظاهر أنه هو واضعها أو على الأقل هو الذى في المجموعة نقلها من معناها العادى . هل ألى لا أجدها هذا المر من هذا الكتاب موجودا في قطع ديمقريطس الإغريقية لفيرمين ديدر . فان المجرى والتماس والاتجاه متعلقة بالذرات اذ تتركب في المخلو بعضها مع بعض . — من الموجود الى الموجود — دون أن شيئا ما يمكن أن يتولد من العدم وذلك بأن الذرات منصورة أزلية . كتاب السماء ك ٣ ب ٤ ف ٥ ص ٢٥٠ من ترجمتنا .

§ ١٠ — وفوق هذا — هذا يظهر أنه تبع للأفكار المنسوبة لها هنا الى ديمقريطس . وهذه الفقرة لا تكاد تكون إلا تكريرا لما سبق . — كل كمية متساوية — الكمية والعدد الكل للذرات لا يتفصان ، فقط المركبات التي تركيبها تلك الأجزاء التي لا تنجزأ هي التي تحتوي منها على عدد أكبر أو أصغر .

§ ١١ — أن الموجود هو لا متناه — ليس النص على هذا القدر من الضبط واللفظ الذي استعمله هو غير محدد . — على رأى ميليسوس — هذا يتعلق بميليسوس لا بديمقريطس ولكن النص قد وضع الفعل مطابقا لتفسير الفاسف من غير أن يمين بالأمم الفيلسوف الذى يقصد تعيينه . — إذا هو يوجد — ر . ما سبق ف ١ . — وألا يكون قد ولد البتة — إن لانهاية الموجود تنجح ، على رأى ميليسوس ، من أزليه .



بداية الكون ونهايته . غير أن الموجود مع أنه غير مخلوق ألا يمكن أن يكون له حدود أخرى غير المذكورة آنفا ؟ فإذا كان اللا متناهي قد خلق فلا بد من أن يكون له على رأى ميليسوس هذه البداية التي منها يخرج ليكون .

§ ١٢ — لما ذا يمنع إذا — حتى بدون أن يكون قد كَوْن — أن يكون له بالأكل بداية ؟ لا البداية التي منها أتى — إذا شئت — بل بداية أخرى . وأن الأشياء مع كونها أزلية يقصّد بعضها ببعض على طريق التكافؤ § ١٣ — بل لما ذا يمنع أن " الكل " الذي يكون غير مخلوق أن يكون لا متناهي وأن جميع الأشياء التي هي فيه تكون متناهية باعتبار أن لها بالبساطة بداية ونهاية في كونها .

§ ١٤ — ألا يمكن أيضا كما ينبغي برمينيد أن " الكل " مع أنه واحد وغير مخلوق يكون متناهيًا " بأن يكون من جميع الجهات مشابها لكتلة كرة مضبوطة الشكل وأن يكون متساوي الأبعاد من المركز من غير حاجة أصلا إلى أن يكون

— بداية الكون — أو عبارة أخرى "بداية غير الموجود" . لأن الموجود بما هو أزل يمكن أن يصير غير ما هو ويختول ولكنه لا يولد على الحقيقة . — حدود أخرى غير المذكورة آنفا — معنى ابتداء التغير التي يمكن أن يعاينها ونهايتها . — على رأى ميليسوس — أضفت هذه الكلمات التي تستنتج من سياق الكلام ومن التعبير الذي يستعمله المؤلف ر . فيما سوف يلى القطعة ٢ من قطع ميليسوس .

§ ١٢ — حتى بدون أن يكون قد كَوْن — أحيى مع بقائه أزليا . — بل بداية أخرى — هذا لا ينطبق إلا على التغير الذي يصير الموجود غير ما هو ويحوله من غير أن ينزع شيئا من أزمته . — يحدد بعضها ببعض — بأن تتوالد على طريقة التكافؤ :

§ ١٣ — متناهية — بالكم دون أن تكون بالعدد وأن يكون بعضها بعضا بتسلسل مؤبد . — بالبساطة — زدت هذه الكلمة التي تفهم من القرينة فيما يظهر لي .

§ ١٤ — كما ينبغي برمينيد — يظهر على حسب هذه الفقرة أن رسالتنا الصغيرة هذه مع انطباقها على ميليسوس وإكسينوفان على وجه الخصوص قد تكون انتقادا عاما لمدرسة إيليا . ر . قطع برمينيد البيت ١٠٢ وما بعده في القطع الفلسفية الإغريقية لفيرمين ديديرو ص ١٢٤



في الجزء الفلاني أو الفلاني أكبر أو أجد مما هو ؟ — § ١٥ — ولنا أنه لا  
 وسقطا وأطرافا فله حد مهمل كذا غير مخلوق ما عظم أن "الكل" مع أنه واحد  
 كما يعترف به ميليسوس نفسه فإنه من حيث كونه جسما كل أجزاءه بلا استثناء  
 متشابهة بعضها لبعض . ومن هذه الجهة إنما هو يقرر التشابه المطلق "للكل"  
 ولا يقول كما يقول فلاسفة آخرون إن "الكل" متشابه لشيء آخر غير ذاته . تلك  
 هي النظرية التي يبطلها أنكساغوراس بقوله : إذا كان اللا متناهي متشابه من جهة  
 أن يكون متشابه لما يرله فن ثم هما لثابت بل أكثر . وحيلولة لا يوجد بعد  
 لا "واحد" ولا لا متناه . § ١٦ — ولكن قد يمكن أن ميليسوس يرى هو أيضا  
 أن اللا متناهي متشابه لإضافيا لقائه أو يقول بعبارة أخرى إن "الكل" هو متشابه  
 لأن أجزائه متشابهة بما أن هذا "الكل" هو مع فلك من الماء أو من الأرض  
 أو من شيء آخر .

§ ١٧ — من البين أن ميليسوس مع تلميذه حكما بالوحدة يرى أن كل  
 جزء من الأجزاء هو نفسه جسم لا يمكن أن يكون لا متشابه . لأن "الكل"

§ ١٥ — ميليسوس نفسه — ليس في النص الاسم الظاهر بل هو استعمل ضمير الغائب كما هو  
 الحال في كل موطن . — هو يقرر — أي ميليسوس ولكن هذا يمكن على سواء أيضا أنه ينطبق على  
 مذهب برمينيد كما يرى في الآيات التي ذكرت آنفا . — التي يبطلها أنكساغوراس — قد يمكن أن يفهم  
 من أيضا كما فهم م . — ملاح "الذي يذهب أنكساغوراس" . — وهل ذلك يكون أنكساغوراس من رأى  
 ميليسوس وبرمينيد ، وهذا هو أنه يقرر رأي الفلاسفة الذين يقرر أنه "الكل" هو متشابه لاخرجه  
 وهذا في الواقع شيء واحد . ر . قطع أنكساغوراس لثاوباخ ص ١٠٦ . ولكن نظرية أنكساغوراس  
 يظهر أنها ترجع فقط إلى العقل لا إلى العالم . لأن العقل الأعلى لا يمكن في الحق أنه يتغير فإنه دائما  
 متشابه لذاته ولا يمكن أن يكون شبيهة لشيء ما كان .

§ ١٦ — ميليسوس — التلميذ السابق ، أي أنكساغوراس ليس من جهة هذا أيضا . — إنشيطا  
 لذاته — النص أقل ضبطا : "هل من التشبيه ضيقا إليه" .

§ ١٧ — ميليسوس — كررت ط هذا أيضا اسم ميليسوس كما قلنا في سابق ولولم يكن هذا كونا  
 في النص . — كل جن من الأجزاء هو نفسه جسم — ر . ما سوف يلى من قطع ميليسوس القطعة ١١ .

هو وحده لا متناه . وبالنسبة أن هذه الأجزاء التي ليست مخلوقة أيضا يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ . ١٨ § — ولكن إذا كان "الكل" أزليا ولا متناهيا فكيف يمكن أن يكون "واحدا" مع كونه جسما ؟ ثم إذا كان مركبا من أجزاء متغايرة فإذا يعترف ميليسوس نفسه بأن "الكل" هو كثير ومتعدد . ومع التسليم بأنه من الماء أو من الأرض أو من أى عنصر آخر فينبغ أن يكون للوجود عدة أجزاء كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت أن "الكل" يجب أن يكون له أجزاء كثيرة إذا كان هو واحدا على الوجه الذى يدعون .

١٩ § — ومتى كانت أجزاؤه متعددة لزم أن يكون بعضها أصغر وبعضها أكبر أعنى مختلفة جدا لاختلاف حتى بدون أن يأتى التخالف من زيادة جسم ما أو فقد جسم ما . ولكن إذا كان "الكل" ليس له جسم ولا طول ولا عرض فكيف يكون لا متناهيا ؟ وما المانع إذا أن يكون يجموعه كثرة وواحدا بالعدد ؟ بل ما المانع أن الأشياء مع كونها هكذا متكررة وأكثر من واحد أن تكون على عظم غير متناه ؟ ٢٠ § — قد يزعم إكسينوفان أن عمق الأرض وعمق الهواء غير متناه . ولكن

— هو وحده لا متناه — زدت كلمة « وحده » لبيان الفكرة . — يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ — ر . ما سبق ف ١٣ .

١٨ § — مع كونه جسما — أى أنه بالنسبة لأجزاء مختلفة . — ميليسوس نفسه — اسم ميليسوس ليس مذكورا فى النص الذى ليس فيه دائما إلا ضمير غائب . — كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت — أن ذكر زينون هذا يسمح لنا أن نقدر أن رسالتنا الصغيرة هذه كان ينبى أن تعرض أيضا للذهب على حدة . ر . التحقيق الذى سبق .

١٩ § — بعضها أصغر — حتى من غير اختلاف الامتدادات يكفى أن توجد عدة أجزاء لتكون مميزة ولو كانت مع ذلك متساوية تمام التساوى . — من زيادة جسم ما — لا يمكن أن تكون زيادة ولا نقص لأى ما مادام أن المقصود هو "الكل" . — متكررة وأكثر من واحد — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — على عظم غير متناه — عبارة النص بالضمير "غير متناهية فى العظم" .

٢٠ § — قد يزعم إكسينوفان — رأى إكسينوفان هذا مذكورا فى كتاب الدياء ك ٢ ب ١٣ ف ٧



أميدقل يبطل هذه النظرية إذ يبين في انتقاده المحكم أنه إذا كانت الأشياء كما يزعمون فن المجال مطلقا أن تكون البتة .

”إن أسس الكرة والأثير غير الملموس التي كثرتما يكلمونا عنها ليست“  
”إلا كلمات فارغات يكررها لسان الحمقى بلا داع“ .

§ ٢١ — لكن العالم يمكن أن يكون واحدا من غير أن يكون هناك صفوف في افتراض أنه ليس متشابه في جميع أجزائه . وفي الحق إذا كان العالم كله ماء أو كله نارا أو أى عنصر آخر من هذا القبيل فيمكن جيسدا أن يقال بوجود عدة أشياء ولو أن الموجود يبقى واحدا وأنه يلزم دائما أن يكون كل واحد من هذه العناصر متشابه لذاته . لأنه لا يمكن أن يكون الجزء العلانى متخلخلا والآخر كثيفا إلا أن يوجد خلو في باطن المتخلخل . ولكن لا شئ يمنع أنه بالنسبة لبعض الأجزاء يوجد في المتخلخل خلو منفصل تماما بحيث إن جزءا بعينه من ”الكل“ يكون كثيفا وآخر بعينه يكون متخلخلا مع أن الكل مع ذلك باق هو ما هو . ولكن لما أن ”الكل“ ملىء فالتخلخل حينئذ لا يكون أقل امتلاء من الكثيف .

§ ٢٢ — وإذا كان ”الكل“ غير مخلوق فكيف يمكن أن يستتج من هذا وحده أنه لا متناه وأنه لا يمكن أن يوجد أيضا واحد بعينه أو آخر يكون متناها

ص ١٩٤ من ترجمتنا . في تلك الفقرة أيضا يذكر أرسطو انتقاد أميدقل ويستشهد باليت هي الذي استشهد به هنا .

§ ٢١ — أنه ليس متشابه في جميع أجزائه — إن تخالف الأجزاء لا يمنع الوحدة بل قد يكون شرطها . — بوجود عدة أشياء — أو عبارة أخرى أن الموجودات متكررة بما هي موجودات خاصة ، وإن هذا غير مانع وحدة المجموع . — لأنه لا يمكن — بقدر ملاحظ أن هذه هي نظرية ميليسوس التي يعطها المؤلف ولائعى . في النص يبرز أو يرفض هذا التقدير . — خلو في باطن المتخلخل — اضطرت لا استخدام هذه الصيغة لتعصيل كل قوة النص الاخرين . — باق هو ما هو — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — لما أن ”الكل“ ملىء — يمكن أن نقدر هنا هذه العبارة «على رأى ميليسوس» على حسب تقدير الملاحظ . — القطعة . من قطع ميليسوس .

§ ٢٢ — من هذا وحده — يظهر أن الرد واضح للغاية وما دام العالم واحدا فيظهر أن من الضروري أن يكون لا متناها . لأنه من المجال على عقلا أن يفترض له حدودا .

مثله ؟ ولماذا يستلزم كونه غير مخلوق التسليم فوق ذلك بأنه واحد وأنه لا متناه بهذا السبب وحده ؟ وكيف حينئذ يكون الإمتناع هو ذلك "الكل" الذي يتوهمونه ؟

§ ٢٣ — يقول ميليسوس إن الموجود لا متحرك إذا كان ليس ثم من خلق . لأن الأشياء لا تتحرك البتة إلا بأن تتغير بالآين . غير أنه بادی بدء كثير من الناس من لا يوافقون على هذه النقطة ومع تسليمهم بوجود الخلق فانهم لا يقبلون أن يكون جنسها . يمكن أن يعنى بالأشياء هنا نحو ما يعنيه بها هيزيود حين يقول في الخلق "إنما هو الماء الذي ظهر بادی الأمر" مفترضا بذلك أنه كان يلزم قبل كل شيء أن يوجد محل للوجودات . هذا هو ما يعنى بالخلق الذي يتسبب كنوع آنية تكون خالية من وسطها .

§ ٢٤ — على أنه حتى مع عدم وجود خلق فإن العالم يمكن أن يتحرك أيضا على السواء . وإن أنكساغوراس الذي اشتغل أيضا بهذه المسئلة لم يقنع بإثبات أنه لا يوجد خلق بل أثبت فوق ذلك أن الموجودات تتحرك على سواء من غير أن

— ولماذا يستلزم — هذا ليس في مظهره الا تكريرا لما سبق . — يتوهمونه — صيغة النص صريحة جمع يمكن أن تعود على ميليسوس واكسينوفان وپرمينيد وزينون .

§ ٢٣ — يقول ميليسوس — وهنا أيضا ليس ميليسوس مذكورا بالامم . — بأن تتغير بالآين — تلك هي حركة الثقل . ولكن حركة الاستعالة يمكن أن تحصل من غير تغير في الآين . — هيزيود — ر . ماسبق . ب ١ ف ١٣ — في الخلق — وأحسن من هذا "في كون الأشياء" . — الماء الذي ظهر بادی الأمر — الماء لا يشتبه بالخلق . إنه ، اذا شئت ، عدم النظام ولكن الأشياء موجودة مادام تدخل العقل ضرور بالانظمة . — هذا هو ما يعنى بالخلق — هذا متنازع فيه جدا فان الماء لم يكن ليفهم قط على هذا المعنى .

§ ٢٤ — فان العالم يمكن أن يتحرك أيضا على السواء — أر "أن ذلك لا يمنع حصول الحركة" . — أنكساغوراس الذي اشتغل أيضا بهذه المسئلة — وفي رواية بعض المخطوطات "التي اشتغل بهذه المسئلة من قبله" . — أنه لا يوجد خلق — ر . الطيبة لأرسطوك ٤ ب ٨ ف ٣ ص ١٩٤ من ترجمتنا في حيث لا يظهر على أرسطو أنه قدر تقديرا حسنا نظريات أنكساغوراس على الخلق كما فعل هنا .



يكون الخلق ضروريا . § ٢٥ — وفي هذا المعنى عينه قال أمبيدقل إن الأشياء متى تم تركيبها تحركت طوال الزمان من غير أن يوجد ، على رآيه ، ما لا يفيد في " الكل " ولا أن يوجد خلق كذلك . وفي الحق من أين يمكن أن يحدث الخلق ؟ يقول أمبيدقل لأن الأشياء متى تركبت في صورة واحدة بطريقة أنها تؤلف الوحدة : " فلا شيء . يكون خلوا ولا شيء زائد "

أليس يمكن في الواقع أن الأشياء تتحرك بعضها في بعض وأن الكل يكون دائريا مادام أن الشيء يتغير إلى آخر وهذا الآخر إلى ثالث . وما دام أن شيئا بعينه يتغير دائما آخر الأمر إلى الأول ؟ .

§ ٢٦ — وفوق ذلك لا ينبغي نسيان تغير الصورة هذا الذي يغير الشيء ولو أنه يسبق في الحيز عينه ، تغير يسميه فلاسفة آخرون وميليسوس نفسه الاستعالة وإذا لا شيء مما قال يدفع أن هذا النوع من الحركة يوجد في الأشياء حينما تمر من الأبيض إلى الأسود أو من المثل إلى الخلو لأنه ليكن الخلو غير موجود وليكن المثل لا يمكن أن يقبل شيئا فذلك لا يمنع الاستعالة أن تكون ممكنة .

§ ٢٥ — متى تم تركيبها — بواسطة العشق على حسب أمبيدقل وتم إفراقها بعد ذلك بالتنافر . ر . الطبيعة لأرسطو ك ٨ ب ١ ف ٤ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . — طوال الزمان — ليس معنى ذلك أبديا ولكن المقصود هنا هو في مسافة من الزمن فيها السفيروس ينبط أو يتقبض في ذاته ( ر . تعليقات كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١ ف ١٠ ) . — يقول أمبيدقل — ر . قطع أمبيدقل البين ٩٤ و ٩٦ من القطع الفلسفية الإغريقية طبعة فيرمين ديدير . — في صورة واحدة — هذه عبارة النص بعينها . — فلا شيء يكون خلوا — البيت ليس مذكورا بتمامه في النص . — وأن الكل يكون دائريا — يظهر جليا أن هذا هو رأى أمبيدقل فان العشق والتنافر بفعلهما على التناوب يؤلفان تماما شكل دائرة .

§ ٢٦ — وميليسوس نفسه — وليس اسم ميليسوس مذكورا في هذه الفقرة أيضا . ر . ما سبق ب ١ ف ١٠ — الاستعالة — ر . في الطبيعة ما يختص بحركة الاستعالة ك ٣ ب ١ ف ٨ ص ٧١ من ترجمتنا وكذلك الكون والفساد ك ١ ب ٤ . — الاستعالة أن تكون ممكنة — حركة الاستعالة بما أنها تقع في الشيء ذاته لا حاجة لها بحيز جديد كحركة الثقل بل ولا كحركة النفس ذاتها .

§ ٢٧ — وبالتبع فلا ضرورة لأن كلا يكون أزليا وأن كلا يكون واحدا أو لأن "الكُلَّ" يكون لامتناهيا . ولا ضرورة أيضا لأن يوجد عدة لامتناهيات ولا وحدة مماثلة في كل مكان ولا وحدة غير متحركة سواء مع ذلك وجدت الوحدة أو الكثرة .

§ ٢٨ — ومتى سلم هذا لا يرى شيء في نظريات ميليسوس يدفع أن الموجودات تتغير ترتيبا وكيفا ما دامت الحركة هي هكذا في الوحدة التي تختلف حينئذ بالأكثر والأقل والتي تستجيب بطرائق شتى بدون أن ينضم إليها شيء أو اذا انضم إليها شيء فبدون أن يكون هذا الشيء جسما واذا كانت عدة أشياء هي التي تنضم فبدون ألا تريد على أن تخرج بعضها ببعض وتتفصل على التكافؤ .

§ ٢٩ — ولكن الاختلاط ليس فيما يظهر هو الجمع أو التركيب اللذين يتكلم عنهما ميليسوس واللذين بدونهما ربما تنزل الأشياء في الحال بل بدونهما لا تظهر الأشياء باستقلالها التام إلا بعد أن يباعد بين بعضها وبين البعض الآخر إذ هي

§ ٢٧ — وبالتبع — يظهر أن هذا هو ملخص الاعتراضات السابقة كلها ولكن النتيجة لا يظهر أنها لازمة . — كلا يكون أزليا — كما يزعم ميليسوس . وهذه الجملة التي هي محركة في أكثر الخطوات هي كما أزدوها الآن في خطوة ليبرز وكذلك في ترجمة غليبانو كما به إليه ملاحظ .

§ ٢٨ — في نظريات ميليسوس — بدلا من الاسم الظاهر ليس في النص إلا ضمير غير معين والظاهر أنه يكفى فيولحكة الاستحالة ليهدم دفعة واحدة مذهب ميليسوس في وحدة الوجود ولا تحركة . — ترتيبا وكيفا — عبارة النص بالضبط "أن تكون الموجودات مرتبة على وجه آخر ولا تكون مستعيلة" . — بالأكثر والأقل — مثال ذلك أن تكون أكثر أو أقل بياضا ، أكثر أو أقل سوادا لأن الكلام هنا هو بصدد استحالة بسيطة وليس مقصودا غيرها حتى ولا النمو . — فبدون أن يكون هذا الشيء جسما — والواقع أن في الاستحالة ليست هنا إضافة ما من أي نوع كان . فان الاستحالة تقع بحركة للوجود داخلية بحتة . — أن تخرج بعضها ببعض — كما يمكن الكياف أن تختلط وأن تنفصل على التكافؤ في موجود واحد أحدهما .

§ ٢٩ — اللذين يتكلم بهما ميليسوس — الملاحظة هنا هي كالملاحظة السابقة فيما يتعلق بذكر اسم ميليسوس الذي لم يذكر اسمه هنا أيضا . والظاهر أن العبارتين المذكورتين في هذا الموضع من خصائص لفظة ميليسوس الفلسفية . — بدونهما — جملة النص فيها من التحير والتردد ما في الترجمة وهالكه شرعا يمكن

تحتاج، في حين أنه يلزم لوجود اختلاط حقيقي أن كل أجزاء الشيء المختلط تكون بحيث لا يمكن حل تركيبها بحد. لكن بشرط أن كل واحد من الأجزاء المخلوطة يكون على وفاق تام مع مجموع الخليط لأنه بما أنه لا يوجد جواهر فردة فينتج من ذلك أن كل جزء هو مختلط مع كل جزء كيفما اتفق مشابه مطلقا لكل .

أن ينير الفكرة : " لا يلهم ميليسوس حق الفهم ما هو الاختلاط اذ يسميه جمعا وتركيبا . وهو يظن أنه في الخلوط يمكن عند الإرادة عزل الأشياء من جديد في الحال أو حل الأكل عزها تماما بعد تنقية بها يظهر كل واحد منها على الحالة الخاصة به . وليس الاختلاط هو ذلك أبدا . ولأجل أن يكون حقيقيا يلزم أن تكون الأجزاء فيه مركبة تماما بحيث لا يمكن حل ذلك التركيب وأن كل جزء يكون مشابها مطلقا لكل الذي هو منه . لا يوجد جواهر فردة ومن ثم كل جزء من الخليط هو بالضرورة مشابه لكل الذي هو منه جزء كيفما اتفق " .  
 — لوجود اختلاط حقيق — ر . على نظرية الاختلاط ما سبق في كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١٠ .  
 — بما أنه لا يوجد جواهر فردة — قد أبطل دائما أرسطو مذهب الجزء الذي لا يميزا لديمقريطس . ر .  
 الطبيعة المرجع المذكور قبلا .

## مذاهب إكسينوفان

### الباب الثالث

نظرية إكسينوفان في حق الله — الأزلية — القدرة — أحدية الله — يجب أن يتصور كأنه فلك —  
الله منزّه عن الحركة والسكون ومنزّه عن أن يكون متاهيا ولا لا متاهيا .

§ ١ — هو يقول إن يوجد من شيء فمحال أن هذا الشيء كان مخلوقا مطبقا  
هذا في حق الله ما دام أنه يلزم بالضرورة أن كل ما هو كائن يتكوّن من الشبيه  
أو من اللاشبيه . وكلا الأمرين غير ممكن ، فإنه بادئ بدء ليس تولد الشبيه من  
الشبيه أولى من أن يلد الشبيه نفسه لأن هذا يخالف التضاييف المتكافئ الذي  
بين المتساوين والأشياء . وثانيا ليس من الممكن أن غير الشبيه يخرج من غير  
الشبيه ، فإذا كان ، في الحق ، الأقوى يخرج من الأضعف وإذا كان الأكبر يأتي  
من الأصغر والأحسن من الأقيح أو بالعكس الأقيح من الأحسن فيكون حينئذ  
الموجود يأتي من اللاموجود وهذا محال قطعاً . § ٢ — إذا يلزم أن يستتج من  
كل هذا أن الله أزلي . إذا كان الله هو سيد الموجودات فيلزم ، على رأى إكسينوفان ،

§ ب ٣ — مذاهب إكسينوفان — لا ريب في صحة هذا العنوان فإن أربعة المخطوطات مخطوطة سان مارك  
ومخطوطة الفاتيكان ومخطوطة أوربين ومخطوطة باريس تذكره بعبارة الوضوح . وبعض مخطوطات  
أرى فيها هذا العنوان الخطأ : "في زينون" . وأن بحث النظريات مثبت قطعاً أن الكلام إنما هو بصدده  
إكسينوفان ر . ما سبق في "التحقيق" .

§ ١ — هو يقول — ليس إكسينوفان المذكور بالاسم هنا كما كان الأمر في ميليسوس ر .  
ما سبق ب ١ ف ١ . ولم أشأ أن أذكر اسمه في الجملة الأولى من هذه الرسالة ولكني سأفعل فيما بعد حتى تكون  
الفكرة أشد جلاء . — إن يوجد من شيء — هذا الشك ، فيما يرى «برنديس» ، مضاد لأراء إكسينوفان  
" (commentationes Eleadicarum) " ص ٢٧ ف ١ فهو يرى خطأ أن بداية هذا الباب تكرير  
لبداية الباب الأول على ميليسوس . — مطبقاً هذا في حق الله — لا على العالم كما يفعل ميليسوس فيما  
يظهر . — تولد ... يلد — هذا التكرير هو في النص . — بين المتساوين — بالكلم . — والأشياء —  
بالكيف . — وثانياً — أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان .

§ ٢ — أن الله أزلي — إن اسم الأزل هو الاسم الخاص لله في كثير من الأحوال فإن الله هو  
الموجود بذاته الذي كان موجوداً دائماً كأنه يوجد دائماً . جاء في التوراة "أنا الموجود" . وإن فكرة إكسينوفان



أن يكون أيضا أحدا لأنه لو كان فيه اثنان أو عدة فمن ثم لا يكون إذا سيد جميع الموجودات ولا أكبرها مادام من ثم أن كل واحد من هذه الموجودات المتكثرة قد يكون مطلقا مشابها له تماما . إن ما يحقق الله في الواقع والقدرة الإلهية إنما هو أن يتسلط على وجه السيادة ولا يكون مسلطا عليه . أن يكون سيد الجميع وأقدرهم . وبالنتيجة مادام أنه ليس الأقدر فإنه يفقد بنسبة ذلك شيئا من ألوهيته . وإن كانوا عدة وكان بعضهم أعلى أو أدنى من الآخرين من بعض الوجوه فأولئك ليسوا آلهة بعد . لأن ماهية الإله ألا يعلو عليه أحد . وإن كانوا عدة متساوين فمن ثم ليس هذا بعد طبع الإله الذي هو أن يكون الأحسن لأن المساوى ليس بالبداهة أقبح ولا أحسن من مساويه .

§ ٣ — ولما كان الله هو حيث ذكر آنفا لزم ضرورة أن يكون واحدا وإلا لا يمكن أن ينفذ كل ما يشاء . لا يمكنه ذلك مادام فيه آلهة أخرى . فيلزم حينئذ أن يكون أحدا § ٤ — ولأنه أحد فهو مشابه لذاته على الإطلاق . يرى من كل جهة ويسمع من كل جهة وعنده جميع الجهات على مقياس واحد . وإلا لزم أن بعض أجزاء الإله تكون حاكمة ومحكومة على التناوب . وهذا ممتنع بين الامتناع .

هي ها هنا تلك الفكرة بعينها . — على رأي إكسينوفان — لم يذكر النص اسم إكسينوفان وليس هنا الاسم إشارة غير معينة . ر . ما سبق ف ١ . — أكبرها — عبارة النص بالضغط « أحسنها » . ويلزم أن يلاحظ أن تدليل إكسينوفان هذا متين منانة وجل جلاء . وقد تغلب بضمور من مذاهب سقراط وأفلاطون ويجب الاعتقاد بأنه رشح لتلك المذاهب . وكثيرا ما اتهم إكسينوفان بالشرك ولكن هذا الشرك لا أثر له هنا . وإذا كان الله مدججا في العالم فلا محل للقول بأنه المول والفادر على كل شيء . — لأن ماهية الإله — كما يستطیع عقل الإنسان أن يفهمها .

§ ٣ — لزم ضرورة أن يكون واحدا — الأدلة اللاحقة ليست أقل في قوتها من السابقة . فإن قدرة الله الكاملة تستتبع وحدانيته . وإن الذي حصل هنا هو فكرة إكسينوفان دون عبارته . وقد حاول ملاحظ أن يقوم الأبيات في هذا الموطن وقد قوم ثلاثة منها ولم يذكرها طبعا في قطع إكسينوفان .

§ ٤ — يرى من كل جهة — كان يمكن المؤلف أن يذكر بيت إكسينوفان بنصه الذي حفظه لنا أيضا « سكسنوس أمير يكوس » " Adversus mathematicos physicos ... " ك ٩ ف ١٦٤ ص ٥٩٦ طبعة ١٨٤٢ ينقد سكسنوس أمير يكوس وصف الإله هذا ويرى أنه لا ينبغي أن يستلزم إليه إلا حاسة واحدة البصر مثلا .

٦٤ — ولما كان الله متشابها لذاته مطلقا ومن كل وجه لزم أن يكون فليكا لأنه ليس كذلك في جزء بينه دون أن يكونه في أي جزء آخر لكنه كذلك في جميع الأجزاء بلا استثناء .

٦٥ — وما دام الله أزليا أحدا فليكا فينتج منه أنه لا يمكن أن يكون لا متناها ولا أن يكون متناها . فإما اللا موجود هو اللامتناهي مادام ليس له أول ولا وسط ولا آخر ولا أي جزء آخر . وهذا هو اللامتناهي . ولكن الموجود ليس كاللا . وجود والموجودات ما دامت متكررة فأنها يحد بعضها بعضا على التبادل . فالأحد لا يمكن أن يشبه لا باللا موجود ولا بالموجودات المتكررة ما دام الأحد لا يحد شيء .

٦٦ — الأحد — الذي إكسبنوفان يسميه الله — لما كان كذلك لا يمكن أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركا . فإن اللا موجود هو في الحلق لا متحرك لأنه لا موجود يأتي فيه ولا هو يمكن أن يذهب في موجود آخر . ولا حركة إلا متى كانت

٦٧ — أن يكون فليكا — تلك هي استعارة جاء بها إكسبنوفان بعد أن عاب هو نفسه الصور الباطلة التي بها يحاول الضعف الافتراضي أن يتشبها بالله . الله هو الفلك الذي مركزه هو كل مكان والذي يحيطه ليس في أي مكان . أفكار باسكال طيبة م . ي . هافيت ص ٣ سنة ١٨٥٢ . — بلا استثناء . — قد أضقت هذا القيد . ويذكر ملاحظ بحق بفقرة مشابهة هذه تماما في كتاب السماء ك ١ ب ١ ف ٥ ص ٥ من ترجمتها .

٦٨ — لا متناها ..... متناها — يظهر على الضد أن معنى اللانهاية يمتثل تماما مع معنى الله فإن الأزل معناه غير المتناهي في الزمان . والقدير معناه غير المتناهي في القدرة الخ . — فإما اللا موجود هو اللامتناهي — إنما يكون مجرد سوء الاستعمال للالفاظ أن يخلط بين اللا موجود واللامتناهي فإن اللا موجود ليس إلا اللامتحن . وفي اللغة اليونانية المعنيان متجانسان في كلمة واحدة . — ولا أي جزء آخر — كل هذا هو من البهامة يمكن ما دام أن اللا موجود غير موجود . — يحد بعضها بعضا على التبادل — أردهم متناهي . بعضها بالنسبة لبعض الآخر . — فالأحد لا يمكن أن يشبه — الا بنفسه . إنه الموجود ما دام أنه الكل وليس هو في الكثرة ما دام أنه الوحدة حينها .

٦٩ — الذي إكسبنوفان يسميه الله — ليس إكسبنوفان مذكورا هنا كما أنه ليس مذكورا في الفقرة الأولى . وقد يكون هذا الرأي هو سبب اتهام إكسبنوفان بالشرك . لكن الله يمكن أن يكون أحدا مع تميزه عن العالم . — أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركا — في الواقع أن من الصير تصور أن الله لا متحرك كما هو من الصير أن يتصور في حركة . أما عند أرسطو فأنه المتحرك غير المتحرك الذي يعطى الحركة الطبيعية بأسرها التي يجذبها إليه وهو ياق هو نفسه في سكون أبدى غير متجزئ . ليس له أجزاء . لا جسماني الخ

الموجودات أكثر من واحد لأن من الضروري للحركة أن واحدا يتحرك في الآخر. ولا يمكن أن يتحرك شيء في الوجود ما دام أن الوجود لا يوجد مطلقا في أية جهة . وإذا كانت الأشياء تتغير بعضها الى بعض فينبغي أن يكون الوجود أكثر من واحد .

٨٩ — فانظر كيف يزعم إكسينوفان أنه يلزم شيان على الأقل أو أكثر من واحد لكي توجد الحركة ، وأن اللاشيء هو في سكون ولا متحرك ، وأن الواحد على ضده ذلك لا يمكن أن يكون في سكون ولا أن يكون في حركة لأنه لا يشبه الوجود ولا الموجودات المتكثرة .

٩٥ — ومن كل هذه الوجوه فهذا — على رأي إكسينوفان — هو الله أزلي أحد متشابه من كل جهة وفلكي لا لا متناه ولا متناه لا هو في سكون ولا هو في حركة .

د ك ٨ من الطبيعة الباب الأخير وما بعد الطبيعة ك ١٢ ب . وراجع أيضا قطع إكسينوفان المقطعة الرابعة التي حفظها "مبليسوس" ر "تفسير الطبيعة لأرسطو" الورقة ٩ Fragmenta philosophorum grecorum طبعة فيرمين ديديرس ١٠١ . — فان اللا موجود هو في الحق لا متحرك — هذا هو تابع لنظريات إكسينوفان كما يدل عليه صوغ الجملة الإفرقية . — لأنه لا وجود يأتي فيه — ما دام أن اللا موجود هو غير موجود . — ولا حركة — عبارة النص ليست على هذا القدر من الضبط . — لأن من الضروري للحركة — أضفت هذه الكلمات إذ يظهر أنها ضرورية . — في اللا موجود — عبارة النص بالضبط "نحو اللا موجود" ، وهو ما يظهر في قليل الضبط .

٨٩ — فانظر كيف يزعم إكسينوفان — عبارة النص غير معينة وليس هنا اسم إشارة ولكن صوغ الجملة بصيغة الحال يستتبع أن العبارة هي تحصيل فكرة إكسينوفان . — على الأقل — أضفت هاتين الكلمتين . — اللاشيء — هذا هو لفظ النص بعينه . — لأنه لا يشبه... — قد يكون الدليل غير قوي فيما يظهر بل يمكن أن يملأ الموجودات الى اللانهاية من غير أن يشبهها بوجه ما .

٩٥ — على رأي إكسينوفان — الملاحظة عنها التي أبدت في الفقرة السابقة . فان إكسينوفان لم يسم هنا أيضا ولكن لا شك في أن الأمر بهدده .



## الباب الرابع

إبطال نظريات إكسينوفان — استشهاد من ميليسوس — كيف يلزم أن يعنى بقدرة الله — الله ليس ملكيا — إنه لا متناه — وحدانية الله ليست متنافية لكونه متناها — في غنى الحركة من الله — في الحركة التي يمكن تصورهما في حق الله — استشهاد من زينون .

١ ٤ — ننبه تنبيها أقلا ، وهو أن إكسينوفان كيليسوس يفترض أن كل ما يولد ويصير يتولد من الموجود . ومع ذلك لماذا يمنع من أن ما يولد لا يولد لا من الشبيه ولا من اللاشبيه بل يولد من اللاموجود ؟ ولكن الله ليس لا مخلوقا أكثر من الباقي إذا كانت كل الأشياء آتية من الشبيه أو من اللاشبيه . ذلك هو ما لا يمكن . وبالنسبة إما أنه لا شيء خارج عن الله وإما أن يكون سائر الأشياء هي أيضا أزلية . ٢ ٤ — ولكن إكسينوفان يقبل فوق ذلك أن الله هو المولى . يريد بذلك أن يقول إنه الأكدر والأحسن . ليس هذا ما يعتقد العامة وإتهم ليقبلون أن الآلهة في كثير من الأشياء أصل بعضها من بعض . هل ذلك لم يستعرا إكسينوفان هذا الرأي الجريء من إجماع العامة . ولكن متى قبيل إن الله هو القادر على كل

١ ٥ — كيليسوس — هاهنا ميليسوس مذكور بالاسم وهذا دليل آخر على أن الجزء الأول من هذه الرسالة خاص به . ما سبق ب ١ ف ١ والتحقق . — يفترض — عبارة النص هي على هذا المقدر من القوة . — يولد ويصير — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ولا من اللاشبيه — هذه الكلمات التي ليست في المخطوطات قد وضعها ملاح تبحرا لترجمة فيليسيانو . — ولكن الله ليس لا مخلوقا — يظهر أن هذا هو رد من أرسطو على مذهب إكسينوفان . ولكن من الجائر أيضا أن يكون ردا من إكسينوفان متوجها للنظريات المضادة لنظرياته . — لا شيء خارج عن الله — هذا الرأي هو من الآراء التي يمكن أنها سببت اتهام إكسينوفان بالشرك . "خارج عن الله" هي رواية مخطوطة ليبرز وقد كانت موجودة في ترجمة فيليسيانو كما نبه إليه ملاح بحق .

٢ ٤ — إكسينوفان يقبل — كذلك ليس هنا اسم إكسينوفان أيضا . — ما يعتقد العامة — أو "ما يجب أن يكون معتقدا طبقا للقانون" . — أصل بعضها من بعض — كذلك الآلهة "مارس" هو أشد الآلهة حربا وأجملهم "زهرة" أجمل الآلهات و"ميرزة" أحكمهم و"أهلارن" أعلمهم ... الخ . — لم يستعرا إكسينوفان — لم يذكر هنا أيضا اسم إكسينوفان ولكن هذا مدح جميل للذهب وللنعت . فانه كان ضد الآراء الشائعة في زمانه .



شيء فليس معناه أن هذا هو طبع الله بالنسبة لواحد آخر بل هذا هو شأنه الخاص بالنسبة لذاته . أما في علاقته مع الغير فمن الجائز تماما أن الله لا يقدر عليه بعلوه وقوته التي ليس لها من شبه بل بضعف الأغيار . وإنه لا أحد يعنى على هذا الوجه قدرة الله بل يفهم الناس أن الله له بذاته كل ما يوجد من الأحسن وأنه متزه عن النقص أيا كان ، وأن له كل ما هو طيب وجميل . وهذه الكلمات كلها فله أيضا كمال القدرة الكاملة .

§ ٣ — حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم بوجود آلهة متعددة موصوفة بالصفات عينها جامعة بين أكبر الكلمات الممكنة مادام أنها أكبر قدرة من سائر الموجودات دون أن يكون بعضها أقوى من البعض الآخر ولكنه يوجد أيضا على ما يظهر موجودات أخرى غيره . § ٤ — في الحق هو يزعم أن الله هو القدير ، ويلزم ضرورة أن يكون أقدر من بعض الموجودات . ولكن بهذا السبب وهو أن الله هو الأحد لا يليق أن يقال إنه يبصر من كل ناحية ويسمع من كل ناحية لأنه ليس لأنه قد لا يبصر من الجزء الفلاني أو الفلاني أنه لا يحسن البصر بل فقط أنه

— بالنسبة لواحد آخر — كل هذا التذليل غاية في التعقيد يعطى فكرة سامية عن عبقرية إكسبنوفان .  
— التي ليس لها من شبه — أضفت هذه الكلمات . — فله أيضا كمال القدرة الكاملة — ليس النص على هذا القدر من الضبط . فإن عبارته فيها ما فيها من الإبهام . ولكن المعنى لا ريب فيه .  
§ ٣ — حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم — هذه هي بالتقريب كل الكلمة هو ميروس ولو أن آلهة ذلك الشاعر بينها بعض التبعية فإن المشتري هو الأكبر والأقوى بينهم جميعا . — موجودات أخرى غيره — أو "موجودات أخرى غيرهم" وقد أثرت تلقاء تردد النص أن أربعم الضمير إلى الله عوضا عن الآلهة .

§ ٤ — هو يزعم — حافظت على صيغة النص عوضا عن أن أكرر اسم إكسبنوفان . — من بعض الموجودات — هذا هو إصلاح من عند ملاحظ وهذا الإصلاح ضروري ، فيها يظهر ، ولو أنه لا يجبره أية مخطوطة . ولكن فليس ياتوني ترجمته كان لديه ، راية من هذا التيهل فيها يظهر . — أن الله هو الأحد — كما يدعي إكسبنوفان . — من الجزء الفلاني أو الفلاني — ليس النص على هذا القدر من الضبط .

لا يصير من ذلك الجزء بعينه . بل ربما أيضا حينما يقرر أن الله يحس من كل جهة كان معنى ذلك بالبساطة أنه بهذه الطريقة يكون أيضا أكل ما دام أنه متشابه في جميع أجزائه

٥ - إذا كان الأمر كما قرر آنفا فلماذا يعطى صورة فلك ؟ لماذا لا يكون أولى به شكل آخر مادام أنه يسمع من كل جهة ويرى من كل جهة ؟ لأنه كما أننا حين نقول إن الإسبيداج أبيض في كل نواحيه لا نريد أن نعني شيئا آخر إلا أن يكون البياض منتشرا في جميع أجزائه ، كذلك ما الذي يمنع حينما يقال إن الله يرى ويسمع ويتسلط من كل مكان أن يفهم أن أى جزء من الله كيفما اتفق له دائما هذه الصفات ؟ ولا يلزم لذلك بعد أن يكون الله فليكما كما لا يلزم أن يكونه الإسبيداج .

٦ - وفوق ذلك كيف يمكن أن الله من حيث هو جسم ومن حيث إن له عظما لا يكون متناهيا ولا لا متناهيا ما دام اللامتناهي إنما يقع على ما ليس له حد مع

— متشابه في جميع أجزائه — لا شك في أن إكسينوفان يريد أن يقول بالبساطة إن الله شاهد في كل مكان .

٥ - كما قرر آنفا — على حسب نظرية إكسينوفان . — صورة فلك — هذا في الحق مذهب مضاد لآراء الفيلسوف الذي يعيب الصفات والصور التي يستلزمها المعاني إلى الآلهة . ذلك هو أيضا دليل الشبه بالمقول كذهب التشبيه المعروف . — يسمع من كل جهة — الفلك هو الوحدة وهذا التصوير لا يتفق ومعنى أن الله لا متناه . — إن الإسبيداج أبيض في كل نواحيه — هذا التشبيه بالإسبيداج ليس مقادرا ، يظهر عليه نوع من الشطط . — أى جزء من الله كيفما اتفق — هذه النظريات ينبغي أن تظهر أشد ارتقاء من الزمان الذي كان يقررها فيه إكسينوفان . ولا يمكن الشك في أنها نظريات مع الشهادات التي نقلها لنا الزمن القديم أجمع . — أن يكونه الإسبيداج — راجع ملاحظتنا على التشبيه بالإسبيداج . ومع ذلك فإن الفكرة صحيحة في موضوعها ولو كان في شكلها شيء من الشذوذ .

٦ - وفوق ذلك — رد جديد من المؤلف على نظريات إكسينوفان . — متناهيا ولا لا متناهيا — هذا في الحق من المحال على عقليا أنه يفهم الله إلا على جهة اللامتناهي . — ما ليس له حد — هذا حق ولكن ما سبيل ليس كذلك حقا فإن ما هو قابل لأن يكون له حدود لا يمكن أن يكون أبدا لا متناهيا

قابليته لأن يكون له حد؟ فإن الحد يجب أن يقع على العظم وعلى العدد وعلى كل كمية أيا كانت بحيث إن عظمها لا حد له هو يسمى لا متناهيا . § ٧ - متى جعل الله فليكا فن الضروري أن يكون له حد لأن له نهايات ما دام أن له مركزا على أبعد مسافة ممكنة من الحد . وإذا لا بد له من مركز ما دام فليكا؛ إذ أنه يعني بفلكي ما له مركز على مسافة متساوية من النهايات . ولا فرق بين أن يقال إن للجسم حدا وإن له نهايات .

§ ٨ - إذا كان الالموجود لامتناهيا فلم لا يكون الموجود لامتناهيا كذلك؟ ما المانع أن يكون للموجود ولالموجود بعض كيف مشتركة ومثالة؟ فإنه لا يمكن فعلا أن يحس الالموجود . وكيف يحس ما ليس موجودا . وكذلك يمكن تماما ألا يحس فعلا ما هو موجود . يمكن قول الاثنين معا وتصورهما معا . الالموجود ليس أبيض ولكن هل ينتج من ذلك وجوب القول بأن كل الموجودات بيض

حتى ولو لم يكن له حد . وهذا ليس إلا الالمحدد واللامبين . — عظمها لا حد له هو يسمى لا متناهيا — وربما كان الأول أن يقال "كا" وحينئذ يكون التعبير أم .

§ ٧ - متى جعل الله فليكا — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — فن الضروري أن يكون له حد — هذا يناقض فكرة لانهاية الله ، والرد شديد القوة . — إذ أنه يعني بفلكي — هذا في الواقع هو تعريف الفلك كما هو تعريف الدائرة على السواء بفارق واحد هو ما بين الجسم وبين السطح . — حدا ... نهايات — هذا التماثل موجود في اللغة الفرنسية كما هو في اللغة الإغريقية لأنه في ذهن دون أن يكون في اللفظ فقط .

§ ٨ - إذا كان الالموجود لامتناهيا — هذه الرواية هي التي كانت متدفليسيانو كاتدل عليه ترجمته وهي الوحيدة التي يمكن قبولها بالنظر الى سياق النص وإن كانت لا توجد في المخطوطات . — بعض كيف — "أرحالات" عبارة النص غير محيرة . — يحس ما ليس موجودا — ظننت وأجبا على أن أضيف هذه الجملة . فإن هذا التكرير ليس في النص . — الاثنين — الذين يطبقان على السواء على الموجود وعلى الالموجود . وفي الحق أن ما لا يحس وما لا يدرك بوجه ما هو بالنسبة لنا كأنه لا موجود ولو كان موجودا . إنه بالنسبة لنا هو الالموجود ولو لم يكن في الواقع . — وجوب القول — ليس النص على هذا القدر من السمة .



حتى لا يسند شيء واحد الى الموجود والى الالموجود ؟ أولا يمكن أن يوجد بين الموجودات واحد لا يكون أبهى ؟ وإذا كان الأمر هكذا على تقيض القاعدة النتيجة أن الموجود لا يفحص في أن يكون له أكثر منه في ألا يكون له فاللا متناهي قد يقبل أيضا سلبا ثانيا . وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لا متناهي أو أن يكون له حد .

§ ٩ — ولكن ربما يكون من غير المعقول أن تلزم اللانهاية بالالموجود . فانه لا يمكن أن يقال على كل شيء إنه لا متناه لا شيء إلا لأنه ليس له حد ، كما أنه لا يقال مثلا على الالموجود إنه غير متساو . § ١٠ — ولكن بما أن الله واحد فلماذا لا يكون له حد ؟ لاشك في ذلك ولكن لا يمكن أن يكون له حد تلقاء إله آخر . اذا كان الله واحدا كله فيلزم أن تكون جميع أجزاء الله لا تكون

— لا يكون أبهى — كما أن الالموجود لا يكون كذلك . — سلبا ثانيا — ليس المعنى بين الظهور لأن اللانهاية ليس هو ذاته سلبا فانه لا سلب إلا في الالموجود واللامعني . وقد يمكن التذليل من جهات نظر شتى على أن اللانهاية أقوى وجودا من المتناهي أو بالأول هو الموجود الحقيقي الوحيد . من هذا ترى كيف أن الله هو لا متناه من أى ناحية يعتبره عقلنا الضعيف سواء في الزمان وفي المكان وفي القدرة وفي العدل وفي الرحمة... الخ . — القاعدة النتيجة — لا أعرف مؤلفا آخر قد ذكر هذه القاعدة . وربما كان لهذا المعنى آخر غير المعنى الذي اخترته وقد يعنى به بالبساطة "على ضد ما ذكرنا" . وكنت أختار هذا المعنى اذا كانت هذه العبارة كرت ولو بجهتها فما تقدم . ولكني لا أراها جلية فيه . — وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لا متناهي . — لا يظهر أن هذه النتيجة لازمة ولكن الفكرة صادقة . فانما الموجود في الواقع هو اللانهاية ، في حين أن الالموجود لا يمكن أن يسمى بهذا الاسم إلا بالنسبة لوجود الذي هو سلب له .

§ ٩ — أن تلزم — يظهر لي أن هذا النوع من الابتداء موجود أيضا في النص . — اللانهاية — والأحسن : "معنى اللانهاية" . — لا شيء إلا لأنه ليس له حد — بين أن الفرق كبير جدا بين اللانهاية واللامحدود . — مثلا — أضفت هذه الكلمة .

§ ١٠ — لاشك في ذلك ولكن لا يمكن أن يكون له حد . — ليست عبارة النص على هذا المقدار من البيان ولكن الفكرة بيّنة فيها يظهر ولو أن المخطوطات ليست متفقة الرواية . — تلقاء إله آخر — عبارة النص "تلقاء إله" ومع ذلك فان كل هذا الموضع قد أصلح تبعا لما أرنأى "براندز" وتبرره ترجمة فيليبسانو .



أيضا إلا وحدة محضة . لأنه لا يفهم ، إذا كانت الأشياء المتكثرة يحد بعضها بعضها بالتبادل ، أنه يلزم على ذلك أن الأحد يكون لا حده له . لأن الكثرة والوحدة لهما مدة محولات متشابهة تماما والموجود مشترك بين أحدهما وبين الأخرى . فقد يكون من الغريب أن يذهب الى إنكار وجود الله ، ما دام وجود الكثرة أمرا مسلما ، حتى لا يشبه الله الأشياء في هذا المعنى .

§ ١١ — لماذا الله مع كونه واحدا لا يكون متناهيا ولا يكون له حدود ، كما يقوله برميليد وهو يعترف لله بالوحدانية حين يشبهه

« بالفلك المستدير تماما والمتساوي في جميع النقط

ابتداء من المركز ... »

في الواقع أن شيئا يمكن أن يكون له بالضرورة حد من غير أن يكون ذلك بالإضافة الى شيء ما . كما أنه ليس من الضروري أن ما له حد يكون له حد إضافي كالمتناهي بالنسبة لغير المتناهي الذي يليه . أن يكون متناهيا إنما هو أن يكون له نهايات ، ولكن ما له نهايات ليست له بالضرورة بالنسبة الى شيء ما . بل يوجد بعض أشياء تكون معا متناهية وملازمة شيئا ما ، ولكن من الأشياء أيضا ما هي متناهية وليست كذلك بالإضافة الى شيء ما .

— وحدة محضة — في هذا ما في الملاحظة السابقة . — الأحد يكون لا حده له — ليس هاهنا رواية أخرى ولكن الفكرة ليست جلية اليان ولو أن العبارة ذاتها جلية . فإن الموجود مفهوما على جهة الوحدة التي تشمل الكل هو بالضرورة لا متناه . — الكثرة والوحدة — ز . ما سبق ب ٨ حيث الموجود واللا موجود مقارنة أيضا في هذا المعنى . — وجود الله ... وجود الكثرة — هذا التكرار هو في النص . — في هذا المعنى — عبارة النص هي كذلك مبينة . والتناقض المشار اليه هاهنا قد تكرر في نظريات الإسكندر بن وقد ذهبوا فيه الى حد إنكار الوجود على الأحد كما كانوا يتصورونه مع إيمانهم الوجود للأشياء الجزئية .

§ ١١ — كما يقوله برميليد — هذه اللمحة قد ذكره أرسطو بجزءه في الطبيعة ك ٢ ب ٩ ف ٤ ص ١٢٦ من ترجمتنا ر . أيضا مقطوعات برميليد الهمتين ١٠٣ ر ١٠٤ طبة لهرمين ديدو . — ابتداء من المركز — أو "من مركزه" هذا هو تعريف الفلك كما تعطيه الهندسة . — من غير أن يكون ذلك بالإضافة الى شيء ما — الظاهر على ضوء ذلك أن معنى الحدة يمنع ضرورة معنى الاضافة . — حد إضافي — أو بالإضافة الى شيء ما . — علامة شيئا ما — هذا هو معنى المتناهي بعبارة . — وليست كذلك بالإضافة الى شيء ما — كان ينبغي أن يذكر المؤلف هذه الأشياء على نحو أضبط من هذا .

١٢٩ — ومن جهة نظر أخرى القول بأن الوجود والأحد ليسا لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك بحجة أن الوجود لا يتحرك إنما هو قول من الغرابة بمكان ما سبقه على الأقل . إنه لا تماثل قطعاً ، كما قد يمكن أن يظن ، بين أن يقال إن شيئاً لا يتحرك وبين أن يقال إنه لا متحرك . فمن جهة إنما هذا هو سلب للحركة على جهة ما يقال على شيء إنه لا يكون مساوياً ، وهذا يمكن أن يصدق حتى على الوجود ، في حين أنه من جهة أخرى يقال على شيء إنه لا متحرك لأنه فعلاً على حال ما ، كما أنه يقال على شيء إنه لا مساو ، فهنا السكون هو ضد الحركة كما أن على العموم جميع السلوب المكونة من همزة الإزالة تنطبق على أضداد . حتى أن يقال على الوجود إنه لا يتحرك ولكنه ليس حقاً أن يقال على الوجود إنه في سكون . كما أنه لا ينبغي أن يقال إنه لا متحرك وهذا ماله المدلول بعينه . ولكن إكسينوفان يستعمل في حق الوجود لفظ السكون ويقول إن الوجود هو في سكون لأنه لا قلة له .

١٢٩ — ليس لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك — ر . ما سبق ب ٢ ف ٧ وربما كان يلزم وضع صيغة المفرد موضع صيغة المتنى فان الوجود والواحد متعديان كلاهما . — إن شيئاً لا يتحرك وبين أن يقال إنه لا متحرك — في اللغة العادية لا يفرق بين هذين التعبيرين . ولكنه يمكن أيضاً تمييزهما كما قد كان ما هنا . ففى يقال هل شيء . إنه لا يتحرك فذلك بأن في طبيعته إمكان التحرك ومتى يقال على منه ذلك : إنه لا متحرك فذلك بما أنه ممنوع الحركة على الإطلاق . — وهذا يمكن أن يصدق حتى على الوجود — ولو أن الوجود يكونه لا شيئاً يمكن أن يوصف بكل كيف أو أن يسلب كل كيف على السواء . — لأنه فعلاً على حال ما — العبارة مبهمه ولم أشأ أن أحدها . — كما أن على العموم جميع السلوب المكونة — ربما لم يكن هذا إلا تديلاً أضافه بعض المحسرين . — إنه لا يتحرك — معنى أنه دائماً ينبغي أن يتكلم على الوجود بالصيغة السلبية . ومتى يقال على الضد من ذلك " موجود ساكن " و " موجود لا متحرك " فذلك إيجابيات لا يحتملها الوجود . وكل ذلك غامض دقيق . — وهذا ماله المدلول بعينه — باعتبار أن لا فرق إلا في شكل العبارة بعض الشيء . — إكسينوفان — عبارة النص هي " هذا " ر . ب ٣ ف ١٠ ب ١٠

١٣٩ — وكما قلنا آنفا قد يكون من الخطأ الجزم — لا شيء سوى أن محولا يصلح حمله على المعلوم — بأن هذا القول لا يكون صالحا بعد الحمل على الموجود خصوصا إذا كانت الكلمة التي تستعمل لذلك ليست إلا سلبا نحو قولهم : لا يتحرك ولا ينتقل ؛ فإني أكرر أن كثيرا من المحمولات ما يجوز حمله أيضا على الموجودات لأنه يوجد أشياء كثيرة لا يصدق عليها القول بأنها ليست آحادا بحجة أن المعلوم ليس واحدا . ثم إنه يوجد أشياء فيها السلوب بعينها تنتج الأضداد فيما يظهر . فمثلا من الضروري أن يوجد إما مساواة وإما لا مساواة ما دام هناك كم ؛ وأنه كذلك يوجد إما زوج وإما فرد ما دام هناك عدد . وكذلك أيضا يلزم أن يوجد إما حركة وإما سكون ما دام هناك جسم .

١٤٥ — غير أنه إذا قيل إن الله والأحد لا يتحرك البتة لأن الأشياء المتحركة تتحرك بعضها نحو البعض الآخر، فما الذي يمنع أيضا أن الله يتحرك بأن يسمى نحو شيء آخر؟ هذا قطعاً ليس لأنه ليس إلا الله بل لأنه لا واحد أحد إلا الله . وإذا لم

١٣٩ — وكما قلنا آنفا — ر . ما سبق ف ٨ و ف ١٢ — ليست إلا سلباً — سلباً بالنتيجة علالة باللاموجود أكثر منها بالموجود . — أكرر — ر . ما سبق ف ٨ و ف ١٢ — أيضاً على الموجودات — التي يمكن حملها على اللاموجود . — ليست آحاداً — أي لا تكون وحدة . وكل الأشياء الشخصية هي في هذه الحالة . — تنتج الأضداد فيما يظهر — قد كان ينبغي أن يقال : «الأضداد أحياناً» كما يظهر أن ذلك ينتج من الأمثلة المضروبة . — إما حركة وإما سكون — هذه النتيجة ليست أقل ضرورة من الاثنين الآخرين . غير أن المقابلة الصريحة لا توجد إلا في المثل الأول حيث المساواة واللامساواة معبر عنها بكلمتين أصلهما واحد ولا تختلفان إلا بالسلب وفي المنسل الثاني والثالث الكلمات مخطفة ولها جميعاً صورة الإيجاب ولم أستطع في لغتنا «الفرنسية» أن أحصل هذه الفروق مع شدة رضى فيها .

١٤٥ — لا يتحرك البتة — قد حفظت صيغة المفرد لأن الله والأحد متحدان . — بأن يسمى نحو شيء آخر — قد حافظت على تردد النص ولكن الفكرة ليست صحيحة لأن الله بأنه في كل مكان لا يمكن أن يتحرك كالموجودات الجزئية نحو مكان لم يكن فيه . — ليس إلا الله — الفكرة تبين فائضة كالفكرة خصوصاً متى أذكر أن إكسبنوفان فيما سبق قد جعل الله على كل شيء قديراً .

يتحرك هو ذاته لما المانع أن أجزاء الله يتحركها بعضها نحو بعض أن يكون الله هو أيضا له حركة دائرية ؟ .

١٥ § — لكن على هذا لا يكون بعد واحد كما يعنى زينون إنما هو متعدد كما قد نبه إليه ؛ لأن زينون يقرر أن الله جسم سواء جعله هو الكل الذى نرى أو ممما باسم آخر . وإذا كان الله لا جسمانيا فكيف يكون فى الواقع للكل ؟ ولزم أن يكون لا جسمانيا أعنى لم يكن أصلا لكى لا يكون له حركة ولا سكون . وإذا كان جسميا لما المانع أن يتحرك كما قد قيل ؟ .

— أجزاء الله — هذا لما يظهر ادماج الله والعالم كما قد اتهم به إكسينوقان . — له حركة دائرية — باعتبار أن الحركة الدائرية هى وحدها التى يمكن أن تكون لامتناهية وأزلية . ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ص ٥٢٩ من ترجمتنا .

١٥ § — زينون — إن ذكر زينون بالصراحة يميز الاحتضاد ، فما يظهر ، بأن هذه الرسالة يجب أن يكون لها جزء رابع فيه الكلام على زينون كما أن الكلام فى الثلاثة الأخرى على ميليسوس وإكسينوقان وغيرهما من ر . مما سبق فى التحقيق . — إنما هو متعدد — الترجمة الحرفية للنص هى "كثير من الأشياء" — الذى نرى — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — يكون فى الواقع فلكيا — كما فيما سبق ب ١١ فى بيت برمينيد . — أن يكون لا جسمانيا — بهذا هو بالضبط ما يريد أرسطو فى الباب الأخير من الطبيعة ك ٢٦ ص ٥٦٩ من ترجمتنا . — كما قد قيل — أو "كما قد قلت آنفا" .



## مذاهب غريغياس

### الباب الخامس

النظريات الثلاث الأصلية لغريغياس : على الوجود وعلى امتناع العلم وعلى نقل العلم — على النظرية الأولى  
يجمع غريغياس بين الآراء السابقة — ميليسوس وزينون — بسط مذهب غريغياس في امتناع الوجود والمعدوم  
على السواء .

§ ١ — هو يقرر أن لا شيء بموجود حقيقة ، وأنه إن يوجد من شيء فهذا  
الشيء يبقى مجهولا عندنا ، وأنه إن يوجد شيء ويمكن لأمرئ العلم به فإنه لا يمكن  
التعبير عنه بالأخبار .

§ ٢ — فيما يتعلق بهذا القول الأول الذي هو أن لا شيء بموجود حقيقة  
يؤلف غريغياس بين نظريات فلاسفة آخرين ، إذ يقررون أفكارا متناقضة في أمر  
الحقيقة كما تظهر لنا . اعتقدوا : هؤلاء أنه لا شيء إلا الوجود وأن الكثرة بمنتهى  
وأولئك ، على ضد ذلك ، أن الكثرة وحدها هي الحقيقة وأن الوحدة ليست  
حقيقية . ذلك بأن بعضهم يرون الأشياء غير مخلوقة والآخرين يرونها مخلوقة .

§ ١ — هو يقرر — ر . ما سبق ب ١ ف ١ وب ٣ ف ١ . غريغياس ليس مذكورا هنا شأنه  
في ذلك شأن ميليسوس وإكسيفانت . ولكن بخطوة ليسج عنوان هذا الجزء من الكتاب :  
"في أرسطوطاليس على غريغياس" ولا يمكن أن يكون هاتما أقل شك في أمر الفيلسوف الذي يخضع هذا  
التحليل ر . التحقيق السابق . — لا شيء بموجود حقيقة — ر . فيما سبق ب ١ ما يتعلق بميليسوس  
وفيا بعد تحليل سكستوس أمبريكوس لمذهب غريغياس .

§ ٢ — غريغياس — في هذه الفقرة أيضا لم يسم غريغياس وليس بها إلا فعل مستند إلى ضمير الغائب .  
— كما تظهر لنا — أو "كما تظهر لهم" . — يرونها مخلوقة — ر . كتاب السماء ك ١ ب ١٠ ص ٨٣  
من ترجمتنا .

٣٤ — يؤلف غريغاس بين هذين الرأيين ليدلل هكذا : " يقول إنه يلزم ضرورة إما كان شيء موجودا أن يكون هذا الشيء لا واحدا ولا كثرة ، وأن تكون الأشياء لا غير مخلوقة ولا مخلوقة . وجبئذ لا شيء بموجود . وإذا كان في الواقع شيء فيلزم أن يكون إما أحدهما وإما الآخر " . فإما أنه لا وحدة ولا كثرة وأن الأشياء ليست لا مخلوقة ولا غير مخلوقة فإنه يحاول إيضاح ذلك إما كيبلسوس وإما كرينون بعد برهانه الخاص به إذ يثبت على طريقته أن الموجود واللا موجود لا يوجدان لا أحدهما ولا الآخر . § ٤ — فعنده أنه إذا كان ممكنا أن اللاموجود يكون اللاموجود فيكون اللاموجود ليس بأقل وجودا من الموجود . لأن هذا اللاموجود يكون اللاموجود ، كما أن الموجود يكون الموجود ، بحيث إنه لا يمكن أن يقال على الأشياء إنها تكون بأقوى من أن يقال عليها إنها لا تكون . § ٥ — يقول غريغاس : " إذا كان اللاموجود موجودا فمن ثم لا يكون الموجود بعد مقابله لأنه إذا اللاموجود يكون فيلزم أن الموجود لا يكون . وبالنتيجة أنه لا شيء بموجود ؛

§ ٣ — يؤلف غريغاس — كذلك هنا لم يسم غريغاس . — يقول ... لا واحدا ولا كثرة — ر . ماسيل . تحليل سكستوس أمبيريكوس في أوله . — أن يكون إما أحدهما وإما الآخر — قد حفظت عبارة النص في ترجمتها كله . وبعبارة أخرى " يلزم أن يكون ما كان إما واحدا أو كثرة . و يلزم أن يكون إما مخلوقا وإما لا مخلوقا " . — إما كيبلسوس وإما كرينون — من هذه الفقرة التي قد ذكر فيها ميبلسوس و زينون بالاسم يمكن استنتاج هاتين النتيجةين : أولا أن الجزء الأول من هذا الكتاب يتعلق تماما بميبلسوس ، وثانيا أن هذا الكتاب ناقص من جهة كان فيه تحليل آراء زينون كما حالت آراء ميبلسوس وإكسيتروان وغريغاس . ر . التحقيق . — أن الموجود واللاموجود — عبارة النص حرفيا هي " أن الموجود واللاموجود لا يكونان " .

§ ٤ — أن اللاموجود يكون اللاموجود — كل السفسطة تعتمد على فعل " الكون " مستدا إلى اللاموجود . وبإدراك أنه يقال على اللاموجود إنه كائن فيمكن أن يستنتج منه أنه هو الموجود سيان . وتلك هي دقات غير جدية . وقد أحسن أفلاطون وسقراط في أنهما تنحرا بهذه السفسطة . — أن يقال على — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٥ — يقول غريغاس — ليس في النص إلا أن الفعل مستدا إلى ضمير الغائب ولم يسم غريغاس ولكن اضطرت لإظهاره لبيان الفكرة في الترجمة . — مقابله — لفظة المقابلة أهم من التضاد . ر .

إلا أن يكون الموجود واللاموجود شيئا واحدا بعينه . ولكن إنما هما في الواقع شيء واحد ومن ثم لا يوجد شيء . لأن اللاموجود ليس يكون ، فالموجود ليس يكون كذلك مادام أنه مماثل للاموجود . هذا هو تدليل ضرغياس حرفا بحرف .

المقولات ب ١٠ ص ١٠٩ من ترجمتنا . — شيئا واحدا بعينه — ويظن ضرغياس أنه قد برهن على أنهما متماثلان . — ومن ثم لا يوجد شيء . — قد يمكن أيضا أن يستنتج من أن الكل موجود الموجود واللاموجود على السواء . وتكون هذه النتيجة صحيحة كالأخرى . — حرفا بحرف — أضفت هذا للقيد لأحصل قوة النص الإغريقي .

## الباب السادس

نقض نظرية غريغاس الأولى — شاهد من ميليسوس وزينون — الوجود واللاموجود لا يشتهان .  
والحركة هي ممكنة — شاهد من مقالات لوكيس — نقض نظرية غريغاس الثانية على امتناع العلم . ونقض  
النظرية الثالثة على امتناع نقل العلم بعد كسبه — إلهذان بأن نظريات الفلاسفة القدماء سدرس بعد دراسة  
خاصة .

§ ١ — لا ينتج البتة من أدلة غريغاس أن لا شيء يوجد . لأنك ترى  
كيف يدل على الأشياء التي يحاول إثباتها . إذا كان اللاموجود يوجد أو بعبارة أم  
لو أن اللاشيء يوجد فالوجود هو كذلك اللاموجود على السواء .

§ ٢ — ولكن لا يظهر البتة أن الأمر هكذا ولا أن هناك أدنى ضرورة لأن  
يوجد اللاموجود . كما يكون الحال في شيئين أحدهما يكون حقيقة والآخر لا يزيد  
على أن يظهر . فيلزم بالضرورة أن يكون أحدهما حقا والآخر ليس كذلك . كذلك  
من أن اللاموجود لا يوجد لا ينتج أن الاثنين أو أحدهما يجب أن يكونا أو ألا  
يكونا . يقول غريغاس : لأن اللاموجود ليس بأقل وجودا من الموجود إذا كان  
"ليس يكون" هو أيضا شيئا ما . لذلك لا يقال البتة إن اللاموجود يكون البتة بأي

§ ١ — أدلة غريغاس — هنا أيضا ليس غريغاس مسمى . وليس في النص كما قد سبق الأفضل  
مسند إلى صخر الناشب . — يحاول إثباتها — عبارة النص بالفضيل : "التي يبرهن عليها" . وقد ظهر  
لي أن أسلوب هبارق الفضيل . — لو أن اللاشيء يوجد — هذه عبارة النص نفسها وربما كان  
الأحسن أن يقال "إذا لم يوجد شيء" . — فالوجود هو كذلك اللاموجود على السواء — يعني أن  
الموجود هو اللاموجود كما هو الموجود على السواء .

§ ٢ — أدنى ضرورة — أدنى ضرورة للبرهان الذي يلجئ إلى الاستنتاج المرجح بلغة أو لأخرى .  
— لا يزيد على أن يظهر — عبارة النص هي فقط "يظهر" . — من أن اللاموجود لا يوجد —  
عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . — يقول غريغاس — أمم غريغاس ليس مذكورا . — إذا  
كان "ليس يكون" هو أيضا شيئا ما — التناقض بين بيان حتى في الألفاظ ولكن السفسطائي ما كان ليظهر  
في الأمر عن كتب هكذا . — لا يقال البتة — لا أحد إلا السفسطائيين كغريغاس والآخرين يعني



وجه كان . فإذا كان الوجود هو في حالة الوجود فليكن لا يكون الوجود على النحو الذي يكون عليه الموجود لأنه ليس إلا في حالة الوجود بخلاف الموجود فإنه موجود فعلا .

§ ٣ — إذا كان حقا أن الوجود قد وجد بطريقة مطلقة فيكون على الأقل عجيبا أن يقال إن الوجود موجود . ولكن إذا كان هذا هكذا بالمصادفة فكيف إذا يكون الحال أبدا بالنسبة للأشياء التي يرجح في أمرها أن تكون على ألا تكون ؟ لأنه يظهر أن النقيض نفسه قد يمكن أن يكون حقيقيا أيضا .

§ ٤ — إذا كان الوجود يكون وكان الموجود يكون أيضا ، إذا فالكل موجود ما دام أن كل ما هو موجود وكل ما ليس بموجود كلاهما كائن من غير فرق ، وأنه ليس من الضروري البتة إذا كان الموجود كائنا أن يكون الموجود غير كائن . عينا يقال إن الوجود يكون والموجود لا يكون فإن ذلك لم يؤثر شيئا في أن جميع الأشياء موجودة مادام أننا لو صدقنا ذلك القول لأصبحت الأشياء التي لا تكون كائنة .

البتة بأن يرقى الوجود إلى حقيقة ولا أدنى وجود . — في حالة الوجود — إنما يدور الإيهام على صيغة المصدر مادام أن الوجود هو الوجود فإنه موجود في الحقيقة كالوجود سواء . — على النحو الذي يكون عليه الموجود — الجواب ليس فاعلم .

§ ٣ — قد وجد بطريقة مطلقة — أي على حد سواء هو الوجود ذاته . — عجيبا — ربما كان في الأسلوب الإغريق نوع من الحكم يناسب في الواقع كل المناسبة الرد على هذه الدقائق . — في أمرها أن تكون على ألا تكون — هذا بين بذاته ولكن غريغاس إذا ينال الظهور وقد استنتج من أن لا شيء بموجود . فالدليل حينئذ مزدوج للغاية فإنه يمكن أن يستنتج من الوجود كما يستنتج من الوجود سواء سواء . — النقيض نفسه — يعني " قبيض ما يقال هو أيضا حقيق كالذي يقال " .

§ ٤ — الوجود يكون — كما يزعم غريغاس . — كلاهما كائن — احتفظت بعبارة النص إن لم تكن لعلها فإن الوجود حقيقة كالوجود فإن السلب صادق كالإيجاب سواء سواء . — من غير فرق — أضفت هذه العبارة التي تؤخذ من أسلوب النص . — ليس من الضروري البتة — من حيث إن في ظهريات غريغاس ، المتناقضات صادقة على سواء وأن الأمر ومنسده يمكن إقامة الدليل عليهما أحدهما كالأخر . — لو صدقنا ذلك القول — عبارة النص هي " على حسب تدليل هذا " يعني غريغاس .

٤ هـ — ولكن إذا كان "يكون ولا يكون" شيئاً واحداً فمن ثم لا يمكن أن يقال بعدد على شيء أنه يكون كما لا يمكن كذلك أن يقال عليه إنه لا يكون . لأنه كما أن غريغياس يفترض أنه إذا كان اللا موجود والموجود هما شيئاً واحداً، فالموجود ليس يكون بأشده وجوداً من اللا موجود بحيث ينتج أن لا شيء بموجود . كذلك يمكن أن يؤيد العكس أن الكل موجود لأنه لما أن اللا موجود هو كالوجود تماماً فيستنتج منه أن الكل موجود بالحقيقة .

٥ ٦ — بعد هذا الدليل هو يقيم دليلاً آخر يقول : إن يوجد من شيء فإما أن يكون هذا الشيء لا مخلوقاً وإما أن يكون مخلوقاً . فإذا كان لا مخلوقاً فهو لا متناه ، على ما يفترض غريغياس بحسب مبادئ ميليسوس . ولكن اللامتناهي ليس في مكان ما ، ما دام أنه ليس في نفسه ولا في غيره ، وحينئذ يكون إذا لا متناهيان أو صفة لا متناهيات هذا الذي في الآخر وذلك الذي الآخر فيه . ولما لم يكن في مكان ما فهو لا شيء ، على حسب أدلة زينون على حيز الموجودات . وبهذه الأدلة يستنتج غريغياس أن الموجود لا مخلوق .

٦ هـ — شيئاً واحداً — يعني في النظرية التي يعني المؤلف بإبطالها . — أن يقال بعدد — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — كما أن غريغياس يقرر — عبارة النص هي "هذا" . — إذا كان اللا موجود والموجود هما شيئاً واحداً بهت — هذا هو أساس مفسدة غريغياس . — أن لا شيء بموجود — وبعبارة أخرى أن لا شيء موجود لا صادراً ولا كاذباً . — العكس — أو بعبارة أخرى "بعكس القضية" — أن الكل موجود بالحقيقة — النص ليس على هذا القدر من السعة . ر . ما سيل في تحليل سكستوس أمبيريكوس .

٦ ٨ — على ما يفترض غريغياس — كذلك ها هنا ليس غريغياس مذكوراً بالاسم . — ميليسوس — ميليسوس مذكور بالاسم صراحة ر . ما سبق ب ٥ ف ٣ والتحقيق السابق . — ولكن اللامتناهي ليس في محل ما — وبما هو ليس في مكان فيستنتج منه أنه ليس موجوداً البتة كما سيذكر فيما سيل . — زينون — ر . ما سبق ب ٥ ف ٣ . — على حيز الموجودات — زدت المضاف إليه الأخير . راجع فيما يتعلق بنظرية زينون الطيفة لأرسطو ك ٤ ب ٣ ف ٦ ص ١٤٦ من ترجمتنا وب ٥ ف ١٠ ص ١٦١ . — يستنتج غريغياس — ليس غريغياس مذكوراً بالاسم والنص ليس على هذا القدر من البيان . ر . ما سيل في تحليل سكستوس أمبيريكوس حيث هذا الدليل على بسطة من البيان .

§ ٧ - ولكن الموجود لا يمكن كذلك أن يكون قد خلق . فانه لا يمكن في الواقع أن يكون قد نرج من الموجود ولا من المعلوم . لأنه إذا كان الموجود يسقط وهو مخلوق فلم يكن إذا الموجود ، كما أن اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود من وقت أن يصير شيئا ما . ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن أيضا أن يأتي من اللاموجود ، لأنه إذا كان اللاموجود لا يكون لممتنع من ثم أن أيا كان يتولد من لا شيء . وإذا كان بالمصادفة اللاموجود يوجد فإن الأسباب التي تجعل الموجود لا يأتي من الموجود هي حينها تجعله لا يأتي أيضا من اللاموجود الذي هو كائن .

§ ٨ - فإذا كان حينئذ من الضروري ، ما دام أن شيئا ما موجود ، أن هذا الشيء يكون لا مخلوقا أو مخلوقا وأن كلا الأمرين ممتنع ، فينتج منه أنه ممتنع أيضا أن يوجد أي شيء ما .

§ ٩ - يقول غريغاس : زد على هذا أنه إذا شيء يوجد فيلزم أن يكون هذا الشيء واحدا أو كثرة . فإذا لم يكن لا واحدا ولا كثرة فينتج منه ألا يوجد شيء . ذلك الشيء لا يمكن أن يكون واحدا ، لأن "الواحد" يجب أن يكون لا جسمانيا

§ ٧ - لا يمكن كذلك أن يكون قد خلق - أو "أنه قد صار" هذا هو الجزء الثاني من دليل غريغاس . - فانه لا يمكن في الواقع - على حسب دليل غريغاس . - يسقط - هذه هي عبارة النص بينها ، فإن الموجود ليصير يجب أن يفقد كرامة الوجود وينتدئ في ألا يكون بعد ليصير شيئا ما . - اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود - ولكن يظهر ما هنا أن اللاموجود عوضا عن أن يسقط فهو يسمو بوجه ما ليصير شيئا ما . وتلك دقائق لفظية . - أيا كان يتولد من لا شيء . - هذا هو مبدأ ميليسوس ز . ب ١ ف ١ - بالمصادفة - أضفت هذه الكلمة .

§ ٨ - لا مخلوقا أو مخلوقا - ر . ما سبق ف ٩ وقد اضطرت إلى استعمال لا مخلوق ومخلوق لأن لم أجد خيرا منهما في لغتنا ( الفرنسية ) ولكنهما لا يحصلان بالانضبط معنى الكلمات اليونانية . فان شيئا إذا صار فذلك بأنه ليس أزليا وبالأقل من جهة أن يصير وأن يتغير بالنتيجة . فإذا كان كل الضد أزليا فإنا كان ليصير بل يبقى هو ما هو . - ممتنع ... ممتنع - هذا التكرير هو في النص . ر . فما سبيل هذا الدليل مبسوطا بأكثر من ذلك في تحليل سكستوس أمبيريكوس .

§ ٩ - يقول غريغاس - النص لا يذكر غريغاس بالاسم وليس به إلا فعل مستند إلى ضمير



واللاجسماني هو لا شيء ، كما يقول غريغاس متبعا في ذلك رأيا يقسرب كثيرا من رأي زينون . وبما أن الموجود لا واحد ، فإنه ليس أيضا كثرة من باب أولى . ولكن الموجود بما هو لا واحد ولا كثرة فهو غير موجود البتة . وبالنتيجة يقول غريغاس أيضا : إذا كان كذلك فما هو إلا لا شيء . وفي الواقع إذا لم يكن لا واحدا ولا كثرة فأنما هو لو شيء أيا كان .

١٠ ٨ — يزيد على ذلك : لكن لا شيء ليس في حركة ؛ لأنه إذا كان الموجود في حركة فلا يكون بعد ما هو . وحقيقة الموجود لا يكون بعد واللاموجود يصير شيئا . وفوق ذلك بما أن الموجود يتحرك وينقطع عن أن يكون متصلا بانتقاله فعلى هذا المعنى هو لا يكون بعد . وبالنتيجة إذا كان متحركا في جميع أجزائه فهو منقسم في جميعها على الإطلاق ، وإذا كان هكنا فليس موجودا البتة . وفي هذا الصدد يقول غريغاس : إن الموجود هو ناقص من جهة ما هو منقسم — وهو يتكلم على التجربة عوضا عن أن يتكلم على الخلو كما كتبه لوكيس فيما يسمى بمقالته .

الغائب . ر . فما يتعلق بهذا الدليل الجديد تحليل سكستوس أمبريكوس . — يقول غريغاس — ليس في النص اسم غريغاس . — رأي زينون — ر . ما سبق آنفا ف ٦ و ب ٥ ف ٣ . — يقول غريغاس أيضا — لم يسم هنا أيضا .

١٠ ٩ — لا شيء ليس في حركة — هذا الجزء من دليل غريغاس ليس موجودا في تحليل سكستوس أمبريكوس . وربما كانت هذه الأدلة ضد الحركة متعلقة بزينون أكثر من تعلقها بغريغاس . ولكن لا شيء في النص يدل على أنه يلزم نسبتها هنا إلى زينون . — فلا يكون بعد ما هو — لأن الحركة تفنضي دائما تغيرا . — وحقيقة الموجود لا يكون بعد — إذا كان الموجود لا يتقدم بركة فبالأقل يفقد منه جزء ويكون هو الذي يصير غير ما كان . — وينقطع عن أن يكون متصلا — لا يرى لأي شيء يمكن أن يكون هذا لازما فإن الموجود يمكن ألا يفقد شيئا من اتصاله بنفسه . — في جميع أجزائه — عبارة النص ليست بيّنة جدا اليان . — يقول غريغاس — ليس في النص هنا أيضا اسم غريغاس . — لوكيس فيما يسمى بمقالته — يظهر أن المؤلف ، كما نبه إليه ملاح ليس هنا واثقا من كتاب لوكيس . ر . نطع ديمفريطس للملاح ص ٣٧٤ ، يقول ديوجين اللايرتي ب ٩ ف ٤٦ طبعة فيزبين — ديدروس ٢٣٨ إن تيوفراست كان ينسب إلى لوكيس آبا معنونا " نظام العالم الكبير " الذي كان المعتقد دائما أنه لديمفريطس . ر . أيضا فيما سبق آراء لوكيس على الخلو في كتاب التكون والفساد ك ١ ب ٨ ف ٥ ص ٨٩ وقد يظهر جليا على حسب هذه الفقرة الأخيرة أن لوكيس كان قد كتب بعض مؤلفات يظهر أن المؤلف قد استخلص منها ما يقوله هنا .



§ ١١ — يظن غريغاس أنه في هذا قد وُقِيَ اليان حقه . يقول : إذا ثبت حينئذ أن لا شيء فالحكل حينئذ يعزب عن علمنا . فلم يبق بعد من ثم إلا ما يُتصور . واللاموجود ما دام أنه غير كائن فلا يمكن البتة تصوره . ومق كان هذا كان من المحال ، على رأى غريغاس ، ألا يكون هناك شيء باطل بل لا يكون خطأ أن يقال مثلا : إن "العربات تدرج على أمواج البحر" لأن كل هذا حق كما أن تقيضه حق . § ١٢ — ولكن كيف توجد الأشياء التي ترى أو التي تسمع بهذا السبب وحده وهو أن يُتصور كل واحد منها ؟ فإذا لم يكن ذلك هو السبب الذي يجعلها تكون ، وإذا كانت الأشياء التي نتصورها لا توجد من أجل ذلك أيضا ، فهل للأشياء التي نشاهدها وجود أدخل في باب الحقيقة والفعل من الأشياء التي نتصورها ؟ § ١٣ — في الواقع ، كما أنه ممكن جدًا أن كثيرا من الناس يشاهد الأشياء فكذلك من جهة أخرى كثير من الناس يتصورها أيضا . فالأشياء الذهنية هي إذاً على الإطلاق مثل الأشياء الخارجية . ولكنه لا يدري أى الفريقين هو الحق . وبالنتيجة إن يوجد من شيء فمن المحال أن تكون الأشياء معلومة لنا .

§ ١١ — غريغاس — ليس غريغاس مذكورا هنا أيضا بالاسم . — فالحكل حينئذ يعزب عن علمنا — هذه هي النظرية الثانية لغريغاس . ر . ما سبق ب . ف ١ وتحليل سكستوس أمبيريكوس . — فلم يبق بعد من ثم — ليس النص على هذا القدر من اليان . — فلا يمكن البتة تصوره — وغريغاس مع ذلك يتصور اللاموجود ما دام أنه يتكلم عنه . وكل هذا مبسوط في تحليل سكستوس أمبيريكوس . — على رأى غريغاس — كذلك لم يسم هنا . — العربات تدرج على أمواج البحر — ر . فيما سبق تحليل سكستوس أمبيريكوس حيث هذا المثل مذکور ومضاف إلى مثل غيره . § ١٢ — ولكن كيف — قد احتفظت بصيغة النص . ولكن من البين أن الجملة هنا غاية في الإيجاز وأن الفكرة ليست مبسطة البسط الكافي . وتحليل سكستوس أفضل في هذا الموضع . — لا توجد من أجل ذلك أيضا — لأننا نبصرها وفي هذا مجاوزة بالأدوية إلى مدى بعيد . ولكن تلك كانت هي عادة السفسطائيين إذ يلد لهم أن يقتحموا الذوق العام .

§ ١٣ — هي إذاً على الإطلاق مثل الأشياء الخارجية — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . والتعبير الإغريقي أعم ولكن المعنى بين إجملاء . — ولكنه لا يدري — تلك سفسطة محضة لأنه في هذا الخصوص ، ألا أدري لا يتردد أكثر من العام ويستند حقيقة إدراكه . — وبالنتيجة — النتيجة ليست لازمة . وفي تحليل سكستوس هذا الدليل أقوى وأمين دون أن يكون بالفا حد القوة .

١٤٥ - يقول غريغاس : حتى مع التسليم بأنها معلومة لنا فهل يمكننا أن ننقل التعبير عنها إلى الغير ؟ كيف يمكن الإنسان أن يعلم غيره بطريق الكلام ما قد شاهده هو بالنظر ؟ وكيف يمكن الإنسان مجرد سماعه شيئا أن يفهمه جليا إذا لم يكن قد رآه ؟ وفي الواقع كما أن النظر لا يدرك الأصوات كذلك السمع لا يسمع الألوان ولا يسمع إلا الأصوات ، فالذي يتكلم يتكلم كلاما ولا يتكلم لونا ولا أى شيء آخر أيا كان . ١٥٥ - لكن كيف يمكن أن يتحسس المرء في كلام الغير شيئا لم يكن هو نفسه قد تصوره ؟ هل يتفق بالمصادفة أن توجد دلالة أخرى ، تعطيك فكرة الشيء إن لم يكن لونه حينما يرى وصوته حينما يسمع ؟ لأن المبدأ هاهنا على رأى غريغاس ليس هو لا الصوت ولا اللون بل هو مجرد الكلام . فلا يفكر الإنسان لونا بل يراه ولا يفكر صوتا بل يسمعه

١٦٥ - لغرض ، إذا شئت ، أن ذلك ممكن وأن الذى يتكلم يعلم الشيء وعند الحاجة يمكنه أن يعرفه فكيف أن الذى يسمع الكلام يكون موقنا بأنه يفهم الشيء بعينه على هذا النحو ؟ لأنه ليس ممكنا أن يكون الشيء بعينه فى آن واحد فى كائنات عدة

١٤٥ - حتى مع التسليم - مناقشة النقطة الثالثة . ر . ما سبق ب ه ف ا ، وتحليل سكسوس أميريكوس . - يقول غريغاس - ليس فى النص إلا فعل مستند إلى ضمير الغائب . - لا يدرك الأصوات - قد كان الأحسن أن يقال : « لا يرى الأصوات » ولكن اتبعت النص الذى يخطئ تعبيرا عاما كالذى الخطأ . - فالذى يتكلم يتكلم كلاما - هذا التكرير فى النص .

١٥٥ - أن يتحسس - هذه هى عبارة النص بعينها . - بالمصادفة - أضفت هذه الكلمة لبيان الفكرة . - دلالة أخرى - ليس النص على هذا التقدير من الضبط . - على رأى غريغاس - ليس غريغاس مذكورا بالاسم هنا . وأن المعنى الذى اختاره فى ترجمتى هو الأحسن فيما يظهر لى . ولكن يمكن أن تفهم هذه النقطة على وجه آخر : « الذى يتكلم لا يتكلم لا الصوت ولا اللون إنه لا يتكلم إلا الكلام » ولا يكون هذا إلا تكريرا لما قيل آخفا ، وهذا هو الذى حلنى على اتخاذ المعنى الذى اخترته .

١٦٥ - وعند الحاجة - أضفت هذه العبارة . - أن يعرفه - « أن يقرأه » متى كان مكتوبا . - يكون موقنا - عبارة النص « يفهمه » . - أن يكون الشيء بعينه فى آن واحد - هذا يقتضى أن يكون الشيء حقيقيا فى الذهن كما هو فى الخارج وهذا ما قد ذكره غريغاس سبق . وعلى حسب هذه النظرية يمكن

وفي كائنات منفصلة لأنه حينئذ يكون الشيء الواحد عدة . يقول غريغاس : ولكن شيئاً واحداً ولو كان في آن واحد في عدة أذهان وكان فيها هو بعينه فلا شيء يمنع أنه يظهر متماثلاً عند جميع الأشخاص الذين هم أنفسهم ليسوا متمثلين في الظاهر والذين هم ليسوا على استعداد واحد بعينه . § ١٧ — لنسلم أيضاً أنهم في استعداد واحد أفلا يكونون إذاً اثنين بالأقل أو عدة ؟ ولكن الشخص بعينه ليس له في الوقت الواحد إحساسات متشابهة لأن سمعه وبصره يعطيان إحساسات مختلفة ، والإحساسات التي به في الحال هي مقابلة لإحساسات سابقة . فباطل إذاً أن تظن أن غيرك يمكن أن يكون له إدراكات شبيهة بإدراكاتك في أي شيء كان . § ١٨ — هل هذا لا يمكن العلم بشيء ما مع التسليم بوجود شيء ما ، خصوصاً أنه لا يمكن البتة للإنسان أن يعلم غيره ما يعلم هو ، لأن الأشياء ليست أقوالاً وأنه لا شخص يمكنه البتة أنه يفهم بالضبط ما يفهمه شخص آخر .

§ ١٩ — كل هذه المسائل المحيرة قد أثارها فلاسفة آخرون أقدم عهداً . وسندرس هذه النظريات عند البحث الذي سنعقده لمذاهبهم المختلفة .

أن يقال على الشيء أنه محال لا شيء إلا لأنه مما في عدة أحياء أو موجودات . ومع ذلك فنفس الفكرة شغل . — الشيء الواحد — عبارة النص «الواحد» . — يقول غريغاس — لم يذكر في النص اسمه . — في الظاهر — زدت هذه العبارة . — على استعداد واحد بعينه — عبارة النص غير محددة . § ١٧ — أفلا يكونون إذاً اثنين — ليس المعنى بينا وقد حاولت أن أبينه بامانة كلمة «بالأقل» . ومع ذلك يظهر لي أنه يمكن قبول سلسلة هذه المعاني التي هي مؤلفة النتائج بعضها مع بعض . — في الوقت الواحد — عبارة النص هي كالعبارة المذكورة في الفقرة السابقة ولكنه بكلمتها بأن أضاف إليها كلمة الوقت التي ربما يلزم أن تكون مقدرة في الفقرة السابقة .

§ ١٨ — هل هذا لا يمكن العلم بشيء ما — ملخص نظرية غريغاس . ر . ما سبق ب ه ف ١ . — مع التسليم بوجود شيء ما — النقطة الأولى التي كان ينكرها غريغاس الذي هو من البصر والأدوية يمكن . § ١٩ — أقدم عهداً — من غريغاس . وربما هي هيرقليدس الأفيروسي . — الذي سنعقده — ليس النص على هذا القدر من الصراحة ولكن يظهر أنه يعد بكتاب آخر بعد هذا .



## قطع من ميليسوس

١

قال سميليسيوس في شرحه كتاب الطبيعة لأرسطو (الورقة ٢٢) : فلننظر إذا إلى أدلة ميليسوس وهو الأول الذي أنهى عليه أرسطو . إن ميليسوس معتمدا على مبادئ الطبيعيين<sup>(١)</sup> في كون الأشياء وفسادها، يبدأ كتابه بالعبارات الآتية :

« إن لم يوجد شيء كيف يمكن بأي حال اعتبار هذا الشيء كأنه شيء ما ؟  
 « إن كان يوجد شيء ما فهذا الشيء إما مولود وإما أزلي . فان كان مولودا وكان قد  
 « كَوْن فهو لا يمكن أن يأتي إلا من الموجود أو من اللاموجود، ولكن ليس ممكنا أن  
 « ما ليس شيئا، وبالأولى ما هو موجود على الإطلاق، يمكن البتة أن يأتي مما ليس  
 « موجودا، كما لا يمكن أيضا أن يأتي مما هو موجود لأن الموجود حينئذ يكون قد وجد  
 « ولم يكن به من حاجة إلى أن يصير وأن يوجد . إذا الموجود لا يمكن أن يصير  
 « وإذا فهو أزلي . ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن أن يفسد؛ لأنه ليس ممكنا أن  
 « الموجود يتغير إلى لا موجود، وتلك هي نقطة يوافق عليها الطبيعيون . ليس  
 « ممكنا أيضا أن الموجود يتغير إلى اللاموجود لأنه بهذه الطريقة أيضا الموجود  
 « يبقى ولا يفسد . على ذلك فالموجود ما كان ليتمكن أن يولد وإنه لن ينعدم ؛  
 « فقد كان وسيكون أبدا » .

٢

سميليسيوس . المرجع السابق .

« لكن إذا كان ما قد ولد له أول فالذي لم يولد ليس له أول . فإذا كان الموجود  
 « ليس مولودا فلا يمكن أن يكون له أول كذلك . ويمكن أن يزداد على ذلك أن ما قد  
 « فسد له آخر؛ ولكن إذا كان شيء غير قابل للفساد فليس له آخر ممكن . إذا فالموجود  
 « بما هو غير قابل للفساد ليس له من آخر . وما ليس له لا أول ولا آخر هو بهذا عينه  
 « لا متناه . وإذا فالموجود لا متناه » .

(١) الطبيعيون . هم فلاسفة مدرسة يونيا . ر. الطبيعة لأرسطو ك ١ ب ٢ ف ١ ص ٢٣٣ من ترجمتنا .



٣

سمبليسيوس . المرجع السابق .

« إذا كان الموجود لا متناهيًا فهو واحد . لأنه إذا كان موجودان فلا يمكن أن يكونا لا متناهيين ما دام أنهما يحدان بعضهما بعضًا . وبما أن الموجود هو لا متناه فالموجودات لا يمكن أن تكون كثرة . وإذا فالموجود هو واحد » .

٤

سمبليسيوس . المرجع السابق .

« إذا كان الموجود واحدًا فهو بالتبع لا متحرك . لأن الموجود بما هو واحد هو على الدوام مشبه لذاته . الموجود بما هو باق على الدوام شبيهًا لذاته لا يمكن أن ينعدم ولا أن ينمو ولا أن يتغير ولا أن يتأثر ولا أن يضمحل . فإذا كان يعاني أدنى واحد من تلك التأثيرات فلا يكون بعد واحد . لأن موجودًا يعاني حركة من أي جنس كان يتغير من حالة قاي إلى أخرى . والموجود لا يمكن أن يكون شيئًا إلا الموجود . وبالنتيجة الموجود لا يمكن أن يكون له حركة » .

٥

سمبليسيوس . المرجع السابق .

« ومن جهة أخرى لا شيء من الموجود يمكن أن يكون خلوا لأن الخلو ليس شيئًا . واللاشيء لا يمكن أن يكون . وإذا فالموجود لا يتحرك . لأنه ما دام أنه لا خلوا فلا مكان فيه يمكنه أن يتحيز . ولكن ليس ممكنا أن يدخل الموجود في ذاته ما دام أنه يلزم على ذلك إذا أن يكون أكثر تخلخلًا أو أكثر كثافة مما هو . وهذا ممنوع لأن المتخلخل لا يمكن أن يكون مليثا كالكثيف وما هو متخلخل هو أشد خلوا مما يمكن الكثيف أن يكون . وإذا الخلو لا يوجد . للحكم على الموجود أهو ملي أم لا فذلك يمكن معرفته بأن ينظر هل هو يمكنه أو لا يمكنه أن يقبل في ذاته شيئًا قاي . فإن لم يقبل فذلك بأنه ملي . وإن يقبل فذلك بأنه ليس مليثا .

« لكن إذا لم يكن خلوفن ثم كل شيء ملئ .. وإذا كان الكل مليئا فلا حركة بعد .  
 « لأنه ليس ممكنا أن تقع الحركة في الملاء كما نقوله حين نتكلم على الأجسام . وأخيرا  
 « فالموجود الذي هو الكل لا يمكن أن يتحرك في الموجود ما دام أنه لا شيء خارج  
 « عنه ، ولا في اللاموجود ما دام اللاموجود ليس موجودا » .

## ٦

سمبليسيوس . الورقة ٣٤

« لإثبات أن الموجود لا يمكن أن يكون قد خلق يعتمد ميليسوس على هذه القاعدة  
 « العامة : ما قد كان قد كان دائما ويكون دائما . لأنه إذا كان قد ولد في لحظة ما ،  
 « فيلزم أنه لم يكن شيئا قبل أن يولد . فإذا لم يكن شيئا حينئذ فقد كان من  
 « الممتنع أن شيئا يولد من لا شيء » .

## ٧

سمبليسيوس . الورقة ٧ ، ٩ ، ٢٣

« قد وجه نقد الى ميليسوس هو أن لفظ البداية متعدد المعاني . فعوضا عن  
 « أن يأخذ البداية بالإضافة إلى الزمان انخلص بالموجود الكائن أخذ البداية بالإضافة  
 « الى الشيء تلك البداية التي لا يمكن أن تنطبق على الأشياء التي تتغير دفعة واحدة .  
 « فلقد رأى ميليسوس ، حتى قبل أرسطوطاليس ، أن كل جسم متناه مع أنه أزلي  
 « ليس له إلا قوة متناهية وأن هذا الجسم معتبرا في ذاته فهو دائما على حد الزمان  
 « ... .. بحيث إنه بما أن له من جهة العظم بداية ونهاية يجب أن تكونا  
 « كلتاهما له على السواء بالإضافة الى الزمان . وعلى التكافؤ : ماله بداية ونهاية بالإضافة  
 « إلى الزمان لا يمكن معا أن يكون الكل . ومن أجل ذلك يسند ميليسوس برهانه إلى  
 « البداية والنهاية مطبقين فقط على الزمان . ولا يسمى بلا بداية وبلا نهاية ما ليس الكل .  
 « يعني ما ليس معا العالم أجمع ، وهذا لا ينطبق إلا على الأشياء التي لا أجزاء لها

« وغير المتناهية في وجودها ، وينطبق على الخصوص على الموجود المطلق ما دام  
 « الموجود المطلق هو بالضبط الكل . وهالك مع ذلك أقوال ميليسوس أحيانا :  
 « على ذلك ما لم يكن قد كَوَّن فهو كائن دائما وقد كان دائما وسيكون دائما ؛  
 « فليس له أول ولا آخر ؛ ولكنه لا متناه . فإذا كان قد كَوَّن فيكون له أول لأنه يكون  
 « قد بدأ يصير في حين ما ؛ ويكون له أيضا آخر لأنه يكون قد انقطع أيضا عن أن  
 « يصير . فإذا لم يكن قد بدأ قط وإذا لم يكن قد انتهى قط فذلك بأنه قد كان  
 « دائما ويكون دائما بما أنه ليس له لا أول ولا آخر . لأن ما ليس الكل لا يمكن  
 « أن يصل إلى أن يكونه » .

٨

سميلسيوس . الورقة ٢٣ .

« كما أن الموجود أزلي كذلك يلزم أن يكون عظمه أبديا لا متناهيا » .

٩

سميلسيوس . المرجع السابق .

« ماله أول وآخر لا يمكن الئته أن يكون أزليا ولا لا متناهيا » .

١٠

سميلسيوس . المرجع السابق .

« إذا لم يكن هو أحدا فهو يحد آخر » .

١١

سميلسيوس . الورقة ٢٤ .

إن لغة ميليسوس نفسه يمكن أن تكون قديمة ولكنها ليست غامضة . وقد  
 يمكننا أن نضع تحت الأنظار هذه المؤلفات العتيقة حتى يتها للذين يقرءونها أن  
 يكونوا قضاة يحسنون الحكم في إيضاحات أضبط وأوفى ، وهالك إذا ما يقول  
 ميليسوس ملخصا ما قد بسطه في الماضي ومتابعا نظريته على الحركة :

« على هذا إذا فالعالم، الكل، هو أزلي لا متناه واحد ومتشابه . إنه لا يمكن أن يفنى ولا يمكن أن ينمو ولا يمكن أن تتغير صورته ولا يمكن أن يقبل ولا يمكن أن يضمحل . فإذا هو عانى شيئا من ذلك فلا يكون واحدا . وفي الحق أنه إذا صار الموجود غيراً فيلزم ضرورة ألا يكون متشابهاً ، وأن الموجود الأزلي يفنى وأن اللاموجود يصير . ولو افترضنا الكل ثلاثين ألف عام ليصير غيراً لآتسى بأن يفنى »  
« في كل ما يلي من الزمان » .

## ١٢

سمبليسيوس . المرجع السابق .

« ولكن لا يمكن أن تتغير صورته ؛ لأن النظام المتقدم للعالم لا يندم والنظام الذى لم يكن بعد لا يتكون . ولكن ما دام أنه لا شيء يولد من جديد وما دام أنه لا شيء يندم وما دام أنه لا شيء يتغير كيف يمكن أن أى موجود اتفق يمكن أن تتغير صورته ؟ إنه يكون قد تحول من قبل إذا كان يمكن أن يصير غير ما هو » .

## ١٣

سمبليسيوس . المرجع السابق .

« إنه لا يفعل لأن الكل لا يمكن أن يفعل ما دام أنه لا يمكن أن شيئاً قابلاً يكون أزلياً . ومن ثم لن يكون له بعد قوة شيء يكون في كمال الصحة . وكذلك هو لا يكون متشابهاً إذا كان يفعل . إنه لا يمكن أن يفعل إلا إذا فقد أو كسب شيئاً ، وبهذا وحده ينقطع عن أن يكون متشابهاً . كذلك ليس من الممكن أن شيئاً صحيحاً يفعل بأى ما كان ؛ لأنه حينئذ الموجود وهذا الصحيح يندم واللاموجود يكون . والدليل عينه الذى ينطبق على الانفعال ينطبق أيضاً على الضمحلل كما للوجود » .



١٤

سمبليسيوس القطعة ٩ و ١٧ و ٢٤ .

« لا شيء من الخلو بموجود ؛ لأن الخلو ليس شيئا . وبما هو لا شيء لا يمكن أن يكون . الموجود لا يتحرك لأنه لا محل يمكنه أن يستقر فيه ولكن الكل هو ملء . »  
 « إذا كان خلو فالموجود يتحيز في الخلو . ولكن ما دام أنه لا خلو فلا محل يستقر فيه . ما دام الكل ملئا فلا حركة . كذلك لا يكون لا كثيفا ولا متخلخلا لأنه ليس ممكنا أن يكون المتخلخل مليئا كالكثيف سواء بسواء . والمتخلخل هو أخلى من الكثيف . إليك كيف يلزم الحكم في الملء والخلو . »  
 « إذا كان شيء يتحيز أو يقبل شيئا ما فذلك بأنه ليس مليئا . فإذا لم يتحيز أو إذا لم يقبل فذلك بأنه ملء . إذا ليس إلا الملء إذا لم يكن خلو . إذا كان إذا الكل هو ملئا فلا حركة ممكنة . »

١٥

سمبليسيوس . المرجع السابق الورقة ٢٤ .

« إذا تجزأ الموجود تحرك ، ولكن حينئذ لا يتحرك كله معا . » .

١٦

سمبليسيوس . ما سبق الورقة ١٩

« إذا كان الموجود يوجد فيلزم أن يكون واحدا . وبما هو واحد يلزم في آن واحد ألا يكون جسما . لأنه إذا كان له سمك كان له أيضا أجزاء ولا يكون بعدا واحدا . »

١٧

سمبليسيوس . شرح كتاب السماء . الورقة ١٧٣ .

« أو مريب وهو يستشهد أرسطوقلس (Preparation Evangelique XV) »  
 « هذا هو إذا الدليل الأقوى على إثبات وحدة الموجود ، ولكن هالك من جهة أخرى أدلة

«تثبتها أيضا . إن كان موجودات متكررة فيلزم أن يكون كل واحد منها كالموجود الذي أثبتت وحدته . إذا كان الأرض والنار، وإذا كان الهواء والحديد، والذهب والنار، إذا كان الحى والميت، إذا كان الأبيض والأسود وسائر الأشياء التى يعتبرها الناس حقائق، هى موجودة فى الواقع كما يقال، فيلزم أن يكون كل شئ على الحقيقة هو ما قد ظهر لنا بآدى الأمر، وأنه لا يتغير حاله، وأنه لا يصير غيراً بل يبقى دائماً هو ما هو . ولكنا نعتقد فى حالة الأشياء الراهنة أننا نحسن رؤيتها ونحسن استماعها ونحسن إدراكها . فالحار يظهر لنا أنه يصير بارداً والبارد يصير حاراً والصلب يصير ليناً واللين يصير صلباً والحى يظهر لنا أنه يموت ويتولد ثانياً مما ليس حياً بعد، فالكل بلا استثناء يظهر لنا أنه يصير غيراً . ولا شئ يظهر بأنه يبقى فى الحالة بعينها التى كان فيها والتى هو فيها . والحديد نفسه مهما كان صلباً ينبرى بلامسة الأصبع . والذهب والمجر وأى جسم آخر مما يظهر لنا صلباً هكذا تأتى من الماء كما تأتى منه الأرض والمجر . وبالنتيجة يمكن أن يقال إننا لا نرى ولا نعرف الموجودات فى حقائقها . كل ذلك فكل ذلك أبعد من أن يتطابق . إننا نقول حقاً على بعض الأشياء إنها أزلية ومع ذلك نرى صورها كلها وخواصها كلها تتغير تحت أعيننا وتقطع عن أن تكون على ما قد كنا رأيناها عليه فى كل حالة خاصة . إذا يلزم التسليم بأننا لا نحسن رؤية الأشياء وأن ظهور الأشياء لنا متكررة إنما هو خطأ . لأنها لو كانت حقيقية ما تغيرت ولكنها تكون على ما يظهر لنا كل واحد منها أنه موجود، مادام أنه لا شئ فوق الموجود الحقيقى . ففى التغير قد هلك الموجود، وهذا الذى يتكون هو الالموجود . حينئذ مرة ثانية إذا كانت الأشياء متكررة كما يقال فيلزم أنها كانت على الإطلاق كما يكون الموجود الأبدى .»

## تحليل نظرية غريغاس

لسكستوس أميريكوس

"Adversus Mathemadicos-logicos"

«ك ٧، ص ٣٨٥، طبعة ١٨٤٢»

قال سكستوس بعد أن أثنى على فروطاغوراس وأوتيديم وريونيسودور الذين لم يعترفوا بالموجود وبالحقيقة إلا في الإضافي :

«غريغاس الليونتيومي قد تبوأ مكانا أيضا في طائفة الفلاسفة الذين أنكروا ملكة الحكم . ولكنه لم يتخذ في هجاته الطريقة التي اتخذها فروطاغوراس . فإنه في كتابه المعنون " في اللاموجود أو في الطبيعة " يقرر النقط الثلاث الآتية :

«أولا أنه لا شيء بموجود . وثانيا أنه إذا كان شيء موجودا فذلك الشيء هو غير قابل لأن يدركه الإنسان . وأخيرا وثالثا أن هذا الشيء لو كان قابلا لإدراكنا لما أمكن التعبير عنه ولا تفهيمه الغير .

«إليك كيف يثبت النقطة الأولى وهي أن لا شيء بموجود . إذا كان شيء موجودا فأنما هو الموجود أو اللاموجود أو الموجود واللاموجود معا . ولكن الموجود ليس موجودا كما مبسطه . واللاموجود كذلك ليس موجودا كما مبينه . وأخيرا ما هو معا موجود ولا موجود لا يوجد كما سبينه . إذا لا شيء بموجود . بل يبي أن اللاموجود غير موجود . لأنه إذا كان اللاموجود موجودا فينتج منه أنه يوجد ولا يوجد معا . لأنه من جهة أنه متصور لا موجودا فلن يوجد . ومن جهة أنه اللاموجود فهو سيوجد من جديد وعلى العكس . ولكن من السخف أن شيئا يكون ولا يكون معا . إذا اللاموجود غير موجود البتة . أضف إلى ذلك أنه من جهة نظر أخرى إذا كان اللاموجود موجودا فالوجود حيثئذ لا يوجد . لأنهما على التكاثر ضدان أحدهما للآخر . وإذا كان الموجود يصل إلى اللاموجود فاللاموجود يصل إلى الموجود .

«ولكن مادام الموجود ليس موجودا فاللاوجود ليس موجودا من باب أولى .  
 « على هذا أقول : إن الموجود ليس موجودا ، لأنه إذا كان الموجود موجودا لئلا  
 « أن يكون أزليا وإنما أن يكون مخلوقا وإنما أن يكون معا أزليا ومخلوقا . ولكن ،  
 « كما سنبرهنه ، الموجود ليس لا أزليا ولا مخلوقا ولا كليهما معا . أقول : إذا إن  
 « الموجود لا يكون . لأنه إذا كان الموجود أزليا ، مادام أنه يجب الابتداء بذلك ،  
 « فليس له أول وكل ما يولد له أول . والأزلي بما هو لم يخلق لا يمكن أن يكون له  
 « أول ما . وبما هو ليس له أول فهو لا متناه . وبما هو لا متناه فليس في أي مكان ما .  
 « وفي الحق أنه إذا كان في مكان ما فيلزم أنه كان موجود آخر فيه وفيه يوجد .  
 « وإذا كان الموجود محويا هكها في شيء ما فلا يكون بعد لا متناها . مادام أن  
 « الحصى هو أكبر من المحوى ، ولا يمكن أن يكون شيء أكبر من اللامتناهي .  
 « إذا اللامتناهي ليس في حيز ما .

«ولكن اللامتناهي لا يمكن أن يكون كذلك محويا في ذاته لأنه إذا يكون المحل  
 « والحال يشبهان ويصير الموجود اثنين : المحل أولا ثم الجسم ، فإن ما فيه الجسم  
 « هو الحيز وما في الحيز هو الجسم . ولكن هذا ضعف . وبالنتيجة فالموجود  
 « ليس كذلك حالا في ذاته . وبالنتيجة أيضا إذا كان الموجود أزليا فهو لا متناه .  
 « وبما هو لا متناه فهو ليس في أي حيز . وبما هو ليس في حيز فهو غير موجود . إذا  
 « كان إذا الموجود أزليا فلا يمكن أن يكون له كذلك أول .

«ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن كذلك أن يكون قد خلق . فإذا كان  
 « بالمصادفة قد ولد فيجب أن يكون قد أتى من الموجود أو من اللاوجود . ولكنه  
 « لا يمكن أن يكون قد أتى من الموجود لأنه إذا كان الموجود موجودا فذلك بأنه  
 « لم يكن قد ولد وأنه موجود من قبل . ولا من اللاوجود مادام اللاوجود لا يمكن  
 « أن يكون شيئا ما أي كان مادام أن ما هو قادر على أن يكون شيئا يجب بالضرورة  
 « أن يكون قد شارك في الوجود . إذا فالموجود لا يمكن أن يكون قد خلق .



«وقد بُثِّت بالأدلة عينها أن الموجود لا يمكن أن يكون الاثنين معا . أعني  
«أزليا ومخلوقا معا . وفي الحق أن هذين المعنيين يتفاسدان . وإذا كان الموجود  
«أزليا فهو لم يولد . وإذا ولد فليس أزليا . حيثئذ مرة أخرى ، الموجود بما هو  
«لا أزلي ولا مخلوق ولا الاثنين معا فذلك بأنه لا يوجد البتة .

«دليل آخر : إذا كان الموجود يوجد فهو واحد أو كثرة . ولكن الموجود ليس  
«واحدا ولا متكررا كما سنرى ذلك . ومن ثم فالموجود ليس البتة . فإذا افترض  
«واحدا فهو إما كم وإما متصل وإما عظم ما وإما جسم . ولكن ماهو في أى مما من  
«هذه الأحوال ليس بعد واحد . وفي الحق أنه إذا كان الموجود كما فيكون منقسما .  
«وإذا كان متصلا فيمكن فصله . وإذا افترض له في الذهن عظم فلا يكون بعد غير  
«منقسم . وإذا ذهب إلى حد أن يجعل جسما فإذا يكون له الأبعاد الثلاثة ، وبعبارة  
«أخرى يكون له طول و عرض وعمق . ويكون مما لا يستطيع تأييده أن يدعى  
«أن الموجود ليس على الإطلاق بـثبث من ذلك كله . وإذا فالموجود ليس واحدا .  
«أقول : إن الموجود ليس كذلك متكررا لأنه ما دام ليس واحدا لا يمكن بعد  
«أن يكون كثرة . وفي الحق أن كثرة لا تتألف إلا من تركيب الوحدات . ومق  
«نفيت الوحدة انتفت الكثرة هتما .

«حيثئذ على ما تقدم كله يرى جليا أن الموجود ليس أكثر وجودا من اللاموجود .  
«ويمكن أن يستنتج منه أن الموجود ليس كذلك الموجود واللاموجود معا . إذا  
«كان الموجود ، في الحق ، هو ما يوجد وما لا يوجد فينتز اللاموجود يتحد مع الموجود  
«في أمر الوجود . ومن ثم لا يوجد لأحدهما ولا الآخر . فاما أن اللاموجود  
«لا يوجد فهذا موضع اتفاق جميع الناس . ولكن قد قرر أننا أن الموجود يتماثل مع  
«اللاموجود . فالموجود إذا ليس يوجد كذلك . ولكن إذا كان الموجود مماثلا  
«لللاموجود فلا يمكن أن يكون الاثنين معا . فإذا كان الاثنين معا فلا يكون  
«مماثلا وإذا كان مماثلا فلا يكون الاثنين . وينتج منه أن الموجود هو لا شيء .»

«لأنه إذا لم يكن لا الموجود ولا اللا موجود ولا كليهما، ولا شيء وراء ذلك، فذلك  
«بأن الموجود ليس شيئاً» .

«الآن يلزمنا أن نوضح أنه إن كان من شيء، فذلك الشيء غير معروف للإنسان وأن  
«عقله لا يمكن أن يفهمه» . يقول غريغاس : إذا كانت تصورات عقلنا ليست  
«موجودات فالموجود لا يمكن أن يتصور، وذلك بسيط كل البساطة . وفي الحق،  
«كما أنه إذا كانت الأشياء التي نتصورها بيضاء هي في الحقيقة متصورة بيضاء فكذلك  
«الأشياء المتصورة ليست موجودات، فينتج منه بالضرورة الحتمية أنه لا يمكن  
«أن نتصور موجودات حقيقية . وهذا دليل صحيح تام الصحة ومتبع جد الإنتاج .  
«فاذا كانت الأشياء المتصورة ليست موجودات فالموجود لا يمكن أن يتصور .  
«الأشياء المتصورة ليست موجودات كما سنقرره . وذلك فرض أول ينبغي  
«التسليم به . إذا الموجود ليس متصوراً . فاما أن الأشياء المتصورة ليست  
«موجودات فذلك ما هو بين بناته . لأنه إذا كانت التصورات هي الحقائق  
«فحينئذ كل ما يتصور يوجد وعلى الوجه الذي تُصور به أي كان هذا الوجه .  
«وهذا هو مخيف بالبداية واقتراضه غير معقول بالمرّة . مثال ذلك : إذا شاء المرء  
«أن يفترض إنساناً يطير في الأجواء وعربات تدرج على الأمواج ، فلا ينتج من  
«ذلك وجده أن الإنسان يستطيع أن يطير والعربات تدرج على أمواج البحر . على  
«هذا فالتصورات التي تتصور ليست حقائق .

«يلزم أن يراه على هذا أنه إذا كانت الأشياء المتصورة موجودات فينتج منه  
«أن الأشياء التي ليست موجودة لا يمكن أن تتصور . لأن الخواص المتضادة تتعلق  
«بالأضداد . واللا وجود هو نقيض الموجود . فاذا كان إذا الموجود يمكن أن  
«يتصور كما قد يعتقد فينتج منه أن اللا موجود لا يمكن أن يتصور . وهذا مخيف .  
«لأن الإنسان يتصور "سيلا" و"الشمير" وأشياء شتى أخرى ليس لها وجود ما .  
«إذا الموجود ليس متصوراً . وكما أن الأشياء المرئية هي بذلك يقال عليها إنها قابلة  
«لأن ترى وأن الأشياء المسموعة يمكن أن يقال عليها إنها قابلة لأن تسمع لأن

«الإنسان يسمعها وأن المرء لا ينكر الأشياء المرئية لأنه لا يسمعها كما أنه لا ينكر الأشياء القابلة لأن تسمع بحجة أنه لا يراها فإن كل واحد من هذه الأشياء يجب أن يحكم عليه بحاسته الخاصة لا بحاسة أجنبية ، كذلك الأمر في الأشياء المتصورة لأنه لا يمكن أن تُرى بالنظر ولا أن تسمع بالسمع ما دام أنها مدركة بالحاسة الخاصة بها . وبالتبع إذا كان امرؤ يتصور العربات تدرج على المياه ولا يراها فلا يلزم منه إنكار أن العربات تدرج على الماء . ولكن هذا سخف . وإذا فالموجود ليس متصورا ولا يمكن أن يفهم .

«ولكن بافتراض أنه يفهم فلا يمكن نقله الى الغير . وفي الحق أن الموجودات التي يمكن للمرء أن يراها ويسمعها وعلى وجه العموم أن يحسها هي مفروضة خارجة عنا ومن بينها المراتب مدركة بالنظر وما يمكن سمعها مدركة بالسمع دون أن يكون البتة عكس ممكن ، فكيف يمكن حينئذ التعبير عنها للغير . وفي الواقع أن طريقة الإيضاح التي عندنا هي الكلام ، والكلام ليس هو الأشياء نفسها ولا الموجودات . إذا ليست الموجودات هي التي نعبر عنها للغير بل هو الكلام وحده الذي هو على الإطلاق خلاف الحقائق أصيها . وإذا فكما أن المرئي لا يمكن أن يصير قابلا لأن يسمع وعلى التكافؤ ، فكذلك الموجود المفروض أنه خارج عنا لا يمكن أن يصير هو كلامنا . وبما أن الكلام ليس موجودا فليس من الممكن التعبير عن شيء ما للغير . وفي الواقع أن المقالة — كما يقول غريغاس — لا تتألف إلا من أشياء خارجية تأتي فتقع في ذهننا أصنى أشياء تدركها حواسنا . وعلى هذا فعلى أثر تسلط ذوق ما في الأشياء المذوقة يتكون عندنا الكلام الذي نعبر به عن هذا الكيف الخاص . وتبعاً لتدخل اللون يتكون الكلام الذي نعبر به عنه . فإذا كان هذا هكذا فليس الكلام هو الذي يمثل ما هو في الخارج بل هو الشيء الخارجى الذي يعين الكلام . لا يمكن أن يقال : إن الكلام هو على الوجه الذي عليه الأشياء المرئية أو المسموعة بحيث إن الكلام بافتراضه يمكن أن يستدل به على الموجودات والموضوعات

«الخارجية . يقول غريغاس : لأنه إذا كان الكلام هو أيضا موضوعا فهو يختلف بالأقل عن جميع الموضوعات الأخرى . ومثال ذلك أية مسافة لا تكون بين الأشياء الموثبة وبين الكلمات التي تعبر عنها؟ وفي الحق أنه إنما يختلف العضو الذي تدرك به الأشياء الموثبة والذي يدرك به الكلام الذي يعبر عنها . وعلى ذلك فالكلام لا يمكن أن يبين الجزء الأعظم للأشياء الخارجية بذواتها، كما أن أكثر الأشياء لا يمكن على التبادل أن يبين بعضها طبع البعض الآخر .

« تلك هي أدلة غريغاس التي هي على قدر قيمتها تفسد كل مقياس للحق ، لأنه ليس بعدد من مقياس ما دام أن الموجود ليس موجودا، وأنه لا يمكن أن يعلم ، وأنه ليس قابلا لأن يُنقل علمه إلى الغير .

راجع أيضا Hypotyposes pyrrhoniennes ك ٢ ب ٦ ف ٥٧ و ٥٩

و ٦٤ — ص ١٣٤ و ١٣٦ من طبعة سنة ١٨٤٢





**مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب**

ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

[WWW.egyptianbook.org.eg](http://WWW.egyptianbook.org.eg)

E - mail : [info@egyptianbook.org.eg](mailto:info@egyptianbook.org.eg)